
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
الطبعة الثانية
صحيح
السيرة النبوية
تأليف
علي بن إسماعيل القاضي
دار العلم والمعرفة



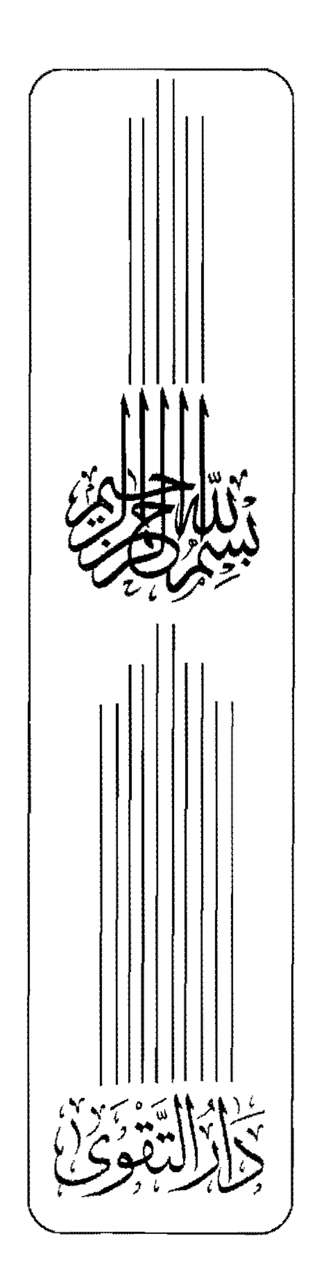
الهدى والنور

في صحيح سيرة الرسول ﷺ

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

رقم الإيداع: ٢٠١٣/٢٢٥٠



دار التقوى

للطبع والنشر والتوزيع

٨ شارع البيطار - خلف الجامع الأزهر

ت: ٠١٠٠١٥٩٢٢٧١ - ٠٠٢٠٢٢٥١٤١٧٠٤ - ٠٠٢٠٢٤٤٧١٥٥٠٦

إيميل- dar_altakoa@hotmail.com

altakoabook@hotmail.com

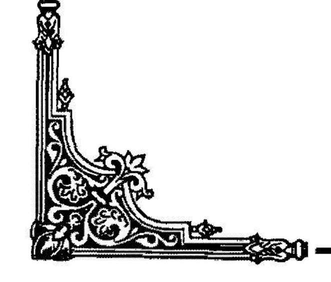
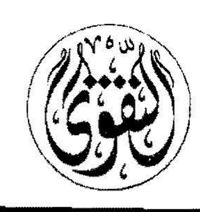
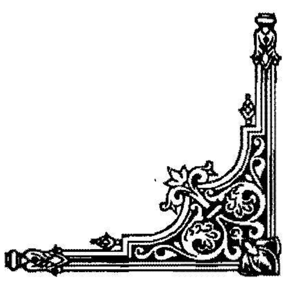


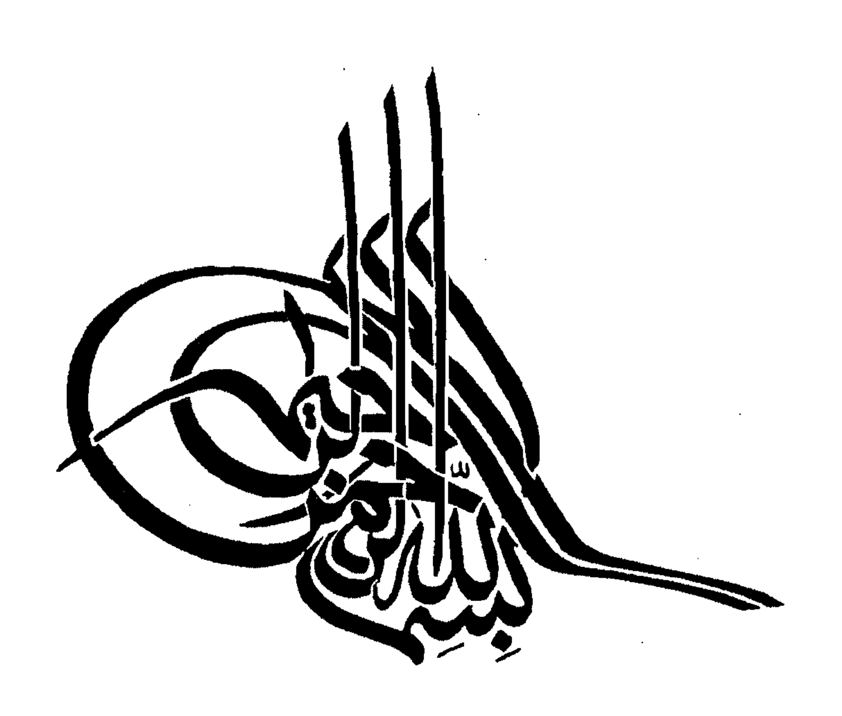
الهدى والنور

في صحيح سيرة الرسول ﷺ

تأليف

علي بن إسماعيل عباس القاضي



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضْلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

وبعد: فإن خير ما يتدارسه المسلمون، ولاسيما الناشئون والمتعلمون، ويعْنَى به الباحثون والكاتبون دراسة السيرة المحمدية؛ إذْ هى خير معلم ومثقف، ومهذب ومؤدب، وأصل مدرسة تخرج فيها الرعيل الأول من المسلمين، والمسلمات، الذين قلما تجود الدنيا بأمثالهم.

ففيها ما ينشده المسلم، وطالب الكمال من دين، ودنيا، وإيمان واعتقاد، وعلم وعمل، وآداب وأخلاق، وسياسة وكياسة، وإمامة وقيادة، وعدل ورحمة، وبطولة

وكفاح، وجهاد واستشهاد، فى سبيل العقيدة والشريعة، والمثل الإنسانية الرفيعة، والقيم الخلقية الفاضلة.

وعلى هذا فكل مسلم يجد فيها بغيته، فالداعية يجد له فى سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أساليب الدعوة، ومراحلها المتسلسلة، ويتعرف على الوسائل المناسبة لكل مرحلة من مراحلها، فيستفيد منها فى اتصاله بالناس، ودعوتهم للإسلام، ويستشعر الجهد العظيم الذى بذله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل إعلاء كلمة الله، وكيفية التصرف أمام العوائق والعقبات، والصعوبات، وما هو الموقف الصحيح أمام الشدائد والفتن؟

ويجد المربى فى سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دروسًا نبوية فى التربية والتأثير على الناس بشكل عام وعلى أصحابه الذين رباهم على يده وكلأهم بعنايته، فأخرج منهم جيلًا قرآنيا فريدًا، وكوَّن منهم أمة هى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وأقام بهم دولة نشرت العدل فى مشارق الأرض ومغاربها.

ويجد القائد المحارب فى سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظامًا محكمًا ومنهجًا دقيقًا فى فنون قيادة الجيوش والقبائل والشعوب والأمة، فيجد نماذج التخطيط واضحة، ودقة فى التنفيذ بينة، وحرصًا على تنفيذ مبادىء العدل، وإقامة قواعد الشورى بين الجند والأمراء، والراعى والرعية.

وَقُلْ مثل ذلك فى السياسيين، والتجار، والمبتلين والعلماء.

فالسيرة النبوية العطرة هى المفسرة للقرآن الكريم فى الجانب العملى، ففيها - كما سنرى - أسباب النزول، وتفسير لكثير من الآيات، فتعينهم على فهمها، والاستنباط منها، ومعايشة أحداثها، فيستخرج العلماء منها الأحكام الشرعية، وأصول السياسة الشرعية، ويحصلون منها على المعارف الصحيحة فى علوم الإسلام المختلفة، وبها يدركون الناسخ والمنسوخ، وغيرها من العلوم. وبذلك يتذوقون روح

الإسلام ومقاصده السامية، والآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة وسمو الروح، وطهارة القلب، وحب الجهاد فى سبيل الله وطلب الشهادة فى سبيله[(١)].

ولهذا كان السلف يعلمون أبناءهم سيرة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأيامه وهديه وشمائله ومغازيه كتعليمهم للوحى المنزل، ففى تعلم السيرة وتعليمها سعادة الدارين، لأنها الجانب العملى للقرآن والسنة.

قال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص: «كان أبى يعلمنا مغازى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعدها علينا ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها»[(٢)]. نعم والله إنها لشرف الآباء والمدرسة التى يتربى فيها الأبناء !! وقال على بن الحسن: «كنا نعلم مغازى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما نعلم السورة من القرآن»[(٣)].

فوائد دراسة السيرة النبوية:

١- معرفة أسباب نزول كثير من الآيات القرآنية وهذا مما يعين على فهمها والاستنباط منها ومعايشة أحداثها وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة.

٢- دراسة السيرة زاد نافع للدعاة والمجاهدين يشحذ هممهم ويقوى عزائمهم إذا وقفوا على الجهود العظيمة والدماء التى بذلت لإعزاز الدين ورفع رايته بين العالمين، وعرفوا قدر النعمة للهداية لهذا الدين ومدى الشرف بالانتساب إليه والدعوة له والجهاد لرفع رايته.

---

(١) انظر فى ذلك: «السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة» للشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة رَحِمَهُ اللهُ ١/ ٤، و«السيرة النبوية، دراسة تحليلية» د/ محمد أبو فارس (ص٥٠). و«مدخل لفهم السيرة» د/ يحيى اليحيى (ص١٤)، و«السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل الأحداث» د/ على محمد الصلابى (١/ ٥-٦).

(٢) «البداية والنهاية» (٢/ ٢٤٢) و«شرح المواهب اللدنية» (١/ ٤٧٣).

(٣) ذكر الخطيب فى «تاريخه» والحافظ ابن عساكر فى «تاريخه» أيضًا..

٣- السيرة ذاتها معجزة من معجزات النبى ﷺ وآية من آيات نبوته كما قال ابن حزمٌ: «فهذه السيرة العظيمة لمحمد ﷺ لمن تدبرها تقتضى تصديقه ضرورة وتشهد له بأنه رسول الله حقًّا فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى». والدارس للسيرة كذلك يقف على كثير من معجزاته ﷺ ولاشك فى أن معرفة معجزات النبى مما يزيد إيماننا بصدقه وحبنا له ﷺ.

٤- معرفة الطريق إلى عِزِّ الإسلام والمسلمين فقد بعث النبى ﷺ والناس فى أسوأ حال بعث فيها نبى من الأنبياء وقد نظر الله عَزَّوَجَلَّ إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، فكيف بدأ الدعوة، وكيف انتقل بها من مرحلة إلى مرحلة، حتى أكمل الله عَزَّوَجَلَّ له الدين، وتمت النعمة على المسلمين، وقد أشرنا إلى ذلك فلا نطيل بإعادته.

٥- معرفة المؤهلات التى أهلت الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لقيادة البشرية، وكيف رباهم النبى ﷺ، وهذا مما يدعو إلى محبتهم والنسج على منوالهم واتباع سبيلهم.

٦- معايشة الصحب الكرام والسعادة بصحبة خير الأنام، نفرح لفرحهم ونبكى لبكائهم وتقر أعيننا بانتصارهم ولاشك فى أن طول الصحبة والمشاركة فى السراء والضراء مما يقوى روابط المحبة والإخاء وهذه من بركة دراسة السيرة المشرفة وذلك عقد من عقود الإيمان ولا يتم إيمان عبد حتى يحب رسول الله ﷺ أكثر من والده وولده والناس أجمعين.

٧- دراسة السيرة النبوية متعة روحية وغذاء للقلوب الزكية، وكيف لا تكون كذلك وأهل الفسوق والعصيان يتمتعون بالأفلام الساقطة والتمثيليات الهابطة ورؤية المعاصى والمنكرات، ولكل نفس ما يناسبها، وكل ميسر لما خلق له.

٨- دراسة السيرة تفيد المسلم الوقوف على كثير من الأحكام الفقهية، والدروس التربوية، والسياسة الشرعية، فلا يستغنى عنها القائد ليتعلم كيف تكون

القيادة، ولا يستغنى عنها الجندى ليتعلم كيف تكون الجندية، ولا يستغنى عنها الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليتعلموا كيف تكون الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يستغنى عنها المربون ليتعلموا كيف تكون التربية.

٩- معرفة شرف النبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكيف عصمه الله عَزَّوَجَلَّ من الناس وكيف نزلت الملائكة تقاتل معه يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم حنين، وكيف نزل جبريل وميكائيل يدافعان عن شخصه الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم أُحد.

١٠- معرفة أسباب النصر وأسباب الهزيمة، فمن أسباب النصر الثقة بالله عَزَّوَجَلَّ والتوكل عليه والتضرع إليه والأخذ بالأسباب الموصلة إلى النصر، وعدم الثقة فى الأسباب، والإيمان بأن النصر من عند الله، ومن أسباب الهزيمة ما حدث يوم أُحد من التطلع إلى الدنيا، وما حدث يوم حنين من الاغترار بالكثرة.

١١- منهج حياة للفرد والمجتمع المسلم، ومعين رائق لفهم الشريعة الإسلامية، وصورة صحيحة لأعظم منهج شهدته الأرض، إنها تاريخ لأفضل رسل الله وسيد البشر أجمعين[(١)].

فما أجدر المسلمين فى حاضرهم: رجالًا ونساءً، وشبابًا وشيبًا؛ أن يتعلموها، ويعلموها غيرهم، ويتخذوا منها نبراسًا يسيرون على ضوئه فى تربية الأبناء، والبنات، وتنشئة جيل يؤمن بالله ورسوله، ويؤمن بالإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، والتضحية بكل شىء فى سبيل سيادته، وانتشاره لا يثنيهم عن هذه الغاية الشريفة بلاء وإيذاء، أو إطماع وإغراء.

قال ابن الجوزى رَحِمَهُٱللَّهُ: «وللسير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها **فائدتان:**

إحداهما: أنه إن ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله، أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو سيرة مفرّط ووصف عاقبته أفادت الخوف من التفريط؛ فيتأدب

---

(١) «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» د/ أحمد فريد حفظه الله (ص١٦ – ١٧).

المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول، ويكون روضة للمتنزه فى المنقول».

الثانية: أن يطَّلع بذلك على عجائب الأمور وتقلبات الزمن وتصاريف القدر وسماع الأخبار(١).

حاجة السيرة إلى تنقية وتصفية من الدخيل عليها والذى ليس منها:

والسيرة النبوية إذا كان لها أهمية لهذه الدرجة القصوى وحاجة المسلم إليها كحاجته إلى القرآن الكريم لأنها الترجمة العملية للقرآن الكريم، والموضحة لمبهمه، والتى بها يعرف أحوال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنته وأيامه وشمائله ومغازيه، وفضائل الصحابة ومواقفهم الخالدة. فلا يكون ذلك كله إلا بالصحيح من الأخبار والآثار، ولا يستدل على حياة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشمائله وأخلاقه وعباداته، ومغازيه بالضعيف والواهيات والمنكرات والموضوعات، والتى لا يجوز الإخبار بها إلا عن طريق البيان لها ودرجة صحتها.

وكم يتأذى الإنسان إذا سمع من محاضر أو داعية أو واعظ، أو قرأ لكاتب ذى مكانة وهو يستدل بالضعيف الذى لا يجبر والأخبار الواهية، والقصص الموضوعة، والروايات المنكرة والأسانيد الساقطة، فإذا ما عورض ووجه فى ذلك قال: هو فى «تاريخ الطبرى»، أو فى «تاريخ الإسلام»، أو فى «البداية والنهاية»، أو فى «السيرة النبوية» لابن هشام. أو غيرها من كتب التراث فيضرب المسلم كفًّا على كف متعجبًا أسفًا. على من يعارض بجهل ظنًّا منه أن كل ما فى تاريخ ابن جرير الطبرى أو «السير» للذهبى، أو «السيرة» لابن هشام، أو «البداية» لابن كثير، أو «المنتظم» لابن الجوزى — صحيح. وهذا الظن ليس بصحيح.

فالتاريخ قد دخله دخنٌ كثير، واستبعد عنه قواعد المحدثين، فتسللت إليه

(١) «المنتظم» (١/ ١١٧) من مقدمة ابن الجوزى رَحِمَهُ اللهُ.

الروايات الموضوعة، والحكايات المكذوبة، ومعظم الوقائع لا سند لها، وكثير من الأحداث لا خطم لها ولا أزمَّة، وقد نقله إلى من دوَّنه من المؤرخين وأصحاب السير والمغازى، رواة ليسوا ثقات، بل هم أقل من ذلك بكثير، وبعضهم موصوفون بالوضع، وآخرون متروكون أمثال: الواقدى وهو أحد المتروكين[1]، والكلبى: محمد ابن السائب متهم بالوضع[2]، وسيف بن عمر التميمى وهو من المؤرخين المعروفين؛ لكنه متهم بالكذب[3].

ومحمد بن إسحاق: مدلس معروف إذا صرَّح بالتحديث، فحديثه حسن عند المحققين المنصفين، وإذا لم يصرِّحْ بالتحديث فحديثه محمول على الانقطاع. ومع ذلك فهو حجة فى هذا الفن[4].

ونقل عن ابن إسحاق كل من جاء بعده، كالإمام أحمد فى «المسند» والبيهقى فى «دلائل النبوة»، وابن جرير الطبرى فى «التاريخ» والذهبى فى «السيرة»، و«التاريخ»، وابن كثير فى «البداية والنهاية» وفى «التفسير» أيضًا. وغيرهم كثير من الذين دونوا السير والمغازى.

---

(١) انظر فى ترجمته: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٤٢٥ و٧/ ٣٣٤، و«التاريخ الكبير» (٥٤٣)، و«الضعفاء والمتروكين» للنسائى (٥٣١) و«الضعفاء» للعقيلى (٤/ ١٦٦٦) و«الجرح والتعديل» (٨ ترجمة ٩٢)، و «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٢٩٠)، و«الكامل» لابن عدى (٦ ترجمة ١٧١٩).

(٢) انظر فى ترجمته: «الطبقات» (٦/ ٣٥٨)، و«التاريخ الكبير» (١/ ترجمة ٢٨٣)، و«الجرح والتعديل» (٧ ترجمة ١٤٧٨)، و«المجروحين» لابن حبان(٢/ ٢٥٣)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٥٥٦)، و«تهذيب التهذيب» (٩/ ١٧٨).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) انظر فى ترجمته «طبقات ابن سعد» (٧/ ٣٢١)، و«التاريخ الكبير» (ج١ رقم ٦١)، و«الجرح والتعديل» (ج٧ رقم ١٠٨٧)، و«تاريخ بغداد» (١/ ٢١٤)، و«العبر» (١/ ٢١٦، ٣٤١)، و«تاريخ الإسلام» للذهبى (٦/ ٢٧٥)، و«تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٨)، و«السير» رقم (١٠١٦)، وغيرها من كتب التراجم.

وهناك أحداث ثبتت تاريخيا، ووقائع دوَّنها التاريخ، وهى أشهر من أن تتعرض للنقد والتحقيق، لكنها لا سند لها، أولها سند لكنه واهٍ أو شديد الضعف، وربما كانت الحادثة لا أصل لها، فلا يجوز التعلق بمثل هذه الأخبار، ولا بمثل هذه القصص، ومع هذا لا يكاد يخلو منها كتاب فى التاريخ مؤلف قديمًا أو حديثًا.

إن اشتراط الأمانة والثقة والدين فى المؤرخ أمر ضرورى لقبول شهادته على الرجال والأمم وتقويم دورهم التاريخى، كما يشترط ذلك فى المحدث الثقة.

ولن نفقه السيرة بما فيها من أحداث وعبر وأحكام إلا إذا درسنا القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وبقدر ما تنال من ذلك، تكون صلتك بنبى الإسلام[1].

السيرة النبوية جزء من الحديث الشريف:

لقد شغلت السيرة النبوية حيزًا غير قليل من الأحاديث، والذين ألفوا فى الأحاديث لم تخل كتبهم غالبًا عن ذكر ما يتعلق بحياة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومغازيه، وخصائصه، ومناقبه، ومناقب صحابته، وقد استمر هذا المنهج حتى بعد تدوين السيرة على سبيل الاستقلال، وأقدم كتاب وصل إلينا فى الأحاديث، وهو موطأ الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٨٩ هـ)، لم يخل من ذكر جملة من الأحاديث فيما يتعلق بسيرة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوصافه وأسمائه، وذكر ما يتعلق بالجهاد.

وصحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦) ذكر فيه قطعة كبيرة مما يتعلق بحياة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة وبعدها. كما ذكر كتاب: (المغازي) وما يتعلق بخصائصه وفضائله عليه الصلاة والسلام، وفضائل أصحابه ومناقبهم، انظر مثلًا: كتاب (الجهاد)، و(المغازي)، و(الفضائل)، و(أبواب المناقب).

وكذلك: صحيح الإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١) اشتمل على

---

(١) انظر: «فقه السيرة» للشيخ محمد الغزالى رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٤٩٠).

جزء كبير من سيرة النبى ﷺ وفضائله، وفضائل أصحابه، والجهاد والسير، وذلك فيما لا يقل عن أربعة أجزاء من أجزاء الكتاب وكذلك صنع الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (ت ٢٤١) فى مسنده الكبير، فقد حوى جانبًا كبيرًا لا بأس به من السيرة، ولو أنَّ باحثًا فى علوم السنة نهض فجرد أحاديثه بعد تصحيحها وتحقيقها ثم جمعها مرتبة ترتيبًا زمنيًّا على الأحداث، لأخرج لنا كتابًا كبيرًا فى السيرة، يكاد يكون متكاملًا أو يوشك على أن يكون كتابًا مستقلًّا فى السيرة على منهج المحدثين. وقد فعلت شيئًا من هذا، والله المستعان وهو وحده المعين، وعليه قصد السبيل. ويمتاز المسند أن يروى أحيانًا عن ابن إسحاق فيصل أحيانًا ما قطعه ابن إسحاق من المعلقات والبلاغات والضعيف الذى تجده أحيانًا يصح أو يحسن من طرق أخرى أو بأسانيد أخر، وهذا كله تستطيع أن تجده فى «المسند» فما أحوجه إلى غواص ماهر يستطيع أن يخرج منه الجواهر واللآلئ والدرر، وما يقال فى «المسند» يقال فى السنن الأربعة إذ أنها لا تخلو من كتاب الجهاد، وذكر طرف مما يتعلق بالسير، وكذلك صحيح ابن حبان و«مصنف ابن أبى شيبة وعبد الرزاق، و«صحيح ابن خزيمة»، و«مستدرك الحاكم»، و«السنن الكبرى» للبيهقي، وغيرهم من الكتب، وهذا يدلك على الصلة الوثيقة بين الأحاديث والسير فهى جزء منها.

فعلى الدارس فى السيرة النبوية أن يأخذ ما فى كتب الصحاح والسنن والمسانيد، والمستخرجات والمستدركات ما صحَّ منها من سيرة النبى ﷺ إذًا لخرج لنا كتابًا ضخمًا وموسوعة كبرى فيما صح وأسند من سيرة النبى ﷺ.

وليس معنى هذا أن نُقَصِّى كتب السيرة والمغازى جانبًا؛ بل نأخذ الصحيح منها والحسن والضعيف الذى ليس شديد ضعفه، فلربما ينجبر بطرق أخرى تنهضه وترتقى به إلى الحسن لغيره، وبذلك نعمل على تنقية وتصفية السيرة النبوية المطهرة التى هى فى الأصل جزء من السنة، والجانب العملى لمعانى القرآن الكريم. ثم إن مدارستها أمر تعبدى كمدارسة القرآن والسنة؛ لأنها جزء - كما قلنا من السنة والسنة

مبينة وموضحة ومفسرة للقرآن، ثم منشئة لأحكام ليست فى القرآن الكريم.

ولا يتعبد بغير الصحيح: والذى تطرقت إليه أيدى الوضاعين أو الكذابين أو من كان فى عداد الحمقى والمغفلين.

إن جهود المحدثين كثيرة، وهى أكثر من أن تحصى على مر الدهور والعقود.

ولن يعرف التاريخ مثل آبائنا الذين نقوا السند والمتن معًا. فالسند من خصوصية هذه الأمة، ولم تعرفه الأمم السابقة.

لذا جرَّدنا القلم، وسألنا الله العون والمدد فى أن يعيننا على دراسة سيرة خير الأنام وأن نسوقها سياقًا صحيحًا فلا نُورِدُ فيها ما أجمع المحدثون وأهل السير على ضفعه.

مصادر السيرة:

تنقسم مصادر السيرة النبوية إلى قسمين:

الأول: مصادر أصلية.الثاني: مصادر تكميلية.

فمن المصادر الأصلية:

القرآن الكريم: وفيه ذكر لبعض الأحداث التاريخية، فى عصر السيرة مثل بدر، وأحد، والخندق، والحديبية، وفتح مكة، وخيبر، وحنين، وتبوك ...إلخ.

لكن ينبغى أن لا نتوقع ورود تفاصيل عن الأحداث التاريخية فى القرآن الكريم؛ لأنه ليس كتابًا فى التاريخ؛ بل هو دستور للحياة، ثم إنَّ هناك صعوبة فى معرفة أسباب ووقت نزول كثير من الآيات، إما لعدم ورود روايات فى ذلك أو لتضارب الروايات الواردة، مما يحتاج إلى تحقيق لتمييز الروايات الصحيحة أولًا، ثم إزالة التعارض إن وجد بعد ذلك.

وينبغى التفطن إلى أن الإفادة التامة من القرآن الكريم لا تتم إلا بالرجوع إلى كتب التفسير الموثقة، وخاصة التفسير بالمأثور مثل: تفسير الطبري، والبغوي، وابن أبى حاتم، وابن كثير، وينبغى الرجوع أيضًا إلى كتب الناسخ والمنسوخ، وكتب

أسباب النزول وغيرها مما يتصل بالقرآن وعلومه [١].

ومن المصادر الأصلية: السنة النبوية:

فالأحاديث توضح العقائد والآداب الإسلامية، وتبين أحاديث الأحكام والنواحى العبادية والتشريعية من صوم وحج وزكاة ونظم سياسية ومالية وإدارية، ولا يمكن تكامل تصور الإسلام إلا بمعرفة الحديث، ولكل هذه الجوانب التى تناولتها الأحاديث صلة بالحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية فى عصر النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما تلاه؛ لأنَّ المسلمين التزموا بتطبيق السنة فى حياتهم إلى حد كبير.

وكذلك فإنَّ بعض مصنفات الحديث تخصص قسمًا للمغازى والسير مثل صحيح البخاري. كما سبق وأن ذكرنا. ولا شكَّ أن مادة السيرة فى كتب الحديث موثقة يجب الاعتماد عليها، وتقديمها على روايات كتب المغازى والتواريخ العامة، وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحة؛ لأنها ثمرة جهود جبَّارة قدمها المحدثون عند تمحيص الحديث ونقده سندًا ومتنًا، وهذا التوفيق والنقد الذى حظى به الحديث لم تحظ به الكتب التاريخية، ولكن تبقى هنا مشكلة وهى أن كتب الحديث لا تورد تفاصيل المغازى وأحداث السيرة بل تقتصر على بعض ذلك - والأمثلة على ذلك من السيرة كثيرة - مما ينضوى تحت شرط المؤلف، أو وقعت له روايته، ومن ثم فإنها لا تعطى صورة كاملة لما حدث، وينبغى إكمال الصورة من كتب السيرة المختصة، وإلا فقد يؤدى ذلك إلى لبس كبير.

ومن المصادر الأصلية: كتب السيرة المختصة:

ومع الاهتمام بمصادر الحديث ومصنفاته وما تحتويه من ثروة عظيمة من أحاديث السيرة؛ فإنه لا ينبغى التقليل من دور كتب المغازى والسير، فإنها تلى القرآن الكريم، والحديث الشريف، مما يعطيها قيمة علمية كبيرة.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية الصحيحة» د/ أكرم ضياء العمرى (ص ٤٨)، و«محاضرات فى تاريخ العرب قبل الإسلام» فصل المصادر.

إن أوائل مصنفات السيرة قد كتب فى عصر مبكر، فالصحابة لا زال الكثير منهم على قيد الحياة، وهم على علم دقيق وواسع بالسيرة النبوية؛ لأنهم عاشوا أحداثها، وشاركوا فيها، هذا التبكير فى الكتابة قلل -إلى حدٍّ كبير- من احتمال تعرضها للتحريف أو المبالغة والتهويل أو الضياع.

فموسى بن عقبة الذى توفى عام (١٤٠ هـ) محدث ثقة من تلاميذ محمد بن شهاب الزهرى له كتاب فى السيرة، أثنى عليه الإمام مالك واعتبره أصح كتاب فى المغازى يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «عليكم بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازى». ويقول أيضًا: «عليكم بمغازى موسى، فإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن، ليقيد من شهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكثر كما أكثر غيره»[(١)].

إضافة إلى أهميتها التى ذكرنا، يضاف إليها ميزة أخرى، وهى أنها أوردت الكثير من الأحداث والروايات يتقدمها الأسانيد، ومعظم رواة السيرة هم الرواة والمحدثين الذين نجد تراجم لهم فى كتب الرجال، وأوضحت هذه الكتب أحوالهم، وبينت ما قيل فيهم من جرح وتعديل مما يسهل على الباحث معرفة قوة الرواية أو الحدث التاريخى أو ضعف هذا الحدث[(٢)]، ولذلك جاء اعتمادى على هذه الكتب فى الدرجة الثانية، حين لا أجد الحدث التاريخى فى كتب الحديث ومصنفاته.

منهجى فى هذه الدراسة:

١- لما كانت هذه الدراسة فى ضوء القرآن والسنة، فسأعنى بذكر الآيات القرآنية المتعلقة بحوادث السيرة ووقائعها.

٢- سأعنى أيضًا- بذكر الأحاديث المتصلة بالموضوعات التى سأعرض لها،

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١١٥، ١١٦)، وانظر ترجمته فى «التايخ الكبير» (٧ ترجمة ١٢٤٧)، و«الجرح والتعديل» (٨ترجمة ٦٩٣)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٤٨)، و«الكاشف» (٥٨١٧)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٣٦٠)، و«تاريخ الإسلام» (٦/ ١٣٣)، و«سير أعلام النبلاء» (ج ٦ ترجمة ٨٦٢).

(٢) **انظر**: «السيرة النبوية الصحيحة» و«محاضرات فى تاريخ العرب قبل الإسلام» صالح العلى، و«دراسة فى مصادر التاريخ الإسلامى» سيدة إسماعيل الكاشف، و«صحيح السيرة النبوية» إبراهيم العلى.

ولن أذكر منها هنا إلا ما هو صالح للاحتجاج من حديث صحيح أو حسن، أو مقبول، ولن أذكر شيئًا من الأحاديث الموضوعة أو الإسرائيليات الكاذبة، أو الروايات الشديدة الضعف، إذ فى الأحاديث الثابتة ما يغنى عنها فلن تجد هنا فى هذا الكتاب حديث مجمع على ضعفه.

٣- إن اعتمادى بعد القرآن والأحاديث الثابتة فى الصحاح، والسنن، والمسانيد على كتب التاريخ والسير قديمها وحديثها بعد البحث والتمحيص والتحقيق والموازنة بين الروايات، والأخذ بما يصلح للاحتجاج منها، وترك ما عداها.

ولن آخذ برواية راو، أو قول قائل يصادم عقلًا، أو يخالف نقلًا متواترًا أو صحيحًا، أو يمس عصمة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا إذا كان للرواية مخرج محتمل معقول، أو تأويل قريب مقبول، من غير تكلف ولا تحمل، ولى فى ذلك إمام ثقة أو شيخ حجة، وفى مقدمة كتب السير كتاب شيخ كتاب السير، وإمام أهل المغازى، محمد بن إسحاق، إلا إذا عارض روايته ما هو أصح منها كرواية صاحبى الصحيحين، فحينها أترك روايته، وآخذ ما فى الصحيح، وابن إسحاق على جلالته فى السيرة -كما سبق- له أوهام عرضتُ لها أثناء مباحث الكتاب، وبينت وجه الحق فيها.

٤- اعتمدتُ فى ترتيب الأحداث التاريخية للسيرة النبوية على ترتيب إمام المغازى محمد بن إسحاق لها فى مغازيه، إلا أننى قد أخالف ابن إسحاق فى ترتيب الأحداث التاريخية حيث يثبت لى ما يخالف هذا الترتيب فى كتب الحديث وكانت فيها إشارة أو تصريح، أو جاءت عن إمام حجة أو مفسر ثقة كالحافظ ابن حجر وابن كثير والذهبى وابن سيد الناس وغيرهم.

٥- إذا كان الحديث الذى يدل على الحدث التاريخى فى الصحيحين أو فى أحدهما مختصرًا، وهو فى غيرهما مطول وفيه إضافة معنى أو إضافة حكم ودرجة الحديث حسن، أذكر الحديث المطول مع إشارتى إلى الحديث المختصر.

٦- إذا كان الحديث فى صحيح البخارى لا أتعداه إلى غيره من المصنفات، وإلا

فمسلم وأصحاب السنن.

٧- خرجت كل الأحاديث التى ذكرتها هنا فى هذه الدراسة وقد أتوسع فى التخريج فى بعض الأحايين وذلك للفائدة.

٨- إذا كان الحديث فى غير الصحيحين أحكم عليه صحة أو حسنًا أو ضعفًا وأذكر شواهده، مستعينًا بأقوال أهل الفن فى ذلك. وربما أصدر التخريج بالحكم على الحديث.

٩- أوردت فى بعض المواضع قصصًا مشهورة ذائعة بين العامة، ومتداولة على ألسن كثير من الخطباء، وذلك للتنبيه على عدم صحتها والتحذير منها، وذكرتُ من نص على تضعيفها أو توهينها من أهل الحديث وحفاظه[1].

١٠- فى بعض الفصول والمباحث ذكرت الفوائد المستنبطة من بعض الأحاديث، ثم رأيت أن ذلك أمر يطول ويخرج البحث عن المألوف، ويجعل حجمه كبيرًا، فاقتصرت على سرد الأحاديث مع وضع عناوين جانبية لكل عنصر فى الفصل.

١١- كنت أشرح بعض الألفاظ الغريبة على القارىء مما يسهل فهمها عليه.

١٢- ذكرت أرقام الأحاديث كما هى فى مصادرها، ولم أذكر الجزء والصفحة لكتب السنة المرقمة ليسهل الرجوع إليها مع اختلاف الطبعات، وما ليس مرقمًا فأختار الطبعة المتداولة المشهورة بين أهل العلم وطلابه. وجعلت أرقام الأحاديث فى التخريج بين قوسين: ( ).

وبعد:

فالحمد لله رب العالمين، حمدًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغى لكرم وجهه، وعز جلاله، غير مكفى ولا مكفور، ولا مودَّع ولا مستغنى عنه ربنا.

---

(١) ثم خصصتُ كتابًا مستقلًا فى «ضعيف السيرة النبوية» ذكرتُ فيه الضعيف المجمع على ضعفه والذى لا ينجبر، والموضوع -دراسة حديثية- يسر الله نشره.

ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يجعل ما قصدنا له – فى هذا الكتاب وفى غيره – خالصًا لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده.

فدونك – يا أخى – هذا المجموع الذى لم آل جهدًا فى ترتيبه وتنسيقه، فأحسن بجامعه الظن، وإن كان قاصرًا ليس من أهل الفن، وقد عرض عليك بضاعته، فلك غنمه، وعليه غُرْمُهُ، ولك صفوه، وعليه هفوه وكدره، فلا يعدم منك أحد الأمرين، إمساكًا بمعروفٍ أو تسريحًا بإحسان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو عبد الرحمن

على بن إسماعيل عباس القاضي

ميت حلفا – قليوب – القليوبية

فى فجر الخامس عشر من شهر شعبان ١٤٣١هـ

الموافق السابع والعشرين من يوليو ٢٠١٠م







فَصْلٌ

فى حالة العرب فى الجاهلية قبل الإسلام

من أخلاق الجاهلية :

عن أبى مالك الأشعرى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركوهن**[١]**، الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم**[٢]**، والنياحة**»[٣].

عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فى حديث طويل من قصة الهجرة إلى الحبشة، وما دار بين جعفر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والنجاشى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفيه: «أيها الملك؛ كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمر بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور،

(١) لا يتركوهن: أى: لا يتركوهن كل الترك، أن تتركه طائفة ويفعله آخرون..

(٢) الاستسقاء بالنجوم: اعتقادهم فى الجاهلية بنزول المطر بسقوط نجم فى المغرب وطلوع آخر يقابله فى المشرق. وهذا لا يزال موجود فى هذه الأمة حتى الآن فيقال: نوء كذا تتساقط فيه الأمطار أو مطرنا بنوء كذا، وعن زيد بن خالد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى لنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب**» — أخرجه البخارى (٨٤٦) ومسلم (٧١). وانظر: «صحيح مسلم» باب بيان كفر من قال: مطر بالنوء..

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٣٤٢-٣٤٣-٣٤٤ ومسلم (٢٩/ ٩٣٤) من طريقين عن أبان به، وأخرجه أحمد ٥/ ٣٤٣ (٢٣٠١١) وأبو يعلى ٣/ ١٤٨ (١٥٧٧)، ثنا أبو عامر ثنا على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير به.

وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة»[١].

أنكحة الجاهلية:

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «إن النكاح في الجاهلية، كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها.

ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرتْ من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدًا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منع، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت، ووضعت، ومر ليال بعد أن تضع حملَها أرسلتْ إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذى كان من أمركم، وقد ولدتُ، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبتْ باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهنَّ البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علمًا، فمن أرادهنَّ دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٠٢) و(١/ ٢٩٠-٢٩٢) من طريق ابن إسحاق بسند حسن عن زوجة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١١٥)، والطيالسى فى «المسند» (٢/ ٨٩-٩٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٣٠١-٣٠٤)، وأخرج الطبرانى فى «الكبير» (١٤٧٩) قسمًا منه، وصححه الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٢٤-٢٧) فقال: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرَّح بالسماع» وصححه الشيخ العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ فى تعليقه على «المسند» (١٧٤٠)، وسيأتى تخريجه بعد مفصلًا..

ولدها بالذى يرون، فالتاطتْهُ به، ودعى ابنه، لا يمتنع من ذلك. فلما بُعث محمد بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم»[١].

تسييبهم السوائب وافترائهم على الله:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال: «إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة فى سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأنعام: ١٤٠][٢].

وعن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «البحيرة التى يمنع درها للطواغيت، ولا يحلبها أحد من الناس، والسائبة التى يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شىء.

قال: وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيت عمرو بن عامر بن لحى الخزاعى يَجُرُّ قُصْبهُ فى النار، وكان أول من سيب السوائب**»[٣].

قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة: ١٠٣].

والبحيرة: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن، وكان الخامس ذكرًا نحروه فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى، بحروا أونها أى: شقوها، وحَرُم على النساء لحمها ولبنها، فإذا ماتت حلت لهن.

والسائبة: ينذر الرجل إن سلَّمه الله من مرضٍ، أو بلَّغه منزله، أن يسَيب بعيره فلا

---

(١) أخرجه البخارى (٥١٢٧)، وأبو داود (٢٢٧٢)، والبيهقى فى «السنن» (٧/ ١١٠، ١٩٠) وقوله: (طمثها): الحيض، و(استبضعى): أى اطلبى منه المباضعة وهو الجماع، و(الرهط): الجماعة دون العشرة، و(يصيبها): يجامعها. و(القافة): جمع قائف، وهو الذى يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية. وقوله: (فالتاط به): أى استلحقه بنسبه.

(٢) أخرجه البخارى (٣٥٢٤).

(٣) أخرجه البخارى (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦).

يحبس عن رعى ولا ماء ولا يركب.

والوصيلة: الشاة إذا ولدت سبعة أبطن، وكان السابع ذكرًا ذبح، فأكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى، تُركتْ، وإن كان ذكرًا وأنثى قالوا: وصلتْ أخاها، فترك لأجلها، وحُرِّم على النساء لبنها ولحمها، وما مات منها حل للكل.

والحامى: الفحل إذا رُكب وَلَدُ وَلَدِهِ. وقيل: نُتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: حمى ظهره. فجعلوه كالسائبة[١].



(١) «بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب» لابن التركمانى (١/ ١٩٤).
وانظر «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٥-٥٦).

الحنفاء فى الجاهلية

زيد بن عمرو بن نفيل:

قال ابن إسحاق:وأما زيد بن عمرو بن نفيل: فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان، والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان، ونهى عن قتل الموءودة، وقال: أعبد رب إبراهيم، وبادى قومه بعيب ما هم عليه.

عن أسماء بنت أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت: «رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله ما منكم على دين إبراهيم غيرى، وكان يحيى الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها، أنا أكفيك مؤونتها، فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك، وإن شئت كفيتك مؤنتها» [(١)].

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال:«إن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدح [(٢)] قبل أن ينزل على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحى، فقُدِّمتْ إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم [(٣)]، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكارًا لذلك، وإعظامًا له» [(٤)].

---

(١)أخرجه البخارى (٣٨٢٨) معلقا ووصله ابن عساكر فى «التاريخ» (١٩/ ٥٠٣)، وأخرجه ابن عساكر أيضًا (١٩/ ٥٠٥) عن طريق ابن إسحاق، والنسائى فى «الكبرى» (٨١٨٧) من طريق أبى أسامة عن هشام به. وإسناده صحيح. وصححه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٤٤٠) وقال: «على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) بلدح:بفتح فسكون: مكان فى طريق التنعيم فى مكة من جهة الغرب.

(٣) الأنصاب:أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام..

(٤)أخرجه البخارى (٣٨٢٦).

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقى عالمًا من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إنى لعلى أن أدين دينكم فأخبرنى، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله.

قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا، وأنَّى أستطيعه؟ فهل تدلنى على غيره؟

قال ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا. قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديا ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلا الله.

فخرج زيد فلقى عالمًا من النصارى فذكر مثله، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله. قال: ما أفرُّ إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئًا أبدًا، وأنَّى أستطيع؟ فهل تدلنى على غيره؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهوديا ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم فى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللهم إنى أشهدك أنى على دين إبراهيم»[(١)].

سلمان الفارسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حدثنى سلمان الفارسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت من أهل فارس من أهل أصبهان، من قرية يقال لها جَيٌّ[(٢)]، وكان أبى دِهْقان أرضه، وكان يحبنى حبًا شديدًا لم يحبه شيئًا من ماله ولا ولده، فما زال به حبه إياى حتى حبسنى فى البيت كما تحبس الجارية. واجتهدت فى المجُوسية حتى كنت قطن النَّار (الذى

---

(١) أخرجه البخارى (٣٨٢٧)، وراجع «الدلائل» للبيهقى (٢/ ١٢٤)، و«تاريخ ابن عساكر» (١٩/ ٤٩٨).

(٢) جَيّ: بالفتح ثم التشديد اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة، وهى الآن كالخراب منفردة وتسمى عند المحدثين بالمدينة وقد نسب إليها المدائنى وهو عالم من أهل أصبهان انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٠٢).

يوقدُها) ولا يتركها تخبو ساعة، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئًا إلا ما أنا فيه، حتى بنى أبى بنيانًا له، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل، فدعانى فقال: أى بنى، إنه قد شغلنى ما ترى من بنيانى عن ضيعتى هذه، ولا بد لى من اطلاعها، فانطلق إليها فأمرهم بكذا وكذا ولا تحتبسن عنى، فإنك إن احتبست عنى شغلتنى عن كل شىء. فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة النصارى، فسمعت أصواتهم فيها، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء النصارى يصلون. فدخلت أنظر فأعجبنى ما رأيت من حالهم. فوالله مازلت جالسًا عندهم حتى غربت الشمس.

وبعث أبى فى طلبى فى كل وجهة حتى جئته حين أمسيت ولم أذهب إلى ضيعته، فقال أبى: أين كنت؟ ألم أكن قلت لك؟ فقلت: يا أبتاه مررت بناس يقال لهم النصارى، فأعجبنى صلواتهم ودعاؤهم، فجلست أنظر كيف يفعلون. فقال: أى بنى دينك ودين آبائك خيرٌ من دينهم. فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له، ونحن إنما نعبد نارًا نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت. فخافنى، فجعل فى رجْلى حديدًا، وحبسنى فى بيت عنده، فبعثتُ إلى النصارى، فقلت لهم: أين أصْلُ هذا الدين الذى أراكم عليه؟ فقالوا: بالشام. فقلت: فإذا قدم عليكم من هناك ناسٌ فآذنُونى، قالوا: نفعل. فقدم عليهم ناسٌ فى تجارتهم.

فبعثوا إلى أنه قد قدم علينا تجار من تجارنا. فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فآذِنُونى. فقالوا: نفعل. فلما قضوا حوائجهم وأرادوا الرحيل بعثوا إلىَّ بذلك، فطرحتُ الحديد الذى فى رجلى ولحقت بهم، فانطلقتُ معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ فقالوا: الأسقف صاحب الكنيسة. فجئته، فقلت له: أحببت أن أكون معك فى كنيستك، وأعبد الله معك، وأتعلم منك الخير. قال: فكن معى.

قال: فكنت معه، وكان رجل سَوْءٍ؛ كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها. فإذا جمعوها إليه اكْتَنَزَهَا ولم يعطها المساكين. فأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيت من حاله،

فلم ينْشَب أن مات، فلما جاءُوا ليدفنوه قلت لهم: إن هذا رجل سَوْءٍ؛ كان يأمركم بالصدقة ويرغّبكم فيها، حتى إذا جمعتموها إليه اكتنَزَهَا ولم يعطها المساكين. فقالوا: وما علامة ذلك؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزه. فقالوا: فهاته. فأخرجت لهم سبع قلالٍ مملوءة ذهبًا وَوَرِقًا. فلما رأوا ذلك قالوا: والله لا يدفن أبدًا. فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه. فلا والله يا ابن عباس، ما رأيت رجلًا قط لا يصلى الخمس أرى أنه أفضل منه اشد اجتهادًا، ولا أزهدَ فى الدنيا، ولا أدأب ليلًا ولا نهارًا منه. ما أعلمنى أحببت شيئًا قط. قبله، حُبَّه. فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة.

فقلت: يا فلان، قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإنى والله ما أحببت شيئًا، قط، حُبَّك، فماذا تأمرنى؟ إلى من توصينى؟ فقال: أى بنى، والله ما أعلمه إلا رجلًا بالمُوصل فالحق به، فإنك ستجده على مثل حالى.

فلما مات (وغُيب) لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزَّهادَة فى الدنيا، فقلت له: إن فلانًا أوصانى إليك أن آتيك وأكون معك. قال: فأقم أى بنى. فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه، حتى حضرته الوفاة. فقلت له: إن فلانًا أوصانى إليك وقد حَضَرَكَ من أمر الله ما ترى، فإلى من توصينى، فقال: والله ما أعلمه، أى بنى، إلا رجلٌ بنصيبين[1] وهو على مثل ما نحن عليه، فالحق به، فلما دفناه. لحقت بالآخر فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصانى إلى فلان، وفلان أوصانى إليك. قال: فأقم يا بنى. فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة. فقلت: له يا فلان، إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى، وقد كان فلانٌ أوصانى إلى فلانٍ، وأوصانى فلانٌ إلى فلان، وأوصانى فلان إليك، فإلى من توصينى؟ قال لى: أى بنى، والله ما أعلم أحدًا مثل ما نحن عليه إلا رجل بعمُّورية من أرض الروم، فأته، فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه.

(١) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل بين الموصل والشام.

فلما واريته، خرجت حتى قدمت على صاحب عَمُّورية، فوجدته على مثل حالهم، فأقمت عنده، واكتسبت حتى كان لى غُنَيمةٌ وبقرات. ثم حضرته الوفاة. فقلت يا فلان، إن فلانًا كان أوصانى إلى فلان، وفلانٌ إلى فلان وفلان إليك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصينى؟

قال: أى بنى، والله ما أعلمه بقى أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه. ولكنه قد أظلك زمان نبى يبعث من الحرم، مُهاجَرُه بين حَرَّتين، إلى أرض سبخة ذات نخيل، وإن فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة. فإن استطعت أن تخْلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه.

فلما واريناه، أقمت حتى مر رجالٌ من تجار العرب من كلبٍ، فقلت لهم: تحملونى معكم حتى تقدموا بى أرض العرب، وأعطيكم غنيمتى هذه وبقراتى؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها، وحملونى حتى إذا جاءوا بى وادى القرى ظلمونى فباعونى عبدًا من رجل من يهود، بوادى القرى[1] . فوالله لقد رأيت النخل، وطمعت أن تكون البلد الذى نَعَتَ لى صاحبى وما حقت عندى، حتى قدم رجل من بنى قريظة، من يهود وادى القرى، فابتاعنى من صاحبى الذى كنت عنده، فخرج بى حتى أقدم المدينة. فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعته، فأقمت فى رق مع صاحبى.

وبعث الله رسوله ﷺ بمكة لا يذكر لى شيئًا من أمره مع ما أنا فيه من الرِّق حتى قدم رسول الله ﷺ قُباء، وأنا أعمل لصاحبى فى نخلة له. فوالله إنى لفيها إذ جاءَ ابن عم له، فقال: يا فلان قاتل الله بنى قيلة، ووالله إنهم الآن لفى قُباء مجتمعون على رجل من مكة، يزعمون أنه نبى، فوالله ما هو إلا أن سمعتها، فأخذتنى «العُرَوَاءُ» – يقول «الرِّعدة» – حتى ظننت لأسقطن على صاحبى. ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ ما هو؟ فرفع مولاى يده، فلكمنى لكمة شديدة، وقال: مالك ولهذا؟ أقبل

(١) وادى القرى: وادٍ كثير القرى، معروف بخصبه وعيونه وآباره وسكانه عرب ويهود.

قِبَلَ عملك. فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبرًا فأحببت أن أعلمه. فلما أمسيت، وكان عندى شيء من طعام، فحملته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ، وهو بِقُباء، فقلت: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح، وأن معك أصحابًا لك غرباء، وقد كان عندى شيء للصدقة، فرأيتكم أحقَّ مَنْ بهذه البلاد (به) فها هو ذا فكل منه. فأمسك رسول الله ﷺ بيده، وقال: لأصحابه: كُلوا، ولم يأكل. فقلت فى نفسى هذه خلة مما وصَفَ لى صاحبى.

ثم رجعت، وتحوَّل رسولُ الله ﷺ، إلى المدينة فجمعت شيئًا كان عندى ثم جئته به، فقلت: إنى قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هبة وكرامة ليست بالصدقة. فأكل رسول الله ﷺ، وأكل أصحابه. فقلت: هاتان خلتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعليَّ شملتان لى وهو فى أصحابه، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم فى ظهره، فلما رآنى رسول الله ﷺ، اسْتَدْبَرْتُه عَرَفَ أنى أستثبتُ شيئًا قد وُصف لى، فوضع رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لى صاحبى فأكْبَبْتُ عليه أقبله وأبكى. فقال: «**تحوَّل يا سلمان**» هكذا. فتحولت فجلست بين يديه. وأحب أن يسْمع أصحابه حديثى عنه. فحدَّثته يا ابن عباس كما حدَّثتك. فلما فرغت قال رسول الله ﷺ: «**كاتب يا سلمان**». فكاتبت صاحبى على ثلاثمائة نخلة أحييها، وأربعين أوقية. وأعاننى أصحاب رسول الله ﷺ، بالنخل: ثلاثين وَدِية. وعشرين وَدِية. وعَشْرٍ، كل رجل منهم على قدر ما عنده. فقال لى رسول الله ﷺ: «**فَقِّرْ لها فإذا فرغت فآذنِّى حتى أكون الذى أضعها بيدى**».

ففقرتها وأعاننى أصحابى يقول حَفَرْتُ لها حيث توضع - حتى فرغنا منها. ثم جئت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قد فرغنا منها فخرج معى حتى جاءَها، وكنا نحمل إلى الوَدى، ويضعه بيده، ويسَوِّى عليها. فوالذى بعثه بالحق ما

ماتت منها وَدِية واحدة. وبقيت عليَّ الدراهم. فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أين الفارسى المسلم المكاتب؟**» فدعيتُ له، فقال: «**خذ هذه يا سلمان، فأدها مما عليك**». فقلت: يا رسول الله، وأين تقع هذه مما عليَّ؟ قال: «**فإن الله تعالى سيؤدى بها عنك**». فوالذى نفس سلمان بيده لوَزَنْتُ لهم منها أربعين أوقية، فأديتها إليهم وعتق سلمان. وكان الرِّق قد حبسنى حتى فاتنى مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بدْرٌ وأحُدٌ، ثم عتقت فشهدت الخندق، ثم لم يفتنى معه مشهد»[1].

ورقة بن نوفل:

وأما خبر ورقة بن نوفل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فسيأتى فيما بعد..



(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٢٣٧٣٧)، وابن سعد فى «الطبقات» (٤/ ٧٥-٨٠)، والبزار (٢٤٩٩ و٢٥٠٠)، والطحاوى فى «المشكل» (٤٧٧٢)، وابن حبان فى «الثقات» (١/ ٢٤٩-٢٥٧)، والطبرانى فى «الكبير» (٦٠٦٥)، وأبو نعيم فى «أخبار أصبهان» (١/ ٤٩ و٥٠)، والبيهقى فى «السنن» (١٠/ ٣٢٢ - ٣٤٠)، وفى «الدلائل» (٢/ ٩٢)، والخطيب فى «التاريخ» (١/ ١٦٥)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٢/ ٤١٧) وابن عساكر (٢١/ ٣٨٤)، من طرق عن ابن إسحاق، وعن طرق أخرى وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٨٩٤)، و«صحيح السيرة» (ص٧٠).

ما جاء فى نسبه الشريف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

لاشك أن الأنبية الكرام هم أشرف الناس نسبًا، كما أنهم أكملهم خَلْقًا وخُلُقًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «ولما سأل (هرقل) ملك الروم لأبى سفيان تلك الأسئلة عن صفاته عليه الصلاة والسلام، قال: كيف نسبه فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب، قال: كذلك الرسل تبعث فى أنساب قومها. يعنى: فى أكرمها أحسابًا، وأكثرها قبيلة. صلوات الله عليهم أجمعين»[1]. اهـ.

فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقد شرح الشامى أسماء آبائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى سبل الهدى والرشاد جـ١ ص٢٨٧ – ٣٥٣.

وهو من ولد إسماعيل بلا خلاف؛ لكن لا يدرى كم أب بينهما.

وهذا القدر من هذا النسب متفق عليه بين العلماء[2].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «استقام نسب الناس إلى معد بن عدنان»[3].

وجميع قبائل عرب الحجاز ينتمون إلى هذا النسب، ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره فى قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسب يتصل بهم[4].

---

(١) انظر: «صحيح البخارى» (٥) و (٥١) وفى مواضع أخر، و«صحيح مسلم» (١٧٧٣).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١١)، و«السيرة النبوية» للحافظ الذهبى، وغيرهما.

(٣) رواه الطبرانى فى «الأوسط» (٨٢٤٩) بإسناد جيد.

(٤) رواه البخارى (٤٨١٨)، وأحمد (١/ ٢٢٩، ٢٨٦)، والترمذى (٣٢٥١)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٤٧٤).

ما جاء فى شرف نسبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

ورد فى شرف نسبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أحاديث صحاح منها:**

ما رواه الإمام مسلم عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله اصطفى بنى كنانة من بنى إسماعيل، واصطفى من بنى كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم»(١).

قال النووى: «استدل به أصحابنا على أن غير قريش ليس بكفء لهم ولا غير بنو هاشم كفؤ لهم إلا بنو المطلب فإنهم هم وبنو هاشم شىء واحد كما صرح به فى الحديث الصحيح» اهـ.

وروى الإمام أحمد عن المطلب بن أبى وداعة قال: قال العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بلغه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يقول الناس؟ قال: فصعد المنبر، فقال: «من أنا؟» قالوا: أنت رسول الله – قال: **«أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلنى فى خير فرقة، وخلق القبائل فجعلنى فى خير قبيلة، وجعلهم بيوتًا فجعلنى فى خيرهم بيتًا، فأنا خيركم بيتًا، وخيركم نفسًا»**(٢).

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بعثتُ من خير قرون بنى آدم؛ قرنًا فقرنًا؛ حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه»(٣).

وعن على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح؛ من لدن أدم إلى أن ولدنى أبى وأمى، ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء»(٤).

---

(١) رواه مسلم فى «صحيحه» (٢٢٧٦)، والترمذى (٣٦١٢) و (٣٦٠٩)، وأحمد (٤/ ١٠٧).

(٢) صححه الألبانى فى «المشكاة» (٥٧٥٧)، و«صحيح الجامع» (١٤٧٢).

(٣) رواه البخارى (٣٥٥٧)، وأحمد (٢/ ٣٧٣، ٤١٧).

(٤) روى من طرق مرسلًا وموصولًا: «المحدث الفاصل» للرامهرمزى (ص١٣٦)، ورواه الطبرانى فى

ما جاء فى فضل قريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش: ١-٤].

وفى فضل قريش عن أم هانئ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فضل الله قريشًا بسبع خصال؛ فضلهم بأن عبدو الله عشر سنين لا يعبده إلا قرشى، وفضلهم بأن نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيهم غيرهم ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية»[1].

ما جاء فى أسماء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكناه

عن جبير بن مطعم أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحى بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبى، وأنا العاقب» «والعاقب الذى ليس بعده نبى»[2].

= «الأوسط» برقم (٣٤٨٣)، والبيهقى فى السنن (٧/ ١٩٠)، وقد أورد المحدث العلامة الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ طرقه وتكلم عليها فى «إرواء الغليل» (١٩١٢) وحسن إسناده وكذا فى صحيح الجامع (٣٢٢٥).

(١) رواه البخارى فى «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ٣٤١)، وابن عدى فى «الكامل» (١/ ٢٦٢) والحاكم فى «المستدرك» (٥/ ٥٣٦) و(٤/ ٥٤) ومن طريقة أخرجه البيهقى فى «الخلافيات»، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبى «بأن فيه يعقوب، وإبراهيم صاحب مناكير هذا أنكرها». اهـ.
قلت: يعقوب هو بن محمد الزهرى، وإبراهيم هو: بن محمد بن ثابت بن شرحبيل.
والحديث له شواهد تحسنه ولذا حسنه العراقى، والشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ لشواهده فى: «الصحيحة» (١٩٤٤) و«صحيح الجامع» (٤٢٠٩)..

(٢) أخرجه البخارى (٣٥٣٢) دون تفسير العاقب و(٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤)، والترمذى (٢٨٤٠)، وفى «الشمائل» (٣٥٩)، وعبد الرزاق (١٩٦٥٧)، والحميدى (٥٥٥)، وابن أبى شيبة (١١/ ٤٥٧)، وأحمد (٤/ ٨٠ و٨٤) وفيه أن تفسير العاقب من كلام الزهرى، والدارمى (٢/ ٣١٧ - ٣١٨)، =

وعن أبى موسى الأشعرى قال: كان النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسمى لنا نفسه أسماءً فقال: «**أنا محمد، وأحمد، والمقفَّى، والحاشر، ونبى التوبة، ونبى الرحمة**»[1].

ومن أسمائه كذلك: الرحمة المهداة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء مرسلًا عن أبى صالح، عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة**»[2] ورواه زياد بن يحيى الحسانى عن مالك بن سُعير بن الخمس، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة موصولًا.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقد وصف الله تعالى نبيه فى كتابه فقال: ﴿رَسُولًا﴾ ونبيًّا أميا، وشاهدًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، ورءوفًا رحيمًا، ومذكرًا، ومدثرًا، ومزملًا، وهاديا، ومما وقع فيه أيضًا: النعمة، والهادى، والشهيد، والأمين، وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «المتوكل»[3].

ومن أسمائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الصادق المصدوق**. كما فى حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[4].

قال الذهبى: وأكثر ما سقنا من أسمائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صفات له لا أسماء أعلام**.

= والطبرانى فى «الكبير» (١٥٢٠ – ١٥٣٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (١/ ١٥٢ – ١٥٣ و١٥٣ و١٥٤). وغيرهم من طرق عن الزهرى به.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٥٥) وأحمد (٤/ ٤٠٤).

(٢) حسن لغيره: أخرجه ابن سعد (١/ ١٩٢) وله شاهد عن أبى هريرة مرفوعًا بلفظ: «إنما أنا رحمة مهداة» أخرجه البزار (٢٣٦٩)، والطبرانى فى «الصغير» (١/ ٩٥)، و«الأوسط» (٢٩٨١)، والحاكم (١/ ٣٥)، والقضاعى فى «الشهاب» (١١٦٠).

(٣) سيأتى ذكره بنصه فى «البشائر» وذكره فى الكتب السابقة، وأخرجه أحمد ٢/ ١٧٤، والبخارى (٢١٢٥).

(٤) أخرجه البخارى (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٢)، حدثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصادق المصدق: «إنَّ أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه».

وأما كنيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكنى أبا القاسم بولده القاسم، وكان أكبر أولاده واختُلف هل مات قبل البعثة أو بعدها.

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**تسموا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى**»[(١)] وما ورد عن ابن الحنفية من أن «يس» هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يصح.

ولا يصح أيضًا أن يقال أن من أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (طه، يس) لأنه لم يثبت عن طريق صحيح موقوف ولا مرفوع[(٢)].

ما جاء فى تبشير الكتب السماوية بنبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[البقرة:١٤٦]، وقال:﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ

---

(١) رواه البخارى (٣٥٣٩ و ٦١٨٨)، ومسلم (٢١٣٤)، وأبو داود (٤٩٦٥)، وابن ماجة (٣٧٣٥)، وعبد الرازق (١٩٨٦٦)، وابن أبى شيبة (٨/ ٦٧١)، وأحمد (٢/ ٢٤٨ و٢٦٠ و٢٧٠) وغيرها، والدارمى (٢/ ٢٩٢،٢٩١) والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٣٠٨)، وفى «الآداب» (٦١٣)، وورد عن أنس بن مالك عن البخارى (٢١٢٠ و ٣٥٣٧) وفى «الأدب المقرر» (٨٣٧ و٨٤٥)، ومسلم (٢١٣١)، والترمذى (٢٨٤٤) وأحمد (٣/ ١١٤ و١٢١ و١٨٩)، وابن أبى شيبة (٨/ ٦٧١) وأبو يعلى (٣٧٨٧) والبيهقى (٩/ ٣٠٨ و٣٠٩).

(٢) أفرد جماعة من المصنفين فى السير مصنفات فيما جاء فى اسمه وكناه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظمًا ونثرًا، فممن نظمها: الإمام القرطبى، والبلقينى فى قصيدته المجمعة وصفها الصالحى الشامى بأنها قصيدة طنانة بديعة لم ينسج على منوالها ناسج وشرحها شرحًا مبدعًا كثير الفوائد فردًا فى بابه. وللسيوطى رَحِمَهُ اللَّهُ «الرياض الأنيقة فى شرح أسماء خير الخليقة» وقد كتب الصالحى الشامى فى سبل الهدى والرشاد أربعة أبواب فى شرح ما جاء فى أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكناه. فى كثير منها تكلف، ولم يثبت منها فى المرفوع الصحيح أو الموقوف الصحيح إلا القليل «سبل الهدى» (جـ١/ ٤٩٤-٦٦٥).

فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١] وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ و١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

قال ابن إسحاق: وحدَّثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا، لما كنَّا نسمع من رجال يهود، كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبى يبعث الآن؛ نقتلكم معه قتل عادٍ وإرم. فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم.

فلما بعث الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا

جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ [البقرة: ٨٩](١).

وروى الإمام أحمد فى مسنده عن رجل من الأعراب قال: جلبت جلوبة إلى المدينة فى حياة رسول الله ﷺ فلما فرغت من بيعى قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه، قال: فتلقانى بين أبى بكر وعمر يمشون، فتبعتهم، حتى أتوا على رجل من اليهود وناشر التوراة يقرؤها؛ يعزى بها على نفسه عن ابن له فى الموت كأحسن الفتيان، وأجملهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أنشدك بالذى أنزل التوراة؛ هل تجدنى فى كتابك ذا صفتى ومخرجى؟**».

فقال برأسه هكذا؛ أى لا .

فقال ابنه: إى والذى أنزل التوراة؛ إنا لنجد فى كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؛ فقال: «**أقيموا اليهودى عن أخيكم» ثم وَلِى كفنه والصلاة عليه**»(٢).

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٩٠)، وتفسير ابن جرير الطبرى (١٥١٩)، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح السيرة (ص: ٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (٥/ ٤١١)، والهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٢٣٧) وقال: «رواه أحمد وأبو صخر لم أعرفه! وبقية رجاله رجال الصحيح، قال الحافظ فى «التعجيل» (ت/ ١٣١٤): «أبو صخر العقيلى.. اسمه: عبد الله بن قدامة، وهو مختلف فى صحبته، وجزم البخارى ومسلم وابن حبان وغيرهم أنه له صحبة وفى «الإصابة» (٤/ ١٠٧) من طريق آخر إلى ابن خزيمة فى «صحيحه» وليس هو فى المطبوع.

وأخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ١٢٥): أخبرنا على بن محمد عن الصلت بن دينار بن عبد الله بن شقيق عن أبى صخر قال: خرجت إلى المدينة .. الحديث، وأبو أحمد الحاكم فى «الكنى» (١/ ٢٥٩/ أ).

وحسن إسناده ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٦/ ١٧١)، وجوَّد الحافظ ابن كثير إسناده فى «التفسير» و«البداية والنهاية» (٢/ ٣٩٥) وقال: «إسناده جيد، وله شاهد فى الصحيح عن أنس» والشاهد المشار إليه عند البخارى (١٣٥٦).

قلت: وأيضًا له شاهد فى «مسند أحمد» (١/ ٤١٦) من حديث أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه،

وثبت فى «**الصحيح**» أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بمدراس[1] اليهود فقال لهم: «**يا معشر اليهود ! أسلموا، فوالذى نفسى بيده؛ إنكم لتجدون صفتى فى كتبكم**»[2].

وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرنى عن صفات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى التوراة، فقال: أجَلْ؛ والله إنه لموصوف فى التوراة بصفته فى القرآن: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرا، وحرزًا للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، لا فظ، ولا غليظ، ولا صخَّاب فى الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا[3].

والعلم بأنه موجود فى كتب أهل الكتاب معلوم من الدين ضرورة:

قال الحافظ ابن كثير فى «التفسير»: «أن الأنبياء لم تزل تنعته وتحكيه فى كتبها على أممها، وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته إذا بعث، وكان ما اشتهر الأمر فى أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولًا منهم، وكان على لسان عيسى ابن مريم، ولهذا قالوا: «أخبرنا عن بدء أمرك، يعنى: فى الأرض، قال: «**دعوة أبى إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءتْ له قصور الشام**»[4].

فذكر دعوة إبراهيم الذى تنسب إليه العرب، ثم بشرى عيسى الذى هو خاتم

= ورجاله ثقات.

(1) **المدراس:** هو البيت الذى يدرس فيه..

(2) أخرجه البخارى (3167 و6944 و7348)، ومسلم (61/ 1765) من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون قوله: «**فوالذى ....**» وفيه قصة..

(3) أخرجه البخارى (2125) و(4838) وأخرجه أحمد فى «المسند» (2/ 174)، ورواه ابن جرير وزاد: **قال عطاء:** فلقيتُ كعبًا، فسألته عن ذلك؟ فما اختلفا فى حرف «التفسير» لابن جرير (13/ 15225).

(4) أخرجه الإمام أحمد فى «المسند» (5/ 262)، وإسناده جيد فى الشواهد وانظر: «صحيح السيرة» (ص53).

أنبياء بنى إسرائيل. يدل هذا على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضًا.

أما فى الملأ الأعلى؛ فقد كان أمره مشهورًا مذكورًا معلومًا من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام؟ كما فى مسند أحمد عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنى عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل فى طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى بى، ورؤيا أمى التى رأت**»(١).

وروى الإمام أحمد أيضًا عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله ! متى كنت نبيًّا؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»(٢).



---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٢٧ و١٢٨ وهذا القدر من الحديث حسن وإلا فبقيته: «**وكذلك أمهات المؤمنين ترين**» لا يصح. ومع ضعف إسنادها لا ترد من طريق آخر ولذا أوردها العلامة الألبانى فى «الضعيفة» (٢٠٨٥).

(٢) صحح إسناده العلامة الألبانى فى «صحيح السيرة» (ص٥٤)، وذكر شواهده فى «الصحيحة» (١٨٥٦) فراجعها ثم.

باب

فيما سبق مولده من إرهاصات وآيات

وقبل أن نبدأ في ذكر ما صح من مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبين شيئًا من الآيات العظام، والأحداث الجسام، التي سبقت ميلاده – عليه الصلاة والسلام –، فإن الأمور العظيمة قد يسبقها من عظائم الأمور ما يدل عليها ويشير إليها[1]، وسوف نذكر بإذن الله تعالى – أصح الروايات.



(١) «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» د/ أحمد فريد – حفظه الله – ص٣٨..

فَصْلٌ

ما جاء فى حفر زمزم

ذكر ابن إسحاق أن عبد المطلب جد النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينما هو نائم فى الحجر إذ أتى فأُمر بحفر زمزم.

قال ابن اسحاق: وكان أول ما ابتدىء به عبد المطلب من حفرها، كما حدَّثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الله بن زرير الغافقى: أنه سمع على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها، قال: قال عبد المطلب: إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت فقال: احفر طيبة، قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفرة برة. قال: فقلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عنى، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر المضنونة. فقال: فقلت: وما المضنونة؟ قال: ثم ذهب عنى. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدًا ولا تذم، تسقى الحجيج الأعظم، وهى بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل[1].

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٨١-٨٣) ورجاله ثقات وإسناده متصل، ويخشى عنعنة يزيد بن أبى حبيب، وقد صرَّح ابن إسحاق بالتحديث، ورواه البيهقى فى «الدلائل» (١/ ٩٣) والأزرقى فى «تاريخ مكة» (٢/ ٤١٧ و٤١٨) من طريق ابن إسحاق به، ورواه البيهقى فى «الدلائل» (١/ ٨٥) والأزرقى فى «تاريخ مكة (٢/ ٤١٥) من طريق معمر بن راشد عن الزهرى من حديثه. ورواه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٦٦-٦٧-٦٨) من حديث محمد بن عمر وهو متروك.

وقوله: (طيبة): اسم من أسماء زمزم وقيل لها: طيبه لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم.، و(المضنونة): قيل لها مضنونة لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق أى: لا يرتوى، و(الغراب الأعصم): قيل: الذى فى جناحيه بياض، وقيل: الذى إحدى رجليه بيضاء، وقيل: أحمر المنقار والرجلين، و(قرية النمل): قال السهيلى فى «الروض» قرية النمل لا تحرث ولا تبذر، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب.

فَصْلٌ

ما جاء فى قصة نذر عبد المطلب أن ينحر أحد أبنائه

قال الطبرى فى «التاريخ»: حدثنى يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس بن زيد عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة فى أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتى عن نذرها فجاءت عبد الله بن عمر فقال لها عبد الله بن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك. فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته فقال: أمر الله بوفاء النذر، والنذر دين ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم. وقد كان عبد المطلب بن هاشم نذر إن توافق له عشرة رهط أن ينحر أحدهم. فلما توافى له عشرة أقرع بينهم أيهم ينحر، فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت القرعة على المائة من الإبل(١).

وأما ما ورد عن الحاكم فى «المستدرك» وابن جرير فى «التفسير» من أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيل له: يا ابن الذبيحين، فتبسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم ينكر على القائل، ففسرها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن الذبيحين هما: إسماعيل وعبد الله. فهذا لا يصح(٢).

---

(١) رواه الطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٢٣٩، ٢٤٠). وقال د/ عادل عبد الغفور فى دراسته: «روايات العهد المكى» هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات وأصل القصة فى «السيرة» لابن هشام (١/ ٨٥ – ٨٧) وفى «الدلائل» للبيهقى (١/ ٩٨)، من طريق ابن إسحاق، ورواه الأرزقى فى «تاريخ مكة» (٢/ ٤٢ – ٤٣)، من حديث على بن أبى طالب، ورواه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٧١) عن الزهرى عن قبيصة عن ابن عباس، ورواه أيضًا (١/ ٧٢) من طريق عبد الرحمن بن الحارث عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت الدية يومئذ عشرًا من الإبل وعبد المطلب أول من سنَّ دية النفس مائة من الإبل فجرت فى قريش والعرب مائة من الإبل وأقرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما كانت عليه.

(٢) إسناده واهٍ، ذكره ابن جرير فى «التفسير» (٢٣/ ٨٥) وعزاه السيوطى فى «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٩)

فَصْلٌ

ما جاء فى قصة الفيل

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤﴾ [الفيل: ١-٥].

وكان هذا الحدث إرهاصًا لبعثة هذا النبى الخاتم، فقد بان فيها تعظيم الله للكعبة وحمايته لها، ودفاعه عنها عَزَّوَجَلَّ بعد أن تخلى الجميع عنها، وخلّوا بين أبرهة والكعبة، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ على أصحاب الفيل عذابًا من عنده، فكانت فيه إشارة إلى حماية الله للمكان ومَنْ فيه، وإليك القصة بسياقها: كان من شأن الفيل أن ملكًا كان باليمن غلب عليها، وكان أصله من الحبشة يقال له: أبرهة، بنى كنيسة بصنعاء فسماها «القُلَّيس» وزعم أنه يصرف إليها حج العرب، وحلف أنه يسير إلى الكعبة فيهدمها، فخرج ملك من ملوك حِمْير فيمن أطاعه من قومه يقال له: ذو نفر فقاتله فهزمه أبرهة وأخذه، فلما أُتِى به قال له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلنى فإن استبقائى خير لك من قتلى، فاستبقاه وأوثقه ثم خرج ثائرًا يريد الكعبة، حتى إذا دنا من بلاد خَثْعَم خرج إليه النُّفَيلُ ابنُ حبيب الخَثْعَمى ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن، فقاتلوه فهزمهم وأخذ النفيل، فقال النفيل: أيها الملك، إنى عالم بأرض العرب، فلا تقتلنى، وهاتان يداى

= للأموى، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٥٥٤)، من طريق إسماعيل بن عبد ربه، وقال الذهبى: «إسناده واهٍ» وضعَّف إسناده السيوطى فى «الدر المنثور» وزاد عزوه إلى الخلعى فى فوائده، وبين علة ضعفه فى «الفتاوى» (٢/ ٣٥)، فقال: «هذا حديث غريب وفى إسناده من لا يعرف حاله». وقال الحافظ ابن كثير فى «التفسير»: «هذا حديث غريب جدًّا». وقال الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ «الضعيفة» (٣٣١): «لا أصل له» ويلزم الرجوع إلى كلامه ففيه فوائد جليلة. وقد أورده الصالحى الشامى فى «سيرته» وسكت عنه ولم يعقب عليه وهذا من هناته فى «السيرة» (١/ ٢٨٩).

على قومى بالسمع والطاعة، فاستبقاه وخرج معه يدله.

حتى إذا بلغ الطائف خرج معه مسعود بن مُعتّبٍ فى رجال من ثَقيف فقال: أيها الملك، نحن عبيد لك ليس عندنا خلاف وليس بيتُنا بيتَك الذى تريد-يعنون: اللات-؛ إنما تريد البيت الذى بمكة، نحن نبعث معك من يدلك عليه، فبعثوا معه مولى لهم يقال له: أبو رُغَال، فخرج معهم حتى إذا كان بالمُغَمسِ[1](موضع من مكة) مات أبو رغال ودفن هناك، وهو الذى رُجِمَ قبره؛ لأنه خان العرب ودل الأعداء على بيت الله، وبعث أبرهة من المغمس رجلًا يقال له: الأسود بن مقصود على مقدمة خيله.

فجمع إليه أهل الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتى بعير بالأرك (موضع بعرفة من ناحية الشام)، ثم بعث أبرهة حُناطة الحِمْيرى إلى أهل مكة فقال: سل عن شريفها، ثم أبلغه أنى لم آت لقتال؛ إنما جئت لأهدم هذا البيت، فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال: إن الملك أرسلنى إليك ليخبرك أنه لم يأتِ لقتال إلا أن تقاتلوه؛ إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم، فقال عبد المطلب: ما عندنا له قتال، سنخلى بينه وبين البيت، فإن خلَّى الله بينه وبين بيته فوالله ما لنا به قوة !

قال: فانطلق معى إليه، فخرج حتى قدم المعسكر، وكان ذو نفر صديقًا لعبد المطلب فأتاه فقال: يا ذا نفر، هل عندكم من غَنَاء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غَنَاء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة وعشية، ولكن سأبعث لك إلى أنيس سائس الفيل فآمره أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير، ويعظم خطرك ومنزلتك عنده، فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال: إن هذا سيد قريش صاحب عين مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى الجبال، وقد أصاب له الملك مائتى بعير، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه؛ فإنه صديق لى.

---

(١) المغمس: بكسر الميم الثانية أو فتحها مشددة على ثلثى فرسخ من مكة فى طريق الطائف.

فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك، هذا سيد قريش وصاحب عين الكعبة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى الجبال، يستأذن عليك، وأنا أحب أن تأذن له؛ فقد جاءك غير ناصب لك ولا مخالف عليك؛ فَأَذِنَ لَهُ.

وكان عبد المطلب رجلًا عظيمًا جسيمًا وسيمًا، فلما رآه أبرهة عظَّمه وأكرمه، وكره أن يجلسه معه على سريره أو أن يجلس عبد المطلب تحته، فهبط إلى البساط فجلس عليه معه، فقال له عبد المطلب: أيها الملك، إنك قد أصبت لى مالًا عظيمًا فاردده على، فقال له: لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت فيك، قال: ولم؟ قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتكم ومنعتكم لأهدمه فلم تكلمنى فيه، وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك ! قال: أنا رب هذه الإبل، ولهذا البيت رب سيمنعه ! قال: ما كان ليمنعه منى ! قال: فأنت وذاك ! فأمر بإبله فردت عليه، ثم خرج عبد المطلب وأخبر قريشًا الخبر، وأمرهم أن يتفرقوا فى الشِّعاب، وأصبح أبرهة بالمُغَمَّسِ قد تهيأ للدخول، وعبأ جيشه، وقرَّب فيله وحمله عليه ما أراد أن يحمل وهو قائم، فلما حركه وقف وكاد أن يرزُم (يسقط) إلى الأرض فيبرك، فضربوه بالمِعْوَل فى رأسه فأبى، فأدخلوا محاجنهم تحت أقرانه ومرافقه فأبى، فوجهوه إلى اليمن فهرول، فصرفوه إلى الحرم فوقف وأراد أن يبرك، ثم فر الفيل ولحق بجبل من تلك الجبال.

فأرسل الله الطير من البحر كالبَلَسَانِ، مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجران فى رجليه وحجر فى منقاره، ويحملن أمثال الحمص والعدس من الحجارة فإذا غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تُصِبْ تلك الحجارة أحدًا إلا هلك، وليس كل القوم أصاب فذلك قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١-٥].

وبعث الله على أبرهة داءً فى جسده، ورجع الناجون سراعًا يتساقطون فى كل بلد، وجعل أبرهة تتساقط أنامله، كلما سقطت أنملة أتبعها مِدَّةٌ من قيح ودم، فانتهى إلى

اليمن وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من أصحابه. ثم مات وماتوا جميعًا[١].

أما إشارات النبى ﷺ إلى الحادث فمنها[٢]:

أن رسول الله ﷺ لما خرج زمن الحديبية سار حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس: حَل حَل[٣]، فألحت[٤]، فقالوا: خلأت[٥] القصواء، فقال النبى: **«ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»**[٦].

(١) ذكره بطوله ابن هشام فى «السيرة»، وابن سعد فى «الطبقات» ١/ ٧٣، وابن كثير فى «البداية والنهاية» ٢/ ١٥٨ – ١٦١، وفى «تفسير سورة » الفيل« من طرق عن ابن عباس ويقوى بعضها بعضًا، ورواه مختصرًا الحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٥٣٥، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٢١-١٢٢، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى. ورواه الأزرقى فى «تاريخ مكة» ١/ ١٥٩. والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٢٤ مختصرًا من طريق أخرى ورواه مطولًا أيضًا ١/ ١١٥ – ١٢١، من طريق ابن إسحاق، وأبو نعيم فى «الدلائل» ص١٠٠-١٠١ من طريق ابن إسحاق قال: ثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال: ثنا يونس ابن عبد الأعلى ثنا ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن عقيل عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس فذكره. قال أبو نعيم: روى قصة أصحاب الفيل من وجوهٍ وسياق عثمان بن المغيرة أتمها وأحسنها شرحًا. وقد رواه الواقدى مختصرًا من طريق بن الربيع عن الأعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير به. وإسناده ضعيف فإن قيس بن الربيع ضعيف لكن تابعه أبو معاوية عند البيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٢٣، والقصة ثابتة مع اختلاف طرقها وألفاظها، فإن هناك ما يؤيدها من القرآن والسنة وقوله ﷺ «**ولدى الفيل**» إلخ ذلك فيما سيأتى، مما يدل على ثبوتها وتناقلتها كتب السيرة والتاريخ بالبسط والإيجاز، مما يدل على ثبوتها عندهم وأنها محفوظة صحيحة. والله أعلم. والحمد لله رب العالمين.

(٢) «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» د/ أحمد فريد – حفظه الله على طاعته.

(٣) وهى كلمة تقال للناقة إذا تركت السير. انظر «المعجم الكبير» ٥/ ٥٧٣.

(٤) أى: تمادتْ على عدم القيام.

(٥) أى: بركت فلم تبرح مكانها حرنت من غير علة.

(٦) رواه البخارى (١٦٩٤ و١٦٩٥ و٢٧٣١ و٢٧٣٢) عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم يصدق كل واحدٍ منهما حديث صاحبه وأخرجه أبو داود (٢٧٦٥ و٤٦٥٥)، وعبد الرزاق (٩٧٢٠)، وأحمد ٤/ ٣٢٨ – ٣٣١ و٣٣١ – ٣٣٢. والطبرى ٢٨/ ٧١ و٩٧ – ١٠١ والطبرانى فى «الكبير» ٢٠/ ١٣ و١٤ و١٥ و٨٤٢، والبيهقى فى «السنن» ٥/ ٢١٥ و٧/ ١٧١ و٩/ ١٤٤ و٢١٨ – ٢٢١ و١٠/ ١٠٩ فى حديث طويل.

ولما فتح الله عَزَّوَجَلَّ على رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مكة قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب**»[1].

وروى الحاكم فى «مستدركه» وعنه البيهقى فى «الدلائل» عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «أقبل أصحاب الفيل، حتى إذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب. ما جاء بك إلينا، ما عناك إلا بعثت فنأتيك بكل شىء أردت. فقال: أخبرت بهذا البيت الذى لا يدخله أحد إلا أمن، فجئت أخيف أهله. فقال: إنا نأتيك بكل شىء تريد فارجع، فأبى إلا أن يدخله، وانطلق يسير نحوه، وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال: لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ثم قال:

اللهم إن لكل إله ... حلالًا فامنع حلالك

لا يغلبن محالهم ... أبدًا محالك

اللهم فإن فعلت ... فأمر ما بدا لك

فأقبلت مثل السحابة نحو البحر حتى أظلتهم طير أبابيل التى قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ قال: فجعل الفيل يعج عجًّا فجعلهم كعصف مأكول[2].

وقال أبو نعيم فى الدلائل: «ولم يختلف أحد فيها لا مشرك ولا موحد وصارت هذه القصة فى جملة القصص التى لا يمكن إنكارها وذلك فى العام الذى ولد فيه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ:

وقد تواترت قصة أصحاب الفيل وأن أصحاب الحبشة النصارى ساروا بجيش

---

(١) أخرجه البخارى (١١٢و٢٤٣٤و٦٨٨٠)، ومسلم(٤٤٧/ ١٣٥٥) وكلاهما من حديث أبى هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) رواه الحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٥٣٥ – التفسير، وعنه البيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٢١، ١٢٢ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، فقال: صحيح.

عظيم، معهم فيل ليهدموا الكعبة، لما أهان بعض العرب كنيستهم التى باليمن، فقصدوا إهانة الكعبة وتعظيم كنائسهم فأرسل الله عليهم طيرًا أهلكهم عامتهم، وكان ذلك عام مولد النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان جيران البيت مشركين يعبدون الأوثان ودين النصارى خير منهم، فعلم بذلك أن هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ، بل كانت لأجل البيت، أو لأجل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذى ولد فى ذلك العام عندالبيت أو لمجموعهما، وأى ذلك كان فهو من دلائل نبوته.

فإنه إذا قيل: إنما كان آية البيت وحفظًا له وذبًا عنه لأنه بيت الله الذى بناه إبراهيم الخليل فقد علم أنه ليس أهل الملل من يحج إلى هذا البيت ويصلى إليه إلا أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذى فرض حجه والصلاة إليه[1].

كان هذا فى العام الذى ولد فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت رسالة واضحة من الله عَزَّوَجَلَّ إلى العالم أجمع أن الله يحمى هذا البلد ولفتًا لأنظار العالم كله إليه، ضمن أفضل البلاد سيكون أفضل الرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].



(١) «الجواب الصحيح» ٤/ ١٢٢.

(٢) «مدرسة السيرة» ص٤٤.

فَصْلٌ

فى البشائر التى سبقت مولده ولا تصح

أما ما أورده أصحاب السير كابن إسحاق وغيره من أمر ربيعة بن نصر ملك اليمن والرؤيا التى رآها فهالته وفظع منها، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائفًا ولا منجمًا من أهل مملكته إلا جمعه إليه، وقصها عليهم فأشاروا عليه بأن يبعث إلى سطيح وشق ليؤلاها له وإنذارهما بوجود رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلخ الخبر فهذا لا يثبت[1].



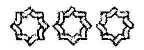
(١) رواه ابن إسحاق فى «السيرة» وأبو نعيم فى «الدلائل» ص٨٣ – ٨٤، والقلاعى فى «الاكتفاء» ١/ ١١٤ وابن كثير فى «السيرة» ١/ ١٤، والصالحى الشامى فى «سبل الهدى».
والسيوطى فى «الخصائص» ١/ ٨٣ وإسناده ضعيف ففيه مجهول.
وانظر كتابى الآخر: «ضعيف السيرة النبوية» يسَّر الله نشره.

فَصْلٌ

تزويج عبد المطلب ابنه عبد الله من آمنة بنت وهب الزهرية

خرج عبد المطلب بابنه عبد الله حتى أتى وهب بن مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، وهو يومئذ سيد «بنى زهرة» سنا وشرفا، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب» وهى يومئذ سيدة نساء قومها.

وأما ما ورد فى ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب فأسانيدها واهية وهى تعارض الصحيح[1].



---

(١) خبر عرض المرأة نفسها على عبد الله والد الرسول ﷺ رواه من طرق ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ٨٨ وابن سعد فى «الطبقات» ١/ ٧٦-٧٧ والطبرى فى «التاريخ» ٢/ ٢٤٣، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٠٢.

وابن كثير فى «السيرة» ١/ ٤٤-٤٥، والصالحى الشامى فى «سبل الهدى» ١/ ٣٩١-٣٩٣ وسكتوا عنها. وأسانيد هذه القصة واهية لا يصح منها شيء، ويدل على اصطناع هذا الخبر أن المرأة التى تذكر فيه تسمى فى بعض الروايات «قتيلة بنت نوفل» وفى بعضها «فاطمة بنت مُر الخثعمية»، وفى بعضها «ليلى العدوية»، وفى بعضها كاهنة من أهل تبالة متهورة، وفى بعضها أنه كان متزوجًا بامرأة أخرى غير آمنة، وهذا يدل على التخبط.

وهذا كله ليسقط الخبر ويدل على اضطرابه. ويدل على ذلك -أيضًا- قول ابن إسحاق فى سياقه للخبر: «فيما يزعمون، ثم إن هذا الأمر لم يقع خاصة وأن الله حفظ نسب النبى ﷺ من أى شهوة غير صحيحة قريبة أو بعيدة، وقد روى الإمام مسلم فى «صحيحه»: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم** ﷺ»، وانظر كتابى الآخر: «ضعيف السيرة النبوية».

باب

ولادته ورضاعه ونشأته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَصْلٌ

فيما جاء فى مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ولد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين، وهذا لا خلاف فيه، لما رواه الإمام مسلم فى صحيحه، عن أبى قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن صوم يوم الاثنين، فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت، أو أنزل على فيه**»[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين، وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وتوفى يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين»[2] وهو حديث صحيح.

---

(١) أخرجه مسلم فى «صحيحه» (١١٦٢/ ١٩٧).

(٢) أخرجه أحمد فى «المسند» ١/ ٢٧٧، وابن سعد فى «الطبقات» ١/ ٨١، والطبرانى فى «الكبير» ١٢/ ١٨٣ برقم (١٢٩٨٤) والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ٧٣ وابن عبد البر فى «الاستيعاب» ١/ ١٩، وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» ٣/ ٣٩-٤٠، من طرق عن ابن لهيعة، عن خالد ابن أبى عمران، عن حنش عن ابن عباس به.

قال الهيثمى فى «المجمع» ١/ ١٩٦: «وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح» قلت: ابن لهيعة ليس ضعيفًا على إطلاقه؛ بل فيه تفصيل: فحديثه قبل احتراق كتبه واختلاطه صحيح مقبول، وأما بعد ذلك فضعيف مردود.

وحديثنا هذا من صحيح حديثه -إن شاء الله- فقد رواه عنه قتيبة بن سعيد، وعمرو بن خالد الحرانى وسعيد بن كثير، ومحمد بن معاوية النيسابورى وهم ممن رواه عنه قبل احتراق كتبه؛ ذكره ابن سيد الناس فى «النفح الشذى» ٢/ ٨٠٢-٨٠٤ وانظر فى أقوال العلماء عنه: وترجمته: «طبقات ابن سعد»
=

وولد ﷺ فى شهر ربيع الأول – على الصحيح – فى الثامن منه وقيل لثنتى عشرة منه [(١)].

– وأما العام الذى ولد فيه ﷺ فهو عام الفيل – على الصحيح بعده بخمسين يومًا وقيل بثمانية وخمسين يومًا. حدثنا يونس بن أبى إسحاق، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ وُلد عام الفيل» [(٢)]

= ٧/ ٥١٦ و«التاريخ الكبير» جـ٥ / رقم (٥٧٤)، و«الجرح والتعديل» رقم (٦٨٢) و«المجروحين» لابن حبان ٢/ ١١، و«تذكرة الحفاظ» جـ١ رقم ٢٢٤، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٧٥، و«تهذيب التهذيب» ٥/ ٣٧٣، و«التقريب» ١/ ٤٤٤، و«السير» للذهبى ٧/ ١٢٤ – ط دار الحديث.

قلت: وصحح الحديث العلامة الألبانى فى «صحيح السيرة» ص ٨٩.

(١) ذكر كتاب السير أقوالًا فى تاريخ يوم ولادته كلها معلقة بلا أسانيد؛ إلا قول من قال: إنه الثامن من ربيع الأول، حكاه الإمام مالك عن التابعى الجليل محمد بن جبير بن مطعم بإسناد صحيح؛ ولذلك صحح هذا القول واعتمده أصحاب السير كابن فارس فى «أوجز السير» ص٧، والمحب الطبرى فى «خلاصة سير سيد البشر» ١/ ٢١١. وابن عبد البر فى «الاستيعاب» ١/ ١/ ١٩ – عن محمد بن موسى الخوارزمى، وابن كثير فى «البداية والنهاية» ٢/ ٢٤٢ عن الخوارزمى أنه قطع به.

واقتصر ابن إسحاق على القول بأنه ﷺ ولد اثنتى عشرة منه، كما فى «السيرة» ١/ ٩٠، وابن جرير الطبرى فى «تاريخه» ٢/ ١٦٢، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٧٤، وهو قول الجمهور.

وأما القول بأنه ﷺ ولد فى رمضان فهو شاذ، حكاه ابن كثير فى «البداية» ٣/ ٣٧٦ وقال: «وهذا فيه نظر». وانظر كتابنا الآخر «ضعيف السيرة».

(٢) رواه ابن سعد فى «الطبقات» ١/ ٨١ وابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ٩٠، وابن حبان فى «الثقات» ١/ ١٤، والطبرانى فى «الكبير» ١٣/ ٣٧ رقم (١٢٤٣٢)، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ٧٥-٧٦، وابن عساكر فى «تاريخه» ٣/ ٤١ و٤٢، والذهبى فى «السيرة» ١/ ١٤٧، والحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٦٠٣، وعنه البيهقى فى «الدلائل» ١/ ٧٥. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى.

قلت فى السند أبو إسحاق السبيعى، وهو مدلس مختلط، ويونس ابنه روى عنه فى الاختلاط. كما ذكره الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٧/ ٤٣٣) لكن له شاهد من حديث قيس بن مخرمه رضي الله عنه نحوه – أخرجه ابن إسحاق فى السيرة ١/ ٩٠، ومن طريقه: الترمذى فى السنن (٣٦١٩)، وأحمد ٤/ ٢١٥، والبخارى فى «التاريخ الكبير» ٧/ ١٤٥ والطبرانى فى «الكبير» ١٨/ ٢٨٧ و٢٨٨ وأبو نعيم فى «الدلائل» ص١٠١، والحاكم ٢/ ٦٠٣ و٣/ ٤٥٦، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ٧٦، وابن عساكر فى «التاريخ»

وهذا الحديث لا ينزل عن درجة الحسن لغيره.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عن العام الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم أنه عام الفيل: «وهو الذى لا يشك فيه أحد من علمائنا - أنه - عليه الصلاة والسلام - ولد عام الفيل، وبعث على رأس أربعين سنة من الفيل»[(١)] وقال فى السيرة: وعليه الإجماع[(٢)].



= ٣/ ٤٢-٤٣، من طريق المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، عن أبيه، عن جده، قال: «ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، فنحن لدان، ولدنا ولدًا واحدًا» قال الترمذى: «حسن غريب».
قال الذهبى فى «السيرة» ١/ ١٤٧ / «أخرجه الترمذى وإسناده حسن».
قال المحدث الألبانى رحمه الله فى «الصحيحة» (٧/ ٤٣٤): «كان يكون كما قال - بعد أن صرح ابن إسحاق بالتحديث - لو أن شيخه المطلب بن عبد الله هذا كان معروفًا بالعدالة والضبط، وليس كذلك؛ لأنه لم يرو عنه غير ابن إسحاق، ولم يوثقه غير ابن حبان، ولذلك مرَّض توثيقه إياه الذهبى بقوله فى «الكاشف»: «وثق»، واقتصر الحافظ فى «التقريب» على قوله فيه: «مقبول» يعنى: عند المتابعة، وقد توبع من سعيد بن جبير عن ابن عباس -كما تقدم- فالحديث به حسن -إن شاء الله- ويقويه: إتفاق العلماء عليه. اهـ. وانظر: «صحيح السيرة» له رحمه الله ص١٣.

(١) انظر «البداية والنهاية» ٣/ ٣٧٧، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر ٣/ ٤٤-٤٥، «الاستيعاب» لابن عبد البر ١/ ١٨.

(٢) وأقر هذا الإجماع الحافظ ابن عساكر والذهبى وابن كثير رحمهم الله تعالى.

فَصْلٌ

فى وفاة أبيه وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمل فى بطن أمه

ومات أبوه وهو حمل فى بطن أمه، وهذا هو الصحيح والمشهور [(١)]، قال الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» «والمقصود أن أمه حين حملت به توفى أبوه عبد الله وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمل فى بطن أمه على المشهور ... قال الواقدى: هذا هو أثبت الأقاويل فى وفاة عبد الله ... وهو الذى رجحه الواقدى وكاتبه الحافظ محمد بن سعد أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفى أبوه وهو جنين فى بطن أمه ...



(١) ويؤيده أدلة كثيرة؛ منها:
أ- دلالة القرآن الصريحة: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ [الضحى: ٦].
ب- ما أخرجه الإمام مسلم فى «الصحيح» (١٧٧١/ ٧٠) عن ابن شهاب؛ قال: «فلما ولدت آمنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما توفى أبوه ...».
ت- ما أخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» ص٩٦ بإسناد مرسل عن داود بن أبى هند؛ قال «توفى أبو النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمه حبلى به».
ث- أن هذا هو المشهور؛ فقد رجحه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ٨٩ وابن سعد فى «الطبقات» ١/ ٩٩-١٠٠ وغيرهما.

فَصْلٌ

فيما وقع من الآيات ليلة مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

روى محمد بن إسحاق قال: وحدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن يحى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زراره الأنصارى، قال: حدثنى من شئت من رجال قومى، عن حسان بن ثابت، قال: والله إنى لغلام يفعة ابنُ سبع سنين أو ثمان، أعْقِل كلَّ ما سمعت، إذ سمعتُ يهوديًّا يصرخ بأعلى صوته على أَطَمةٍ بيثرب يا معشر يهود. حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك ! مالك؟ قال طَلَع الليلةَ نجمُ أحمد الذى وُلد به[(١)].

ومنها: رؤيا أمه آمنه حين وضعته نورًا خرج منها أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام[(٢)]. (وبصرى): مدينة معروفة بالشام تبعد عن دمشق شرقًا (١٠٠كم).

ومن الآيات أيضًا ما حدَّثتْ به حليمة السعدية عن أمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنه حين

---

(١) إسناده حسن. رواه البيهقى فى «الدلائل» ١/ ٩١، وحسنه الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «صحيح السيرة» ص١٤.

(٢) وهو خبر صحيح بطرقه: فقد رواه ابن سعد فى «الطبقات» ١/ ١٠٢، والطيالسى (١١٤٠)، والطبرانى فى «الكبير» (٧٧٢٩) وأحمد فى «المسند» (٢٢٢٦١)، ٥/ ٢٦٢ والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ٨٤ وابن عدى فى «الكامل» ٦/ ٢٠٥٥)، من طريق فرج بن فضالة، حدثنا لقمان بن عامر، سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا رسول الله ! ما كان بدء أمرك؟ قال: **«دعوة أبى إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام»**.

وإسناده ضعيف لضعف فرج بن فضالة، وله شاهد من حديث العرباض بن سارية، وهو عند أحمد (١٧١٥٠) ٤/ ١٢٧ و١٢٨، والبخارى فى «تاريخه» ٦/ ٦٨، والطبرى فى «التفسير» (٢٠٧٢) (٢٠٧٣) وابن حبان (٦٤٠٤) والطبرانى فى «الكبير» (١٨/ ٦٢٩)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (٩) (١٠)، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ١٣٠، وله شواهد تقويه، وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٥٤٥) و «صحيح السيرة» ص٥٤.

ولدته وقع وإنه لواضع يديه بالأرض رافعًا رأسه إلى السماء»[1].

ومن الأخبار التى لا تصح فى هذا الباب:

وأما ما ورد من أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضع تحت قدر من حجر فانفلقت عنه ليبقى بصره شاخصًا إلى السماء فهذا لا يصح[2].

ومنه: أنه ولد مختونًا[3].

---

(١) رواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ٩٣، وأحمد فى «المسند» ٤/ ١٨٤ (١٧٦٤٨)، والطبرانى فى «الكبير» ١٧/ ٣٢٣، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٧، والدارمى (١٣)، والحاكم ٢/ ٦١٦-٦١٧، وقال الذهبى فى «السيرة» ١/ ١٦٣: «هذا حديث جيد الإسناد». وقال الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «صحيح السيرة» ص١٨: «رجاله ثقات غير بقية بن الوليد مدلس يقصد الشيخ -إسناد أحمد- وقد عنعنه، لكنه قد صَرَّح بالتحديث» فى رواية الحاكم ٢/ ٦١٦-٦١٧ وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبى وإنما هو صحيح فقط، فإنه من رواته بحير بن سعد، ولم يرو له مسلم - وراجع «الصحيحة» (٣٧٣).

(٢) الأحاديث الواردة فى ذلك إما مرسلة كما فى «الطبقات» ١/ ١٠٢، و«الدلائل» للبيهقى ١/ ١١٣ و«سبل الهدى والرشاد» ١/ ٤١٨ من مرسل أبى الحكم التنوخى وهو تابعى مجهول، وفى السند عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو صدوق كثير الغلط، وفى «الدلائل» لأبى نعيم ١/ ١٧٢ بسند مفصل.

(٣) الأحاديث الواردة فى ذلك كلها معلولة بعلة قادحة بحيث لا تنهض مجتمعة للاحتجاج بها لأن معظمها لا يخلو من وضاع أو متهم. انظر: تعليق د/ أكرم ضياء العمرى على «المسيرة النبوية الصحيحة» ١/ ٩٩، ومن العجب أن الحاكم فى «المستدرك» ذكر التواتر، قال الذهبى معقبًا: «ما أعلم صحة فى ذلك فكيف يكون متواترا» وقد ساق الصالحى الشامى الأحاديث الواردة فى ختانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معجبًا بها. وصدرها بهذا الخبر المنكر: «**من كرامتى على ربى -عز وجل- أنى ولدت مختونًا ولم ير أحد سوأتى**» وفى إسناده عدة مجاهيل. وهو منكر بهذا اللفظ: أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣/ ٢٤)، وابن عساكر من طريق نوح بن محمد بن نوح، زاد ابن عساكر: وأبى الفضل محمد بن عبد الله المرجانى قالا: أنبأنا الحسن بن عرفة قال: ثنا هشيم بن بشير به. وقال أبو نعيم: «غريب من حديث يونس عن الحسن، لم نكتبه إلا من هذا الوجه»، وهذا كذاب- فرواه عن الحسن بن عرفة» وانظر الضعيفة (٦٢٧٠)، وانظر كتابى الآخر: «ضعيف السيرة النبوية».

وقد ساق العلامة ابن القيم فى «تحفة المودود» الأحاديث الواردة فى ختانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه ولد مختونًا، أو ختنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أو ختنه جده يوم سابعه، وكلها أحاديث لا تنهض مجتمعة للاحتجاج .. =

ومنها: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يناغي – يحدث – القمر[١].

ومنها: ما ورد حول هواتف الجن في ليلة مولده وتبشيرها به وانتكاس الأصنام في مكة[٢].

ومنها: ما ورد في انبثاق دجلة، وارتجاس الإيوان وسقوط الشرفات، وخمود نيران المجوس، وغيض بحيرة ساوه، ورؤيا الموبذان الخيل العربية تقطع دجلة وتنتشر في بلاد الفرس[٣].

ومنها: إخبار بعض الرهبان بمولده كإخبار الراهب لميصا بمر الظهران بمولده[٤].



= وانظر كلام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عليها- ثمَّ ففيه فوائد جمة .

(١) «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي ١/ ٤٢٣، وذكره البيهقي في «الدلائل» ٢/ ٤١، والسيوطي في «الخصائص» ١/ ١٣٣، وابن كثير في «السيرة» ١/ ٢١١، قال البيهقي: «تفرد به أحمد بن إبراهيم الحلبي وهو مجهول وقال ابن أبي حاتم عن الحلبي: لا أعرفه، وأحاديثه كلها باطلة موضوعة، كلها ليس لها أصول، يدل على أنه كذاب «الجرح والتعديل» ٢/ ٤٠. وقال ابن حجر: «وسنده واهٍ» «الإصابة» ٣/ ٢٣.

(٢) «سبل الهدى والرشاد» ١/ ٤٢٤-٤٢٧ عن الخرائطي في «هواتف الجنَّة» رقم (١٧) و(٧) وفي إسنادها وضّاعان هما عبد الله بن محمد البلوي، وعمارة بن زيد، انظر: «ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٩١ و٣/ ١٧٧.

(٣) «تاريخ الطبري» ٢/ ١٤٣، و«الوفا» لابن الجوزي ١/ ١٧٦، و«سبل الهدى والرشاد» ١/ ٤٢٨-٤٣٦، و«السيرة النبوية» للذهبي ١/ ١٥٥-١٥٨. وقال: «هذا حديث منكر غريب».

(٤) سنده ساقط. قال ابن كثير في «السيرة»: «فيه غرابة»، وقال الذهبي؛ في «السيرة»: هذا إسناد ساقط، قلت: وآفته من المسيب بن شريك فإنه متروك، وقد فصلت كل هذا وغيره مما لا يصح في كتابي الآخر: «ضعيف السيرة النبوية».

صفات النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخِلْقيّة

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزهر اللون [1] واسع الجبين، أدعج العينين [2]، وقيل: أكحل، أهدب الأشفار [3]، مفلج الأسنان، كث اللحية تملأ صدره، عظيم المنكبين، رحب الكفين والقدمين، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير المتردد، رجل الشعر، فى شعره حجونه [4]، يضرب شعره إلى منكبيه، إذا تكلَّم رُؤى النور يخرج من ثناياه، ضخم الرأس والكراديس، فى وجه تدوير، ذا مشربة [5]، إذا مشى تقلَّع كأنما ينحط فى صبب [6]، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم، سواء البطن والصدر، أشعر المنكبين والذراعين وأعالى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، منهوس العقبين [7]، بين كتفيه خاتم النبوة كزر الحجلة، وكبيض الحمامة، وكان إذا مشى كأنما تُطوى له الأرض ويجدون فى لحاقه وهو غير مكترث، وكان يسدل شعر رأسه ثم فرقه، وكان يُرجِّله ويُسرح لحيته، ويكتحل بالإثمد كل ليلة فى كل عين ثلاثة أطراف عند النوم [8].

---

(1) أي: أبيض مستنير مائل إلى الحمرة، و(الأزهر): كل لونٍ أبيض صافٍ مشرق مضيء و(الزاهر) الحسن اللون، و(الزُّهْرة): البياض الناصع وصفاء اللون. وانظر: «الفتح» ٦/ ٦٥٧.

(2) أي: شديد سواد العينين مع سعتهما.

(3) أي: طويل الأشفار.

(4) أي: تثن قليل.

(5) وهى الشعر الرقيق من الصدر إلى السرة كالقضيب.

(6) أي: يمشى بقوة، والصبب الحدور.

(7) أى قليل لحم العقب.

(8) جاءت هذه الأوصاف فى جملة أحاديث صحيحة مسندة فى الصحيحين والسنن والشمائل للترمذي، وتناول الحافظ شرحها فى الفتح كتاب المناقب، ودلائل النبوة للبيهقى (١/ ١٩٤-٢٨٥) ط دار الكتب العلمية أو ١/ ١٥٨-٢٦٥، طـ دار الحديث. وهو أجمع ما رأيت فى صفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سرد الإمام الذهبى رَحِمَهُ اللَّهُ جملة أحاديث في ذكر صفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى السيرة النبوية (١/ ٢٤٥-٢٧٤) طـ دار الحديث.

ونحن نذكر بعضا من الأحاديث الصحيحة التى نقلت لنا صفته الجسمية ﷺ .

عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن رحمه الله قال: سمعت أنس بن مالك يصف النبى ﷺ قال كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل أنزل عليه وهو ابن أربعين فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه وبالمدينة عشر سنين وقبض وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

قال ربيعة فرأيت شعرا من شعره فإذا هو أحمر فسألت فقيل احمر من الطيب[١] .

وعن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير[٢] .

عن أبى إسحاق قال: سئل البراء أكان وجه النبى ﷺ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر»[٣] .

وعن عبد الله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك قال فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه»[٤] .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٥٤٧)، وأخرجه مسلم (١١٣/ ٢٣٤٧) بمعناه. وقوله: «ليس بالطويل البائن: أى المفرط الطول، و«ليس بأبيض أمهق»: هو الكريه البياض كلون الجص، يعنى أنه كان نيِّر البياض. وقوله: «ولا آدم»: الأدمة: السمرة الشديدة. و«القطط»: الشديد الجعودة، و«السبط» المنبسط المسترسل. والمراد به: أن شعره كان وسطًا بينهما. وقوله: «فلبث بمكة عشر سنين، يأتى بيانه إن شاء الله. فى موضعه.

(٢) أخرجه البخارى (٣٥٤٩)، ومسلم (٩٣/ ٢٣٣٧). وفى «صحيح البخاري» (وأحسنه خَلْقًا).

(٣) أخرجه البخارى (٣٥٥٢)، والترمذى (١٣/ ١١٦)، فى المناقب (٣٦٣٦)، والدارمى فى المقدمة (٦٤)، وأحمد فى المسند (٤/ ٢٨١)، وابن حبان فى صحيحه (٦٢٨٧)، والبيهقى فى الدلائل (١/ ١٥٨). وغيرهم.

(٤) أخرجه البخارى (٣٥٥٦).

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل عليها مسرورا تبرق أسارير وجهه»[١].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤوسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسه»[٢].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[٣].

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضليع الفم أشكل العين، منهوس العقبين»[٤].

وعن أبى الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري» قال الجريري: فقلت له: كيف رأيته؟ قال: كان أبيض مليحًا مقصدًا»[٥].

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما رأيتُ من ذى لمة أحسن فى حلة حمراء من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعره يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، ليس بالطويل ولا

(١) أخرجه البخارى (٣٥٥٥)، ومسلم (٤٠/ ١٤٥٩).

(٢) أخرجه البخارى (٣٥٥٨)، ومسلم (٢٣٣٦).

(٣) أخرجه البخارى (٣٥٦١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٣٩)، والترمذى (٣٦٤٧) فى المناقب، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد فى المسند (٥/ ١٠٣)، والحاكم ٢/ ٦٦٢ (٤١٩٥)، وابن حبان فى صحيحه (٦٢٨٩)، والبيهقى فى الدلائل (١/ ١٧٠).

وقال النووى فى شرح صحيح مسلم (١٥/ ٩٣): قوله: (ضليع الفم)، والعرب تمدح بذلك، وتذم صغر الفم، وهو معنى قول تغلب فى ضليع الفم: واسع الفم، وقال شمر: عظيم الأسنان، وقوله: (أشكل العين): فهو حمرة فى بياض العينين، وأما (المنهوس): فهو قليل لحم العقب». اهـ.

(٥) أخرجه مسلم (٩٩/ ٢٣٤٠)، وقوله: (مقصدًا): هو الذى ليس. بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير.

بالقصير»[١].

وعن أبى إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ما رأيت أحدًا من خلق الله تعالى في حلة حمراء يعني: أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جمته تضرب قريبًا من منكبيه».

قال أبو إسحاق: سمعته يحدث بهذا الحديث مرارًا، ما حدث به قط إلا ضحك»[٢].

وفى الحديث المتفق عليه عنه رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعًا بعيد ما بين المنكبيْن، له شعر يبلغ شحمة أُذنيْه، رأيتُهُ فى حلة حمراء لم أرى شيئًا قط أحسن منه»[٣].

وعن على رضي الله عنه قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير شثن الكفين والقدمين ضخم الرأس ضخم الكراديس طويل المسربة إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما انحط من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم»[٤].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل، يحفظه من جلس إليه»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣٧)، وأبو داود (٤١٨٣)، و الترمذى (١٧٢٤)، والنسائى (٥٢٤٨)، وأحمد فى المسند (٤/ ٣٠٠).

(٢) أخرجه البخارى (٥٩٠١)، وأحمد فى المسند (٤/ ٢٩٥)، وابن سعد فى الطبقات (١/ ٤٢٨)، والبيهقى فى الدلائل (١٢/ ١٨٠)، (والجُمة) بضم الجيم وتشديد الميم أى شعر رأسه إذا نزل إلى قرب المنكبين ذكره ابن حجر فى الفتح (١٠/ ٣٧٠).

(٣) أخرجه البخارى (٣٥٥١)، و مسلم (٢٣٣٧).

(٤) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٦٣٧) المناقب، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد فى المسند (١/ ٩٦)، والطيالسى فى المسند (١/ ٢٤) (١٧١)، والبيهقى فى الشعب (١٤١٤)، والدلائل (١/ ١٧٦)، والحاكم فى المستدرك (٢/ ٦٦٢)، والترمذى فى الشمائل وصححه الألبانى فى مختصر الشمائل (٤٠).

(٥) حسن: أخرجه الترمذى فى السنن (٣٦٤٣)، وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الزهري، وقد رواه يونس بن يزيد عن الزهري، وأخرجه أيضًا فى الشمائل (٢٢٣)، وحسنه الشيخ الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (١٩١). وهو فى صحيح البخارى (٣٥٦٨)، وفى صحيح مسلم (١٦٠/ ٢٤٩٣) مختصرًا بلفظ: «لم يكن يسرد الحديث كسردكم» وزاد الإسماعيلي: «إنما كان حديث رسول الله فصلًا فهمًا تفهمه القلوب».

فَصْلٌ
فى مرضعاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

صحَّ أن ثويبية – مولاة أبى لهب – أرضعته، مع عمه حمزة، ومع أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ففى الصحيحين: عن أم حبيبة – أم المؤمنين – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: يا رسول الله أنكح أختى بنت أبى سفيان فقال: «**أو تحبين ذلك؟**» فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركنى فى خير أختى، فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن ذلك لا يحل لى**»، قلتُ: فإنا نَحدَّثُ أنك تريد أن تنكح بنت أبى سلمة، فقال: «**إنها لابنة أخى من الرضاعة، أرضعتنى وأبا سلمة ثويبةُ، فلا تعرضْن على بناتِكن ولا أخواتِكن**»[1].. واختلف فى إسلام ثويبة[2]. فالله أعلم.

ثم أرضعته امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها: حليمة ابنة أبى ذؤيب واسم أبيه الذى أرضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة من هوازن، وإخوته من الرضاعة من حليمة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وحذافة بنت الحارث، وهى التى يقال لها: الشيماء، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قولها إلا به، وقيل: إن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم.

قال ابن اسحاق: وحدثنى جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحى عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، أو ممَّن حدَّثه عنه، قال: كانت حليمة بنت أبى ذُؤَيب السَعْدية أمّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التى أرضعته، تحدثت: أنها خرجتْ من بلدها مع زوجها وابن لها صغير تُرضعه، فى نِسْوة من بنى سعد بن بكر، تلتمس الرُّضعاء، قالت: وذلك فى سنة شَهْباء، لم تُبْق لنا شيئًا. قالت: فخرجْتُ على أتان لى قمراء، معنا شارف والله ما تَبِضّ بقطرة، وما ننام ليلنا أجمعَ من صبينا الذى معنا، من

(١) رواه البخارى (٥١٠١ و٥١٠٦) وانظر أطرافه هناك، ومسلم (١٤٤٩)، وأبو داود (٢٠٥٦)، والنسائى (٣٢٨٤) وابن ماجة (١٩٣٩).

(٢) انظر: «زاد المعاد» ١/ ٨٣.

بكائه من الجوع، ما فى ثديي ما يغْنيه، وما فى شارفنا ما يغذّيه – قال ابن هشام: ويقال يغذّيه – ولكنّا كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتانى تلك، فلقد أَدَمْتُ بالرَّكْب حتى شقّ ذلك عليهم ضعفًا وعَجفًا، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا إنما كُنّا نرْجو المعروف من أبى الصبى، فكنَّا نقول: يتيم ! وما عسى أن تصْنع أمُّه وجدُّه ! فكنّا نكرهه لذلك. فما بقيت امرأة قدمتْ معى إلا أخذتْ رضيعًا غيرى، فلما أجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبى: والله إنى لأكره أن أرجعَ من بين صواحبى ولم آخُذْ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم، فلآخذنّه؛ قال: لا عليك أن تفعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملنى على أخذه إلا أنى لم أجد غيره. قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رَحْلى، فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثَدْياى بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى رَوِى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجى إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشِبْعا فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبى حين أصبحنا: تعلمى والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة. قالت: فقلت: والله إنى لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتانى. وحملته عليها معى. فوالله لقطعت بالركب. ما يقدر عليها شيء من حمرهم، حتى إن صواحبى ليقلن لى: يا بنة أبى ذُؤَيب، ويحك ! ارْبَعى علينا، أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهى هى؛ فيقلن: والله إن لها لشأنا، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد وما أعلم أرضًا من أرض الله أجْدَبَ منها، فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعًا لبنا، فنحلبُ ونشرب وما يحلب إنسان قطرة من لبن، ولا يجدها فى ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرُعيانهم: ويلكم اسْرَحُوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذُؤَيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبضّ بقطرة لبن، وتروح غنمى شِباعًا لُبنًا، فلم نزل نتعرّف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلْته، وكان يشِبّ شَبابًا لا يشبّه الغِلمان، فلم يبلغ سَنتَيه حتى

كان غلامًا جَفْرًا [١]. قالت: فَقَدِمْنا به على أُمِّه ونحن أحرصُ شيء على مُكْثِه فينا، لما كنّا نرى من بَركته. فكلّمنا أمه وقلت لها: لو تركت بُنَى عندى حتى يغلُظَ، فإنى أخشى عليه وَباءَ مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردّتْه معنا.

قالت: فرجعنا به، فوالله إنه بعد مَقْدمنا به بأشهر مع أخيه لفى بَهْم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشْتَد، فقال لى ولأبيه: ذاك أخى القُرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه، فشقّا بطنه، فهما يسُوطانه. قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائمًا منتقعًا وجهُه. قالت: فالتزمته والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يا بُنى؟ قال: جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعانى وشقّا بطنى، فالتمسا فيه شيئًا لا أدرى ما هو. قالت: فرجعنا به إلى خبائنا.

قالت: وقال لى أبوه: يا حليمة، لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئر، وقد كنت حريصة عليه، وعلى مُكْثه عندك؟ قالت: فقلت: قد بلغ الله يا بنى وقضيتُ الذى على وتخوفت الأحداث عليه، فأديته إليك كما تُحبين. قالت: ما هذا شأنك، فاصدقينى خَبَرك. قالت: فلم تدعنى حتى أخبرتها، قالت: أفتخوّفتِ عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم؛ قالت كلاّ: والله ما للشيطان عليه من سَبيل، وإن لبُنَى لشأنا، أفلا أخبرُكِ خبره؟ قالت: قلت بلى، قالت: رأيتُ حين حملتُ به أنه خَرَج منّى نورٌ أضاء لى قصور بُصْرَى من أرض الشام، ثم حملتُ به، فوالله ما رأيتُ من حُمل قط كان أخف على ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافعٌ رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقى راشدة [٢].

---

(١) الجفر: الصبى القوى إذا قوى على الأكل واستغنى عن اللبن، وانتفخ كرشه.

(٢) القصة أخرجها أبو يعلى فى «المسند» (٧١٦٣)، والطبرانى فى الكبير (٢٤/ ٢١٣ رقم ٥٤٥)، وأبو نعيم فى الدلائل (١/ ١٩٣)، وابن حبان (٢٩٤- موارد)، وابن هشام فى السيرة (١/ ٩١-٩٣)، كلهم من طريق ابن إسحاق قال: وحدثنى جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب الجمحي، عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، أو عمن حدثه عنه، قال: «كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية أم رسول الله =

فَصْلٌ
فى حادثة شق الصدر

وقع شق صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأمه، مرتين، الأولى عندما كان طفلًا فى الرابعة من عمرة مسترضعًا فى بنى سعد بن بكر.

روى ابن إسحاق عن نفر من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا له: يا رسول الله ! أخبرنا عن نفسك.

قال: «نعم؟ أنا دعوة أبى إبراهيم، وبُشرى أخى عيسى، ورأتْ أمّى حين حملتْ بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخٍ لى خلف بيوتنا ترعى بَهْمًا لنا، إذ أتانى رجلان عليهما ثيابٌ بيض بَطسْت من ذهبٍ مملوءة ثلجا، ثم أخذانى فشقّا بطنى واستخرجا قَلْبى، فشقّاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه، ثم قال أحدهما لصاحبه، زِنْه بعشرة من أُمّته، فوزننى بهم فوزنتهم، ثم قال: زِنْه بمئة من

= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التى أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها.... » القصة.

وأخرجه البيهقى فى الدلائل (١/ ١٣٢، ١٣٣) من طريق ابن إسحاق قال: حدثنى جهم بن أبى جهم مولى لامرأة من بنى تميم كانت عند الحارث بن حاطب فكان يقول: حُدِّثْتُ عن حليمة بنت الحارث أم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التى أرضعته أنها قالت: قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر....».

قلت: مدار هذه القصة على الجهم بن أبى الجهم، لم يوثقه سوى ابن حبان، وذكره ابن أبى حاتم فلم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وقال الهيثمى فى المجمع (٤/ ٢٠٩٤): رواه أبو يعلى والطبرانى بنحوه وقال: ورجالهما ثقات.

وأعله الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى دفاع عن الحديث النبوى والسيرة فى الرد على جهالات البوطى (ص٣٩-٤٠) بعلتين الأولى: الاضطراب فى إسناده، والثانية: أن مداره على جهم بن أبى الجهم، وهو مجهول الحال قال الذهبى فى الميزان: لا يعرف، له قصة حليمة السعدية»ا.هـ باختصار. وللقصة طريق لا تنهض لتحسينها. ولبعض فقراتها شواهد تحسنها، كحادثة شق الصدر كما فى «صحيح مسلم» عن أنس(١/ ١٠١-١٠٢) وسيأتي.

أمَّته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها»(١).

وثبت فى «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، واستخرج معه علقة سوداء، قال:هذا حظ الشيطان. ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ، ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه- يعنى: ظئره- فقالوا: إن محمدًا قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى ذلك المخيط فى صدره(٢). وأما المرة الثانية التى وقع فيها شق الصدر فكانت ليلة الإسراء(٣)، وسوف نذكرها فى موضعها - إن شاء الله تعالى -.

---

(١) إسناده حسن: رواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ٩٣، وعنه الحاكم ٢/ ٦٠٠، وصححه ووافقه الذهبى، وقال الألبانى رَحِمَهُ اللهُ هو كما قالا وأخرج له شواهد فى «الصحيحة» (١٥٦٤)، وصححه ابن حبان (٢٠٩٣ موارد). وهو عند الطبرانى فى «الكبير» ٢٤/ ٢١٢ رقم (٥٤٥)، وابن سعد فى «الطبقات» ١/ ١١٠-١١٢ قال الذهبى فى «السيرة» ١/ ١٦٣: «هذا حديث جيد الإسناد»، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٣٢-١٣٦، وأبو نعيم فى «الدلائل» ١/ ١٥٥ (٩٤) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦١/ ١٦٢)، وأحمد فى «المسند» ٣/ ١٢١ و١٤٩ و٢٨٨، وابن حبان (٦٣٣٤)، وأبو يعلى (٣٣٧٤)، و(٣٥٠٧)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (١٦٨)، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٤٦، والبغوى (٣٧٠٨). وقوله: «لأمه» معناه: جمعه وضم بعضه إلى بعض.
و«ظئره»: أى مرضعته، وأصله العاطفة التى تحن على ولد غيرها. والظئر: يقع على الذكر والأنثى.

(٣) قلت: ذكر بعض أهل العلم أن حادثة شق الصدر حدثت له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع مرات.
الأولى: عندما كان ابن أربع سنين من عمره المبارك. وهى ثابتة صحيحة وقد سقنا بعض أدلتها.
الثانية: وهو ابن عشر سنين وأشهر من عمره المبارك، وعللوا ذلك بأنه سن بداية الكمال وذلك لقربه من سن التكليف وهذه الحادثة أخرجها الإمام عبد الله بن الإمام أحمد فى «زوائده على المسند» ٥/ ١٣٩، وحسن إسناده الهيثمى فى «المجمع» ٨/ ٢٢١ والدارمى فى «السنن» فى المقدمة رقم (١٣)، والحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٥٧٥ وقال: صحيح الإسناد، قال الذهبى: صحيح على شرط مسلم.
قلت: قال ابن المديني: حديث مدنى إسناده مجهول كله.
الثالثة: عند المبعث؛ وذلك لإعداد قلبه لتحمل عبء الوحى والرسالة. وأوردوا فى ذلك حديثًا عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وفيه قصة أخرجه أبو نعيم فى «الدلائل» ١/ ٢١٥، ٢١٦ رقم (١٦٣)، وأبو داود

فَصْلٌ

فى حضانة أمه آمنة له ﷺ

لمَّا شُقَّ عن فؤاده ﷺ وهو ابن أربع سنين وهو مسترضع فى بنى سعد ابن بكر عند حليمة ردَّتْه إلى أمه آمنه، فكان فى حضانتها حتى بلغ ست سنين.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجدَّه عبد المطلب بن هاشم فى كلاءة الله وحفظه، ينبته الله نباتًا حسنًا؛ لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين، توفيت أمه آمنة بنت وهب.

قال ابن اسحاق: حدَّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أم رسول الله ﷺ آمنة، توفيت ورسول الله ﷺ ابن ست سنين بالأبواء، بين مكةو والمدينة، كانت قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيره إياهم، فماتت وهى راجعة به إلى مكة[1].

= الطيالسى فى «مسنده» ص٢١٥، ٢١٦ رقم (١٥٣٩) وقال الحافظ فى «الفتح» ١٣/ ٤٨٩ (٧٥١٧): «أن شق الصدر وقع - أيضًا عند البعثة.

الرابعة: فكانت ليلة الإسراء والمعراج، وهى ثابتة فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك وغيره. وسوف نذكرها -إن شاء الله- فى حينها.

ذكر هذه المرات الأربع الصالحى الشامى فى «سبل الهدى والرشاد» ١/ ٨٠-٩٩. والحافظ ابن حجر فى «الفتح» ١/ ٥٤٩ (٣٤٩) مجملة، وذكر مرة أخرى خامسة قال: «ولا تثبت». انظر: «شرح الزرقانى على المواهب ١/ ٢٨٩ و٥/ ٤٧٢.

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق ١/ ٩٤، وروى ذلك أيضًا: ابن سعد فى «الطبقات» ١/ ٩٣، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٨٨، والذهبى فى «السيرة» ١/ ١٦٥، وابن كثير فى «الفصول فى سيرة الرسول» ص٤٧، ومما يؤيد موتها فى الأبواء ما رواه مسلم فى «الصحيح» (٩٧٦/ ١٠٥)، وأبو داود فى «السنن» (٣٢٣٤)، والنسائى فى «الكبرى» (٢٠٣٤)، وابن ماجة (١٥٧٢ و١٥٦٩) من حديث أبى هريرة «أن رسول الله ﷺ لما مرَّ بالأبواء وهو ذاهب إلى مكة عام الفتح استأذن ربه فى زيارة قبر أمه فأذن له».

والأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثًا وعشرين ميلًا انظر «المعجم الكبير» ٢/ ١٤٨ وسميت بذلك؛ لما كان فيها من الوباء، وهى على القلب، وإلا لقيل الأوباء.

فَصْلٌ

فى حواضنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فمنهن أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وسبق ذلك آنفا ومنهن ثويبة وحليمة والشيماء ابنتها، وهى أخته من الرضاعة وسبق ذكر ذلك – أيضًا – ومنهن الفاضلة الجليلة أم أيمن بركة الحبشية.

وهى: بركة بنت ثعلبة بن حصن، من الحبشة.

وكان النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورثها من أبيه[1]، وكانت دايته، وزوَّجها من حِبِّهِ زيد بن حارثة، فولدت له أسامة، وأم أيمن هذه – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – هى التى دخل عليها أبو بكر وعمر بعد موت النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهى تبكى، فقالا: يا أم أيمن ما يبكيك فما عند الله خير لرسوله؟ قالت: إنى لأعلم أنَّ ما عند الله خير لرسوله، وإنما أبكى لانقطاع خبر السماء، فهيجتْهما على البكاء فبكيا[2].



(١) كما فى «صحيح البخارى» (٢٦٣٠)، ومسلم (١٧٧١) من كلام ابن شهاب الزهرى مقطوعًا عليه.

(٢) رواه مسلم فى «الصحيح» (٢٤٥٤/ ١٠٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَصْلٌ

فى كفالة جده عبد المطلب له ﷺ

ثم كفله جده عبد المطلب بعد وفاة أمه، وكان عبد المطلب يحب رسول الله ﷺ حُبًّا جمًّا، ويؤثره على أبنائه – أى: أعمام النبى ﷺ.

«وكان إذا أرسله فى حاجة جاء بها، وذات يوم أرسله فى طلب إبلٍ فتأخَّرَ عنه، فخاف عبد المطلب وأسرع يطوف بالبيت وهو يرتجل ويقول:

لا هُمَّ رُدَّ راكبى محمدًا أرْدُدْهُ ربَّ واصطنع عندى يدَا

أنت الذى جعلته لى عضوًا لا يبعد الدهر به فيبعدا

ولما رجع محمد ﷺ وجاء بالإبل قال له عبد المطلب: «يا بنى لقد حزنت عليك كالمرأة فلا تفارقنى أبدًا»[1].

قال العباس رضي الله عنه «كان عبد المطلب أطول الناس قامة، وأحسن الناس وجهًا، وما رآه أحد قط إلا أحبه، وكان له مفرش فى الحجر لا يجلس عليه غيره وكان الندى (أهل المجالسة والشورى) من قريش حربُ بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش، فجاء محمد ﷺ وهو صغير لم يبلغ، فجلس على المفرش فجبذه رجل، فبكى محمد ﷺ، فقال عبد المطلب – وذلك بعدما كُفَّ بصره –: مال ابنى يبكى؟! قالوا له: أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه، فقال عبد المطلب: «دعوا ابنى يجلس عليه؛ فإنه يحِسُّ من نفسه بشرف، وأرجو أن يبلغ من

---

(١) رواه ابن سعد فى «الطبقات» ١/ ٧٠، والطبرانى فى «الكبير» (٥٥٢٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٢٠-٢١)، والصالحى فى «سبل الهدى» ٢/ ١٧٧ والذهبى فى «السيرة» ١/ ١٦٥ وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٢٢٤): إسناده حسن.

الشرف ما لم يبلغ عربى قبله ولا بعده»(١).

ومات عبد المطلب وكان عمر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنذاك ثمانى سنين(٢).



فَصْلٌ

فى كفالة عمه أبى طالب له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أوصى عبد المطلب بالنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عمه أبى طالب، فكفله عمه وحنَّ عليه ورعاه، وظلَّ فوق أربعين سنة يعِزُّ جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكفله - عمه - وحاطه أتم حياطة، ونصره حين بعثه الله أعز نصر، مع أنه كان مستمرًّا على شركه إلى أن مات ! فخفف الله بذلك من عذابه؛ كما صحَّ الحديث بذلك»(٣).

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الأزرقى فى «تاريخ مكة» ١/ ٣١٤-٣١٥، وابن الجوزى فى «الوفا» ١/ ١٢٠، والصالحى فى «السبل» ٢/ ١٧٦، وروى نحوه عبد الرزاق فى «المصنف» ٥/ ٣١٨، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ٨٨،٨٩، وهو مرسل صحيح إلى الزهرى، ورواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ٩٥ ولم يسنده. وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ولم يعلق عليه.

(٢) وجزم بذلك ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ٩٥، وتابعه على ذلك الحافظان العراقى وابن حجر كما فى «شرح المواهب اللدنية» ١/ ١٨٩، واقتصر عليه: الطبرى فى «تاريخه» ٢/ ٢٧٢، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ١٦٨، والذهبى فى «السيرة» ١/ ١٦٥، وانظر: «الطبقات» لابن سعد ١/ ١١٨، و«الدلائل» لأبى نعيم ١/ ٣٠٩، و«الوفا» ١/ ١٢٩ لابن الجوزى.

(٣) كما فى البخارى (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩)، من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يا رسول الله ! هل نفعت أبا طالب بشىء؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟! قال: «نعم؛ هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا؛ لكان فى الدرك الأسفل من النار».

قال ابن إسحاق: حدَّثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدَّثهُ أن رجلًا من لِهْب – قال ابن هشام: ولِهْب: من أزد شَنُوءة – كان عائفًا، فكان إذا قدم مكة أتاه رجالُ قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم، قال: فأتى به أبو طالب وهو غلام، مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله ﷺ، ثم شغله عنه شىء، فلما فرغ قال: أين الغلام؟ علىَّ به، فلما رأى أبو طالب حِرْصَه عليه غَيبه عنه، فجعل يقول: ويلكم ! ردوا على الغلام الذى رأيت آنفًا، فوالله ليكونن له شأن. قال: فانطلق به أبو طالب[1].

ولشدة تعلق عمه به ﷺ وحبه له أخذه معه إلى الشام فى تجارة وهو ابن ثنتى عشرة سنة، وذلك من تمام لطفه به؛ لعدم من يقوم به إذا تركه بمكة، فرأى هو وأصحابه ممن خرج معه إلى الشام من الآيات فيه ﷺ؛ ما زاد عمه فى الوصاة به، والحرص عليه؛ كما رواه الترمذى فى «جامعه» بإسنادٍ كلهم ثقات من تظليل الغمامة له، وميل الشجرة بظلها عليه، وتبشير بَحيرَى الراهب به، وأمره لعمه بالرجوع به؛ لئلا يراه اليهود فيرمونه سوءًا[2].



---

(١) «السيرة» لابن إسحاق ١/ ١٠١ إسناده صالح. ويحيى بن عباد ثقة، وأبوه ثقة، ورجل من لهب: قيل: هو لهب من أجحن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن نصر بن الأزد، وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة والزجر.

والعائف: الذى يتفرس فى خلقة الإنسان فيخبر بما يؤول إليه حاله.

(٢) **انظر**: «الفصول فى سيرة الرسول ﷺ» ص ٥٠.

فَصْلٌ
فى قصة بحيرى الراهب

قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج فى ركب تاجرًا إلى الشام، فلمَّا تهيأ للرحيل وأجمع المسير صَبَّ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يزعمون - فرقّ له أبو طالب. وقال: والله لأخرجن به معى، ولا يفارقنى، ولا أفارقه أبدًا، أو كما قال، فخرج به معه، فلما نزل الركبُ بُصْرى[1] من أرض الشام، وبها راهبٌ يقال له بَحيرى فى صَومعة له، وكان إليه عِلْمُ أهل النصرانية، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قطّ راهبٌ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون - يتوارثونه كابرًا عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرى، وكانوا كثيرًا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريبًا من صومعته صنع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك - فيما يزعمون - عن شىء رآه وهو فى صومعته. يزعمون أنه رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو فى صومعته، فى الرَّكْب حين أقبلوا، وغَمَامة تُظِلّه من بين القوم. قال: ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبًا منه. فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتَهَصّرت[2] أغصان الشجرة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، ثم أرسل إليهم، فقال: إنى قد صنعت لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم؛ فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك شأنًا اليوم ! فما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرًا ! فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعامًا فتأكلوا منه كلكم.

---

(١) بصرى: مدينة معروفة بالشام تبعد عن دمشق شرقًا (١٠٠ كم).
(٢) أى مالتْ وتدلتْ.

فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ، من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى؛ قالوا له: يا بَحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًا، فتخلف فى رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، إن كان لَلُؤْمًا بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم. فلما رآه بَحيرى جعل يلحظه لحظًا شديدًا، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بَحيرى، فقال له: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه؛ وإنما قال له بَحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له: لا تسألنى باللات والعزى، فوالله ما أبغضْتُ شيئًا قط بُغْضَهما، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه؛ فقال له: سلنى عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله فى نومه وهيئته وأموره؛ فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده. قال ابن هشام: وكان مثل أثر المِحْجَم.

قال ابن إسحاق: فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى: قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا: قال: فإنه ابنُ أخى؛ قال: فما فعل أبوه؛ قال: مات وأمه حُبْلى به؛ قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيبْغُنَّهُ شرًا؛ فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده. فخرج به عمه أبو طالب سريعًا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس: أن زُرَيرًا وتماما ودريسا – وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من

رسول الله ﷺ مثل ما رآه بحيرى فى ذلك السفر الذى كان فيه عمه أبى طالب – فأرادوه فردهم عنه بحيرى وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه[1].



(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق ١/ ١٠١-١٠٢، وقد رويت قصة بحيرى بألفاظ قريبة من رواية ابن إسحاق منها ما رواه الترمذى فى «السنن» (٣٦٢٠)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» ١١/ ٤٧٩ و١٤/ ٢٨٦ وأبو نعيم فى «الدلائل» ص١٢٩-١٣١، و«معرفة الصحابة» (١٢٥٩)، والحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٦١٦، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢٤، والطبرى فى «التاريخ» ٢/ ٢٧٨، وابن عساكر فى «التاريخ» ١/ ١٧٢، ٣٧٤ والتبريزى فى «مشكاة المصابيح» (٥٩١٨) والصالحى فى «السبل» ١/ ١٩٠-١٩١، والحديث: صححه الحاكم وتعقبه الذهبى بقوله: «أظنه موضوعًا» فبعضه باطل. وقال فى «السيرة» ١/ ١٦٩: «حديث منكر جدًا، ثم قال: وفى الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطرقية وصحح إسناده الحافظ ابن حجر فى «الفتح» ٨/ ٥٨٧. وصححه أيضًا جمع من الأئمة الحفاظ، وإن كان فيه بعض ألفاظ استنكرها الأئمة، وقد أوعب الشيخ الألبانى رحمه الله تفصيل ذلك فى كتابه: «دفاع عن الحديث النبوى» ص٦٢-٧٢، وذكر سبعة من الحفاظ سبقوه إلى تصحيحه، وانظر «صحيح السيرة» للألبانى ص٣١ وانظر: «أجزل المواهب فى قصة النبى ﷺ مع بحيرى الراهب» للشيخ الفاضل/ سليم الهلالى.

و «السيرة النبوية الصحيحة» د/ أكرم العمرى ١/ ١٠٧-١١١. وفى التعريف ببحيرى الراهب؛ انظر: «الإصابة» (١/ ١٨٣-١٨٤)، و«دائرة المعارف» (٥/ ٢١٧).

فَصْلٌ

فى رعيه ﷺ الغنم

وقد رعى ﷺ **الغنم قبل البعثة**، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم**» فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط**»[1].

وقال أبو سلمة، عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول ﷺ بمر الظهران نجنى الكباث فقال: «**عليكم بالأسود منه فإنه أطيب**» فقيل: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «**نعم، وهل من نبى إلا قد رعاها**»[2].

قالوا: ومن الحكم فى رعيه ﷺ الغنم يتركز فى نفسه خُلُق التواضع، قال ﷺ «**الفخر والخيلاء فى أهل الخيل والإبل، والفدَّادين أهل الوبر، والسكينة فى أهل الغنم**»[3].

وكان ﷺ يأكل من عمل يده، ومن كسبه وهو القائل ﷺ «**ما أكل أحدُ طعامًا قط خيرًا من عمل يده، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**»[4].

ومن أجل هذا وجد سنة الله تعالى فى الأنبياء جميعًا أن يقولوا: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ

---

(١) أخرجه البخارى (٢٢٦٢) والترمذى ٤/ ٥١٦ فى (الإجارة)، وابن ماجه (٢١٤٩)، ومالك ٢/ ٩٧١ بلاغًا. وابن سعد فى «الطبقات». و«القراريط»: جمع قيراط، وهو جزء من الدينار أو الدرهم. وانظر: «سبل الهدى والرشاد» ٢/ ٢١١.

(٢) أخرجه البخارى (٣٤٠٦)، ومسلم (٢٠٥٠) وقوله: الكباث: بالفتح. هو النضيج من شجر الأراك.

(٣) أخرجه البخارى (٣١٢٥)، ومسلم (٥٢)، عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخارى (١٩٦٦) عن المقدام رضي الله عنه.

﴿أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧] ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [يوسف: ١٠٤] ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٢٩] ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١]

ولم يترك النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رعى الغنم حتى بعثه الله؛ مما جعله يتشرَّب تلك الصفات بالمداومة على ذلك مدة طويلة، فعن نصر بن حزن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: « قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **بُعث مُوسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يرعى غنمًا على أهله، وبعثتُ وأنا أرعى غنمًا لأهلى بأجياد** » [(١)].



(١) أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» (٥٧٧) وقال عنه الشيخ الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ صحيح.

فَصْلٌ

فى حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ فى شبيبته قبل البعثة من أقذار الجاهلية

شبَّ رسول الله ﷺ والله تعالى - يكلؤهُ ويحفظه ويحوطه من أقذار، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلًا، أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقًا، وأكرمهم حسبًا، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تُدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا، حتى ما اسمه فى قومه إلا الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة[(١)].

فمن ذلك: أن الله عَزَّوَجَلَّ صانه عن شرك الجاهلية، وعبادة الأصنام ومن أولى بهذه المنقبة من صاحب الرسالة العصماء التى هى أسمح الشرائع فى العمل، وأشدها فى إخلاص التوحيد والبعد عن الشرك. روى أحمد فى مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثنى جار لخديجة أنه سمع النبى ﷺ وهو يقول لخديجة: أى خديجة والله لا أعبد اللات والعزى. قال: كان صنمهم التى كانوا يعبدون ثم يضطجعون[(٢)].

ومن ذلك أنه كان لا يأكل ما ذبح على النصب، ووافقه فى ذلك زيد بن عمرو بن نفيل. عن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح[(٣)] قبل أن ينزل على النبى ﷺ الوحى، فقدمت إلى النبى ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد: إنى لست آكل مما تذبحون على

---

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق ١/ ١٠٣. وانظر: «الفصول» لابن كثير (ص٥٠).

(٢) رواه الإمام أحمد فى «المسند» ٤/ ٢٢٢ و٥/ ٣٦٢، وفى «فضائل الصحابة»، وقال الهيثمى فى «المجمع» ٨/ ٢٢٥: «رجاله رجال الصحيح». وصحح إسناده محقق «الفضائل»، وصححه أيضًا الشيخ أحمد شاكر فى هامشه على المسند (١٧٨٧١).

(٣) **بَلْدح:** وادٍ فى طريق التنعيم إلى مكة من جهة الغرب، انظر «المعجم الكبير» ٢/ ٥١٩ و«معجم البلدان» ياقوت الحموى ١/ ٤٨٠.

أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله إنكارًا لذلك وإعظامًا له»[١].

ومن ذلك توفيقه بعرفة قبل البعثة، مخالفة لما ابتدع قومه من رأى الحمس، والأحمس الشديد على دينه وكانت قريش تسمى الحمس، وكان الشيطان قد استهواهم فقال لهم: إنكم إن عظمتم غير حرمكم استخف الناس بحرمكم، فكانوا لا يقفون بعرفة يوم عرفة، وكان سائر الناس يقف بعرفة، وكانت شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك الوقوف بعرفة، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة:١٩٩].

عن محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال: أضللت بعيرًا لى، فذهبت أطلبه يوم عرفة، فرأيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقفًا بعرفة، فقلت: هذا والله من الحمس فما شأنه هاهنا[٢].

ومن ذلك: حفظ الله عَزَّ وَجَلَّ له من أن تبدو عورته، أو يظهر عريانا عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعباس ينقلان الحجارة، فقال عباس للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجعل إزارك على رقبتك يقك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عينه إلى السماء ثم أفاق. فقال: إزارى إزارى، فشد عليه إزاره.

وفى لفظ لهما من طريق زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار قال: «فَحلَّهُ فجعله على منكبيه فسقط مغشيا عليه، فما رؤى بعد ذلك عريانا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٣].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٨٢٦) و (٥٤٩٩) بعضه، ورواه أحمد ٢/ ٦٩، وابن سعد ١/ ٢٧٦.

وقال الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى تعليقه على «فقه السيرة» للغزالى: «توهم زيد أن اللحم المقدم إليه من جنس ما حرم الله: ومن المقطوع به أن بيت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يأكل ذبائح الأصنام، ولكن أراد الاستيثاق لنفسه، والإعلان عن مذهبه، وقد حفظ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له ذلك، وسُرَّ به».

(٢) رواه البخارى (١٦٦٤)، ومسلم (١٢٢٠). وأحمد فى «المسند» ٤/ ٨٠.

(٣) صحيح: رواه البخارى (١٥٨٢)، ومسلم (٣٤٠/ ٧٧).

باب

فى الأحداث الجسام قبل بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وسنقتصر إن شاء الله على خمسة أحداث:

حرب الفجار.

حلف المطيبين (الفضول).

تجارته فى مال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بناء قريش الكعبة وقضية التحكيم.



١- فصل فى حرب الفِجَار[١]

قال ابن إسحاق: هاجت حرب الفجار ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة، وإنما سُمى «يوم الفجار» بما استحلت كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم، وكان قائد قريش وكنانة: حرب بن أمية بن عبد شمس، وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس.

وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم، وقال رسول الله ﷺ: «**كنت أنبل على أعمامى**» أى أرد عليهم نبل عدوهم إذا ردوهم بها[٢].



---

(١) **الفجار:** بكسر الفاء بمعنى: المفاجرة، كالقتال بمعنى: المقاتلة؛ وذلك أنه كان قتالهم فى الشهر الحرام ففجروا فيه جميعًا؛ فسمى الفجار. راجع «السبل» للصالحى ٢/ ٢٠٦ و«صفوة السيرة» لابن كثير ١/ ٧٠.

(٢) «السيرة النبوية» لابن إسحاق ١/ ١٠٥، و«دلائل النبوة» ٢/ ٥٨، وذكره الذهبى فى «تاريخ الإسلام» ١/ ٣٧، مختصرًا عن ابن إسحاق، ولم يتكلم عليه بشىء. وابن كثير فى «التاريخ» ٢/ ٣٠٠، ورواه ابن سعد فى «الطبقات» ١/ ١٠١ بأسانيد واهية، مدارها كلها على الواقدى وهو متروك، وقوله: «**كنت أنبل على أعمامى**» قال ابن الأثير فى «غريب الحديث» ٥/ ١٠: «نَبَّلت الرجل: بالتشديد إذا ناولته النبل ليرمى، وكذلك أنبلته.

تنبيه: اختلف فى قتال النبى ﷺ فى حرب الفجار، فكل من ذكرت ذكروا أن النبى ﷺ كان يناول أعمامه النبال، وذكر السهيلى: «أن النبى ﷺ لم يقاتل فى حرب الفجار» ولم أر دليلًا - صحيحًا - يفيد قتاله ﷺ، وقال الشيخ الدكتور العمرى فى «السيرة النبوية الصحيحة»: «لم يثبت أنَّ رسول الله ﷺ شهدها».

٢ - فَصْلٌ

فى شهوده ﷺ حلف المطيبين (الفضول)

قال فضل الله الجيلانى: «اجتمع تسعة أبطن من قريش منهم بنو هاشم وبنو زهرة وبنو تيم – فى دار ابن جُدْعان قبل عام الفيل بمدة لما حاول بنو عبد مناف إخراج السقاية واللواء من بنى عبد الدار فتحالفت هذه الأبطن على ذلك وبعثت إليهم أم حكيم ابنة عبد المطلب بجفنة فيها طيب فغمسوا فيها أيديهم ثم ضربوا بها الكعبة فسموا بذلك حلف المطيبين فجرى الأمر على هذا، حتى قدم مكة رجل من زبيد بتجارة له فباعها من العاص بن وائل السهمى فمطله بها وغلبه عليها فاستغاث فاجتمعوا بدار عبد الله بن جُدعان: بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتعاهدوا ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم ممن دخلها إلا قاموا معه وكانوا على الظالم حتى يردوا عليه مظلمته فهو الحلف الذى تحالفه المطيبون الذين لم يشهدهم رسول الله ﷺ أولًا وشهد حلف الفضول وسمى بحلف الفضول لأن من قام به كان فى أسمائه الفضل، كالفضل بن الحارث والفضل بن وداعة، والفضل بن فضالة [١]».

وحلف المطيبين كان بين بنى هاشم وبنى أمية وبنى زهرة وبنى مخزوم، [٢] وكان الحلف فى دار عبد الله ابن جُدْعان، وهو تحالف على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم ورد الفضول على أهلها، وقد سمى الحلف بحلف الفضول، وإنما ورد فى الحديث باسم حلف المطيبين؛ لأن العشائر التى عقدت حلف المطيبين هى التى

---

(١) «فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد» ٢/ ٢٨ وانظر: «سيرة ابن إسحاق» ١/ ٧٦.

(٢) ذكره البيهقى فى «السنن» ٦/ ٣٦٦، وقال: «لا أدرى هذا التفسير من قول أبى هريرة أمْ مَنْ دُونه. أما ابن إسحاق فيذكر فى «السيرة» ١/ ٧٧: أنهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تميم.

عقدت حلف الفضول، وحلف المطيبين جرى قديمًا بعد وفاة قصى وتنازع بنى عبد مناف مع بنى عبد الدار على الرفادة والسقاية بمكة[١].

إن حلف المطيبين القديم لا يحمل من معانى الانتصار للعدالة مثل حلف الفضول الذى شارك فيه الرسول ﷺ وقد ذكر ابن إسحاق فى «السيرة» — أن النبى ﷺ كان يومذاك فى العشرين من عمره[٢]. وثبت عنه ﷺ أنه شهد حلف الفضول وسماه حلف المطيبين وأثنى عليه.

فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«شهدت حلف المطيبين مع عمومتى وأنا غلام، فما أحب أن لى حمر النعم وأنى أنكثه»**[٣].

وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به وأشرفه فى العرب[٤]؛ لأنهم تعاهدوا

---

(١) «السيرة» لابن إسحاق ١/ ٧٥، و«السنن» للبيهقى ٦/ ٣٦٧.

(٢) «السيرة» ١/ ١٠٤، وقارن: «الدلائل» للبيهقى ٢/ ٥٨-٦٠.

(٣) أخرجه أحمد فى «المسند» ١/ ١٩٠-١٩٣، والبخارى فى «الأدب المفرد» (٥٦٧)، وابن حبان (٢٠٦٢ موارد)، والحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٢١٩-٢٢٠ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبى، وصححه الألبانى فى تخريجه «لفقه السيرة» ص (٧٥)، وله شاهد حسن من حديث أبى هريرة عن ابن حبان (٢٠٦٣ موارد)، و«الدلائل» للبيهقى ٢/ ٣٨، وهو فى «الصحيحة» (١٩٠٠)، وشاهد آخر يصلح للاعتبار من حديث ابن عباس رواه الطبرانى فى «الكبير» ١١/ ٢٩٣، وشاهد آخر مرسل بإسناد حسن من رواية طلحة بن عبد الله وهو من التابعين ثقة، رواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ٧٧ وصرَّح فيه بالتحديث. ورواه من طريقه البيهقى فى «السنن» ٦/ ٣٦٧، ووصله ابن سعد فى «الطبقات» ١/ ١٠٣، وذكره ابن حجر فى «الفتح» ٤/ ٥٥٣.

(٤) قيل سمى بالفضول: لأنهم أخرجوا فضول أموالهم للأضياف، انظر: «سبل الهدى» ٢/ ٢١٠. قال البيهقى فى «السنن» ٦/ ٣٦٧: «وأشار بعض أهل السير على أن حلف المطيبين هو حلف الفضول — ويقصد ابن قتيبة- كما فى «المعارف» له (ص٦٠٤) — وغلطه البيهقى على أن حلف المطيبين كان قبل أن يولد الرسول ﷺ ولم يدركه، والذى شهده النبى ﷺ هو حلف الفضول».
قال السهيلى: «وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن لكن فى الحديث ما هو أقوى منه».
وقد فرَّق بينهما الحافظ ابن حجر فى «الفتح» ٤/ ٣٧٣. وهذا هو المحقق. والله أعلم.

على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته كما ذكر ذلك ابن إسحاق.

ولذا أثنى عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن إسحاق حدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى: أنه كان بين الحسين بن على بن أبى طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان – والوليد يومئذ أمير المدينة، أمره عليها عمه معاوية بن أبى سفيان منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة[1]، فكأن الوليد تحامل على الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى حقه لسلطانه، فقال له الحسين: أحلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لأقومن فى مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم لأدعُوَنّ بحلف الفضول. قال: فقال عبد الله بن الزبير – وهو عند الوليد حين قال الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما قال – وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى، ثم لأقومنّ معه حتى ينصَف من حقه أو نموت جميعًا. قال: فبلغت المسورَ بن مَخْرمة بن نوفل الزهرى، فقال مثل ذلك، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى، فقال مثل ذلك، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنْصفَ الحسين من حقه حتى رضى[2].



(١) قرية بوادى القرى. «صحيح السيرة» للألبانى (ص٣٦). و«صفوة السيرة» لابن كثير ١/ ٧٤.

(٢) «السيرة» لابن إسحاق ١/ ٧٧، وذكره ابن كثير فى «السيرة» وقال الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «صحيح السيرة» (ص٣٧): «والسند جيد».

٣- فَصْلٌ

فى تجارته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

تشير روايات ضعيفة عن عمل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى تجارة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا التى كانت ثرية تضارب بأموالها، وقد ذهب بتجارتها إلى جُرَش مرتين [(١)]، وكانت تابعة لليمن - أو حباشة - سوق بتهامة من نواحى مكة أو الشام فربح بتجارتها، وحكى لها غلامها ميسرة الذى صحبه عن أخلاقه وطباعه، فأعجبت به [(٢)].



(١) جرش: هى المدينة المعروفة الآن ببلجرش، التى تقع فى جنوب المملكة العربية السعودية قرب مدينة خميس مشيط وأبها فى إمارة عسير، قريبة من اليمن، وقد ذهبت إليها ورأيتها واختلطت ببعض أهلها فرأيت منهم طيب خلق وكرم..

(٢) حديث سفر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جرش مرتين ضعيف أخرجه الحاكم فى «المستدرك» ٣/ ١٨٢، وصححه وأقره الذهبى، وهو على خلاف قولهما، ففيه أبو الزبير وهو مدلس وقد عنعن.

وتجارته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مالها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فى مكة وقع فى «المصنف» لعبد الرزاق ٥/ ٣١٩-٣٢١ من مرسل الزهرى، وأما حديث خروجه إلى الشام فى السفرة الثانية فى تجارة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقد رواه ابن إسحاق ١/ ١٠٥ بدون إسناد، وابن سعد فى «الطبقات» ١/ ١٥٥-١٥٧ من رواية الواقدى، والواقدى متروك وفى المتن مبالغات كقول الراهب: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى» وكقوله: «هو أخر الأنبياء» !! وأن خديجة رأته حين دخل مكة: «وهو راكب على بعيره وملكان يظلان عليه فأرته نساءها فعجبن لذلك.

وذكر كل هذه الروايات بألفاظ مختلفة الصالحى الشامى كعادته فى جمع الصحيح والضعيف فى «السبل» ٢/ ٢١٤-٢٢١ وانظر: «السيرة النبوية الصحيحة» د/ أكرم العمرى ١/ ١١٣، وكتابنا الآخر: «ضعيف السيرة النبوية».

٤- فَصْلٌ

فى زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ولما رجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة، ورأت خديجة فى مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه من خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، وجدت ضالتها المنشودة – وكان السادات والرؤساء يحرصون على زواجها، فتأبى عليهم ذلك – فتحدثت بما فى نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منية، وهذه ذهبت إليه تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة، وخطبوها إليه[١]، وعلى إثر ذلك تم الزواج، وحضره بنو هاشم ورؤساء مضر، وأصدقها عشرين بكرة، وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة[٢]، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا وثروة وعقلًا، وهى أول امرأة تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣] ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعلى ذلك الإجماع.

---

(١) هذا قول الواقدى كما فى «الطبقات» ١/ ١٣٢-١٣٣، ويرى أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار وذهب ابن إسحاق كما فى «السيرة» ١/ ١٠٦، والزهرى كما فى «المغازى النبوية» له (ص٤٢)، أن أباها هو الذى زوجها وروى بعضهم فى ذلك حديثًا ضعيفًا رواه أحمد ١/ ٣١٢ (٢٨٤٩)، والطبرانى فى «الكبير» (١٢٨٣٨)، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٧٣، من طريق حماد بن عمار بن أبى عمار عن ابن عباس، وفيه انقطاع، وقال الهيثمى فى «المجمع» ٩/ ٢٢٠ «رجال أحمد والطبرانى رجال الصحيح»، لكن رواية البيهقى موصولة لكن فيها على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، فالحديث ضعيف.
والذى عليه أكثر علماء أهل السير أن عمها الذى زوَّجها، وقال السهيلى: فى «الروض الأنف» ١/ ٢١٣ هو الصحيح وغلَّط الواقدى من قال بخلافه. وقاله الزبير بن بكار، وابن الأثير فى «أسد الغابة» ٧/ ٨١.

(٢) وإلى هذا ذهب ابن سعد فى «الطبقات» ٨/ ١٧، بينما ذهب الحاكم فى «المستدرك» ٣/ ١٨٢ أنها كانت فى الثامنة والعشرين من العمر، وانظر: «السبل» للصالحى الشامى ٢/ ٢٢٥، ورجحه د/ أكرم العمرى فى «السيرة النبوية الصحيحة» (١/ ١١٣).

(٣) ذكره ابن قدامة فى «أنساب القرشيين» (ص٥١)، وابن حجر فى «الفتح» ٧/ ١٣٤.

وكان عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسًا وعشرين سنة.

ورزق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبها كما سيأتى فى مناقبها. وكل أولاده منها سوى إبراهيم فإنه من مارية..



٥- فَصْلٌ
فى بناء الكعبة وقضية التحكيم

الكعبة والمسجد الحرام هو أول بيت وضع للناس كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦].

وعن أبى ذر قال: سألت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن أول مسجد وضع فى الأرض قال: «**المسجد الحرام**». قلت: ثم أى؟ قال: «**المسجد الأقصى**». قلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون يومًا، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل، فإن الفضل فيه**»(١).

وأول من بنى هذا البيت العتيق إبراهيم الخليل وولده إسماعيل صلى الله على نبينا وعليهما وسلم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

فأوشكت الكعبة على الانهيار قيل: بحريق أصابها، وقيل: بسيل جارف، وكان قبل بعثة النبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بخمس سنوات على الراجح، فلم تجد قريش بدًّا من إعادة بنائها.

وقد أشارت الأحاديث الصحيحة إلى ذلك روى البخارى عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال لها: «**ألم ترى أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد إبراهيم**». فقلت: يا رسول الله ألا تردّها على قواعد إبراهيم؟ قال: «**لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت**».

---

(١) أخرجه البخارى (٣٣٦٦) ومسلم (١/ ٥٢٠)، قال الحافظ فى «الفتح» ٦/ ٤٧٠: «وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ ويدل على أن المراد بالبيت هو بيت العبادة لا مطلق البيوت، وقد ورد ذلك صريحًا من على أخرجه إسحاق بن راهوية، وابن أبى حاتم وغيرهما بإسنادٍ صحيح عنه، قال: كانت البيوت قبله، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله» اهـ.

فقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لئن كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سمعت هذا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أُرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم[1].

وقصرت بقريش النفقة الطيبة لأنهم شرطوا على أنفسهم أن لا يدخل فى بنائها إلا نفقة طيبة، ولا يدخلها مهر بغى ولا بيع ربًا، ولا مظلمة لأحد[2]، فأخرجوا من الجهة الشمالية ستة أذرع وهى التى تسمى بالحجر والحطيم[3]، ورفعوا بابها من الأرض لئلا يدخلها إلا من أرادوا[4]، ولما بلغ البناء خمسة عشر ذراعًا سقفوه على ستة أعمدة.

وقد شارك النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى بناء الكعبة، كما مرَّ آنفًا من نقله الحجارة مع عمه العباس[5]، وروى الإمام أحمد عن مجاهد عن مولاه السائب بن عبد الله، أنه حدَّثه أنه كان فيمن يبنى الكعبة فى الجاهلية قال: ولى حجر أنا نحتُّه بيدى أعبده من دون الله تبارك وتعالى، فأجىء باللبن الخاثر الذى أنفسه على نفسى فأصبه عليه فيجىء الكلب فليحسه ثم يشغر فيبول، فبنينا حتى بلغنا موضع الحجر، وما يرى الحجر أحد، فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل، فقال

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخارى (١٥٨٣) وانظر أطرافه هناك، ورواه مسلم (١٣٣٣).

قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لئن كانت عائشة سمعت هذا»: ليس هذا اللفظ من ابن عمر على سبيل التضعيف والتشكيك فى حفظها وصدقها، فقد كانت من الحفظ والضبط بحيث لا يستراب؛ فى حديثها ولا فيما تنقله، ولكن كثيرًا ما يقع فى كلام العرب صورة التشكيك والتقرير، والمراد به اليقين كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: ١١١]. وقوله: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [سبأ: ٥٠] «شرح مسلم للنووى» (٩/ ٧٦).

(2) كما فى البخارى (١٥٨٤) ومسلم (١٣٣٣). وأخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ١٠٨، والطبرى فى «تاريخه» ١/ ٥٢٥ والبيهقى فى «الدلائل».

(3) كما فى البخارى (١٥٨٦) والنسائى (٢٩٠٣).

(4) رواه البخارى (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣).

(5) رواه البخارى (١٥٨٢) ومسلم (٣٤٠)، وغيرهما.

بطن من قريش: نحن نضعه، وقال الآخرون: نحن نضعه، فقالوا: اجعلوا بينكم حكمًا، قالوا: أول رجل يطلع من الفج، فجاء النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا له، فوضعه فى ثوب ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه فوضعه هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

قلت: لما بنت قريش الكعبة كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى سنة خمس وثلاثين من عمره قبل مبعثه بخمس سنين[٢].



(١) الحديث صحيح لغيره؛ أخرجه أحمد فى «المسند» ٣/ ٤٢٥، وابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ١١٠، وابن سعد فى «الطبقات» ٥/ ٤٤٦، والطبرانى فى «الكبير» (١٨/ ٩٣١)، والحاكم فى «المستدرك» ١/ ٤٥٨، من حديث مجاهد عن مولاه السائب بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. وهذا سنده حسن.
وله شاهد من حديث على: رواه الطيالسى (١١٣) وابن أبى شيبة فى «المصنف» (٩١٣٣)، وعبد الرزاق فى «المصنف» (٥/ ٩١٠٣)، وابن أبى عاصم فى «الأوائل» (٨٦/ ٩٥)، والأزرقى فى «أخبار مكة» ١/ ٦١، والحاكم ١/ ٤٥٨-٤٥٩، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٥٦، و«السنن الكبرى» ٥/ ٧٢، و«الشعب». ٣/ ٤١٨-٤٣٦/ (٣٣٩١) بسند حسن فى الشواهد.
وشاهد أخر من مرسل ابن شهاب عند البيهقى، وبالجملة؛ فالحديث صحيح بمجموع شواهده.
(٢) «السيرة النبوية» لابن إسحاق ١/ ١٠٧، قال الحافظ: وهو الأشهر وغلّط خلاف ذلك.
وانظر: «السبل» للصالحى الشامى ٢/ ٢٣٣-٢٣٤.

القسم الثاني

من مبعثه إلى هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

كتاب المبعث ومراحل الدعوة

باب[٧] : فى إرهاصات نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سبق مبعثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إرهاصات تبشر بمجيئه صلوات الله وسلامه عليه.

فمن ذلك:

فصل فى إخبار الكهان من العرب والأحبار والرهبان

قال ابن إسحاق: وذكر محمد بن مُسْلم بن شهاب الزهرى عن على بن الحُسين ابن على بن أبى طالب عن عبد الله بن العبّاس عن نَفَرٍ من الأنصار: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم: ماذا كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرْمَى به؟ قالوا: يا نبى الله، كنّا نقول حين رأيناها يرمى بها: مات مَلِك، مُلِّك ملك، وُلد مولود؛ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليس ذلك كذلك، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى فى خَلْقِه أمرًا سمعه حَمَلةُ العرش، فسبّحوا فسبّح مَنْ تحتهم، فسبح لتسبيحهم مَنْ تحت ذلك فلا يزال التَّسبيحُ يهْبِط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فسبّحوا، ثم يقول بعضهم لبعض: مِمَّ سبّحتم؟ فيقولون: سبّح مَنْ فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم؛ فيقولون: ألا تسألون مَنْ فوقكم مِمَّ سبحوا؟ فيقولون مثل ذلك، حتى ينتهوا إلى حَمَلَةِ العرش، فيقال لهم: مِمَّ سبحتم؟ فيقولون: قضى الله فى خَلْقِه كذا وكذا، للأمر الذى كان؛ فيهبط به الخبرُ من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيتحدَّثوا به، فتسترِقُهُ الشياطين بالسمع، على توهّم واختلاف، ثم يأتوا به الكُهان من أهَل الأرض فيحدثوهم به، فيخطئون ويصيبون، فيتحدث به الكُهّانُ، فيصيبون بعضًا ويخطئون بعضًا. ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ

حَجَبَ الشياطين بهذه النجوم التى يقْذَفون بها، فانقطعت الكَهانة اليومَ، فلا كهانة»[١].

وروى ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب، مولى عثمان بن عفان، أنه حُدِّث أن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بينما هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ أقبل رجل من العرب داخلًا المسجد، يريدُ عمَر بن الخطاب، فلما نظر إليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعدُ، أو لقد كان كاهنًا فى الجاهلية. فسلّم عليه الرجل، ثم جلس، فقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له: فهل كنت كاهنًا فى الجاهلية؟ فقال له الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خِلْتَ فى، واستقبلتنى بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليتَ ما وليتَ؛ فقال له عمر: اللهُمَّ غفرًا، قد كنا فى الجاهلية على شرَّ من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام؛ قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنًا فى الجاهلية، قال: فأخبرنى ما جاءك به صاحبك قال: جاءنى قُبيل الإسلام بشهر أو شَيعه، فقال: ألم تَرَ إلى الجن وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولُحوقها بالقلاص وأحلاسها.

قال عبد الله بن كعب: فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدِّث الناس: والله إنى لعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش، قد ذبح له رجل من العرب عجلًا، فنحن ننتظر قَسْمه ليقسِم لنا منه، إذا سمعت من جوف العجل صوتًا ما سمعت صوتًا قط أنفذ منه، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شَيعِهِ: يقول يا ذَريح، أمرُ نَجيح، رجل يصيح، يقول: لا إله إلا الله[٢].

---

(١) صحيح. رواه أحمد فى «المسند» ١/ ٢١٨ (١٨٨٢)، وعبد بن حميد (٦٨٣)، والترمذى فى «السنن» (٣٢٢٤)، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢٣٨، عن الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس به.
ورواه مسلم (٢٢٢٩)، والبخارى فى «خلق أفعال العباد» (٤٦٩)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٧٢) والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢٣٦، وفى الأسماء (ص٢٠٣ و٢٠٤)، والطحاوى فى «المشكل» (٣/ ١١٣)، وأبو نعيم فى «الحلية» ٣/ ١٤٣، وأحمد (١٨٨٣) من طرق عن على بن الحسين به.

(٢) أصله فى «صحيح البخارى» (٣٨٦٦) من طريق ابن وهب: حدثنى عمر أن سالمًا حدثه عن عبد الله

فلما تقارب أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحضر مبعثه، حُجبت الشياطين عن السَّمع، وحيل بينها وبين المقاعد التى كانت تقعد لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله فى العباد[1].

روى البخارى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «انطلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذى حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذى حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تِهامة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا

= ابن عمر قال: «ما سمعت عمر لشىء قط يقول إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظن» ثم ذكره نحوه. وسيأتى فى إسلام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: (إبلاسها): أبلس الرجل إذا سكت ذليلًا أو مغلوبًا.

وقوله: (أياسها): من اليأس.

وقوله: (القلاص): القلاص الفتية من الإبل.

وقوله: (أحلاسها): جمع حلس، وهو كساء جلد يوضع على ظهر البعير، ثم يوضع عليه الرجل ليقيه من الدبر.

وقوله: (ذريح): لعله نداء للعجل المذبوح لقولهم: أحمرت ذريح أى شديد الحمرة، وقال الحافظ فى «الفتح» ٧/ ٢٢٠: «ودققت فى معظم الروايات التى أشرت إليها: »يا آل ذريح« وهم بطن مشهور فى العرب».

وفى «صحيح البخارى»: «فما نشبنا أن قيل: هذا نبى» قال الحافظ فى «الفتح» ٧/ ٢٢٠: «أى لم نتعلق بشىء من الأشياء حتى سمعنا أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد خرج، يريد أن ذلك كان بقرب مبعث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» اهـ.

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق ١/ ١١٣.

القرآن، تسمَّعوا له، فقالوا: هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء. فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدى إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدًا. وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن»[1].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل ذلك أحد دلائل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وعن سلمة بن سلامة بن وَقَش، وكان من أصحاب بدر، قال: «كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يومًا من بيته حتى وقف على بنى عبد الأشهل – قال سلمة: وأنا يومئذ من أحدث من فيه سنًّا، على بردة لى، مضطجع فيها بفناء أهلى – فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت؛ فقالوا له: ويحك يا فلان ! أو ترى هذا كائنًا، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ويجزون فيها أعمالهم؟ قال: نعم، والذى يحلف به، ولود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور فى الدار، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه، بأن ينجو من تلك النار غدًا؛ فقالوا له: ويحك يا فلان ! فما آية ذلك؟ قال: نبى مبعوث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده إلى مكة واليمن؛ فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إلىَّ، وأنا من أحدثهم سنًّا، فقال: إن يستنفد هذا الغلامُ عمره يدركه. قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدًا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو حى بين أظهرنا، فآمنا به، وكفر به بغيا وحسدًا. فقلنا له: ويحك يا فلان ! ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى، ولكن قال: ليس به»[2].

---

(١) رواه البخارى (٤٩٢١)، ويلزم الرجوع إلى قول الحافظ فى «الفتح» ٨/ ٥٣٨-٥٤٣ فهو مهم. وأخرجه مسلم فى صحيحه (١/ ٣٣١).

(٢) إسناده صحيح؛ رواه ابن إسحاق فى «السيرة»١/ ١١٧-١١٨، والإمام أحمد فى «المسند» (١٥٨٤١) ٣/ ٤٦٧، والبخارى فى «التاريخ الكبير» ٤/ ٦٨-٦٩، والطبرانى فى «الكبير» (٦٣٢٧)، والحاكم فى «المستدرك» ٣/ ٤١٧-٤١٨، وأبو نعيم فى «الدلائل» (٣٤)، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٧٨. وصحح الشيخ الألبانى فى إسناده فى «صحيح السيرة» (ص٥٩).

وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال لى: هل تدرى عَمَّ كان إسلام ثعلبة بن سَعْية وأُسيد بن سعية، وأسد بن عُبيد، نفر من بنى هَدَل إخوة بنى قُريظة، كانوا معهم فى جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم فى الإسلام؟ قال: قلت لا والله؛ قال: فإن رجلًا من يهود من أهل الشام، يقال له: «ابن الهيبان» قدم علينا قُبيل الإسلام بسنين، فحل بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلًا قط لا يصلى الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستسْقِ لنا؛ فيقول: لا والله، حتى تقدموا بين يدى مخرجكم صدقة؛ فنقول له: كم؟ فيقول: صاعًا من تمر، أو مدين من شعير. قال: فنخرجها ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقى الله لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحابُ ونسقى، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث. قال: ثم حضرته الوفاةُ عندنا، فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم؛ قال: فإنى إنما قدمت هذه البلدة أتوَكَّفُ خروج نبى قد أظل زمانه؛ وهذه البلدة مُهَاجره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلكم زمانُه، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسَفْكِ الدماء وسَبْى الذرارى والنساء ممن خالفه، فلا يمنعنكم ذلك منه، فلما بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحاصر بنى قُريظة، قال هؤلاء الفتية، وكانوا شبابًا أحداثًا: يا بنى قريظة، والله إنه للنبى الذى كان عَهِد إليكم فيه ابنُ الهَيبان؛ قالوا: ليس به؛ قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته، فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم»[1].

۞۞۞

(١) إسناده صحيح: رواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ١١٨ والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٨٠-٨١، وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص١٩)، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» ١/ ١٣١، وصحح الشيخ الألبانى إسناده فى «صحيح السيرة» (ص٦١).

فَصْلٌ

ومن بشائر نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ومن ذلك أيضًا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يمر على حجر أو شجر إلا سلَّم عليه قبل أن يبعث.

فعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنى لأعرف حجرًا بمكة كان يسلِّمُ على قبل أن أُبْعث، إنى لأعرفه الآن**»(١).

ومنها: الرؤيا الصادقة، وهى أول ما بُدئ به من الوحى، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: «أول ما بُدىء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مثل فلق الصبح»(٢)، فكان بين أول الوحى ونزول القرآن ستة أشهر، وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة تعنى جزءًا أو أحدًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، ولهذا جاء فى الحديثِ: «**الرؤيا الصادقة جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**»(٣).

ومن ذلك أيضًا: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حبب إليه العزلة والخلاء، والتحنث، فكان يعتزل قومه فى غار حراء وهو فى جبل حراء، ويطل الغار على الكعبة. فكان يمكث فيه الليالى ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزوَّد لذلك(٤)، حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء(٥).

---

(١) رواه الإمام مسلم فى «الصحيح» (٢٢٧٧)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص١٤١).

(٢) رواه البخارى (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(٣) رواه البخارى (٦٩٨٧) ومسلم (٢٢٦٤) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٤) أخرجه البخارى (٤٩٥٣) ومسلم (٢٥٢/ ١٦٠).

(٥) «السيرة النبوية الصحيح» د/ أكرم العمرى ١/ ١٢٣.

لأن الخلوة والبعد عن الناس كان بسبب أنه كره ما عليه الناس من عبادة الأوثان، وغير ذلك من أمور الجاهلية، فكان يخلو بغار حراء.

قال ابن أبى جمرة: «الحكمة فى تخصيصه بالتخلى فيه: أن المقيم فيه يمكنه رؤية الكعبة، فيجتمع لمن يخلو فيه ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر إلى البيت».

وقال **ابن حجر**: «وكأنه مما بقى عندهم من أمور الشرع على سنن الاعتكاف»[(1)].

ومن **ذلك أيضًا**: أنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل نزول الوحى عليه ظل مدة يسمع صوتًا ويرى نورًا، وحدَّث بذلك خديجة؛ فطمأنته.

فعن عمار بن أبى عمار، أن النبى صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال لخديجة: «إنى أرى ضوءًا، وأسمع صوتًا، وإنى أخشى أن يكون بى جنن»**، قالت: «لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله، ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت ذلك له، فقال: إن يك صادقًا فإن هذا ناموسُ مثل ناموس موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فإن بُعث وأنا حى فسأعزِّزهُ وأنصره وأومن به»[(2)].



(1) «الفتح» ١٢/ ٣٥٥، وذكر ابن إسحاق أن ذلك مما تحنث به قريش فى الجاهلية، وذكر ابن حجر: أن التحنث من بقايا ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن عبد المطلب كان يخلو فى غار حراء. قلت: وليس هذا بثابت فيما علمت. والله أعلم.

(2) أخرجه الإمام أحمد فى «المسند» (١/ ٣١٢) بسند صحيح، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

فَصْلٌ
فى حاجة الناس إلى رسول

بعد أن أظلت الأرض بالشر والشرك، وبعد أن نظر الله عَزَّوَجَلَّ إلى الناس فمقتهم عربهم وعجمهم كان الناس فى حاجة إلى رسول يدلهم على ربهم، ويرشدهم إليه، ويبلغهم مراد الله منهم.

وفى الحديث الشريف تصوير لهذا المعنى؛ فعن عياض بن حمار المجاشعى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذات يوم فى خطبته: **«ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا، كل مالٍ نحلته عبدًا حلالٌ[1]، وإنى خلقتُ عبادى حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم[2]، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرْتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانًا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلى بك، وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان، وإن الله أمرنى أن أُحرِّقَ قريشًا. فقلت: رب إذًا يثلَغُوا رأسى فيدعوه خبزة[3]، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فستنفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسةً مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك»[4].**

---

(١) والمراد إنكار ما حرَّموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامى، وغير ذلك، وأنها لم تصر حرامًا بتحريمهم، وكل مالٍ ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق. «شرح النووى على صحيح مسلم» ١٧/ ١٦٣.

(٢) أى استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم فى الباطل، وقال القاضى: اختالوهم، بالخاء المعجمة الفوقية: أى يحبسونهم عن دينهم ويصدونهم عنه. «شرح النووى على صحيح مسلم» ١٧/ ١٦٣.

(٣) أى يشدخوه ويشجوه كما يشد فى الخبز أو يكسر. «شرح النووى» ١٧/ ١٦٤.

(٤) أخرجه مسلم فى «الصحيح» (٦٣/ ٢٨٦٥) وأحمد فى «المسند» ٤/ ١٦٢، وابن ماجة (٤١٧٩) مختصرًا، عن عياض بن حمار المجاشعى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

باب البعثة النبوية

فصل في بدء الوحى

بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن أربعين سنة[1]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهى سن الكمال، قيل: ولها تبعث الرسل[2].

وثبت أن الوحى نزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما نزل يوم الاثنين، وهذا ما لا خلاف فيه. لما ورد فى «صحيح مسلم» وغيره عن أبى قتادة أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: **«ذاك يوم وُلتُ فيه، ويوم أُنزل على فيه»**. وغيره من الأحاديث الدالة على ذلك.

والمشهور أن نزول القرآن بدأ فى شهر رمضان، كما نص على ذلك القرآن والحديث؛ فأما القرآن فقوله -سبحانه-: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما الحديث فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشر ليلة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»**[3].

---

(١) انظر: «فتح البارى» ٦/ ٥٦٤ و٧/ ١٦٢ و٢٢٧ و١٠/ ٣٥٦، و«صحيح مسلم» مع الشرح ١٥/ ٩٩ و«السيرة النبوية» لابن إسحاق ١/ ١٢٩. وقال النووى: «هذا هو المشهور الذى أطبق عليه العلماء».
وقال السهيلى فى «الروض الأنف» ١/ ١٦١: «إن الصحيح عند أهل السيرة والعلم بالأثر» وما حكى خلاف ذلك فلا يلتفت إليه لحديث ابن عباس الذى رواه الشيخان والترمذى وأحمد: «أنزل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن أربعين سنة» وانظر: «تاريخ الطبرى» ٢/ ٢٩٠.

(٢) وما روى: «ما من نبى نبىء إلا بعد الأربعين» فإنه موضوع. حكاه الصالحى عن ابن الجوزى.

(٣) رواه أحمد فى «المسند» ٤/ ١٠٧ (١٧٠٣٤)، والبيهقى فى «الكبرى» ٩/ ١٨٨، والطبرانى فى «الكبير» ٢٢/ ٧٥ رقم (١٨٥)، وابن أبى حاتم ١/ ٣١٠ (١٦٤٩)، وابن جرير فى التفسير ٣/ ٤٤٦ برقم

فَصْلٌ

فى كيفية بدء الوحى إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وذكر أول شىء أنزل عليه من القرآن العظيم

بينما كان النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلس وحده فى الغار، حيث لا أنيس ولا جليس ولا حس ولا صوت هناك إلا صوت السكون والريح، وحيث لا وجود به للبشر ولا غيرهم، إذا به يفاجأ بنور يملأ المكان، ويدخل عليه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولنستمع إلى أم المؤمنين – عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وهى تبين لنا بدايات الوحى وكيفيته؛ قالت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «أول ما بُدِى به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه –وهو التعبد– الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارىء. قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منِّى الجهد ثم أرسلنى فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]. فرجع بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقال: «زملونى، زملونى». فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا[1]، إنك لتصل

= (٢٨١٤)، وإسناده حسن كما فى «الصحيحة» (١٥٧٥).

(١) قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من فقهها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فصاحب الأعمال الحميدة والعظيمة لا يخْزَى، وصدقت رحمها الله، فأصحاب الأعمال الحميدة فى الجاهلية والإسلام لهم فضل؛ خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا؛ فإذا أسلموا كتبت أعمال العظيمة التى كانت فى الجاهلية». اهـ.

الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى -ابن عم خديجة- وكان امرءًا تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخى، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذى نزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذعًا، ليتنى أكون حيًّا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِى هُمْ؟» قال: نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصُرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفى، وفتر الوحى[1].



(١) رواه البخارى (٣)، ومسلم (١٦٠) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويلزم الرجوع إلى «فتح البارى» و «شرح صحيح مسلم» للنووى، و «شرح صحيح البخارى» لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله و«سبل الهدى والرشاد» للصالحى الشامى جـ٢/ ٣١١-٣٣٧ فستجد فى هذه المواطن فوائد جمة.

فَصْلٌ

فى: إسلام خديجة رضي الله عنها وفضلها

إن مما لا ينبغى تجاوزه فى قصة بدء الوحى: موقف السيدة خديجة -رضي الله عنها- لما قال لها: «زملونى» قامت إليه فزملته، وأدفأتْهُ، ولم تلح عليه فى معرفة الخبر، حتى أخبرها، وهذا من الأدب الراقى، والنفسية السليمة المستقيمة للمرأة الصالحة فى تعاملها مع زوجها أوقات المحن والشدائد.

ولما قال لها فى بداية كلامه: «أى خديجة مالِ؟! لقد خشيتُ على نفسى» بادرته بقولها: «كلا والله ما يخزيك الله أبدًا»[١].

وإن المرء ليتملكه الإعجاب والدهشة والانبهار بهذه الجملة من تلك الرشيدة الموفقة أم المؤمنين خديجة -رضوان الله -تعالى- عليها.

إن هذه الجملة وحدها لتسكب على قلب الإنسان ثباتًا هو أحوج الناس إليه، إنها تطيب قلب من يرجف فؤاده، ويتزلزل جسده من هول موقف لا يعرف له تفسيرًا.

ثم برهنت على قولها بالأدلة؛ لتطمئن قلب الأمين أكثر، وإن هذا الكلام ليس مجاملة لزوجها بل هى الحقيقة فعلًا التى هى على يقين منها؛ ليزداد بذلك طمأنينة إلى طمأنينة وثباتًا على ثبات، فقالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، وتصدق الحديث، وتؤدى الأمانة.

ثم قامتْ به إلى ورقة بن نوفل ليفسر له ما رأى .... وكان ما كان من ورقة.

كان موقف خديجة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشرف المواقف التى تحمد

(١) متفق عليه: البخارى (٣) ومسلم (١٦٠) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

لامرأة فى الأولين والآخرين. طمأنته حين قلق، وأراحته حين جهد، وذكرتْهُ بما فيه من فضائل، مؤكدة له أن الأبرار أمثاله لا يخذلون أبدًا، وبهذا الرأى الراجح والقلب الواسع الصالح استحقت خديجة -أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن يحييها ربُّ العالمين؛ فيرسل إليها بالسلام مع الروح الأمين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **« يا رسول الله ! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»**[1].

إنها أقامت بيتًا للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه الهدوء والبركة والأمن والسلام يلقى فى خارجه غبار الصخب، وعناء النصب؛ فكتب الله لها بيتًا من قصب -(لؤلؤ مجوف)- فيه الراحة التامة، وفيه الرونق والجمال، فيلتقى فيه جمال المنظر بلطف الهدوء بعد اللغوب. والجزاء من جنس العمل[2].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة».

ومما جاء من الأحاديث في فضلها:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما غرت على امرأة للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجنى لما كنت أسمعه يذكرها وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب وإن كان ليذبح الشاة فيهدى فى خلائلها منها ما يسعهن»[3].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٦٠٩)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٢) «فى مدرسة السيرة» لفضيلة الشيخ محمد بن حسين يعقوب (ص١٤٣) بتصرف واختصار.

(٣) أخرجه البخارى (٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٥٢٢٩)، وهذا لفظه، ومسلم (٢٤٣٤) والترمذى (٣٨٧٥)، والنسائى فى الكبرى (٨٣٦٨)، وفى الفضائل (٢٥٨)، وابن ماجه (١٩٩٧)، وأحمد فى المسند (٢٤٣١٠)، وفى الفضائل (١٥٨٩)، وغيرهم.

وعن على رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خير نسائها مريم، وخيرُ نسائها خديجة**»[١].

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير نسائها**» أى خير كل من بين السماء والأرض من النساء.

وعند أبى يعلى بسند صحيح: «خير نسائها مريم بنت عمران- هى خير نسائها يومئذ- وخير نسائها خديجة بنت خويلد». وقيل المراد أن مريم خير نساء أهل الدنيا فى زمانها، وخديجة خير نساء هذه الأمة.

وقيل: إنهما خير نساء العالمين، أو خير نساء الأرض؛ كما عند الترمذى من حديث أنس يرفعه: «**حسبك من نساء العالمين...**» فذكر فيهم: «**خديجة، وفاطمة**» والحديث صحيح.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران...**»[٢].



---

(١) أخرجه البخارى (٣٠٣)، ومسلم (٢٤٣٠)، والنسائى فى الكبرى (٨٣٥٤)، وفى الفضائل (٢٤٩)، والترمذى (٢٤٣٠)، وأحمد (٦٤٠)، (١١٠٩)، وفى مواضع أخرى وفى الفضائل (١٥٨٠) وفى مواضع أخرى، وغيرهم.

(٢) أخرجه النسائى فى الكبرى (٨٣٦٤) بسند صحيح.

فَصْلٌ
فى فضل ورقة بن نوفل

وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الأسدى، ابن عم خديجة -رضي الله عنها- زوج النبى صلى الله عليه وسلم عدّهُ الطبرى والبغوى وابن السكن وابن قانع وغيرهم من الصحابة.

وجاء بإسناد فيه انقطاع عن أبى ميسرة عمرو بن شُرحبيل، وهو من كبار التابعين، أن ورقة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشر به عيسى بن مريم وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبى مرسل فذكر الحديث وفيه: فلما توفى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب بيض لأنه آمن بى**».

قلت فى سنده **انقطاع وإرسال**. وفيه عثمان بن عبد الرحمن ليس عند أهل الحديث بالقوى وردّ الذهبى تصحيح الحاكم له. ويعضده ما رواه الزبير بكار بسند جيد عن عروة بن الزبير قال: كان بلال لجارية من بنى جُمح، وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء لكى يشرك، فيقول: أحدٌ أحدٌ .. فمرَّ به ورقة وهو على تلك الحال فيقول: أحد أحد يا بلال، والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانًا.

وهو مرسل. لأن عروة بن الزبير، ليس فى عداد الصحابة، ويدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، حتى أسلم بلال.

فإن قيل: كيف نجمع بين هذا وبين ما ورد فى الصحيحين من حديث عائشة: «**ثم لم ينشب ورقة أن توفى**»قلنا: قال الحافظ: «والجمع بين هذا وبين حديث عائشة: أن يحمل قولها: «لم ينشب ورقة أن توفى» أى: قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر النبى صلى الله عليه وسلم بالجهاد».

وروى الحافظ أبو يعلى بإسناد حسن عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ سئل عن ورقة بن نوفل؟ فقال: «**قد رأيته؛ فرأيت عليه ثياب بيض، أبصرته فى بطنان الجنة، وعليه السندس**»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها **قالت**: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا ورقة؛ فإنى رأيتُ له جنة أو جنتين**»[2].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «قوله: (ثم لم ينشب ورقة أن توفى): أى توفى بعد هذه القصة بقليل، رحمه الله ورضى عنه؛ فإن مثل هذا الذى صدر عنه تصديق بما وجد وإيمان بما حصل من الوحى، ونية صالحة للمستقبل».



(١) قال الحافظ ابن كثير فى «السيرة النبوية» ١/ ٣٩٧: «إسناده حسن» وانظر: «سبل الهدى» ٢/ ٣٢٧.

(٢) أخرجه البزار والحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٤٠٩، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى «المجمع» ٩/ ٤١٦: «رواه البزار متصلاً ومرسلاً، ورجالهما رجال الصحيح.
وقال الحافظ ابن كثير فى «السيرة» ١/ ٣٦٨: «وهذا إسناد جيد». وصحح إسناده الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٧٣٢٠)، و«الصحيحة» (٤٠٥).

فَصْلٌ

فى فترة الوحى

قال الحافظ ابن حجر: «وفتور الوحى عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجده من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود»[1].

وليس بعجيب أن يزداد شوق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مناجاة ربه بعد أن تذوقها، واستضاءت روحه ببصيص الأنوار القدسية وتملى بها فإن: «من ذاق عرف، ومن حرم انحرف».

وإن لله من وراء تلك الفترة وذلك الاحتباس سر المربى القادر، والمؤدب الحكيم العليم بالنفوس وبواطنها، الخبير بالقلوب وتقلباتها، فإنه لما حصلت للرسول - صلوات الله وسلامه عليه - روعة عند نزول الملك عليه أولًا، وأخذته من الرجفة ما أخذته وظن نفسه هالكًا؛ فمن الحكمة الإلهية أن يترك بعد الدرس الأول حتى يهدأ روعه ويطمئن فؤاده، وينسى ذلك الرعب ويتبدد عنه ذلك الخوف، فيتذكر لذة ذلك اللقاء، وتتذوق روحه نشوة تلك المقابلة، فيقوى قلبه، ويثبت فؤاده ويتهيأ لقبول الرسالة، ويستعد لتلقى القول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ثم أراد الله أن يمنحه ما كان فى شوق إليه، وأن يؤتيه ما كانت تتوق نفسه إليه من ذلك الأنس الرحمانى والكشف الإلهى، والوحى الربانى، فكان لصدره فرجًا من ذلك الضيق ولنفسه فرجًا من تلك الساعة الحرجة فحمى الوحى وتتابع[2].

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ثمَّ فتر عنى الوحى فترة، فبينما أنا أمشى سمعتُ صوتًا من السماء، فرفعت بَصرى قبل السماء، فإذا الملكُ الذى جاءنى بحراء قاعدٌ على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت منه فرقًا حتى**

(١) «الفتح» (١/ ٣٦).

(٢) «ساعات حرجة فى حياة الرسول» (ص ١٧، ١٨) باختصار للأستاذ: عبد الوهاب حمودة.

هويتُ إلى الأرض، فجئت أهلى فقلتُ: زملونى زملونى؛ فدثرونى؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤) وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ (٥) وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ (٧)﴾ [المدثر: ١ - ٧] فحمى الوحى وتتابع»[١].

مدة فترة الوحى:

أما مدة فترة الوحى فكانت أيامًا، لما رواه ابن سعد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما يفيد أنها كانت أيامًا، وهذا الذى يترجح بل يتعين بعد إدارة النظر فى جميع الجوانب، وأما ما اشتهر من أنها دامت طيلة ثلاث سنين، أو سنتين ونصف، فلا يصح بحال، وليس هذا موضع التفصيل فى رده، وقد بقى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى أيام الفترة كئيبًا محزونًا تعتريه الحيرة والدهشة[٢].

أما ما ذكره ابن إسحاق من سبب نزول سورة الضحى من طريق العوفى، وهو ضعيف، وعن ابن عباس؛ ومن طريق إسماعيل مولى آل الزبير، قال الحافظ: كل هذه الروايات لا تثبت بحال. وقد فصلت فى كتابى الآخر «ضعيف السيرة..».

ويخالفهما ما رواه الشيخان فى سبب نزولها عن جندب بن سفيان البجلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم يقربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ إلى آخر السورة[٣].

قال الحافظ: والحق أن الفترة التى فى سبب نزول سورة الضحى غير الفترة المذكورة فى ابتداء الوحى فإنها دامت أيامًا وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثًا، فاختلطتا على بعض الرواة، وتحقيق الأمر ما بينته[٤].

---

(١) رواه البخارى (٤)، ومسلم (١٦١) ومعنى قوله: «فجئثت»: أى فزعتُ.

(٢) «الرحيق المختوم» للمباركفورى (ص ٧٩ - ٨٠).

(٣) رواه البخارى (١١٤٢)، وانظر أطرافه هناك، ورواه مسلم (١١٤، ١١٥، ١٧٩٧)، والترمذى (٢٣٤٢)، بمعناه وقال: حسن صحيح، والنسائى فى «الكبرى» (١١٦٨١) وأحمد فى «المسند» (٤/ ٣١٣) (١٨٨٥٨)، والطبرى فى «التفسير» (٣٠/ ٢٣١).

(٤) «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ٣٦٧)، وتفسير الحافظ ابن كثير (سورة الضحى)، وكلام الحافظ فى

فَصْلٌ
فى مراتب الوحى

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يذكر مراتب الوحى وأقسامه:

إحداها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[(١)].

الثانية: ما كان يلقيه الملك فى رُوَعِه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند لا ينال إلا بطاعته»**[(٢)].

الثالثة: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتمثل له الملك رجلًا، فيخاطبهُ حتى يعى عنه ما يقول له، وفى هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانًا[(٣)].

الرابعة: أنه كان يأتيه فى مثل صَلْصَلَةِ الجرس، وكان أشده عليه، فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصَّدُ عرقًا فى اليوم الشديد البرد[(٤)] وحتى إن راحلته لتبرك به إلى

= «الفتح» (١/ ٣٦) حديث رقم (٣، ٤)، راجع: «سبل الهدى...».

(١) كما فى «صحيح البخارى» (٣)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) صحيح بشواهده، أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٨/ ١٦٦)، وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٢٨٦٦) وساق شواهده هناك.

(٣) كما فى الحديث الذى رواه مسلم (٨)، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه أبو داود (٤٦٩٥)، والترمذى (٢٦١٠)، والنسائى (٨/ ٩٧)، وابن ماجه (٦٣)، والإمام أحمد (٨/ ٢٧)، و (٥١ و ٥٢ و٥٣)، وابن منده فى الإيمان (١) - (١٤)، والطيالسى (ص ٢٤)، وابن حبان (١٦٨) و(١٧٣)، وأبو يعلى (٢٤٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٦٩ - ٧٠)، وغيرهم.

وروى النسائى وغيره بإسناد صحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «كان جبريل يأتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى صورة دحية الكلبى».

(٤) كما فى «صحيح البخارى (٢)، ومسلم (٢٣٣٣)، والنسائى (٢/ ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٩) فى الافتتاح

الأرض إذا كان راكبها[1]، ولقد جاءه الوحى مرة كذلك، وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضُّها[2].

الخامسة: أنه يرى الملك فى صورته التى خلق عليها، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك فى (سورة النجم: ٧-١٣)[3].

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة مَلَكٍ، كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هى ثابتة لموسى قطعًا بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ هو فى حديث الإسراء.

الثامنة: وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهى تكليم الله له كفاحًا من غير حجاب، وهذا على مذهب من يقول: إنه ﷺ رأى ربه تبارك وتعالى، وهى مسألة خلاف بين السلف والخلف، وإن كان جمهور الصحابة؛ بل كلهم مع عائشة رضي الله عنها كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى إجماعًا للصحابة[4].

۞۞۞

= باب جامع ما جاء فى القرآن، والترمذى (٣٦٣٨)، وأحمد (٢٥٢٩١)، ومالك (١/ ٢٠٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) أخرج الإمام أحمد فى «المسند» (٦/ ١١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته، وضعت جرانها، فلم تستطع أن تتحرك، وصححه الحاكم (٢/ ٥٠٥) ووافقه الذهبى وله شاهد من حديث أسماء بنت يزيد عند أحمد (٦/ ٤٥٥) وآخر من حديث عبد الله ابن عمرو فى «المسند» أيضًا.

(٢) كما فى «صحيح البخارى» فى «التفسير» من حديث زيد بن ثابت.

(٣) كما فى «صحيح مسلم» (١٧٧) وغيره عن عائشة.

(٤) «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ٧٨) فما بعدها. وفى مسألة الرؤية انظر: «رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها» وأحمد بن ناصر آل حمد.

فَصْلٌ
فى ابتداء فرض الصلاة

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «افترضت الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين، كل صلاة؛ ثم إن الله تعالى أتمها فى الحضر أربعًا، وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين»[1].



(١) صحيح: رواه البخارى (٣٥٠)، و (١٠٩٠)، و(٣٩٣٥)، ومسلم (٦٨٥)، وأبو داود (١١٩٨)، والنسائى (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦)، ومالك فى «الموطأ» (١/ ١٤٦)، وأحمد (٢٦٣٣٨)، والدارمى (١٥٠٩)، والطحاوى فى «المشكل» (٤٢٦١ و ٤٢٦٢)، وفى «المعانى» (١/ ٤٢٢)، وابن حبان (٢٧٣٦)، والبيهقى فى «السنن» (١/ ٣٦٢)، وفى «الدلائل» (٢/ ٤٠٦) وغيرهم من طرق عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



فى السابقون الأولون

فَصْلٌ

فى إسلام على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قال ابن إسحاق: ثم كان أول من ذكر من الناس آمن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصلى معه، وصدَّق بما جاءه من الله تعالى على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذٍ ابن عشر سنين[1].

وكان مما أنعم الله به على علىّ بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان فى حِجْر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الإسلام[2].

وعن بريدة الأسلمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«أوحى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين، وصلى على يوم الثلاثاء»**[3].

---

(١) كما فى «مسند الإمام أحمد» (٤/ ٣٦٨و ٣٧١)، «سنن الترمذى» (٣٧٣٥)، و«الطبقات» لابن سعد (٣/ ٢١ و ١٧١)، و«السنن الكبرى» للنسائى (٨١٣٧و ٨٣٩٣)، و«الأوائل» للطبرانى (٥٣)، وغيرهم عن زيد بن أسلم قال: «أول من أسلم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإسناده صحيح كما قال الشيخ الألبانى فى «صحيح السيرة» (ص ١١٨) ويشهد له حديث ابن عباس قال: «أول من أسلم على بعد خديجة» رواه ابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ٢١) بسند حسن كما قال الشيخ الألبانى فى «صحيح السيرة».

(٢) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (١/ ١٣٧).

(٣) رواه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ١١٢) وصححه، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى وهو كما قالا.

ومن حديث عفيف الكندى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت امرءًا تاجرًا، فقدمت الحج، فأتيت العباس بن عبد المطلب لابتاع منه بعض التجارة، وكان امرءًا تاجرًا، فوالله إنى لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رآها مالت، قام يصلى، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذى خرج ذلك الرجل منه، فقامت خلفه تصلى، ثم خرج غلام حين ناهز الحلم من ذلك الخباء، فقام معه يصلى.

قال: فقلت للعباس: يا عباس ما هذا؟ قال: هذا محمد ابن أخى عبد الله بن عبد المطلب قال: قلت: من هذه المرأة؟ قال: هذه امرأته خديجة بنت خويلد. قال: فقلت من هذا الفتى؟ قال: هذا على بن أبى طالب ابن عمه.

قال: قلت: فما هذا الذى يصنع؟ قال: يصلى، وهو يزعم أنه نبى، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر.

قال: فكان عفيف وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول: وأسلم بعد فحسن إسلامه: لو كان الله رزقنى الإسلام يومئذ، فأكون ثانيا مع على بن أبى طالب[1].



(١) رواه أحمد (١/ ٢٠٩ - ٢١٠)، والحاكم فى «المستدرك (٣/ ١٨٣)، وقال «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى، وابن سعد فى «الطبقات» والنسائى فى «الخصائص» (١٧ - ١٨) والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٢١٢ - ٢١٣)، والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٧٤/ ٤/ ١ - ٧٥)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ١٠٣)، رواه أحمد بنحوه، والطبرانى ورجال أحمد ثقات، وانظر مسند أبى يعلى (١٥٤٧).

فَصْلٌ

فى إسلام زيد بن حارثة ثانيًا

هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر ابن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف ابن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وَبْرَة وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق، فيهم زيد بن حارثة وصيف، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهى يومئذ عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لها: اختارى يا عمة أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيدًا، فأخذته، فرآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندها فاستوهبه منها، فأعتقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتبناه، وذلك قبل أن يوحى إليه، وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعًا شديدًا، وبكى عليه حين فقده، ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن شئت فأقم عندى، وإن شئت فانطلق مع أبيك!، فقال: بل أقيم عندك، فلما نزل عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بعثه الله فصدقه وأسلم، وصلى معه، فلما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٥]، قال: أنا زيد بن حارثة [(١)].

قال ابن إسحاق: ثم أسلم زيدُ بن حارثة، مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أول ذكر أسلم، وصلى بعد على بن أبى طالب.

---

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (١/ ١٣٩) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٢٧٤): «وإسناده حسن» راجع الطبقات لابن سعد (٣/ ٤٢)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٥٧٤) و«الكبير» للطبرانى (٤٦٥١)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ١٣٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩/ ٣٤٦ - ٣٤٨)، فقد رويت هذه القصة بألفاظ لكن روى البخارى فى «الصحيح» (٤٧٨٢) الجزء الأخير من طريق سالم عن أبيه قال: «إن زيد بن حارثة - مول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن، ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾، وأخرجه مسلم (٢٤٢٥)، والترمذى (٣٢٠٩)، و(٣٨١٤) والنسائى فى «التفسير» (٤١٦) من طريق موسى بن عقبة قال: حدثنا سالم، عن عبد الله بن عمر - ثم ذكره.

فَصْلٌ
فى إسلام أبى بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى[١] ويلتقى مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى النسب فى الجد السادس مرة بن كعب، ويكنى بأبى بكر، ويلقب بالعتيق؛ لقبه به النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد قال له: «**أنت عتيق الله من النار**»[٢] فسمى عتيقًا، ولقب بالصديق، لقبه به النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففى حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد أحدًا وأبو بكر وعمر، وعثمان، فوجف بهم، فقال: «**اثبت أحد، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان**»[٣] وكما فى حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فى قصة الإسراء والمعراج، وتصديق أبى بكر للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسمى أبو بكر الصديق[٤].

ولما دعاه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام، وقال له: «**إنى رسول الله ونبيه، بعثنى إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته**» أسلم الصديق ولم يتلعثم، وتقدم ولم يتأخر، وعاهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نصرته، فقام بما تعهد، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حقه: «**إنَّ الله بعثنى إليكم فقلتم كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لى صاحبى؟**» مرتين[٥].

وفى «الصحيح» من حديث عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رأيتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) «الإصابة» لابن حجر (٤/ ١٤٤ - ١٤٥).

(٢) رواه الترمذى (٣٦٧٩)، فى «المناقب»، وابن حبان فى «صحيحه» (١٥/ ٢٨٠-إحسان)، بإسناد صحيح، وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٥٧٤).

(٣) أخرجه البخارى كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٦٧٥).

(٤) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٦٢ - ٦٣) وصححه وأقره الذهبى.

(٥) رواه البخارى فى «الصحيح» - فضائل الصحابة (٣٦٦١) و(٤٦٤٠) عن أبى الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وما معه إلا خمس أعبد، وامرأتان، وأبو بكر»[١].

وفى هذا الحديث دليل على أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقًا.

وهو قول ابن عباس، وإبراهيم النخعى، ومحمد بن كعب، ومحمد بن سيرين، وسعد بن إبراهيم، وهو المشهور عند جمهور أهل السنة[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: فكان حائز قصب سبقهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وآزره فى دين الله، ودعا معه إلى الله على بصيرة، ... وأما على فأسلم صغيرًا ابن ثمانى سنين، وقيل: أكثر من ذلك.

فقيل: أنه أسلم قبل أبى بكر، وقيل: لا، وعلى كل حال؛ فإسلامه ليس كإسلام الصديق؛ لأنه كان فى كفالة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخذه من عمه إعانة له على سنة محل»[٣].

ويقول - أيضًا - رَحِمَهُ اللَّهُ فى الجمع بين القول القائل بأن عليا أول من أسلم من الذكور، والقائل: أنا أبا بكر أول من أسلم: يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أبا بكر أول من أسلم من الرجال - الأحرار، وعليا أول من أسلم من الصبيان، وخديجة أول من أسلمت من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى»[٤].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم، إذ كان صدرًا معظمًا، ورئيسًا فى قريش مكرمًا، وصاحب المال وداعية إلى الإسلام، وكان محببًا متألفًا يبذل المال فى طاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» .اهـ.

---

(١) رواه البخارى فى «الصحيح» (٣٦٦٠) عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: «سنن الترمذى» (المناقب) باب مناقب على (٣٧٣٥) و«السيرة» لابن كثير (١/ ٤٣٥) و«الفتح» (٧/ ٢٤)، و«فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١/ ٢٢٣) فما بعدها.

(٣) «الفصول» (ص ٥٥).

(٤) انظر: «السيرة» له (١/ ٤٣٧)، و«صحيح السيرة» للشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٩٩) و«تاريخ الطبرى» (٢/ ٣١٦).

نبذة من فضائل أبى بكر

وهذه نبذة من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١ - أخرج البخارى فى صحيحه (ح/ ٤٦٧) حدثنا عبد الله بن محمد الجعفى قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبى قال: سمعت يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إنه ليس من الناس أحد أمن على فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة ولو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن خلة الإسلام أفضل سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر**»[1] صحيح.

٢ - حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار قال خالد الحذاء حدثنا عن أبى عثمان قال: حدثنى عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت أى الناس أحب إليك ؟ قال: «**عائشة**». فقلت من الرجال ؟ فقال: «**أبوها**» قلت ثم من؟ قال: «**عمر بن الخطاب**». فعد رجالا»[2].

٣ - حدثنى أحمد بن جعفر المعقرى حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شداد بن عبدالله أبو عمار ويحيى بن أبى كثير عن أبى أمامة (قال عكرمة ولقى شداد أبا أمامة وواثلة وصحب أنسا إلى الشام وأثنى عليه فضلا وخيرا) قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١/ ٢٧٠، ٣٥٩)، وفى فضائل الصحابة (٦٧)، والنسائى فى فضائل الصحابة (١) وابن أبى عاصم فى السنة (١٢٢٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى في صحيحه (ح/ ٣٦٦٢)، ومسلم(٢٣٨٤)، والترمذى (٣٨٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد فى فضائل الصحابة (٢١٤) وابن أبى عاصم فى السنة (١٢٣٥) وعبد بن حميد فى المنتخب بتحقيق مصطفى العدوى (٢٩٥) والنسائى فى فضائل الصحابة (٥).

راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفيا جرءاء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**» فقلت: وما نبي؟ قال: «**أرسلني الله**» فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «**أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**» قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «**حر وعبد**» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به.

٤-حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا زيد بن واقد عن بسر بن عبيد الله عن عائذ الله أبي إدريس عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي ﷺ: «**أما صاحبكم فقد غامر**». فسلم وقال: يا رسول الله إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**». ثلاثا ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل أثم أبو بكر فقالوا لا فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي ﷺ «**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق . وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي**». مرتين فما أوذي بعده[(١)].

٥-أخرج البخاري في صحيحه (ح/ ٣٦٧٥): حدثني محمد بن بشار حدثنا يحيى عن سعيد عن قتادة أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم: أن النبي ﷺ صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: «**اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[(٢)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري أيضًا (٤٦٤٠)، وأحمد في فضائل الصحابة (٢٩٧).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٥١)، والترمذي (٣٦٩٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في فضائل الصحابة (٣٢)، وأحمد (٣/ ١١٢)، وفي فضائل الصحابة (٢٤٦)، وأبو يعلى (٥/ ٢٨٩-٢٩٠).

٦-أخرج البخارى فى صحيحه برقم (٣٦٦٦): حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب** - يعنى الجنة - **يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان**». فقال أبو بكر: ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر**»[1].

٧-أخرج البخارى فى صحيحه برقم (٤٠٧٧): حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] قالت لعروة يا ابن أختى كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: «**من يذهب فى إثرهم**» . فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم أبو بكر والزبير».

٨-أخرج البخارى فى صحيحه (ح/ ٦٧٨): حدثنا إسحاق بن نصر قال حدثنا حسين عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال حدثنى أبو بردة عن أبى موسى قال: مرض النبى ﷺ فاشتد مرضه فقال «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» . قالت عائشة إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس . قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**». فعادت فقال: «**مرى أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف**». فأتاه الرسول فصلى بالناس فى حياة النبى ﷺ.

٩-أخرج البخارى فى صحيحه (ح/ ٣٦٥٩): حدثنا الحميدى ومحمد بن عبد

---

(١) صحيح: وأخرجه مسلم (١٠٢٧)، والترمذى (٣٦٧٤)، وعزاه المزى فى الأطراف للنسائي، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٦٨) وابن أبى شيبة (١٢٠١٣).

الله قالا حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت قال ﷺ: «**إن لم تجدينى فأتى أبا بكر**».

١٠- أخرج مسلم فى صحيحه (ح/ ٢٣٨٧):حدثنا عبيدالله بن سعيد حدثنا يزيد ابن هارون أخبرنا إبراهيم بن سعد حدثنا صالح بن كيسان عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه: «**ادعى لى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**».

١١- أخرج البخارى فى صحيحه (ح/ ٣٦٦٤): حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهرى قال أخبرنى ابن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: « **بينا أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن**».



فَصْلٌ

فى ذكر الصحابة الذين أسلموا بدعوة أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليهم

لما دعى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر إلى الإسلام - ما تلعثم ولا تأخر، بل أسلم على الفور، وفور إسلامه تحرك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى دعوته إلى الإسلام، فاستجاب له صفوةٌ من خيرة الشباب وهم:

عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان فى الرابعة والثلاثين من عمره.

عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان فى الثلاثين من عمره.

سعد بن أبى وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان فى السابعة عشرة من عمره.

الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان فى الثانية عشرة من عمره.

طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان فى الثالثة عشرة من عمره.

وهؤلاء الخمسة الأبطال رضوان الله عليهم كانوا أول ثمرة من ثمار الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاهم إلى الإسلام فاستجابوا، وجاء بهم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرادى فأسلموا بين يديه، فكانوا الدعامات الأولى التى قام عليها صرح الدعوة إلى الله، وكانوا العدة الأولى فى تقوية جانب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبهم أعزه الله وأيده.



فَصْلٌ

فى إسلام الدفعة الثانية

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد ابن عمة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برة بنت عبد المطلب، وأخو النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاع، والأرقم بن أبى الأرقم، وعثمان بن مظعون وأخواه: قدامة وعبد الله، وعبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامرأته فاطمة بنت الخطاب - أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبى بكر، وعائشة بنت أبى بكر، وهى يومئذ صغيرة، وخباب بن الأرت، وعمير بن أبى وقاص، أخو سعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن مسعود، ومسعود القارى، وسليط بن عمرو بن عبد شمس، وأخوه حاطب، وامرأته أسماء بنت سلامة، وخُنيس بن حذافة، وعبد الله بن جحش، وأخوه أحمد بن جحش، وجعفر بن أبى طالب، وامرأته أسماء بن عميس، وحاطب ابن الحارث وامرأته فاطمة بنت المجلل، وأخوه خطاب، وامرأته فُكيهة بنت يسار، ومعمر بن الحارث، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أزهر، وامرأته رملة بنت أبى عوف، والنحام واسمه: نُعيم بن عبد الله بن أُسيدن وعامر بن فهيرة، مولى الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وخالد بن سعيد بن العاص، وامرأته أُميْنة بنت خلف بن أسعد، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس، وأبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة، ووافد بن عبد الله بن عبد مناف، وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البُكير بن عبد ياليل، وعمار بن ياسر، وأبوه وأمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وصُهيب بن سنان، يقال أنه رومى، قال بعض من ذكر أنه من النَّمِرِ بن قاسط: إنما كان أسيرًا فى أرض الروم، فاشترى منهم[١].

---

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (١/ ١٤٠ - ١٤١) بتصرف واختصار، وانظر: «السيرة النبوية الصحيحة» د/ أكرم العمرى (١/ ١٣٣ - ١٤٠) وفى قصة إسلام بعضهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ انظر: «صحيح السيرة النبوية» للشيخ العلامة الألبانى (ص ١١٥ - ١٣٣).

أسلم كل هؤلاء وما زالت الدعوة فى مرحلتها السرية، ولم يجهر بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعد وبدأ الإسلام فعلًا يغزو بيوتات كبار كفار قريش، فيصبح له شوكة، وظل الأمر سرًّا ويتسرب ببطءٍ، ولكن بقوة وعفوية، وأثناء تلك الأخبار نزلت سورة المدثر تنبه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أنه أصبح مسئولًا مسئولية مباشرة عن تحويل مجرى التاريخ وإصلاح العالم.

تنبيه:

تحديد الدعوة السرية بثلاث سنين لم يثبت:

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان بين ما أخفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره، واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه...»[١].

هكذا ذكره دون إسناد... وروى هذا التحديد أيضًا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد ابن عمر... عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: «... فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفيا إلى أن أمر بظهور الدعاء»[٢].

قلت: ومحمد بن عمر - هو الواقدى، وهو متروك، والقاسم تابعى.

وروى البلاذرى عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرًّا أربع سنين»[٣].

ولا ريب أن الدعوة كانت سرية فى بداية الأمر، لكن تحديدها بثلاث سنين أوأربع، لم يثبت، وبالتالى فإن بناء أحكام شرعية عليها بهذا التحديد، لا دليل عليه، والله أعلم[٤].

---

(١) «السيرة النبوية» (١/ ١٤٣).

(٢) «الطبقات الكبرى» (١/ ١٩٩).

(٣) «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ٣٢٢).

(٤) «ما شاع ولم يثبت» (ص ٢٩) محمد العوش.



مرحلة الجهر بالدعوة

فَصْلٌ

فى قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾

وقوله: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الصفا فجعل ينادى: «**يا بنى فهر يا بنى عدى**» - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنت مصدقى؟**» فقالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «**فإنى نذير إليكم بين يدى عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ١ - ٢][1].

وعن أبى هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ قال: «**يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أغنى عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلينى ما شئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئًا**»[2].

---

(١) رواه البخارى (٤٧٧٠) وانظر أطرافه هناك، ومسلم (٢٠٨) وأحمد فى «المسند» (١/ ٢٨١) الفتح الربانى وابن جرير فى «التاريخ» (٢/ ٢١٦).

(٢) رواه البخارى (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٤) والترمذى (٣١٨٥) والنسائى (٣٦٢٤ و ٣٦٢٥)، وأحمد =

فَصْلٌ

فى السمات البارزة لهذه المرحلة

كان من السمات البارزة لهذه المرحلة الجديدة:

السمة الأولى: كثرة الإيذاء واشتداد البلاء على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

السمة الثانية: مواجهة الدعوة بشتى الأساليب لصد الناس عنها، وتنفيرهم عنها.

السمة الثالثة: كثرة العروض على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل المساومة على الحق الذى يدعو إليه، وعدم قبول النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشىء من التنازلات.

السمة الرابعة: اهتمام النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتربية العقيدة الصحيحة وصقل قلوب الصحابة بالقيام والصيام وتلاوة القرآن.

السمة الخامسة: تربية النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة على الصبر على الإيذاء، وعدم الانتصار للنفس والإعراض عن الجاهلين.

السمة السادسة: تبشير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنصر والتمكين وهم يعانون أشد ألوان العذاب.

ولما كانت هذه المرحلة بعينها هى المرحلة التى تعيشها الدعوة فى هذه الأزمان فى جل بلاد الأرض، نسأل الله أن يعيننا على إلقاء الضوء عليها وأخذ العبرة منها، لعل شباب الصحوة يتضح له الطريق إلى العزة والتمكين، ويتبع هدى سيد الأولين والآخرين فقد قال إمام دار الهجرة رَحِمَهُ اللَّهُ لا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح

= فى «المسند» (٢/ ٣٣٣ - ٥١٩) وانظر تعليق الحافظ ابن حجر على الحديث وبيانه من «الفتح» (٨/ ٣٦١ - ٣٦٢).

عليه أمر أولها، وسنن الله عَزَّوَجَلَّ فى عباده واحدة لا تتغير ولا تتبدل: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب: ٦٢]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: ٤٣].

فإن الجميع يتساءل: كيف السبيل إلى عز الإسلام والمسلمين؟

ومتى يصل المسلمون المخلصون إلى الأمل المنشود والوعد الموعود وهو سعادة الناس فى ظل التحاكم إلى شريعة ربهم عَزَّوَجَلَّ، وتخلصهم من أحكام الكفر وشرائعه، واختلفت الأجوبة على هذا السؤال بلسان الحال والمقال، فمنهم من يزعم أنه لا بد من الوصول إلى الجاه والسلطان ودخول البرلمان، ومنهم من يزعم أن السبيل هو جمع المال والتحكم فى الاقتصاد، ومنهم من يزعم أن الوصول إلى هذا الهدف بمعركة خاطفة سريعة، وفى عشية أو ضحاها يتم التوصل إلى الهدف المنشود، ومنهم من لا يهدف لذلك أصلًا، بل يظن أن الدعوة الإسلامية هى دعوة إصلاحية لإصلاح أخلاق الناس ومعاملاتهم، وغاية أمرهم أن يقيم الناس الصلاة ويؤدوا الزكاة ويصوموا رمضان ويحجوا البيت، وليس عندهم استعداد أصلًا للتضحية حتى ترتفع راية لا إله إلا الله، وحتى ينزاح الشر والشرك، وتنعم البشرية مرة ثانية بحكم ربها عَزَّوَجَلَّ.

واختصارًا وقبل أن نفصل سمات مرحلة جهر النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة وتسفيه أحلام المشركين وسب آلهتهم حتى يظهر النهج النبوى الواضح، ونقف على المحجة البيضاء التى تركنا عليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقول: إن طريق البرلمان ليس حلًّا إسلاميًّا صحيحًا لأن ذلك لا يكون إلا بكثير من التنازلات والمهاترات السياسية والمداهنة فى أعظم قضية فى هذا الدين، وهى قضية التوحيد التى هى لُبُّ الدين الذى أرسل به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل وسائر الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥].

فليس طريق البرلمان طريقًا إلى عز الإسلام والمسلمين، فكيف السبيل إذن؟

هل هو جمع الأموال وتأسيس الشركات الإسلامية لجمع أسباب العزة؟ ولعل أصحاب هذا الفكر غرهم سيطرة اليهود - عليهم لعائن الله - على سياسة بعض الدول الكبرى نتيجة لتحكمهم فى اقتصاديات تلك الدول، فظنوا أن المسلمين سيصيرون أعزة بجمع المال والتحكم فى الاقتصاد، وغفلوا عن قول النبى ﷺ: «**واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس**»(١).

وقوله ﷺ: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح الدنيا عليكم كما فتحت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**»(٢).

وغفلوا كذلك عن قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «كنا أذل الناس، فأعزنا الله برسوله، فمهما طلبنا العزة بغيره أذلنا الله عَزَّ وَجَلَّ».

فهذه الأمة لا يمكن أن تكون عزيزة إلا باتباع دينها وعظيم أمر ربها، فما السبيل إذن؟هل هو سبيل الانقلابات العسكرية والعمليات الانتحارية،وفى سويعات معدودة يتم التمكين للإسلام والمسلمين، ومن تدبر دعوة النبى ﷺ، بل وجميع الأنبياء قبله يعلم علمًا يقينيًّا أن هذا الطريق ليس طريق الأنبياء، وأن هذا السبيل مخالف للسنن الشرعية والكونية، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ فلا بد من انتشار الدعوة وإصلاح قلوب الناس وجوارحهم بالتوحيد وطاعة الشرع المجيد، هذا رسول الله ﷺ بقى فى مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو للتوحيد، ويربى أصحابه بقيام الليل وسائر العبادات، ويتحمل معهم أشد ألوان التعذيب والاستهزاء، وسوف نسوق بإذن الله شيئًا من ذلك فى موضعه حتى يتبين لإخواننا كيف تبدأ الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

لما بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية قالوا: لو شئت لملنا على أهل الوادى

---

(١) حسن بشواهده؛ حسنه الألبانى رحمه الله لشواهده - كما فى «الصحيح» (١٩٠٣).

(٢) أخرجه البخارى وغيره.

فقتلناهم دفعة واحدة، فقال ﷺ «إنى لم أومر بذلك»، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧].

هل أصحاب هذا الفكر أغير على الدين من سيد الأولين والآخرين؟ كيف كان النبى ﷺ بمكة عندما جهر بالدعوة؟ وكيف كان حال الصحابة الكرام؟ كيف ربى النبى ﷺ أصحابه؟ كيف مهد النبى ﷺ لإقامة الدولة المسلمة بالمدينة؟

هذا ما ينبغى أن يتعلمه الشباب المسلم المخلص، حتى لا يضيع سعيهم ويضمحل أمرهم، دون مصلحة شرعية، وهذا ما نرجو أن يظهر جليا بإذن الله تعالى وتوفيقه فى دراسة هذا الفصل من السيرة النبوية، ولنشرع فى بيان السمات التى تميزت بها هذه المرحلة والله المستعان[١].



(١) «وقفات تربوية» د/ أحمد فريد - حفظه الله تعالى - على طاعته (ص ٧٥ - ٧٨).

فَصْلٌ

فى بيان السمة الأولى لهذه المرحلة

(كثرة الإيذاء واشتداد البلاء على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام)

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلا جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغنى شيئًا لو كانت لى منعة. قال: فجعلوا يضحكون يميل بعضهم على بعض، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فشق عليهم إذا دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ثم سَمى «**اللهمَّ عليك بأبى جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط**» وعد السابع فلم نحفظه، قال: «فوالذى نفسى بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صرعى فى القليب، قليب بدر»(١).

وعن **عروة بن الزبير** قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون بالنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا فى الحجر، فذكروا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آبائنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا.

---

(١) رواه البخارى (٥٢٠) و (٣٨٥٤) ومسلم (١٧٩٤)، وأحمد فى «المسند» (٢٠/ ٢١٨) «الفتح الربانى».

قال: فبينما هم كذلك إذا طلع عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقبل يمشى حتى استلم الركن، ثم مرَّ بهم طائفًا بالبيت فلما أن مرَّ بهم غمزوه ببعض ما يقول فعرفت ذلك فى وجهه ثم مضى فلما مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «**تسمعون يا معشر قريش، أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح**»، فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة من قبل ذلك ليرفأه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدًا، فوالله ما كنت جهولًا.

قال: فانصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم فى ذلك، إذ طلع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا، كما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**نعم أنا الذى أقول ذلك**»، قال: فلقد رأيت رجلًا منهم أخذ بمجمع ردائه. قال: وقام أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلًا أن يقول: ربى الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشًا بلغت منه[1].

وعن **عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال:** «كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأبو بكر، وعمَّار، وأمه سُميَّة، وصُهيب، وبلال، والمقداد. فأمَّا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمنعه الله بعمه أبى طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه،

---

(١) رواه البخارى (٣٦٧٨) مختصرًا، وأشار إلى رواية ابن إسحاق هذه، وقال: وصله أحمد عن طريق إبراهيم بن سعد وانظر أطرافه عند البخارى (٣٨٥٦، ٤٨١٥)، ورواه أحمد فى المسند (٢/ ٢١٨) بإسناد صحيح، صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، ورواه البيهقى فى «الدلائل» (١٢/ ٢٧٤)، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ١٦)، رواه أحمد وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال أيضًا: فى الصحيح طرف منه اهـ. ويلزم الرجوع إلى شرح الحافظ ابن حجر له فى الفتح (٧/ ٢٠٥).

وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم فى الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلَّا بلالًا، فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد»[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فى قصة إسلام أبى ذر، فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارجع إلى قومك، فأخبرهم حتى يأتيك أمري**». قال: والذى نفسى بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه، وأتى العباس فأكب عليه، قال: ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه، وثاروا إليه، فأكب العباس عليه»[2].



---

(١) رواه ابن ماجه فى السنن المقدمة (١٥٠)، وقال البوصيرى فى الزوائد: إسناده رجاله ثقات، ورواه ابن حبان فى صحيحه (٧٠٨٣)، والحاكم فى المستدرك (٣/ ٣٨٤)، وأحمد فى المسند (١/ ٤٠٤)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٢٨١) من طريق عاصم ابن أبى النجود، وحديثه حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/ ١٣٩)، وابن سعد فى الطبقات (٣/ ١/ ١٦٦) وإسناده حسن، وحسنه الألبانى -رحمه الله-.

(٢) رواه البخارى (٣٨٦١)، ورواه مسلم (٢٤٧٤)، وقصة إسلامه مبسوطة أكثر عند مسلم من حديث عبد الله بن الصامت وفيها زيادات كثيرة.

فَصْلٌ

فى بيان السمة الثانية

(مواجهة الدعوة بشتى الأساليب لصد الناس عنها وتنفيرهم منها)

قال صفى الرحمن المباركفورى ما ملخصه:

ولما رأت قريش أن محمدًا ﷺ لا يصرفه عن دعوته هذا ولا ذاك فكروا مرة أخرى واختاروا لقمع هذه الدعوة أساليب تتلخص فيما يأتى:

١ - السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب والتضحيك:

قصدوا بها تخذيل المسلمين وتوهين قواهم المعنوية، فرموا النبى ﷺ بتهم هازلة، وشتائم سفيهة فكانوا ينادونه بالمجنون: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[الحجر: ٦]، ويصمونه بالسحر والكذب: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾[ص: ٤] وكانوا كما قصَّ الله علينا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾[المطففين: ٢٩ - ٣٣].

٢ - تشويه تعاليمه وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ونشر الإيرادات الواهية حول هذه التعاليم:

وحول ذاته وشخصيته، والإكثار من كل ذلك بحيث لا يبقى للعامة مجال فى تدبر دعوته، فكانوا يقولون عن القرآن: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾[الفرقان: ٥].

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾[الفرقان: ٤]، وكانوا يقولون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾[النحل: ١٠٣].

وكانوا يقولون عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وفى القرآن نماذج كثيرة للردود على إيراداتهم بعد نقلها أو من غير نقلها.

٣ - مساومات حاولوا بها أن يلتقى الإسلام والجاهلية فى منتصف الطريق:

بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض ما هو عليه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم: ٩][١].

٤- ومن هذه الأساليب:

التعذيب والإيذاء، وقد تقدم شيئًا من ذلك فى الفصل السابق، ومنها: المقاطعة والحصار الاقتصادى، وسوف يأتى بيانه - إن شاء الله تعالى - ومنها: كثرة العروض على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتنازل عن قضية التوحيد، وسيأتى ذكرها كذلك - إن شاء الله -.

٥ - ومن هذه الأساليب، تحديهم للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسؤال الآيات:

ولما رأى المشركون أن هذه المطالب التى يعرضونها لا تقبل منهم، أرادوا أن يدخلوا من باب آخر، وهم تعجيز الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطلب الآيات، فاجتمعوا وقالوا: يا محمد إن كنت صادقًا فأرنا آية نطلبها منك، وهى أن تشق لنا القمر، مزقتين، فأعطاه الله هذه المعجزة، وانشق القمر فرقتين، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**اشهدوا**»[٢].

وهذه القصة رواها عبد الله بن مسعود، وهو من السابقين الأولين، ورويت عنه طرق كثيرة، ورواها عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره، ورواها عنهم جمع غزير حتى صار الحديث

(١) «الرحيق المختوم» (ص ٩٧ - ٩٩) باختصار وتصرف.

(٢) «نور اليقين» للشيخ محمد الخضرى رحمه الله ص ٦٩.

كالمتواتر، وقد ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، فحينما رأى المعاندون هذه الآية الكبرى، قال بعضهم لقد سحركم ابن أبى كبشة فأنزل الله فيهم: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢][1].

ثم سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك إلا التعنت والعناد، فمنها أن قالوا - كما فى سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٠- ٩٣].

ولم يجبهم الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ لأن الله تعالى علم ما تكنه جوانحهم من التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من البينات، كما قال جل ذكره فى سورة الأنعام: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، وكيف يرجى الخير ممن قالوا - كما فى سورة الأنفال ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه[2].

---

(١) الروايات الواردة فى ذلك: رواية أنس بن مالك رواها الإمام البخارى (٣٨٦٨)، (٣٦٣٧)، ومسلم (٤٦/ ٢٨٠٢)، وأحمد (١٢٧١١).

وأما رواية ابن عباس؛ فأخرجها: البخارى (٤٨٦٦)، و(٣٨٧٠)، ومسلم (٤٨/ ٢٨٠٣)، وابن جرير فى «التفسير» (٢٧/ ٨٦).

وأما رواية جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخرجها الإمام أحمد (١٦٨٠٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٢٦٨)، والطبرى فى «التفسير» (٢٧/ ٨٦)، والترمذى فى «التفسير» (٣٢٨٥)، وصححه الشيخ الألبانى إسناده فى «صحيح سنن الترمذى» (٢٦٢٢) و (٣٥٢٠).

ورواية ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجها الإمام مسلم (٢٨٠١) والترمذى (٣٢٨٤)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٢٦٧).

ورواية ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجها البخارى (٤٨٦٥)، ومسلم (٤٣/ ٢٨٠٠)، والإمام أحمد (٣٥٨٤)، والطبرى فى «التفسير» (٢٧/ ٨٥) وفى إسناد الطبرى مجهول لكن يشهد له ما قبله وما بعده.

(٢) «نور اليقين» (ص: ٦٩) بتصرف واختصار.

فَصْلٌ
فى بيان السمة الثالثة

كثرة العروض على النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل المساومة على الحق الذى يدعو إليه وعدم استجابة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشىء من التنازلات

لما أكثر المشركون من التعذيب والاستهزاء والسخرية بالمسلمين رجاء أن يصدهم ذلك عن دينهم، وكان المسلمون لا يزدادون بذلك إلا إيمانًا ويقينًا ولم يفلحوا فى ذلك، لجأوا إلى أسلوب آخر، بلغة العصر أكثر دبلوماسية فأرادوا أن يعرضوا على النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عروضًا لعله يرجع عما هو عليه، أو يتنازل عن بعض الحق الذى يدعوا إليه[1]، فمن هذه العروض.

كما جاء من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «اجتمعت قريش للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر؛ فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ماذا يرد عليه؟

فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد!

فأتاه عتبة فقال: يا محمد! أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثم قال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك؛ فقد عبدوا الآلهة التى عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم؛ فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سَخلة قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشَتَّت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا فى العرب،

(١) «وقفات تربوية» د/ أحمد فريد (ص ٩١).

حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرًا، وأن فى قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى؛ أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل! إن كان إنما بك الحاجة؛ جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلًا واحدًا، وإن كان إنما بك الباءة؛ فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشرًا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فرغت؟»، قال: نعم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إلى أن بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت: ١ - ١٣].

فقال عتبة: حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: لا.

فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئًا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته.

قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم، ثم قال: لا والذى نصبها بينة؛ ما فهمت شيئًا مما قال؛ غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود.

قالوا: ويلك! يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال؟!

قال: لا والله، ما فهمت شيئًا مما قال؛ غير ذكر الصاعقة[1].



---

(١) أخرجه أبو يعلى فى «المسند» (١٨١٢) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٢٠٤)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٤/ ٢٩٥ - ٢٩٦) وعنه عبد بن حميد كما فى «المنتخب» (١١٢٣)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ١٨٢) والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٢٥٣) وصححه، ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٢٠) «رواه أبو يعلى ووثقه ابن معين وضعفه النسائى وغيره وبقية رجاله ثقات»اهـ. والأجلح ضعفه أبو حاتم، والنسائى، وأحمد، ووثقه ابن معين والعجلى، ورضيه ابن عدى فهو حسن الحديث إن شاء الله.

وله طرق أخرى تشهد له، والحديث ذكره الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى «صحيح السيرة» (ص ١٦١).

فَصْلٌ

فى بيان السمة الرابعة

اهتمام النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتربية الإيمان فى قلوب الصحابة وذلك بالاعتقاد الصحيح والتربية بالعبادات

لا شك ونحن نتلمس خطوات النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى إقامة دولة الإسلام، يظهر جليًّا كيف كان القرآن ينزل فى هذه الفترة بتربية الإيمان فى قلوب الصحابة الكرام وذلك بتقرير عقيدة التوحيد، والإيمان باليوم الآخر.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: أول ما نزل من القرآن سورة فيها ذكر الجنة والنار – تعنى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سورة المدثر وهى ثانى سورة وفيها يقول جل وعلا: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: ٣١] وقوله جل وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤١] حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل من أول الأمر لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، ولو نزل لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، أنزل على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا جارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] وما نزلت البقرة والنساء إلا وأنا عنده بالمدينة[1].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: فرض الله عَزَّ وَجَلَّ على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيام الليل فقام النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقام الصحابة معه حولًا كاملًا، واحتجز الله عَزَّ وَجَلَّ خاتمة السورة اثنا عشر شهرًا، ثم نزل بعد ذلك التخفيف[2].

---

(١) رواه البخارى (٤٨٧٦) مختصرًا، وفى فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن (٤٩٩٣) مطولًا.

(٢) جزء من حديث رواه الإمام مسلم (١٣٩/ ٧٤٦)، وأبو داود فى السنن (١٣٢٨)، والنسائى (٤/ ١٩٩) قيام الليل، وأحمد (٦/ ٥٤) (٢٤٣٨٠)، والطبرى فى التفسير (ج٢٩/ ١٢٥).

وإنما قصدتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فرض قيام الليل فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)﴾ [المزمل: ١-٦][1].

۞۞۞

فَصْلٌ

فى بيان السمة الخامسة

تربية النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة على الصبر على الإيذاء والإعراض عن الجاهلية

ويظهر هذا جليًّا فى قصة خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما شكى إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال خباب: شكونا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة فقلنا: ألا تنتصر لنا! ألا تدعو لنا، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده عن دينه والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[2].

۞۞۞

---

(١) انظر: «وقفات تربوية» (ص ٩٤).

(٢) رواه البخارى (٣٨٥٢)، وأبو داود (٢٦٤٩)، والنسائى (٨/ ٢٠٤)، والحميدى (١٥٧)، وأحمد (٢٠/ ٢٢٢) - الفتح الربانى.

فَصْلٌ
فى بيان السمة السادسة

تبشير الصحابة رضي الله عنهم بالنصر والتمكين وهم يعانون أشد ألوان الأذى

فى هذه الفترات القاسية التى ضيقت الأرض على المسلمين، وكادت تخنقهم وتقضى على حياتهم كان القرآن فى هذه الفترات ينزل بالبشارات مرة بالتصريح، وأخرى بالكناية.

وكانت تنزل الآيات بما جرت بين الأنبياء السابقين، وبين أقوالهم الذين قاموا بتكذيبهم والكفر بهم، وكان تشتمل هذه الآيات على ذكر الأحوال التى تطابق تمامًا أحوال مسلمى مكة وكفارها، ثم تذكر هذه الآيات بما تمخضت عنه تلك الأحوال من إهلاك الكفرة والظالمين، وإيراث عبادِ الله الأرض والديار، فكانت فى هذه القصص إشارات واضحة إلى فشل أهل مكة فى المستقبل، ونجاح المسلمين، مع نجاح الدعوة الإسلامية.

وفى هذه الفترات نزلت آيات تصرح ببشارة غلبة المؤمنين، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٧].

وقال: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر: ٤٥].

وقال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص: ١١].

وأنزلت فى الذين هاجروا إلى الحبشة: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل: ٤١].

وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه يقوم بمثل هذه البشارات بين آونة وأخرى، فكان إذا وافى الموسم وقام بين الناس فى عكاظ ومجنة وذى المجاز لتبليغ الرسالة لم يكن يبشرهم بالجنة فحسب، بل يقول لهم بكل صراحة: **«يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكن بها العجم»**[(١)].

وقال لخباب: «وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت، ما يخالف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون»[(٢)].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها مغاربها، وإن أمتى سيبلغ ملكها، ما زوى لى منها»[(٣)]، وغير ذلك من الأحاديث التى تبشر تصريحًا وكناية»[(٤)].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ».

---

(١) قوله : (**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**) ورد فى أكثر من حديث منها ما رواه الإمام أحمد ٣/ ٤٩٢ و٤/ ٣٤١ والطبرانى فى «الكبير» (٤٥٨٢)، من طريق عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه، عن ربيعة بن عباد من بنى الديل. وبن أبى الزناد صدوق، كما قال الحافظ فى «التقريب» وبقية رجاله ثقات. والحديث إسناده حسن، وله شاهد من حديث طارق بن عبد الله المحاربى، أخرجه ابن سعد ٦/ ٤٢، والحاكم ٢/ ٦١٢، وصححه، وأقره الذهبى، وابن حبان (١٦٨٣).
وانظر : «صحيح السيرة» للشيخ العلامة الألبانى -رحمه الله- (ص١٤٢).

(٢) سبق تخريجه، وانظر : «الرحيق المختوم» (ص١٤٥).

(٣) رواه مسلم من حديث ثوبان (١٩/ ٢٨٨٩)، والترمذى (٢٢٠٣)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢) وابن حبان ١٥/ ٦٧١٤ وابن أبى شيبة فى «المصنف» ١١/ ٤٥٨، وغيرهم.

(٤) وانظر فى ذلك : «الصحيح المسند من أحاديث الفتن وأشراط الساعة» لأبى عبد الله مصطفى بن العدوى -حفظه الله- و«أحاديث معجزات الرسول» صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التى ظهرت فى زماننا للشيخ الدكتور عبد المهدى بن عبد القادر بن عبد الهادى -حفظه الله- جـ١/ ١٤٢ فما بعدها. وجـ٣/ ٣٨٩-٤١٦.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :وعَن أبى قَبِيل، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَسُئِلَ: أَى الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ اللهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَى الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا**» يَعْنِى: قُسْطَنْطِينِيَّةَ» (١).



(١)رواه أحمد (٢/ ١٧٦) والدارمى (١/ ١٢٦) وابن أبى شيبة فى «المصنف» (٤٧/ ١٥٣/ ٢) وأبو عمرو الدانى فى «السنن الواردة فى الفتن» (١١٦ / ٢) والحاكم (٣/ ٤٢٢و٤/ ٥٠٨) وعبد الغنى المقدسى فى «كتاب العلم» (٢/ ٣٠/ ١)، وقال: «حديث حسن الإسناد». وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وهو كما قالا.

فَصْلٌ

فى صور من إيذاء قريش للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١ - إيذاء أبى جهل للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووطؤه عنقه :

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلى عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال عليه الصلاة والسلام: «**لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدهم فى النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لرجعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا**»[١] .

وعن أبى هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه فى التراب، قال فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بينى وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**»[٢] .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يصلى فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزبره، (نهره) فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر منى.

فأنزل الله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾[العلق: ١٧، ١٨] .

قال ابن عباس: «لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله»[٣] .

---

(١) رواه البخارى (٤٩٥٨) ، والترمذى (٣٣٤٨) ، وأحمد فى «المسند» ١/ ٢٤٨ (٢٢٢٥).

(٢) رواه مسلم (٣٨/ ٢٧٩٧) ، والنسائى فى «الكبرى» (١١٦٨٣) ، وأحمد فى «المسند» (٨٨١٧) ، والطبرى فى «التفسير» ٣٠/ ٢٥٦ ، والبيهقى فى «الدلائل» ١/ ٤٣٨ .

(٣) أخرجه الترمذى(٣٣٤٦) وأحمد (٣٠٤٥)، وصححه الشيخ العلامة أحمد شاكر فى تعليقاته على المسند، =

٢ - إيذاء أبى لهب له :

وهو أحد أعمام النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتبة، وكان كثير الأذية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه.

روى الإمام أحمد فى المسند عن ربيعة بن عباد من بنى الديل، وكان جاهليًّا فأسلم، قال: رأيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز، وهو يقول: «**يا أيها الناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضىء الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه؟ فقال: هذا عمه أبو لهب.

ثم رواه عن ابن أبى الزناد قال:قلت: لربيعة: كنت يومئذ صغيرًا؟ قال: لا، والله إنى يومئذ لأعقل أنى أزفر القربة.

وفى رواية أخرى: قال: إنى لمع أبى، رجل شاب أنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضىء ذو جمة [١]، يقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على القبيلة ويقول: «**يا بنى فلان، إنى رسول الله إليكم آمركم، أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تصدقونى حتى أنفذ عن الله ما بعثنى به**».

فإذا فرغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بنى فلان، إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى، وحلفاءكم من الجن بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له ، ولا تتبعوه، فقلت لأبى من هذا؟ قال: عمه أبو لهب» [٢].

= والطبرى فى «التفسير» ٣٠/ ٢٥٦، وقال الهيثمى فى «المجمع»: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(١) الجمة: شعر الرأس الذى سقط بين المنكبين.

(٢) رواه أحمد فى «المسند» ٤/ ٣٤١ (١٩٠٥٨) و(١٩٠٥٩) وسنده حسن ، والحاكم فى «المستدرك» ١/ ١٥ ، والطبرانى فى «الكبير» ٥/ ٥٥ وله شاهد من حديث طارق بن عبد الله المحاربى ، رواه ابن حبان (١٦٨٣ – موارد) ، والطبرانى فى «الكبير» (٤٥٨٣) ، وعبد الله بن أحمد فى «الزوائد» ٤/ ٣٤٢، =

٣ - إيذاء العوراء أم جميل للنبى ﷺ :

عن أسماء بنت أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة، وفى يدها فهر، وهى تقول لعنها الله: مذمَّمًا أبينا، ودينه قلينا وأمره عصينا.

ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا خائف عليك أن تراك، فقال رسول الله ﷺ «إنها لن ترانى» وقرأ قرآنًا اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء: ٤٥]، فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: يا أبا بكر؛ إنى أخبرت أن صاحبك هجانى؟ قال: لا، ورب هذا البيت ما هجاك فولت وهى تقول: قد علمت قريش أنى ابنة سيدها»[1].

٤ - إيذاء عقبة بن أبى مُعيط للنبى ﷺ :

روى الإمام مسلم فى «صحيحه» عن ابن مسعود قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جزور بنى فلان فيأخذه، فظل فى كتفى محمد إذا سجد.

فانبعث شقى القوم فأخذه فلما سجد النبى ﷺ وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لى منعة

= وقال الهيثمى فى «المجمع» ٦/ ٢٢ : «رواه أحمد وابنه، والطبرانى فى «الكبير» نحوه، والأوسط باختصار وبأسانيد، وأحد أسانيد عبد الله به أحمد رجاله ثقات.

(١) أخرجه الحميدى ١/ ١٥٣-١٥٤ (٣٢٣)، والحاكم ٢/ ٣٦١، وصححه ووافقه الذهبى. والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ١٩٥ وأخرجه البزار ٢/ ١٢١-١٢٢ (١٥٣٩ - ١٥٤٠) وقال: «وهذا أحسن الإسناد، ويدخل فى مسند أبى بكر».

طرحته عن ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والنبى ساجد، ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهى جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت تشتمهم، فلما قضى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم.

وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فلما سمع صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال:

«**الله عليك بأبى جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط**» وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذى بعث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب: قليب بدر[١].

وأما السابع فقد جاء فى رواية البخارى (عمارة بن الوليد)[٢]:

وروى الإمام مسلم - أيضًا - عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: «بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ساجد وحوله ناس من قريش إذ جاء عقبة بن أبى مُعَيط بسلا جزور[٣]، فقذفه على ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة فأخذته عن ظهره، ودعت على من صنع ذلك، فقال: «**اللهم عليك الملأ من قريش، أبا جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وعقبة بن أبى معيط، وشيبة بن ربيعة، وأمية ابن خلف أو أبى بن خلف**». شعبة الشاك قال: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدرٍ فألقوا فى بئرٍ غير أن أمية أو أُبيًّا تقطعت أوصاله فلم يلق فى البئر[٤].

---

(١) رواه الإمام مسلم واللفظ له فى الجهاد والسير، باب ما لقى النبى من أذى المشركين والمنافقين (١٠٧/ ١٧٩٤) ورواه البخارى (٢٤٠) و(٥٢٠) وانظر أطرافه هناك. والنسائى (٣٠٧)، وأحمد ٢٠/ ٢١٨ - الفتح الربانى. والقليب: هى البئر التى لم تطو.

(٢) رواه البخارى (٥٢٠) وانظر أطرافه هناك.

(٣) وسلا: اللفافة التى يكون فى بطن الناقة وسائر الحيوان، وهى من الآدمى المشيمة.

(٤) رواه مسلم (١٠٨/ ١٧٩٤).

فَصْلٌ
فى إيذاء قريش للمستضعفين من المسلمين

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أول من أظهر إسلامه سبعة؛ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر، وعمار بن ياسر، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسول الله فمنعه الله بعمه أبا طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم فى الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد»[1].

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: فيما بلغنى: «**صبرًا آل ياسر، موعدكم الجنة**»، فأما أمه فقتلوها، وهى تأبى إلا الإسلام[2]، وكان أبو جهل الفاسق الذى يفرى بهم فى رجال من قريش،

(١) رواه ابن ماجه فى «السنن» (المقدمة) (١٥٠)، وقال البوصيرى فى «المصباح»: «إسناده رجاله ثقات» ورواه ابن حبان فى «صحيحه» (٧٠٨٣)، وأحمد فى «المسند» ١/ ٤٠٤، والحاكم فى «المستدرك» ٣/ ٣٨٤، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢٨١ من طريق عاصم بن أبى النجود، وحديثه حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، وأخرجه ابن سعد فى «الطبقات» ٣/ ١/ ١٦٦، وأبو نعيم فى «الحلية» ١/ ١٣٩، وإسناده حسن، وحسنه الشيخ الألبانى -رحمه الله- والحمد لله رب العالمين.

(٢) صحيح: رواه الحاكم فى «المستدرك» ٣/ ٣٨٨، والطبرانى فى «الأوسط» (١٥٣١)، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢٨٢ من طرق عن أبى الزبير عن جابر مرفوعًا، وقال الحاكم: على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وهو كما قالا، لكن فيه عنعنه أبى الزبير، ورواه ابن سعد فى «الطبقات» ٣/ ١٨٨، عن أبى الزبير عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يذكر جابراً، وله شاهد رواه ابن سعد ٣/ ١٨٨، من طريق شعبة عن أبى بشر عن يوسف المكى مرفوعًا، ولفظه: «**أبشروا آل عمار**» الحديث ورواه ابن سعد ٣/ ١٨٨، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ١٤٠، وعزاه الهيثمى فى «المجمع» ٩/ ٢٩٣ لعثمان بن عفان من طريق عمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد. وقال: «رجاله ثقات» وبه يتقوى الحديث ويصح، وصححه الشيخ الألبانى -رحمه الله- فى «صحيح السيرة» (ص ١٥٤).

إذا سمع بالرجل قد أسلم، له شرف ومنعة، أتيه وأخزاه، وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك! لنسفهن حلمك، ولنفيلن رأيك[١]، ولنضعنَّ شرفك، وإن كان تاجرًا قال: والله لنكسدنَّ تجارتك، ولنهلكنَّ مالك، وإن كان ضعيفًا ضربه وأغرى به»[٢].

وقد سبق معنا شيء من تعذيب المشركين لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المستضعفين.

سخرية صناديد قريش من ضعفة المسلمين ونزول القرآن بمدحهم:

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فى نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]، قال: نزلت فى ستة أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدنى هؤلاء – أي دوننا[٣].

وعنه قال: كنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستة نفر، فقال المشركون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اطرد هؤلاء، لا يجترءون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هزيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع فى نفس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما شاء الله أن يقع فحدَّث نفسه فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢][٤].

---

(١) أي نقبحه ونخطئه ونفسده.

(٢) «السيرة النبوية» ١/ ١٧٧.

(٣) أخرجه مسلم (٤٥/ ٢٤١٣)، والنسائى فى المناقب من «الكبرى» (٨٢٢٠، ٨٢٦٤)، وفى «التفسير» (١١١٦٣)، والبزار فى «المسند» (٤/ ١٢٢٨)، وأبو يعلى (٢/ ٨٢٦)، وابن جرير فى «التفسير» (١١/ ١٣٢٦٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩٨)، والحاكم (٣/ ٣١٩)، والبيهقى فى «الشعب» (٧/ ١٠٤٩٠)، كلهم عن سفيان الثورى عن المقدام بن شريح عن أبيه .. به.

(٤) أخرجه مسلم (٤٦/ ٢٤١٣)، وابن حبان (١٤/ ٦٥٧٣) من طريق إسرائيل عن المقدام بن شريح، ومن هذه الطريق أخرجه الإمام الجليل عبد بن حميد كما فى «المنتخب» (١٣١)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٢٣٧، و٨٢٦٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (١/ ٣٥٣)، وأخرجه ابن ماجه (٤١٢٨) من طريق قيس بن الربيع عن المقدام به

فَصْلٌ

فى استماع قريش إلى قراءة النبى ﷺ

عن الزهرى قال: إن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريق، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى من الليل فى بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئًا، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال: أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا والذى حلفت به كذلك، قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا: وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسى رهان، قالوا: منا نبى يأتيه الوحى من السماء، فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس وتركه [١].

---

(١) مرسل إسناده صحيح، عن ابن إسحاق عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى وصرَّح فيه ابن إسحاق بالتحديث. كما فى السيرة ١/ ١٧٤، وذكره ابن سيد الناس فى «عيون الأثر» ١/ ١٤٥-١٤٦ عن الزهرى، والذهبى فى «السيرة» ١/ ٢١٦ عن ابن إسحاق.

فَصْلٌ

فى أول من جهر بالقرآن فى قريش

عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن - بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلًا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعونى فإن الله سيمنعنى، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى، وقريش فى أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ رافعًا بها صوته: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١، ٢] قال: ثم استقبلها يقرؤها، قال: فتأمَّلوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبدٍ؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا فى وجهه، فقالوا له: هذا الذى خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينَّهم بمثلها غدًا، قالوا: لا، حسبُك، قد أسمعتهم ما يكرهون[1].

۞۞۞

(١) رجاله ثقات، رواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ١٧٣، وأحمد فى «فضائل الصحابة» (١٥٣٥) وابن الأثير فى «أسد الغابة» ٣/ ٢٨٠، من طريق ابن إسحاق به وهو مرسل رجاله ثقات، وروى ابن سعد فى «الطبقات» ٣/ ١١٢ من طريق المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن أنه قال: «أول من أفشى القرآن بمكة» وإسناده ضعيف، وذكره الذهبى فى «السير» ٣/ ٢٨٤ ط دار الحديث، والحافظ فى «الإصابة» ٤/ ١٢٩ عن ابن إسحاق.

فَصْلٌ

فى عتق الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للعبيد المستضعفين ممن أسلموا

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر به - أى: بلال - وهو يعذب بذلك، ويقول: أحد أحد فيقول: أحد أحد والله يا بلال ! ثم يُقبل على أمية بن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جمح ، فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذته حنانًا، حتى مر به أبو بكر الصديق بن أبى قحافة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يومًا، وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقى الله فى هذا المسكين: حتى متى! قال: أنت الذى أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: أفعل، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك أعطيكه به، قال: قد قبلت، فقال: هو لك، فأعطاه أبو بكر الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه[1] .

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب، بلال سابعهم، عامر بن فهيرة، شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأم عبيس[2] وزنيرة[3] ،

(١) صحيح. وهذا إسناد صحيح رواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ١٧٦ وعنه أبو نعيم فى «الحلية» ١/ ١٤٨ وابن عساكر فى «التاريخ» ١٠/ ٤٤١ ، وابن الأثير فى «أسد الغابة» ١/ ٢٤٣ ، وله شاهد من حديث ابن مسعود رواه أحمد فى «المسند» (٣٨٣٢) ، وابن أبى شيبة فى «المصنف» ١٢/ ١٤٩ و١٤/ ٣١٣ وابن ماجه (١٥٠) ، وابن حبان (٧٠٨٣) ، والحاكم ٣/ ٢٨٤ ، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢٨١-٢٨٢ ، وأبو نعيم فى «الحلية» ١/ ١٤٩ ، وابن عبد البر فى «الاستيعاب» ١/ ١٤١ ، وابن عساكر ١٠/ ٤٣٩ ، من طريق عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود نحوه ، وإسناده حسن لأجل عاصم.

(٢) أم عبيس ؛ كانت فتاة لبنى تميم بن مرة ، فأسلمت أول الإسلام ، وكانت ممن استضعفها المشركون فعذبوها ، فاشتراها الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعتقها وكنيت بابنها عبيس بن كريز [أسد الغابة ٧/ ٣٦٥].

(٣) زنيرة الرومية : كانت من السابقات إلى الإسلام أسلمت أول الإسلام وعذبها المشركون ، قيل كانت مولاة لبنى مخزوم فكان أبو جهل يعذبها ، وقيل كانت مولاة لبنى عبد الدار فلما أسلمت عميت فقال المشركون : أعمتها اللات والعزى لكفرها بهما ، فقالت وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما.
إنما هذا من السماء ، وربى قادر على رد بصرى ، فأصبحت من الغد ، وقد ردَّ الله بصرها ، فقالت قريش : هذا من سحر محمد ، ولما رأى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما ينالها من العذاب اشتراها فأعتقها، وهي

وأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا، وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان، فردَّ الله إليها بصرها[1]، وأعتق النهدية وبنتها، وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار، فمر بهما، وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها، وهى تقول: والله لا أعتقكما أبدًا! فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حل يا أم فلان، فقالت: حلَّ، أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال: فبكم هما! قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حُرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها، قال: وذلك إن شئتما، ومر بجارية بنى مؤمل، حى من بنى عدى بن كعب، وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك، وهو يضربها، حتى إذا مل قال: إنى أعتذر إليك، إنى لم أتركك إلا ملالة، فتقول: كذلك فعل الله بك فابتاعها أبو بكر فأعتقها.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله، قال أبو قحافة لأبى بكر: يا بنى، إنى أراك تعتق رقابًا ضعافًا، فلو أنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت رجالًا يمنعونك ويقومون دونك؟ قال: فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أبت إنى إنما أريد ما أريد يعنى لله عَزَّ وَجَلَّ قال: فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه، وفيما قال له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ٥- ٢١][2].

= أحد السبعة الذين أعتقهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [أسد الغابة ٧/ ١٢٣].

(١) رواه البيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢٨٢ ، من طريق الحاكم من يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه والإسناد ظاهر الصحة ، إلا أنى أخشى الانقطاع بين يونس وهشام ولعل بينهما ابن إسحاق ، والخبر فى «الاستيعاب» ٤/ ٣٢٢ ، و«أسد الغابة» ٧/ ١٢٣ ، و«الإصابة» ٤/ ٤١١ .

(٢) صحيح: رواه الحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٥٢٥ ، وابن جرير فى «التفسير» ٣٠/ ٢٢١ (٣٧٤٥٧) ، وابن عساكر ٣٠/ ٦٩ من طريق ابن إسحاق به. وقال الحاكم : على شرط مسلم. وله شاهد عن ابن مسعود. رواه ابن عساكر ٣٠/ ٦٩. وشاهد عن ابن عباس ، رواه ابن عساكر ٣٠/ ٧٠ ، ونقل ابن كثير إجماع المفسرين على أنها نزلت فى أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَصْلٌ

فى مجادلات المشركين للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنادهم

١ - مجادلتهم فى التوحيد:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: مرض أبو طالب فأتته قريش، وأتاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوده وعند رأسه مقعد رجل، فجاء أبو جهل فقعد فيه، ثم قال: ألا ترى ابن أخيك يقع فى آلهتنا.

فقال: ابن أخى! ما لقومك يشكونك! قال: «**أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب، وتوارى إليهم العجم الجزية**» قال: وما هى؟ قال: «**لا إله إلا الله**» فقالوا: «**أجعل الآلهة إله واحدًا**» فنزلت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأ حتى بلغ ﴿عُجَابٌ﴾ [ص: ٥][1].

٢ - مجادلتهم فى عقيدة البعث:

جادل المشركون فى عقيدة البعث فأكثروا فيها الجدل.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده، ثم قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيحيى الله تعالى هذا بعد ما أرى؟ فقال: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**نعم، يميتك الله، ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم**» قال: ونزلت الآيات من آخر سورة يس[2].

---

(١) أخرجه النسائى فى «التفسير» (٤٥٦)، والترمذى (٣٢٣٢)، وصححه الحاكم ٢/ ٤٣٢ ووافقه الذهبى، ورواه أحمد فى «المسند» ١/ ٢٢٨، وابن جرير فى «التفسير» ٢٣/ ١٢٥، وأبو يعلى (٢٥٨٣)، والبيهقى فى «السنن» ٩/ ١٨٨، وصححه الشيخ العلامة أحمد شاكر، وقال الترمذى: حديث حسن.

(٢) رواه ابن جرير الطبرى فى «التفسير» ٢٣/ ٣٠، والحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٤٢٩ من طريق هشيم، وابن أبى حاتم وذكره السيوطى فى «الدر المنثور» ٥/ ٥٠٧ عن ابن عباس وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والإسماعيلى فى «معجمه» والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى «البعث»، والضياء فى «المختارة». قلت: وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

٣- مخاصمتهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى القدر:

خاصم المشركون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى القدر وهو إثبات ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وكتبه على عباده فكل ما يقع لهم إنما هو مقدر فى الأزل معلوم لله مراد له.

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء مشركو قريش إلى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاصمونه فى القدر، فنزلت: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٨، ٤٩][(١)].

٤ - مجادلتهم فى نزول القرآن منجماً:

وكذلك جادل المشركون فى نزول القرآن منجمًا قائلين: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ وقد بيّن الله تعالى علة ذلك بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقد عابوا على النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزول القرآن مفرقًا، واقترحوا عليه أن ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فأنزل الله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقوله :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢][(٢)].

٥ - مجادلتهم وسؤالهم عن الروح:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل، فقال: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ

---

(١) أخرجه أحمد فى «المسند» ٢/ ٤٤٤، ومسلم فى «صحيحه» كتاب القدر، باب كل شيء قدر (١٩/ ٢٦٥٦) والترمذى ٤/ ٤٥٩ وقال: صحيح.

(٢) انظر: «المستدرك للحاكم» ٢/ ٢٢٢، وقال عقب الرواية التى أوردها: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى، وانظر: «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

قالوا: أوتينا علمًا كثيرًا، أوتينا التوراة، ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرًا كثيرًا، فقال: وأنزل الله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩] [١].

٦ - مجادلتهم فى صفات الله جل وعلا:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مستترًا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر: قرشى، وختناه [٢] ثقفيان، أو ثقفى وختناه قرشيان كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخر: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخر: إن سمع منه شيئًا سمعه كله، قال: فذكرت ذلك للنبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣] [٣].



---

(١) أخرجه الترمذى (٣١٤٠)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٣١٤)، وأبو يعلى فى «مسنده» (٢٥٠١) وعنه ابن حبان فى «صحيحه» (٩٩)، وأبو الشيخ فى «العظمة» (٤٠٣)، والحاكم فى «المستدرك» ٢/ ٥٣١، وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى وهو كما قالا. وقال الحافظ فى «الفتح» ٨/ ٣٢٣: «رجاله رجال مسلم».

(٢) الختن: أبو امرأة الرجل، وأخوها، وكل من كان قبلها. [المعجم الكبير ٦/ ٨٢].

(٣) أخرجه البخارى فى التفسير (٤٨١٧)، وانظر أطرافه هناك، ومسلم (٥/ ٢٧٧٥)، والترمذى (٣٢٤٩)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٤٦٨)، وأحمد فى «المسند» ١/ ٣٨١ (٣٦١٤) و١/ ٤٤٢ (٤٢٢٢) وفى مواضع أخر، والحميدى فى «المسند» (٨٧) من طرق عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



فى دخول الصحابة فى الإسلام على الرغم من الأذى

فَصْلٌ

فى إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن محمد بن كعب القرظى قال: «كان إسلام حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حمية، وكان يخرج من الحرم فيصطاد، فإذا رجع مر بمجلس قريش، وكانوا يجلسون عند الصفا والمروة، فيمر بهم فيقول: رميت كذا وكذا، وصنعت كذا وكذا، ثم ينطلق إلى منزله، فأقبل من رميه ذات يوم، فلقيته امرأة فقالت: يا أبا عمارة، ماذا لقى ابن أخيك من أبى جهل بن هشام! شتمه، وتناوله، وعمل وفعل.

فقال: هل رآه أحد؟ قالت أي والله، لقد رآه الناس. فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصفا والمروة، فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم.

فاتكأ على قوسه، وقال: رميت كذا وكذا، وفعلت كذا وكذا، ثم جمع يديه بالقوس، فضرب بها بين أذنى أبى جهل فوق سنتها، ثم قال: خذها بالقوس، وأخرى بالسيف، وأشهد أنه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه جاء بالحق من عند الله، قالوا: يا أبا عمارة إنه سبَّ آلهتنا، وأنت أفضل منه، ما أقررناك وذاك، وما كنت يا أبا عمارة فاحشًا»[١].

---

(١) رواه ابن إسحاق بنحوه فى «السيرة» ١/ ١٦٠ ، والحاكم فى «المستدرك» ٣/ ١٩٢-١٩٣ ، وعنه البيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢١٣ ، وابن الأثير فى «أسد الغابة» ١/ ٦٠٤ من طرق عن ابن اسحاق وفيه إعضال ، ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٩٢٥) من طريق أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرنا أسامة بن زيد الليثى قال : سمعت محمد بن كعب القرظى فذكر ، قال الهيثمى فى «المجمع» ٩/ ٢٦٧ : «رواه الطبرانى مرسلاً ، ورجاله رجال الصحيح». ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٩٢٦) من طريق محمد بن

فَصْلٌ

فى إسلام أبى ذر الغفارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادى؛ فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتنى.

فانطلق الأخ، حتى قدمه وسمع من كلامه، ثم رجع إلى أبى ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر.

فقال: ما شفيتنى مما أردت.

فتزود وحمل شَنَّة [له] فيها ماء، حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل، فرآه على، فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به على فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء.

= إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق حليف زهرة – فذكر نحوه. وقال الهيثمى فى «المجمع» ٩/ ٢٦٧ : «مرسل رجاله ثقات».

قلت: ويعقوب بن عتبة ثقة، لكنه من الطبقة السادسة، وهى طبقة لم يثبت لأصحابها لقاء أحد من الصحابة. «تقريب التهذيب» (١/ ٦).

وفى السند أيضًا: ابن إسحاق، وهو مدلس وقد عنعن.

وسكت عن القصة الشيخ العلامة الألبانى فى تعليقه على «فقه السيرة» (ص ١١٦)، ولم يذكرها فى «صحيح السيرة»، وقال الدكتور أكرم ضياء العمرى فى «السيرة الصحيحة» (١/ ١٤٦): «وقد أسلم حمزة فى وقت اشتدت فيه جرأة قريش على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن تفصيل قصة إسلامه لم تثبت من طريق صحيحة».

حتى إذا كان يوم الثالث فعاد على على مثل ذلك، فأقام معه، فقال: ألا تحدثنى بالذى أقدمك؟ قال: إن أعطيتنى عهدًا وميثاقًا لترشدننى فعلت ففعل، فأخبره، قال: فإنه حق، وإنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أصبحت فاتبعنى، فإنى إن رأيت شيئًا أخاف عليك؛ قمت كأنى أريق الماء، وإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل مدخلى ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانه، فقال له النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى**».

فقال: والذى نفسى بيده؛ لأصرخن بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم قام القوم، فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباس، فأكب عليه، فقال: ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟! فأنقذه منهم.

ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه، فأكب العباس عليه[1].

وقد جاء إسلامه مبسوطًا فى «صحيح مسلم» وغيره عن ابن أخيه عبد الله بن الصامت الغفارى قال: قال أبو ذر: «خرجنا من قومنا غفار - وكانوا يحلون الشهر الحرام - أنا وأخى أُنيس وأُمنا، فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذى مال وذى هيئة، فأكرمنا خالنا، وأحسن إلينا، فحسدنا قومه، فقالوا له: إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أُنيس. فجاء خالنا فنثا علينا الذى قيل له، فقلت له، أما ما مضى من معروفك؛ فقد كدرته؛ ولا جماع لنا فيما بعد.

قال: فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها، وتغطى خالنا ثوبه، وجعل يبكى.

قال: فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة (مكة)، قال: فَنَافَرَ أنيسٌ [رجلًا] عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن، فخير أنيسًا، فأتانا بصرمتنا ومثلها.

وقد صليتُ يا ابن أخى! قبل أن ألقى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث سنين.

---

(١) رواه البخارى (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

قال:قلت: لمن؟ قال: لله. قال: فأين تَوَجَّه؟ قال: حيث وجهنى الله. قال: وأصلى عشاء، حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأنى خفاء حتى تعلونى الشمس.

قال:فقال أنيس: إن لى حاجة بمكة، فاكفنى حتى آتيك.

قال:فانطلق فراث على، ثم أتانى، فقلت: ما صنعتَ؟ قال: لقيت رجلًا يزعم أن الله عَزَّوَجَلَّ أرسله على دينك. قال: فقلت: ما يقول الناس له؟ قال: يقولون: إنه شاعر وساحر [وكاهن]، وكان أنيس شاعرًا. قال: فقال: قد سمعت قول الكهان، فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فوالله؛ ما يلتئم لسان أحد أنه شعر، والله؛ إنه لصادق، وإنهم لكاذبون.

قال:فقلت له: هل أنت كافى حتى أنطلق فانظر؟ قال: نعم، وكن من أهل (مكة) على حذر؛ فإنهم قد شنفوا له، وتجهموا له.

قال:فقلت له: هل أنت كافى حتى أنطلق فانظر؟ قال: نعم، وكن من أهل (مكة) على حذر؛ فإنهم قد شنفوا له، وتجهموا له.

قال:فانطلقت حتى قدمت (مكة) فتضعفت رجلًا منهم، فقلت: أين هذا الرجل الذى تدعونه الصابئ؟

قال:فأشار إلى. [فقال الصَّابئ[١]. قال:]فمال أهل الوادى على بكل مَدَرة وعظم، حتى خررت مغشيا على، فارتفعت حين ارتفعت كأنى نُصُبٌ أحمر[٢].

فأتيت زمزم فشربت من مائها، وغسلت عنى الدم، ودخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به يا ابن أخى! ثلاثين من بين يوم وليلة؛ وما لى طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى[٣]، وما وجدت على كبدى سُخفة جوع[٤].

---

(١)أى: انظروا وخذوا هذا الصابئ.

(٢)أى: من كثرة الدماء التى سالت.

(٣)أى: انثنتْ لكثرة السمن وانطوت.

(٤)سخفة جوع: أى: رقة الجوع وضعفه وهزاله.

قال: فبينا أهل (مكة) فى ليلة قمراء إضحيان، إذ ضرب الله على أصمختهم[١]، فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتتا عليَّ وهما تدعوان (إسافًا) و(نائلة) قال: فأتتا عليَّ فى طوافهما فقلت: أنكحوا أحدهما الأخرى، فما تناهتا عن قولهما.

قال: فأتتا على، فقلت: هن مثل الخشبة، غير أنى لا أكنى[٢].

قال: فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان ههنا أحد من أنفارنا!

قال: فاستقبلهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل، فقال: «**ما لكما؟**» فقالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها. قالا: «**ما قال لكما؟**».

قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم![٣]

قال: فجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وصاحبه حتى استلم الحجر، فطاف بالبيت، ثم صلى.

قال فأتيته، فكنت أول من حياه بتحية الإسلام قال: فقلت: السلام عليك يا رسول الله! فقال: «**وعليك ورحمة الله**» ثم قال: «**ممن أنت؟**».

قال: قلت من غفار، قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته، قال: فقلت فى نفسى: كره أن انتميت إلى غفار، قال: فأردت أن آخذ بيده، فقدعنى[٤] صاحبه، وكان أعلم به منى، ثم رفع رأسه ثم قال: «**متى كنت ههنا؟**».

قال: قلت: كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم: قال: «**فمن كان يطعمك؟**».

قلت: ما كان إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى، وما وجدت على كبدى سُخفة جوع، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنها مباركة، وإنها طعام طعم**»[٥].

قال: فقال أبو بكر: ائذن لى يا رسول الله! فى طعامه الليلة. قال: ففعل.

---

(١) أصمختهم: آذانهم، أى: ناموا، قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١] أى: أنمناهم.

(٢) أراد بذلك: سب أساف ونائلة وغيظ الكفار بذلك.

(٣) أى: عظيمة، لا يمكن ذكرها وحكايتها لاستعظامها وقبحها.

(٤) فقدعنى: أى: كفنى.

(٥) أى: تشبع شاربها كما يشبعه الطعام.

قال: فانطلق النبى ﷺ [وانطلق أبو بكر]، وانطلقت معهما، حتى فتح أبو بكر بابًا، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال: فكان ذلك أول طعام أكلته بها، فلبثت، فقال رسول الله ﷺ : «**إنى قد وجهت إلى أرض ذات نخل، ولا أحسبها إلا (يثرب)، فهل أنت مبلغ عنى قومك؛ لعل الله عَزَّوَجَلَّ ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟**».

قال: فانطلقت حتى أتيت أخى أُنيسًا، قال: فقال لى: ما صنعت؟ قال: قلت: إنى صنعت أنى أسلمت وصدقت، قال: قال: فما لى رغبة عن دينك؛ فإنى قد أسلمت وصدقت.

ثم أتينا أُمنا، فقالت: ما بى رغبة عن دينكما، فإنى قد أسلمت وصدقت.

فتحملنا حتى أتينا قومنا (غفارًا) فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ (المدينة)، وكان يؤمهم خفاف بن إيماء بن رَحَضة، وكان سيدهم يومئذ، وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا. فقدم رسول الله - (المدينة) فأسلم بقيتهم. قال: وجاءت (أسلم)، فقالوا: يا رسول الله! إخواننا؛ نُسْلِمُ على الذى أسلموا عليه، فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: «**(غفار) غفر الله لها، و(أسلم) سالمها الله**»(١).

ومما صحَّ فى فضل أبى ذر - جندب بن جنادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- عن أبى ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال له في حديث: «**... وإنى أحب لك ما أحب لنفسى ....**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (١٣٢/ ٢٤٧٣)، وقد سعى الحافظ ابن حجر فى التوفيق بين هاتين الروايتين رواية ابن عباس، ورواية عبد الله بن الصامت ﷺ فقال فى «الفتح» ٧/ ٢١١ : «وقد أخرج مسلم قصة إسلام أبى ذر من طريق عبد الله بن الصامت عنه - وفيها مغايرة كثيرة لسياق ابن عباس، ولكن الجمع بينهما ممكن» ثم ساقه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٦)، وأبو داود (٢٨٦٨)، النسائى فى المجتبى (٣٦٦٧)، وهو فى الكبرى برقم (٦٤٩٤)، والبزار (٤٠٤٥) وابن سعد فى الطبقات (٦/ ٢٨٣)، (١٠/ ٩٥)، ويعقوب فى المعرفة (٢/ ٤٦٣)، وطريقة البيهقى فى السنن الكبرى (٣/ ١٢٩).

وفى هذا الحديث منقبة لأبى ذر، حيث قال له النبى ﷺ: «**إنى أحب لك....**» فإنها من مناقب الرجل، كما قال النبى ﷺ لمعاذ: «**يا معاذ إنى أحبك...**» متفق عليه.

-وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، أصدق من أبى ذر**»[1].

-وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى، فلينظر إلى أبى ذر**»[2].

۞۞۞

---

(١) حسن لغيره بشواهده: أخرجه الترمذى (٣٨٠١) وهذا لفظه، ومن طريق ابن الأثير فى أسد الغابة (١/ ٣٥٧)، وابن ماجه (١٥٦)، والإمام أحمد فى المسند (٦٥١٩)، ومن طريقة: المزى فى تهذيب الكمال (٣٣/ ٢٣٤)، وابن سعد فى الطبقات (٤/ ٢٢٨)، وقال الترمذى عقب هذا الحديث: هذا حديث حسن» اهـ. ووافقه الألبانى فى تعليقه على المشكاة (٦٢٢٩)، ولعلهما يقصدان أنه حسن بشواهده، وإلا فسنده ضعيف فيه: عثمان بن عمير، أبو اليقظان، ضعيف يدلس، وغالٍ فى التشيع، يؤمن بالرجعة، وتركه الدارقطني، ولم أر له أو للأعمش، الراوى عنه تصريحًا بالسماع على أن وكيعًا خالف ابن نمير، وأبا عوانة، فرواه عن الأعمش عن عثمان بن عمير عن عبد الله بن عمرو به لم يذكر أبا حرب الديلي، فهو منقطع- كما أشار إليه البخاري، ولعل الاختلاف فيه من عثمان، يذكر أبا حرب مرة، ويسقطه أخرى، فالحديث: ضعيفة إسنادًا. حسن لغيره متنًا بشواهده، وقوله ﷺ: (الخضراء): السماء و(الغبراء): الأرض.

فائدة:

قال ابن حبان رحمه الله فى صحيحه: (الإحسان ١٦/ ٧٧): يشبه أن يكون هذا خطابًا خرج على حسب الحال فى شيء بعينه؛ إذ محال أن يكون هذا الخطاب على عمومه وتحت الخضراء: المصطفى ﷺ والصديق، والفاروق رضي الله عنهما.

وقال ابن الأثير فى النهاية (٣/ ٣٣٧): «أراد أنه متناه فى الصدق، فجاء به على اتساع الكلام والمجاز» اهـ. وعلى هذا فلم يرد ﷺ عدم مشاركة غيره له فيما عدَّه له- والله أعلم.

(٢) صحح إسناده العلامة الألباني-رحمه الله- فى الصحيحين (٢٣٤٣)، وصحيح الجامع (٦٢٩٢) لطرقه وشواهده.

فَصْلٌ

فى إسلام ضماد

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أن ضمادًا قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون، فقال: لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدى، قال: فلقيه، فقال: يا محمد، إنى أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفى على يدى من شاء، فهل لك؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد**».

قال: «فقال: أعد على كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر.

قال فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**وعلى قومك**»، قال: وعلى قومى.

قال: فبعث رسول الله سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئًا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردها فإن هؤلاء قوم ضماد[1].

۞۞۞

---

(١) رواه مسلم فى «صحيحه» (٤٦/ ٨٦٨) وأحمد فى «المسند» ١/ ٣٠٢ و٣٥٠ و٣٩٣ و٤٣٢، ٣/ ٣٧١، والحاكم فى «المستدرك» ٣/ ٥٤-٥٥ وصححه، ووافقه الذهبى، وابن سعد١/ ٢٩٩، وسنده قوى.

فَصْلٌ

فى إسلام عمرو بن عبسة السلمى

عن أبى أمامة قال: قال عمرو بن عبسة السلمى: كنت وأنا فى الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شىء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعتُ برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتى، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستخف، جرءاء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبى**» فقلت: وما نبى؟ قال: «**أرسلنى الله**» فقلت: وبأى شىءٍ أرسلك؟ قال: «**أرسلنى بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شىءٌ**» قلت له: فمن معك على هذا، قال: «**حر عبد**» (قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به) فقلت: إنى متبعك، قال: «**إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالى وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى**» قال فذهبت إلى أهلى، وقدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وكنت فى أهلى فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم على نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت: ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة؛ فقالوا: الناس إليه سراع وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله! أتعرفنى؟ قال: «**نعم؟ أنت الذى لقيتنى بمكة؟**» قال فقلت: بلى. فقلت: يا نبى الله! أخبرنى عما علمك الله وأجهله، أخبرنى عن الصلاة؟ قال: «**صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صل. فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذ تُسجر جهنم فإذا أقبل الفىء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرنى**

شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار». قال فقلت: يا نبى الله! فالوضوء؟ حدثنى عنه. قال: «ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرَّت خطايا وجهه من أطراف لحيته من الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء. فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجَّده، بالذى هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدتُه أمه». فحدَّث عمرو بن عبسة بهذا الحديث أبا أمامة صاحب رسول الله ﷺ فقال له أبو أمامة يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول فى مقام واحد يعطى هذا الرجل؟! فقال عمرو: يا أبا أمامة لقد كبرت سنى ورق عظمى واقترب أجلى وما بى من حاجة أن أكذب على الله ولا على رسول الله لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا - حتى عدَّ سبع مراتٍ، ما حدثتُ به أبدًا، ولكنى سمعتُه أكثر من ذلك(١).



(١) أخرجه مسلم (٨٣٢)، وأحمد فى «المسند» ٢٠/ ٢١٥ - الفتح الربانى. وانظر: «المستدرك» ٣/ ٦٥.

كتاب الوقائع والأحداث

من الهجرة إلى الحبشة حتى الهجرة إلى المدينة



باب

فى الهجرة إلى الحبشة

فَصْلٌ

فى الهجرة الأولى إلى الحبشة

أكثر العلماء على أنها كانت فى رجب سنة خمس من البعثة، وكانوا اثنى عشر رجلًا وأربع نسوة، ورئيسهم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه السيدة رقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان فى هذا الفوج أبو سلمة وأم سلمة، وأبو سبرة بن أبى رهُم وزوجه أم كلثوم، وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهيل، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مظعون، ومصعب بن عمير، وسهيل بن البيضاء، والزبير بن العوام وجلهم من قريش، ولما انتهوا إلى البحر استأجروا سفينة أوصلتهم إلى مقصدهم، فأقاموا آمنين من أذى يلحق بهم من المشركين، ولم يبق مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا القليل [1].

وذكر ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سببها فقال: «فلما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يصيبُ أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية، لمكانته من الله، ومن عمه أبى طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صِدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه**» [2].

---

(١) قال الحافظ فى «الفتح» ٧/ ١٤٨ : «وكان وقوع الهجرة إلى الحبشة مرتين ، وذكر أهل السير أن الأول كانت فى شهر رجب من سنة خمس من البعثة، وأن أول من هاجر أحد عشر رجلاً ، وأربع نسوة، وقيل وامرأتان ، وقيل كانوا اثنى عشر رجلاً ، وقيل : غير ذلك..».

(٢) «السيرة النبوية» ١/ ١٧٩ ، وحسن الحافظ إسناده فى «الفتح» ٧/ ١٤٨ ، وله شواهد تثبته وتقويه.

فَصْلٌ

فى الهجرة الثانية إلى الحبشة

ظن المهاجرون الكرام رضوان الله عليهم أن الاضطهاد الواقع على المسلمين بمكة قد خفَّتْ وطأته، واشتدت عليهم الغربة فعادوا فلم يجدوا الأخبار التى بلغتهم صادقة، وكان الأمر أشد على المسلمين، فلم يجد النبى ﷺ بدًا من أن يشير عليهم بالهجرة إلى الحبشة مرة ثانية.

عن أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة زوج النبى ﷺ قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار، النجاشى، أمنا على ديننا، وعبدنا الله وحده، لا نؤذى، ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا النجاشى هدايا مما يُسْتطرفُ من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، وبعثوا بذلك مع عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى، وعمرو بن العاص بن وائل السهمى، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشى فيهم، ثم قدموا للنجاشى هداياه، ثم اسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا، فقدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى، ثم قالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما: نعم، ثم قربا هداياهم إلى النجاشى، فقبلها منهما، ثم كلماه.

فقالوا له: أيها الملك، قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم، وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه. ولم يكن أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشى كلامهم.

فقالت بطارقته حوله: صدقًا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

فغضب النجاشى وقال: لا هيم الله إذ لا أسلمهم إليهما ولا أكاد، قومًا جاورونى، ونزلوا بلادى، واختارونى على من سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذا فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاورونى.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقالوا بعضهم لبعض: ما تقولون فى الرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علَّمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن فى ذلك ما هو كائن، فلما جاءوه، وقد دعا النجاشى أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم: فقال: ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا فى دينى، ولا فى دين أحد من هذه الأمم.

قالت: وكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وشهادة الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة،

وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله من شىء؟

قالت: فقال له جعفر: نعم قالت: فقال له النجاشى، فاقرأه، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قالت: فبكى النجاشى، حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم.

ثم قال النجاشى: إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم، ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده، قال: عمرو بن العاص: والله لآتينه غدًا أعيبهم عنده بما أستأصل به خضراءهم.

فقال له عبد الله بن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **عبد.**

قالت: ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، واجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض، ما تقولون فى عيسى ابن مريم. فقال جعفر بن أبى طالب: نقول فيه الذى جاء به نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قال: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضى - والسيوم الآمنون - من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ما أحب أن لى دبرًا ذهبًا وإنى أذيت رجلًا منكم، «والدبر: بلسان الحبشة: الجبل» ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى، فآخذ فيه الرشوة، وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه.

فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده فى خير دار من خير جار.

فوالله إنه لعلى ذلك إذ نزل به من ينازعه فى ملكه، قال: والله ما علمنا حزنًا قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك، تخوفًا أن يظهر ذلك على النجاشى، فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف.

قالت: وسار النجاشى، وبينهما عرض النيل، قالت: فقال: أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَن رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا؟ فقال الزبير بن العوام: أنا. قالت : وكان من أحدث القوم سنًا. قالت: فنفخوا له قربة، فجعلوها فى صدره، فسبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.

قالت: ودعونا - الله عَزَّوَجَلَّ - للنجاشى بالظهور على عدوه، والتمكين فى بلاده، واستوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده فى خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بمكة»[1].

---

(١) رواه أحمد فى «المسند» ١/ ٢٠٢ ، و٥/ ٢٩٠-٢٩٢ ، من طريق ابن إسحاق بسند صحيح عن أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقال الهيثمى فى «المجمع» ٦/ ٢٤-٢٧ : «رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صَرَّح بالسماع». فالحديث بهذا صحيح ، والحديث رواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ١٨٦-١٨٨ ، وأبو نعيم فى «الحلية» ١/ ١١٥ وسنده صحيح ، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٣٠١-٣٠٤ ، وفى «الاعتقاد» (١١) ، وابن خزيمة فى «صحيحه» (٢٢٦٠) وصححه ، والطيالسى ٢/ ٨٩-٩٠ ، وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» قسما منه (١٤٧٩) ، وقد صحح العلامة أحمد =

فَصْلٌ

فيمن عاد من الحبشة ودخل بجوار من أهل الشرك

قال ابن إسحاق: «وبلغ أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة، إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلًا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا».اهـ.

وقد كان عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فيمن رجع من مؤمنىٰ قريش الذين هاجروا إلىٰ الحبشة فلم يستطع دخول مكة لاشتداد المشركين فيها علىٰ من آمن بالإسلام، فدخل فىٰ جوار الوليد بن المغيرة، فلم يستطع أحد إيذاءه.

عن ابن إسحاق قال: حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عمن حدثه عن عثمان قال: «ولما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البلاء، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غدوى ورواحى آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابى وأهل دينى يلقون من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى، لنقص كبير فى نفسى.

فمشى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك، فقال له: لم يا ابن أخى؟ لعله آذاك أحد من قومى، قال: لا، ولكنى أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره؟

قال: فانطلق إلى المسجد فاردد إلى جوارى علانية كما أجرتك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد على جوارى،

= شاكر إسناده فى تعليقه على «المسند» (١٧٤٠)، وله شاهد عن ابن مسعود فى «المسند» (٤٤٠٠) وحسنه الحافظ فى «الفتح» وابن كثير فى «السيرة النبوية» والألبانى فى «صحيح السيرة» (ص١٧٤-١٧٦)، وفى «فقه السيرة» (ص١٢٣).

قال: صدق، قد وجدته وفيًّا كريم الجوار، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب فى مجلس من قريش ينشدهم فجلس معهم عثمان، فقال لبيد: ألا كل شىء ما خلا الله باطل.

قال عثمان: صدقت. قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل.

قال عثمان: كذبت نعيم الجنة لا يزول، قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم؟

فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه فى سفهاء معه، قد فارقوا ديننا، فلا تجدن فى نفسك من قوله، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال: أما والله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية، لقد كنت فى ذمة منيعة، قال: يقول عثمان: بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله، وإنى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس، فقال له الوليد: هلم يا ابن أخى إن شئت فعد إلى جوارك، فقال: لا»[1].



(١) حسن لشواهده رواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ٢٠٦-٢٠٧، وقد صَّرح ابن إسحاق فيه بالسماع والتحديث، وسنده منقطع، وأخرجه أبو نعيم فى «الحلية» ١/ ١٠٣-١٠٤، من طريق ابن إسحاق، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢٩٢ من طريق موسى بن عقبة، والطبرانى فى «الكبير» ٩/ ٢١-٢٤ (٨٣١٦) مرسلاً، من طريق عروة وقال الهيثمى فى «المجمع» ٦/ ٣٢-٣٤، وفيه ابن لهيعة، فالحديث حسن لهذه الشواهد. وذكره الحافظ فى «الفتح» من رواية ابن إسحاق ٧/ ١٨٨ وصالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف، هو أبو عبد الرحمن المدنى ثقة من الخامسة [التقريب ١/ ٣٥٨].

وممن دخل فى جوار من أهل الشرك

أبو سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: وأما أبو سلمة بن عبد الأسد، فحدثنى أبى - إسحاق بن يسار، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبى سلمة أنه حدثه: أنا أبا سلمة لما استجار بأبى طالب، مشى إليه رجال من بنى مخزوم، فقالوا: يا أبا طالب، لقد منعت منَّا ابن أخيك محمدًا، فمالك ولصاحبنا تمنعه منا، قال: إنه استجار بى ، وهو ابنُ أختى ، وإن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخي. فقام أبو لهب فقال :يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون توثبون عليه فى جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد. قال: فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة، وكان لهم وليًّا وناصرًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقوا على ذلك، فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .



(١) «السيرة النبوية» ١/ ٢٧٠ ، والخبر رواه ابن الأثير فى «أسد الغابة» ٣/ ١٩٠ ، عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق به وإسناده صحيح.

فَصْلٌ

فى هجرة أبى بكر الأولى وموقف ابن الدغنة منها

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طرفى النهار: بكرة وعشيا، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ (بَرَكَ الغماد) [١] لقيه ابن الدغنة، وهو سيد (القارة) [٢] فقال: أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبو بكر: أخرجنى قومى، فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى.

فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر! لا يخرج، ولا يخرج مثله، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلدك.

فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، وطاف ابن الدغنة فى أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أتخرجون رجلًا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق؟!

فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره، وليصل فيها، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فقال ابن الدغنة ذلك لأبى بكر.

فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه فى داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره.

---

(١) برك الغماد: منطقة فى اليمن.

(٢) القارة: قبيلة مشهورة يضرب بها المثل فى قوة الرمى.

ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدًا بفناء داره، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فيقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم، يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بكاءًا لا يملك عينه إذا قرأ القرآن.

فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك؛ فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن الصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتتن أبناؤنا ونساؤنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك؛ فسله أن يرد عليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدَّغنة إلى أبى بكر فقال: قد علمت الذى قد عاقدتك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلى ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له.

فقال أبو بكر: فإنى أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله عَزَّوَجَلَّ[1].



---

(١) رواه البخارى (٤٧٦ و٢١٣٨ و٢٢٦٣ و٢٢٦٤ و٢٢٩٧ و٣٩٠٥ و٤٠٩٣ و٥٨٠٧ و٦٠٧٩) مختصراً ومطولاً، وروى أحمد بعضه، «المسند» ٦/ ١٩٨ (٢٥٦٢٦)، ورواه أبو داود (٤٠٨٣)، وعبد الرزاق (٩٧٤٣) وابن خزيمة (٢٦٥) (٢٥١٨)، والطحاوى فى «المشكل» (٤٠٧٦)، وابن حبان فى «صحيحه» (٦٢٧٧)، والحاكم فى «المستدرك» ٣/ ٣-٤، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٤٧١-٤٧٥، و«السنن» ٩/ ٩، والبغوى (٣٧٦٣)، واللالكائى (١٤٢٢ و١٤٣١)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (٢٣٠)، وابن سعد فى «الطبقات» ٨/ ٢٥٠ والطبرى فى «التاريخ» ٢/ ٣٨٥.

فَصْلٌ
فى فضل النجاشى ملك الحبشة وأنه مات مسلمًا

وهو أصحمة بن بحر، قال الحافظ ابن كثير: «وكان عبدًا صالحًا لبيبًا ذكيا، وكان عادلًا عالمًا رضى الله عنه وأرضاه.

قال الذهبى: معدود فى الصحابة رضي الله عنهم وكان ممن حسن إسلامه، ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعى من وجه، صاحبى من وجه، وقد توفى فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فصلى عليه بالناس صلاة الغائب» ففى صحيح مسلم وغيره: عن عمران بن حصين رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«إن أخًا لكم قد مات، فقوموا فصلوا عليه»**[1]. يعنى: النجاشى.

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن أخًا لكم قد مات فقوموا فصلوا عليه»**، قال: فقمنا فصفنا صفين[2].

وقد نعاه النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيحين عن جابر أنه قال: **«مات اليوم رجل صالح؛ فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة»** واللفظ للبخارى[3]، وعن مسلم: **«فقام فأمنا وصلى عليه»**.

قال الإمام الذهبى: «ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى على غائب سواه[4] وسبب

---

(١) أخرجه مسلم (٩٥٣)، والنسائى ٤/ ٥٧، وابن ماجه (١٥٣٥)، وابن أبى شيبة ٣/ ٣٦٢، وأحمد ٤/ ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤٦، والطبرانى فى «الكبير» ١٨/ ٤٦٠، ٤٦١، والبيهقى ٤/ ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم (٦٦/ ٩٥)، والنسائى ٤/ ٧٠، وأحمد ٣/ ٣٥٥.

(٣) رواه البخارى (٣٨٧٧) واللفظ له، ومسلم (٦٥/ ٩٥٢).

(٤) أنظر فى هذه المسألة: (الصلاة على الغائب)؛ «صحيح السيرة» للشيخ الألبانى رحمه الله (ص١٨٣)، و«أحكام الجنائز» له -أيضًا- و«زاد المعاد» لابن القيم رحمه الله ١/ ٥١٩-٥٢١، و«إعلام الموقعين» ٢/ ٣٦٥-٣٦٦ له، و«الروضة الندية» للعلامة محمد صديق حسن خان تحقيق محمد صبحى حسن حلاق ١/ ٤٢٥.

ذلك: أنه مات بين قوم نصارى، ولم يكن عنده من يصلى عليه؛ لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عام خيبر». اهـ.

ونقل الذهبى أن وفاته كانت فى شهر رجب، سنة تسع من الهجرة. وذكر الحافظ ابن حجر أنه رأى الأكثرين وذكر البيهقى فى «الدلائل» أنه سنة ثمان قبل فتح مكة، والذى يترجح عندى أنه سنة تسع من الهجرة، وهو قول الجمهور.

ومن محاسنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه زوج أم حبيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أم المؤمنين للنبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعطاها الصداق من النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعة آلاف درهم من عنده، وجهازها كله من عند النجاشى[1].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما مات النجاشى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور»[2].



(١) انظر فى خبر زواج أم المؤمنين أم حبيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا من النبى «سنن أبى داود» (٢١٠٧) بإسناد صحيح. وسنذكره فى موضعه -إن شاء الله تعالى-

(٢) رواه ابن إسحاق فى «السيرة» ١/ ١٨٩ بإسناد حسن ورواه أبو داود فى «السنن» (الجهاد) بلفظ: «كنا نتحدث».. من طريق سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق، وسلمة قال الحافظ ابن حجر فيه: «صدوق كثير الخطأ» حسنه الألبانى فى «صحيح السيرة» (ص١٨١).

فَصْلٌ
فى إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[1].

وعنه أيضًا - أنه قال: «ما كنا نقدر على أن نُصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشًا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه»[2].

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعز الإسلام بعمر أو بأبى جهل أيهما أحب إلى الله، فكان عز الإسلام فى إسلام عمر رضي الله عنه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب، أو بأبى جهل بن هشام**»[3].

وكان إسلامه - رضي الله عنه - بعد هجرة الحبشة الأولى[4] - فى العام السادس من البعثة النبوية، ورجَّح بعض العلماء أن هذا كان من أسباب عودة المهاجرين الهجرة الأولى إلى مكة.

أما قصة إسلامه: فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر لشىء قط يقول إنى لأظنه كذا، إلا كان كما يظن.

(١) أخرجه البخارى (٣٦٨٤)، وابن أبى شيبة ١٢/ ٢٢-٢٣، وابن سعد فى «الطبقات» ٣/ ٢٧٠، وعبد الله بن أحمد فى زياداته على «فضائل الصحابة» (٣٦٨ و٣٧٢)، والطبرانى (٨٨٢١ و٨٨٢٢)، والحاكم ٣/ ٨٤، وأبو نعيم فى «الحلية» ٨/ ٢١١، والبيهقى فى «الدلائل» ٢/ ٢١٥.

(٢) رواه ابن سعد فى «الطبقات» ٣/ ٢٧٠ وصحح إسناده الشيخ الألبانى فى «صحيح السيرة» (ص١٢٨).

(٣) صحيح أخرجه: الترمذى (٣٦٨١) والإمام أحمد فى «المسند» (٢/ ٩٥)، وفى «فضائل الصحابة» (٣١٢)، وابن سعد (٣/ ٢٦٧)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٢١٥، ٢١٦)، وهو حديث صحيح صححه الألبانى فى «صحيح الترمذى» (٢٩٠٧).

(٤) انظر «الفتح» (٧/ ٢٢١).

بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال: لقد أخطأ ظنى، أو أن هذا على دينه فى الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، على بالرَّجل.

فدُعى به، فقال له ذلك، فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم!

قال: فإنى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى، قال: كنت كاهنهم فى الجاهلية.

قال: فما أعجبك ما جاءتك به جنيتك؟

قال: بينما أنا فى السوق يومًا، جاءتنى أعرف فيها الفزع، فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها، ويأسها من بعد إنكاسها، ولحوقها بالقلاص وأحلاسها؟

قال عمر: صدق، بينا أنا عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخًا قط أشد صوتًا منه يقول: يا جليح! أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله، فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح! أم نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله. فقمت، فما نشبنا أن قيل: هذا نبى[1].

قال **الحافظ**: «لمح المصنف بإيراد هذا القصة فى «باب إسلام عمر» بما جاء عن عائشة وطلحة عن عمر، من أن هذه القصة كانت سبب إسلامه.

ومن أسباب إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **دعوة النبى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **له**: عن ابن عمر أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك...**» ثم ذكره.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا قال: «لما أسلم عمر - اجتمع الناس عند داره

---

(١) رواه البخارى (٣٨٦٦)، وقد سبق فى إرهاصات نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فراجعه ثمَّ، وانظر كلام الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٢١٥ - ٢١٦).

وقوله: «وإبلاسها»: المراد به اليأس ضد الرجاء.

وقوله: «يأسها بعد إنكاسها» معناه: إنها يئست من استراق السمع بعد أن كانت قد ألفته ذكره ابن فارس.

وقوله: «ولحوقهابالقلاص وأحلاسها» القلاص: جمع قلوص وهى الفتية من النياق، والأحلاس: جمع حلس وهو ما يوضع على ظهر الإبل تحت الرجل.

وقوله: «يا جليح» معناه: الوقح المكافح بالعداوة.

وقوله: «رجل فصيح» من الفصاحة. اهـ. ملخص من «الفتح» (٧/ ٢١٩ - ٢٢٠).

وقالوا: صبأ عمر، وأنا غلام فوق ظهر بيتى فجاء رجل عليه قباء من ديباج فقال: قد سبأ عمر فما ذاك؟ فأنا له جار، قال: فرأيت الناس تصدعوا عنه، فقلت: من هذا؟ قالوا: العاص بن وائل[1].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما أسلم عمر قال: أى قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحى، فغدا عليه، قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت. حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل أنى أسلمت، ودخلت فى دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، اتبعه عمر، واتبعته أنا، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم فى أنديتهم حول الكعبة، ألا إن ابن الخطاب قد صبأ.

قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكنى قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه، حتى قامت الشمس على رءوسهم، قال: وطلح فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى، حتى وقف عليه، فقال: ما شأنكم به؟ فقالوا: صبأ عمر.

قال: فمه، رجل اختار لنفسه أمرًا فما تريدون؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل.

قال: فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كشط عنه، قال: فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة، يا أبت، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك،

---

(١) رواه البخارى (٣٨٦٥).

قال: ذاك أى بنى، العاص بن وائل السهمى[١].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا قال: «بينما عمر فى الدار خائفًا إذ جاءه العاص بن وائل السهمى، أبو عمرو عليه حلةُ حبر وقميص مكفوف بحرير وهو من بنى سهم وهم حلفاؤنا فى الجاهلية فقال: ما بالك؟.

قال: زعم قومك أنهم سيقتلوننى إنى أسلمت، قال: لا سبيل إليك، بعد أن قالها آمنت. فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد ابن الخطاب الذى صبأ، قال: لا سبيل إليه، فكرَّ الناس»[٢].

تنبيه: جاء من حديث ابن عباس مرفوعًا: «لما أسلم عمر أتانى جبريل فقال: استبشر أهل السماء بإسلام عمر»[٣] وهو لا يصح.



(١) أخرجه عبد الله بن أحمد فى زياداته «فضائل الصحابة» (٣٧٢) وابن حبان (٦٨٤٠ - إحسان) والبزار مختصرًا (٢٤٩٤)، والحاكم (٣/ ٨٥)، وصححه ووافقه الذهبى، ورواه الذهبى فى «السيرة» (١/ ٢٢٦)، وابن كثير فى «السيرة» (١/ ٣٨ - ٣٩) وقال: «هذا إسناد جيد قوى» وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٦٥) رواه البزار والطبرانى باختصار، ورجاله ثقات إلا ابن إسحاق مدلس»، قلت: وقد صرَّح ابن إسحاق بالتحديث، وإسناده صحيح.

(٢) رواه البخارى (٣٨٦٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (ج١/ ٣٨)، وابن حبان (٢١٨٢ - موارد) والحاكم وصححه وتعقبه الذهبى بقوله: فيه عبد الله بن خراش، ضعفه الدارقطنى، وقال محقق «مختصر استدراك الذهبى» لابن الملقن: «الحديث ضعيف جدًّا» وكذا قال الألبانى فى «الضعيفة» (٩/ ٣٢٥).

فَصْلٌ

فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾

قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥].

قال سفيان: عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهرى، والأسود بن المطلب أبو زمعة، والحارث بن عيطل، والعاص بن وائل السهمى.

فأتاه جبريل فشكاهم إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأراه الوليد، فأشار جبريل إلى أكحله، وقال: كفيته.

ثم أراه الأسود بن المطلب، فأومأ إلى عينيه، وقال: كفيته.

ثم أراه الحارث بن عيطل: فأومأ إلى بطنه، وقال: كفيته.

ومر به العاص بن وائل: فأومأ إلى أخمصه، وقال: كفيته.

فأما الوليد، فمر برجل من خزاعة يريش نبلًا له، فأصاب أكحله، فقطعها.

وأما الأسود بن عبد يغوث؛ فخرج فى رأسه قروح، فمات منها.

وأما الأسود بن المطلب فعمى، وكان سبب ذلك أنه نزل تحت سمرة، فجعل يقول: يا بنى! ألا تدفعون عنى؟ قد قتلت! فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا وجعل يقول: يا بنى! ألا تمنعون عنى؟ قد هلكت! ها هو ذا الطعن بالشوك فى عينى، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئًا فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه.

وأما الحارث بن عيطل؛ فأخذه الماء الأصفر فى بطنه؛ ثم خرج خرؤه من فيه؛ فمات منها.

وأما العاص بن وائل؛ فبينما هو كذلك يومًا؛ إذ دخل فى رجله شبرقة حتى

امتلأت منها؛ فمات منها، وقال غيره فى هذا الحديث.

فركب إلى الطائف على حمار، فربض به على شبرقة (يعنى: شوكة)، فدخلت فى أخمص قدمه شوكة، فقتلته[١].

فَصْلٌ
فى دعاء النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قريش حين استعصت عليه بسبع مثل سبع يوسف

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**إن قريشًا لما استعصت على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبطأوا عن الإسلام قال: «اللهم! أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف»**.

قال: فأصابتهم سَنة حتى حصَّت كل شىء، حتى أكلوا الجيف، وحتى أن أحدهم كان يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، ثم دعا، فكشف الله عنهم، ثم قرأ عبد الله هذه الآية: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الدخان: ١٥]، قال: فعادوا فكفروا، فأُخِّروا إلى يوم بدر.

قال عبد الله: إن ذلك لو كان يوم القيامة كان لا يكشف عنهم: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الدخان: ١٦]، قال يوم بدر[٢].

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى «التفسير» (١٤/ ٦٩، ٧٠)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٢٢٢ - ٢٢٣)، عن ابن إسحاق به، وأخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٤٩٨٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٣١٦ - ٣١٨)، وفى «السنن» (٩/ ٨)، والضياء فى «المختارة» (١٠ رقم ٩٤)، من حديث ابن عباس فذكره، وحسن إسناده السيوطى فى «الدر المنثور» (٤/ ٢٠٠) وزاد نسبة إلى ابن مردوية وأبى نعيم فى «الدلائل» والذى فى «الدلائل» لأبى نعيم من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس والكلبى متهم بالكذب. والله أعلم.
ورواه ابن جرير عن سعيد بن جبير مرسلًا، وحسنه الحافظ ابن كثير فى «صحيح السيرة»، والألبانى (ص ٢٢٢)، وذكره الذهبى فى «تاريخه» (١/ ١٠٠) وقال: «حديث صحيح».
و«شِبْرِقَة»: الشبرق: نبتٌ حجازى يؤكل وله شوك، وإذا يبس سمى الضريع.

(٢) أخرجه البخارى (١٠٠٧ و ١٠٢٠ و ٤٦٩٣ و ٤٧٧٤ و ٤٨٠٩ و ٤٨٢٠ و ٤٨٢١)، ومسلم ٣٩ و ٤٠/ ٢٧٩٨) والترمذى (٣٢٥٤) وصححه، والنسائى فى «الكبرى» (١١٤٨١)، وأحمد فى «المسند» (١/ ٣٨٠ - ٣٨١)، والطيالسى (٢٩٣)، وابن جرير الطبرى (٢٥/ ٦٦).



الوقائع والأحداث فيما بين الهجرة الثانية إلى الحبشة إلى مقدمات الهجرة إلى المدينة

فصل

فى الصحيفة الظالمة والمقاطعة العامة

عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قلت يا رسول الله أين تنزل غدًا؟ فى حجته، قال: «**وهل ترك لنا عقيل منزلًا**»، ثم قال: «**نحن نازلون غدًا إن شاء الله بخيف بن كنانة**» - يعنى: المحصب [1]- حيث قاسمت قريش على الكفر، وذلك أن بنى كنانة حالفت قريشًا على بنى هاشم، أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يؤوهم، ثم قال عند ذلك: «**لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر**» [2].

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن بمنى: «**نحن نازلون غدًا بخيف بنى كنانة، حيث تقاسموا على الكفر**» وذلك أن قريشًا وبنى كنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب، أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعنى: بذلك المحصب [3].

---

(١) قال النووى: «والمحصب والأبطح والبطحاء وخيف بنى كنانة اسم لشىء واحد وهو اسم مكان متسع بين مكة ومنى وهو إلى منى أقرب».

(٢) أخرجه البخارى (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤)، وأبو داود (٢٩٠٩)، والترمذى (٢١٠٧)، وابن ماجه (٢٧٢٩)، وأحمد (٥/ ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٠٩)، والدارمى (٢/ ٣٧٠).

(٣) أخرجه البخارى (١٥٨٩ و ١٥٩٠ و ٣٨٨٢)، ومسلم (١٣١٤)، وأبو داود (٢٠١١)، والنسائى فى «الكبرى» (٤٢٠٢)، وابن خزيمة (٢٩٨٢)، والبيهقى فى «السنن» (٥/ ١٦٠)، وأحمد (٧٢٤٠).

قال الحافظ فى «الفتح»: «ولما لم يثبت عند الإمام البخارى شىء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبى هريرة، لأن فيه دلالة على أصل القصة، لأن الذى أورده أهل المغازى من ذلك كالشرح لقوله ﷺ: «**تقاسموا على الكفر**»[(١)].

وقد ورد الخبر مفصلًا من مرسل أبى الأسود، ومرسل الزهرى[(٢)]، كما ورد من مرسل عروة بن الزبير[(٣)].



(١) «الفتح» (٧/ ١٩٣).

(٢) كما فى «الدلائل» للبيهقى (٢/ ٣١١ و ٣١٤)، و«الدرر» لابن عبد البر (ص ٢٧ - ٣٠) بإسناد حسن.

(٣) «دلائل» البيهقى (٢/ ٣١٤)، وإسناده ضعيف فيه ابن لهيعة، ومحمد بن عمرو بن خالد الحرانى مجهول. وقد رواها ابن إسحاق بلاغًا كما فى السيرة...» (١/ ٤٣٠-٤٣٤). وقال د/ أكرم العمرى فى «السيرة النبوية الصحيحة» (١/ ١٨١)، «وإذا لم تثبت تفاصيل دخول المسلمين شعب أبى طالب فإن أصل الحادث ثابت، كما أن ذلك لا يعنى عدم وقوع تفاصيل الحادث تاريخيًّا، فإن عروة رائد مدرسة المغازى وهو يروى عن الصحابة فى الغالب ا.هـ.

فَصْلٌ
فى وفاة أبى طالب

عن المسيب بن حزن المخزومى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**».

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية: يا أبا طالب! ترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أما والله! لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله تعالى فى أبى طالب فقال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦][1].

وعن على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن أبا طالب مات فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**اذهب فواره**» فقال: إنه مات مشركًا، فقال: «**اذهب فواره**» فلما واريته رجعت إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لى: «**اغتسل**»[2].

---

(١) أخرجه البخارى (١٣٦٠ و ٣٨٨٤) ومسلم (٢٤)، والنسائى (٤/ ٩٠ - ٩١) (٢٠٣٥)، وأحمد (٢٣٧٨٠)، عن المسيب ورواه مسلم (٢٥) والترمذى (٣١٨٨)، وأحمد (٢/ ٤٣٤) وابن جرير فى «التفسير» (١١/ ٤١) عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رواه أبو داود (٣٢١٤)، والنسائى (٢٠٠٦)، وأحمد (١/ ٩٥، ١٠٣، ١٣٠، ١٣١) وحسن الذهبى إسناده فى «السيرة النبوية» (١/ ٢٦٥)، فقال: «هذا حديث حسن متصل».

مصير أبى طالب:

عن أبى سيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه: سمع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذُكر عنده عمه فقال: «**لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة، فجعل فى ضحضاح**[١] **من النار، يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه**»[٢].

وعن العباس بن عبد المطلب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أنه قال للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار**»[٣].

موقف قريش من الرسول بعد موت أبى طالب:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مازالت قريش كاعة حتى توفى أبو طالب**»[٤].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاعة جمع كائع، وهو الجبان، يقال: كَع إذا جبن وانقبض.



(١) الضحضاح: الماء القليل الذى يبلغ الكعبين.

(٢) أخرجه البخارى (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠) (٣٦٠).

(٣) أخرجه البخارى (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) (٣٥٧)، وأحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٦٢٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٣٤٩ - ٣٥٠) وابن عساكر فى «التاريخ» (٧٠/ ٢٥١) وغيرهم وإسناده جيد.

فَصْلٌ

فى وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا فى عام واحد فتتابعت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها، وبهلك عمه أبى طالب، وكان له عضدًا، وحرزًا فى أمره، ومنعة وناصرًا على قومه، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابًا». اهـ.

ورجح ابن الجوزى فى «تلقيح فهوم أهل الأثر» أن وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان بعد وفاة أبى طالب بنحو شهرين أو ثلاثة وكان فى رمضان من السنة العاشرة من البعثة النبوية، ولها خمس وستون سنة ودفنت بالحجون.

وذكر الواقدى أنها توفيت قبل أبى طالب بنحو خمس وثلاثين يومًا، ورجح ابن كثير، والحاكم أن بينهما ثلاثة أيام.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها، فذكرها يومًا، فاحتملتنى الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، فرأيته غضب غضبًا أسقطت فى خلدى، وقلت فى نفسى: اللهم إنك إن أذهبت غضب رسولك عنى لم أعد إلى ذكرها بسوء، فلما رأى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لقيت قال: «**كيف قلت، والله لقد آمنت بى إذا كفر بى الناس، وآوتنى إذ رفضنى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، ورزقت منها الولد، وحرمتموه منى قالت فغدا وراح على بها شهرًا**»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد فى «المسند» (٦/ ١١٧)، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وأخرجه الإمام الذهبى فى «السيرة» (١/ ٢٦٦).

ومما جاء فى فضلها ما رواه الشيخان عن أبى هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «**أتى جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **النبى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت، معها إناء فى إدام أو طعام أو شراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب**»[1].



(١) أخرجه البخارى (٣٦٩٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

فَصْلٌ

فى زواجه ﷺ بسودة وعائشة رضي الله عنهما

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «توفيت خديجة قبل مخرج النبى ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريبًا من ذلك، ونكح عائشة وهى بنت ست سنين، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين»(1).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ثم تزوج النبى ﷺ بعد موت خديجة بأيام سودة بنت زمعة القرشية، وهى التى وهبت يومها لعائشة.

ثم تزوج بعدها أم عبد الله عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق، المبرأة من فوق سبع سموات، حبيبة رسول الله ﷺ عائشة بنت أبى بكر الصديق، وعرضها عليه الملك قبل نكاحها فى سرقة من حرير، وقال: «هذه زوجتك» تزوج بها فى شوال وعمرها ست سنين، وبنى بها فى شوال فى السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وما نزل عليه الوحى فى لحاف امرأة غيرها(2).

وكانت أحب الخلق إليه، ونزل عذرها من السماء، واتفقت الأمة على كفر قاذفها، وهى أفقه نسائه وأعلمهنَّ، بل أفقه نساء الأمة وأعلمهن على الإطلاق، وكان الأكابر من أصحاب النبى ﷺ يرجعون إلى قولها، ويستفتونها(3).

---

(1) أخرجه البخارى (٣٨٦٩) وانظر أطرافه هناك ومسلم (٧٠/ ١٤٢٢ و ٧١)، وأبو داود (٢١٢١)، و(٤٩٣٣ و ٤٩٣٤ و ٤٩٣٥ و ٤٩٣٦) والنسائى (٦/ ٨٢)، وابن ماجة (١٨٧٦) وأبو يعلى (٤٦٠٠ و ٤٨٩٧)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٣/ ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠)، والبيهقى فى «السنن» (٧/ ١٤٨ - ١٤٩)، وابن سعد (٨/ ٥٩)، والطيالسى (١٤٥٤).

(2) كما فى الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى (٢٥٨٠) و (٢٥٨١)، و(٣٧٧٥)، والترمذى (٣٨٧٩)، والنسائى (٧/ ٦٨) عن عائشة، وأخرجه أحمد (٦/ ٢٩٣)، والحاكم (٤/ ٩) والطبرانى فى «الكبير» (٢٣/ ٨٥٠) عن أم سلمة.

(3) زاد المعاد (١/ ١٠٥-١٠٦) وانظر فى ذلك: «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» لشيخ الإسلام - ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أريتك فى المنام ثلاث ليالٍ، جاءنى بك الملك فى سرقه من حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك، فإذا أنت هى فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه**»[1]، والسرقة من حرير: أى خرقة من حرير وهى من جيد الحرير، وجمعها: سَرق.

وعنها أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج قال: (من؟) قالت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا».

قال: (فمن البكر؟) قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر.

قال: «ومن الثيب؟» قالت: سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول، قال: «**فاذهبى فاذكريهما على**».

فدخلت بيت أبى بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟

قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطب عليه عائشة قالت: انتظرى أبا بكر حتى يأتى.

فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل عليك من الخير والبركة! قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطب عليه عائشة. قال: وهل تصلح له؟ إنما هى ابنة أخيه.

فرجعت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكرت ذلك له قال: ارجعى إليه فقولى له: «أنا أخوك، وأنت أخى فى الإسلام، وابنتك تصلح لى» فرجعت فذكرت ذلك له قال: انتظرى، وخرج، قالت أم رومان: إن مطعم بن عدى قد ذكرها على ابنه، ووالله ما وعد أبو بكر وعدًا فأخلفه.

فدخل أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الفتى فقالت: يا ابن

---

(١) أخرجه البخارى (٥١٢٥)، ومسلم (٧٩/ ٢٤٣٨) وأحمد (٦/ ٤١ و ١٢٨ و ١٦١).

أبى قحافة لعلك مصبئ صاحبنا تدخله فى دينك الذى أنت عليه إن تزوج إليك ؟

فقال أبو بكر للمطعم بن عدى : أقول هذه تقول ! قال : أنها تقول ذلك. فخرج من عنده وقد أذهب الله عَزَّوَجَلَّ ما كان فى نفسه من عدته التى وعدته.

فرجع فقال لخولة: ادعى لى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعته فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين[1].

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبكرة؟ قالت: وما ذاك؟

قالت: أرسلنى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطبك إليه.

قالت: وددت، ادخلى إلى أبى فاذكرى ذلك له، وكان شيخًا كبيرًا قد أدركه السن قد تخلف عن الحج، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية. فقال: من هذه؟ قالت: خولة بنت حكيم، قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلنى محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخطب عليه سودة، فقال: كفء كريم، ماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك. قال:

---

(١) كتب الشيخ العلامة أحمد محمد شاكر - رحمه الله - محدث الديار المصرية.

مقالًا: مقالًا ردَّ فيه على الكاتب عباس محمود العقاد فى تحقيق سن أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-. فى كتابه: «الصديقة بنت الصديق» نشر دار المعارف - بمصر - وكان العقاد قد تخبط فى إثبات سن السيدة عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ودندن وحام وتخبط وبنى ثم نسى فهدم، وقال ثم نقض، وهذا يدلك على أنه من تكلم فى غير فنه أتى بالعجائب، فرد عليه الشيخ العلامة أحمد شاكر فى أسلوب هادئ وبحث مؤصل كما هو المعهود منه فى كتاباته وتحقيقاته. ثم بين الشيخ العلامة بعض الأحكام والفوائد من إثبات سن السيدة عائشة وأن الصحيح أنه ست سنين، فقال فى خاتمة رده وما أبلغه وأفقهه: «وبعدُ مرة أخرى: فإن شريعتنا شريعة الإسلام أباحت تزويج البنات الصغار، وجعلت تزويجهن للأولياء، بدليل زواج النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة وبنائه بها وهى دون العاشرة، وبدليل قول الله تعالى فى سورة الطلاق: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ [الطلاق: ٤]، فاللائى لم يحض هن الصغيرات اللائى لم يأتهن الحيض وهن دون البلوغ، عليهن عدة ثلاثة أشهر إذ طلقن، ولا يكون طلاق وعدة إلا بعد زواج، أليس كذلك؟!

فمن رضى هذه الشريعة لم ينكر ولم يعبأ بقول العائبين المغرضين، ومن أبى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس: ٩٩].اهـ. وانظره فى «كلمة حق» ص (١٠٨ - ١١٩).

ادعيها إلى.

فدعيتها قال: أى بنية، إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوجك به؟ قالت: نعم.

قال: ادعيه لى، فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزوجها إياه.

فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج، فجعل يحثى على رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: لعمرك إنى لسفيه يوم أحثى فى رأسى التراب، أن تزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سودة بنت زمعة.

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا فى بنى الحارث بن الخزرج فى السنح.

قالت: فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل بيتنا، واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء، فجاءتنى أمى وإنى لفى أرجوحة بين عذقين يرجح لى، فأنزلتنى من الأرجوحة ولى جميمة، ففرقتها ومست وجهى بشىء من ماء، ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب، وإنى لأنهج حتى سكن من نفسى، ثم دخلت بى، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالس على سرير فى بيتنا، وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلستنى فى حجره، ثم قالت: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك فيهم، وبارك لهم فيك، فوثب الرجال والنساء فخرجوا، وبنى بى رسول الله فى بيتنا ما نحرت جزور، ولا ذبحت علىّ شاة، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين»(١).

---

(١) حسن: فيه محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى، صدوق، والحديث أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢١٠ و ٢٢١) وحسن إسناده الإمام الذهبى فى «السيرة» (١/ ٢٨٩) والحافظ ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ١٧٦)، وقال الحافظ ابن كثير فى «السيرة» (٢/ ١٤٢) «هذا السياق كأنه مرسل وهو متصل» وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٢٢٥): «رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث، وأخرجه ابن سعد (٨/ ٥٧) وقال الساعاتى - رحمه الله - فى «الفتح الربانى» (٢٠/ ٢٣٧ - ٢٣٩).

«أورده الهيثمى وقال فى الصحيح طرف منه، رواه أحمد بعضه فيه الاتصال عن عائشة، وأكثره مرسل، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وثقه غير واحد ورجاله رجال الصحيح».

فَصْلٌ

فى خروجه ﷺ إلى الطائف

قال ابن إسحاق: «ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عَزَّوَجَلَّ فخرج إليهم وحده» (١).

روى ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظى قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير، ومسعود بن عمرو بن عمير، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا، لئن كنت رسولًا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغى لى أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم فيما ذكر لى: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبلة من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقى من سفهاء أهل الطائف،

---

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٣٩).

وقد لقى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما ذكر المرأة التى من بنى جمح فقال لها: «ماذا لقينا من أحمائك؟»[١].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قلت للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**نعم لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[٢] إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[٣] فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت منهم، فنادانى ملك الجبال، فسلم علىَّ، ثم قال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٤]**، قال: النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[٥].

---

(١) قوله: فيذئرهم: أى يحرضهم والقصة رواها ابن إسحاق بطولها كما فى «السيرة» (٢/ ٢٣٩) بسند صحيح، عن محمد بن كعب القرظى مرسلًا، ورواها ابن جرير الطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٣٤٤ - ٣٣٦) والطبرانى فى «الكبير» مختصرًا، أما قصة عداس ودعاء الرسول فقد جاء بغير سند له، وقال الشيخ الألبانى - رحمه الله - فى تعليقه على «فقه السيرة» (ص ١٢٦):

«أخرج هذه القصة ابن إسحاق بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظى مرسلًا، لكن قوله: «**إن أبيتم فاكتموا على ذلك**»، وقوله: «**اللهم إليك أشكو**»، إلى آخر الدعاء ذكرهما بدون سفر: وروى هذه القصة الطبرانى فى «الكبير» من حديث عبد الله بن جعفر مختصرًا، وفيه الدعاء المذكور بنحوه، قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٣٥)، «وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات» فالحديث ضعيف .اهـ. كلام الألبانى - رحمه الله - وانظر له «الضعيفة» (٦/ ٤٨٦) «وكلام الحافظ فى «الفتح» (٦/ ٣١٥).

وأصل القصة وتوجهه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف وعرضه نفسه الشريفة عليهم فلم يجيبوه - صحيح أخرجها البخارى فى «صحيحه» كتاب بدء الخلق، ومسلم فى كتاب الجهاد من «صحيحه» باب ما لقى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين والمنافقين.

(٢) قال الزرقانى فى «شرح المواهب» (١/ ٢٨٩) والعقبة: أى الطائف لا عقبة مني.

(٣) فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب، أى لم أفطن لنفسى وأنتبه لحالى، قرن الثعالب: قرن المنازل وهى ميقات أهل نجد.

(٤) الأخشبين: الأخشب من الجبال: كل جبل خشن غليظ الحجارة، والأخشبان: الجبلان المطيفان بمكة، وهما أبو قبيس والأحمر، وهو جبل مشرف وجهه **على** قعيقعان.

(٥) أخرجه البخارى (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

فَصْلٌ

فى رجوع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة ودخوله فى جوار المطعم بن عدى

رجع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة ليدعو قومه ثانية إلى الإسلام، فقال له زيد بن حارثة: «**كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك**» يعنى: قريشًا، فقال: «**يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه**»، وبعث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المطعم بن عدى ليدخل فى جواره، فقال المطعم، نعم، ثم تسلح ودعا بنيه وقومه فقال ألبسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت؟ فإنى قد أجرت محمدًا، ثم بعث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **أن ادخل**، فدخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه زيد بن حارثة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - **حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدى على راحلته فنادى: يا معشر قريش، إنى قد أجرت محمدًا، فلا يهجُهُ أحدُ منكم، وانتهى رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى الركن فاستلمه، وطاف بالبيت، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، ومطعم بن عدى وولده مُحدقون بالسلاح حتى دخل بيته، وقد حفظ رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **للمطعم هذا الصنيع، فقال فى أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له»**[1].

---

(١) الحديث أخرجه البخارى (٣١٣٩ و ٤٠٢٤) عن جبير بن مطعم بن عدى وقصة الجوار ذكرها، الحافظ ابن كثير فى «السيرة النبوية» (٢/ ١٥٣ - ١٥٤) وفى «الفصول» (ص ٦٤) وقال فى «التفسير» لأنه كان قد أجار رسول الله يوم رجع من الطائف، ولم يسند القصة فى المواضع المذكورة وذكرها الحافظ ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٣٧٦): وقال: «وقد ذكر ابن إسحاق القصة فى ذلك مبسوطة، وكذلك أوردها الفاكهى بإسناد حسن مرسل، ثم قال: وقيل المراد باليد المذكورة أنه كان من أشد من قام فى نقض الصحيفة التى كتبتها قريش على بنى هاشم ومن معهم من المسلمين حين حصروهم فى الشعب».اهـ.

ولم أقف على سند هذه القصة حتى الساعة إلا كلام الحافظ ابن حجر السابق، وذكر ابن كثير لها وسكوته عنها. والله أعلم.

فصل استماع الجن لتلاوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإسلامهم

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: انطلق النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ فأنزل الله على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن»[1].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « هبطوا على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه، قالوا: أنصتوا، قالوا: صه، وكانوا سبعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ -الآية- إلى: ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١]». واللفظ للبيهقي.

وقد أورده بلفظ سبعة، وهو موافق لما رواه الطبرى فى تاريخه (بلاغا)، وأورده فى «التفسير» مسندًا، عن ابن عباس: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال: كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسلًا إلى قومهم»[2].

---

(١) أخرجه البخارى (٧٧٣، ٤٩٢١)، ومسلم (٤/١٤٩)، والترمذى (٣٣٢٣)، والنسائى فى التفسير (٦٤٤)، وأحمد فى المسند (١/ ٢٥٢).

(٢) صحيح: أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (ص٣٠٤)، والبيهقى فى الدلائل (٢/ ٢٢٨)، والحاكم (٢/ ٤٥٦)، وأخرجه الطبرى فى التاريخ بلاغا وفى التفسير (٢٦/ ٣٠)، مسندًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقد ذكر ابن كثير رواية الطبرى ثم قال: «وقد روى عبد الله بن عباس غير ما ذكر عنه أولًا =

واعتبر البيهقى هذه الرواية حكاية عن قصة سماع الجن لتلاوة رسول الله ﷺ فى المرة الأولى - أما:

القصة الأخرى كما يسمها الحافظ البيهقى فى «الدلائل» فمن طريق الشعبى عن علقمة قال.

قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحدٌ؟

فقال: ما صحبه منا أحد، ولكن فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا: اغتيل، استطير، ما فعل؟ قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما كان فى وجه الصبح أو قال فى السحر إذ نحن به يجيء من قبل حراء، فقلنا: يا رسول الله، فذكروا الذى كانوا فيه فقال: «إنه **أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليه**، قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم»[(١)].

وأورد ابن إسحاق أثر استماع الجن لتلاوة النبى -ﷺ- وإسلامهم بلاغًا، وقد ذكرنا الشواهد التى تؤكد صحة ورود الجن واستماعهم إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن.

وروايات استماع الجن إلى رسول الله ﷺ ولقائهم به كثيرة جمعها الحافظ ابن كثير فى التفسير (سورة الأحقاف) وحاول الجميع بينهم، وبيان ما قاله أئمة الحديث والتفسير فى ذلك، ومنهم البيهقى رحمه الله تعالى.

ولقد وفق الإمام الشوكانى بين هذه الروايات قائلًا فى تفسيره لآية الجن فى سورة الأحقاف: والجمع بين الروايات بالحمل على قصتين وقعت منه ﷺ مع الجن حضر إحداهما ابن مسعود ولم يحضر الأخرى». اهـ.

= من وجه جبير فقال ابن جرير: [حدثنا كريب حدثنا عبد الحميد الحماني، حدثنا النضر بن عربى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله.....ثم ذكر الحديث].

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١/ ٤٣٦)، ومن طريقه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٢٢٩)، ورواه مسلم فى صحيحه (١٥٠/ ٤٥٠)، والترمذى (٣٢٥٨)، والنسائى فى التفسير (٦٤٣)، ورواه مسلم من طريق أخرى (١٥١/ ٤٥٠)، وأبو داود (٨٥)، وذكر الحافظ ابن كثير رواياته وطرقه..واستفاض فى ذلك رحمه الله فى التفسير.

فَصْلٌ

فى الإسراء والمعراج وما رآه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من آيات ربه الكبرى

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُتِيتُ الْبُرَاق، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ»، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيتُ بَيتَ الْمَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِى يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ»، قَالَ: «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَينِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِى، وَدَعَا لِى بِخَيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَى الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيى بْنِ زَكَرِيَاءَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِى بِخَيرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِى إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِى شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِى بِخَيرٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيهِ،

فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ»، قَالَ: «فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ»، قَالَ: «فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، قَالَ: «فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَينَ رَبِّي تبارك وتعالى، وَبَينَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، قَالَ: «فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيتُ إِلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيتُ مِنْهُ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩/ ١٦٢)، والبخارى (٣٨٨٧)، والنسائى فى «الكبرى» (٦/ ١١٥٣٠)، وأحمد (٣/ ١٤٨ - ١٤٩، ٣/ ١٥٣) مختصرًا، و(٣/ ٢٨٦) من طرق عن حماد بن سلمة به مختصرًا ومطولًا.

وعن أنس بن مالك يرويه عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال مالك: إن نبى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدثهم عن ليلة أسرى به، قال «**بينما أنا فى الحطيم**[1] - وربما قال قتادة فى الحجر - **مضطجعًا إذ أتانى آت**[2]، **فجعل يقول لصاحبه: الأوسط بين الثلاثة قال: فأتانى فقد**، وسمعت قتادة يقول: فشق - ما بين هذه إلى هذه، وقال قتادة: فقلت للجارود، وهو إلى جنبى: ما يعنى؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته[3]، وقد سمعته يقول له: من قصته[4] إلى شعرته، **قال: فاستخرج قلبى، ثم أتيت بطست من ذهبٍ مملوء إيمانًا، فغسل قلبى، ثم حشى، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض**»، فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم، يضع خطوه عن أقصى طرفه، فحملت عليه.

«**فانطلق بى جبريل حتى أتيت السماء الدنيا فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به، فنعم المجىء جاء، ففتح، فلما خلصت، فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به، فنعم المجىء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى، وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلمت، فردا ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى إلى السماء الثالثة، فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجىء جاء، ففتح فلما خلصت إذا يوسف،**

---

(١) الحطيم: هو ما بين الركن والمقام..

(٢) آتٍ: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ

(٣) ثغرة نحره: هو الموضع المنخفض فى أدنى الرقبة من الأمام - انظر: «الجامع الكبير» حرف الثاء وشعرته هو شعر العانة الذى ينبت حول العورة.

(٤) وقصته: رأس عظام الصدر.

قال: هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه قال: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجىء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس، قال: هذا إدريس فسلم عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح: قيل: من هذا، قال: جبريل: قيل ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم، قيل: مرحبًا به فنعم المجىء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا هارون، قال: هذا هارون، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبًا به، فنعم المجىء جاء، فلما خلصت: فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلم عليه، فرد ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكى لأن غلامًا[1] بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى. ثم صعد بى إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قال: مرحبًا به ونعم المجىء جاء، فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح. ثم رفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل أذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار، نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. ثم رفع لى البيت المعمور. ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك. ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال:

---

(١) بكاء موسى عليه السلام ليس على سبيل النقص؛ بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظم كرمه.

أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإنى والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت، فوضع عنى عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت، فوضع عنى عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم. فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربى حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى منادٍ، أمضيت فريضتى، وخففت عن عبادى»[(١)].

قال البيهقى فى «الدلائل»: وفيه دليل على أن المعراج كان ليلة أسرى به من مكة إلى بيت المقدس، قال الحافظ ابن كثير: «وهذا الذى قاله - أى البيهقى - هو الحق الذى لا شك فيه ولا مرية».

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما عرج بى إلى ربى عَزَّ وَجَلَّ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون فى أعراضهم»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٢٠٧ و ٣٨٨٧) ومسلم (٢٦٤/ ١٦٤) والترمذى (٣٣٤٣) والنسائى (١/ ٢١٧)، وأحمد (٤/ ٢٠٨)، وأخرجه أيضًا (٤/ ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠) والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٢٢٧٠)، (١٩/ ٥١٩)، وابن حبان (٤٨) من طرق عن قتادة به مطولا ومختصرًا.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٧٨ و ٤٨٧٩)، وأحمد فى «المسند» (٣/ ٢٢٤)، وابن أبى الدنيا فى «كتاب الصمت» (٥٧٧) من طريق أبى المغيرة به، وأخرجه ابن أبى الدنيا أيضًا (١٦٥) من طريق أبى المغيرة به ليس فيه راشد بن سعد، وأخرجه أبو داود من طريق يحيى بن عثمان عن بقية عن صفوان به ليس فيه أنس، ومثل هذا لا يعله؛ لأن أبا المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج ثقة من

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مررت ليلة أسرى بى على موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **قائمًا يصلى فى قبره**»[1] فإن قيل كيف رأى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قائمًا يصلى فى قبره ثم رآه فى نفس الليلة وهو فى السماء السادسة، قال الإمام أبو حاتم بن حبان فى «صحيحه»: «الله جل وعلا قادر على ما يشاء، ربما يعدُ الشىء لوقت معلوم، ثم يقضى كون بعض ذلك الشىء قبل مجىء ذلك الوقت، كوعده إحياء الموتى فى يوم القيامة وجعله محدودًا، ثم قضى كون مثله فى بعض الأحوال، مثل مَنْ ذكره الله وجعله جل وعلا فى كتابه حيث يقول: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وكإحياء الله جل وعلا لعيسى بن مريم صلوات الله عليه بعض الأموات:

فلما صحَّ وجود كون هذه الحالة فى البشر، إذا أراده الله جل وعلا قبل يوم القيامة، لم ينكر أن الله جل وعلا أحيا موسى فى قبره حتى مرَّ عليه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة أسرى به وذاك أن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس، فرآه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو فى قبره - إذْ الصلاة دعاء - فلما دخل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت المقدس وأسرى به، أُسرى بموسى حتى رآه فى السماء السادسة، وجرى بينه وبينه من الكلام ما تقدم ذكرنا له، وكذلك رؤيته سائر الأنبياء الذين فى خبر مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» اهـ.

= رجال الجماعة ثم إن الناس رووه عن بقية موصولًا وانظر: «الصحيحة» للألبانى (٥٣٣) وقال العراقى فى «تخريج أحاديث الأحياء» (٤/ ١٧٤٣) المستخرج: «رواه أبو داود مسندًا ومرسلًا، والمسند أصح.

(١) أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ١٢٠)، و(٣/ ١٤٨، ٢٤٨)، ومسلم (١٦٥/ ٢٣٧٥)، والنسائى (٣/ ٢١٦)، وأبو يعلى فى «مسنده» (٧/ ٤٠٦٧)، من طرق عن أنس.

هل رأى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه؟

عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبى ذر: لو رأيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسألته، قال: وما كنت تسأله؟ قال: كنت أسأله، هل رأى ربه؟ فقال: إنى قد سألته؛ فقال: «إنى قد رأيته نورًا أنى أراه»[(١)] .

قال الحافظ البيهقى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فى حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه، يعنى قوله: «**ثم دنا الجبار فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى**» قال: وقول عائشة وابن مسعود وأبى هريرة فى حملهم هذه الآيات على رؤية جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أصح»[(٢)] .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى «التفسير»: «وهذا الذى قاله البيهقى فى هذه المسألة هو الحق، فإن أبا ذر قال: يا رسول الله؛ هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أنى أراه**» وفى رواية: «**رأيت نورًا**».

وقوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[النجم: ٨] إنما هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما ثبت فى «الصحيحين» عن عائشة أم المؤمنين، وعن ابن مسعود، وكذلك هو فى «صحيح مسلم» عن أبى هريرة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة فى تفسير هذه الآية .اهـ. وهذا مذهب الجمهور.

تكذيب قريش للنبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأييد الله له :

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لما كذبتنى قريش، قمت فى الحجر، فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه**»[(٣)] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩١، ٢٩٢/ ١٨٧)، بلفظ: «**نور أنى أراه**» و«**رأيت نورًا**» وأخرجه الترمذى (٣٢٧٨)، وأحمد (٥/ ١٤٧، ١٥٧، ١٧٠، ١٧٥).

(٢) «دلائل النبوة» (٢/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه البخارى فى «صحيحه» (٤٧١٠) ومسلم (٢٧٦/ ١٧٠)، وأحمد (٣/ ٣٧٧)، وعبد الرزاق (٥/ ٣٢٩)، وأبو عوانة (١/ ١٢٤و ١٢٥ و ١٣١)، وانظر «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٦١٦ - ٦٣٧)، =

فضل الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وسرعة تصديقه للنبى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما أسرى بالنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناسٌ، كانوا آمنوا به وصدقوه وسعى رجال إلى أبى بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك، يزعم أن أُسرى به الليلة إلى بيت المقدس! قال: وقد قال ذلك؛ قال: نعم، قال: لئن قال ذلك فقد صدق؟

قالوا: أوتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟!!

قال: نعم، إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء فى غدوةٍ، أو روحةٍ، فلذلك سُمى أبو بكر الصديق»[1].

قلت: قد وردت فى الصحاح والسنن والمسانيد والمستدركات والمستخرجات أحاديث الإسراء والمعراج عن جمع من الصحابة - رضوان الله عليهم - وقد جمعها واستوعبها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فى تفسير سورة الإسراء والنجم، وقد جمع فيه الصحيح والحسن والضعيف والمردود مع تنبيهه على الضعيف والمردود فرحمه الله وأجزل له المثوبة والأجر، وكذلك الإمام الحافظ الذهبى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «السيرة النبوية».

قلت: وكان الإسراء والمعراج قبل الهجرة بسنة، ذكره القاضى عياض فى «الشفا»[2] وبه قال موسى بن عقبة، وحكاه الإمام الذهبى فى «السيرة».

= و«زاد المعاد» (٣/ ٣٦) فما بعدها، و«الترمذى» (٣١٣٢) وابن منده (٧٣٨ و ٧٣٩) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٣٥٩) والبغوى (٣٧٦٢)، وابن حبان (٥٤) من طريق الزهرى به.

(١) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٦٤ - ٦٥) وصححه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفى موضع آخر (٣/ ٨١) قال: هذا حديث صحيح بشرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبى، وأخرجه محمد بن عبد الواحد المقدسى فى «فضائل بيت المقدس» (١/ ٨٣)، وتابعه عبد الرزاق فى «مصنفه» (٥/ ٣٢٨)، وأخرجه الطبرى فى «تفسيره» (١٥/ ٥) من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب، قال: أخبرنى ابن المسيب فذكره.

(٢) انظر: «الشفا» (١/ ١٠٨).

فَصْلٌ

فى عرض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه على القبائل

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرض نفسه على الناس بالموقف[(١)]، فيقول: «هل من رجل يحملنى إلى قومه، فإن قريشًا منعونى أن أبلغ كلام ربى، عَزَّ وَجَلَّ فأتاه رجل من همذان فقال: ممن أنت؟ فقال الرجل: من همذان، فقال: هل عند قومك من منعة؟ قال: نعم، ثم إن الرجل خشى أن يخفره قومه، فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال آتيهم أخبرهم، ثم آتيك من قابل، قال: نعم، فانطلق وجاء وفد الأنصار فى رجب[(٢)].

عن رجل من بنى مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسوق ذى المجاز يتخللها يقول: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قال: وأبو جهل يحثى عليه التراب ويقول: لا يغوينكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزى»، وما يلتفت إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلت: انعت لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ما بين بردين أحمرين، مربوع كثير اللحم، حسن الوجه، شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر[(٣)].

وقد مرَّ معنا حديث ربيعة الديلى فى صور من إيذاء قريش للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) **الموقف**: موقف الناس بعرفات فى الحج.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذى (٢٩٢٥)، وقال: حديث غريب، وابن ماجة (٢٠١)، والدارمى (ص ٢٤٨)، وأحمد (٣/ ٣٢٢، ٣٣٩)، والحاكم (٢/ ٦١٣)، وصححه على شرط مسلم، وابن حبان (١٦٨٦ - موارد) والبخارى فى «خلق أفعال العباد» (ص ٧٧) (٢٠٥) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٣٥) «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/ ٦٣)، (٥/ ٣٧٢)، قال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٢٢): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال الساعاتى فى «الفتح الربانى» (٢٠/ ٢٦٥ - ٢٦٦): «سنده جيد».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حدثنى على بن أبى طالب من فِيه قال: لما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج وأنا معه، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان مقدمًا فى كل خير، وكان رجلًا نسابة فسلَّم، وقال: ممن القوم؟ قالوا من ربيعة قال وأى ربيعة أنتم؟ أمن هامها أى: من لهازمها؟ فقالوا؟ من الهامة العظمى، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأى هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر، قال: منكم عوف الذى يقال له: لا حرَّ بوادى عوف؟ قالوا: لا.

قال: فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار، ومانع الجار؟ قالوا: لا.

قال: فمنكم بسطام بن قيس: أبو اللواء، ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا.

قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا.

قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا.

قال: فمنكم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا.

قال: فمنكم أصحاب الملوك من لخم؟ قالوا: لا، قال: أبو بكر، فلستم من ذهل الأكبر أنتم من ذهل الأصغر، قال فقام إليه غلام من بنى شيبان يقال له دغْفَل حين تبين وجهه« فقال»:

إن عَلَى سائلنا أن نسله والعَبْو لا نعرفه أو نجهله

يا هذا قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئًا فممن الرجل؟ قال أبو بكر: أنا من قريش، قال الفتى: بخ بخ أهل الشرف والرياسة، فمن أى القريشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة، فقال الفتى: أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة، أمنكم قصى الذى جمع القبائل من فهر فكان يدعى فى قريش مجمعًا؟ قال: لا، قال: فمنكم –أظنه قال– هشام الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسْنِتون عجاف ؟ قال : لا ، قال : فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كان وجهه القمر يضىء فى الليلة الداجية الظلماء؟ قال: لا، قال: فمن أهل الإفاضة بالناس أنت؟ قال: لا: قال: فمن

أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، فمن أهل النداوة أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الرفادة أنت؟ قال: فاجتذب أبو بكر - رضي الله عنه - زمام الناقة راجعًا إلى رسول الله ﷺ فقال الغلام.

صادف در السيل درًا يدفعه يهضبه حينًا وحينًا يصدعه

أما والله لو ثبت لأخبرتك من قريش، قال: فتبسم رسول الله ﷺ قال: على: فقلت: يا أبا بكر! لقد وقعت من الأعرابى على باقعة، قال: أجل أبا حسن ما من طامة إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق، قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم، فقال: ممن القوم ؟ قالوا : من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ، فقال : بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر الناس، وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق قد غلبهم جمالًا ولسانًا، وكانت له غديرتان تسقطان على تريبته وكان أدنى القوم مجلسًا فقال أبو بكر رضي الله عنه كيف العدد فيكم؟ فقال: مفروق : إنا لنزيد على ألف ، ولن تغلب ألف من قلة. فقال أبو بكر : وكيف المنعة فيكم ؟ فقال المفروق: علينا الجهد ولكل قوم جهد. فقال أبو بكر رضي الله عنه: كيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى، لعلك أخا قريش يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر - رضي الله عنه - يظله بثوبه، فقال رسول الله ﷺ: «**أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تؤونى وتنصرونى، فإن قريشًا قد ظاهرت على أمر الله، وكذبت رسله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغنى الحميد**».

فقال مفروق بن عمرو: وإلام تدعونا يا أخا قريش، فوالله ما سمعتُ كلامًا أحسن من هذا؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ

أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

فقال مفروق: وإلام تدعونا يا أخا قريش؟ زاد فيه غيره فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ثم رجعنا إلى روايتنا قال: فتلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

فقال مفروق بن عمرو: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظهروا عليك.

وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة، فقال: وهذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، إني أرى إن تركنا ديننا، وأتباعنا على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر أنه زلل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن يعقد عليهم عقدًا، ولكن نرجع وترجع، وننظر وتنظر.

وكأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى بن حارثة: سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتك على دينك، وإنا إنما نزلنا بين صريين اليمامة، والسمامة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما هذا الصريان؟ فقال: أنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره

غير مقبول، وأما ما كان مما يلى مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا أن لا نحدث حدثًا، ولا نؤوى محدثًا، وإنى أرى أن هذا الأمر الذى تدعونا إليه يا قريشى مما يكره الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا.

فقال رسول الله: ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلًا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم، ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه؟ فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك لك، قال: فتلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٥].

ثم نهض رسول الله قابضًا على يدى أبى بكر وهو يقول: **«يا أبا بكر أية أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها! بها يدفع الله عَزَّ وَجَلَّ بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم»**.

قال: فدفعنا مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سر بما كان من أبى بكر ومعرفته بأنسابهم[١].

قال ابن إسحاق: «فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من الله من الهدى والرحمة، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب، له اسم وشرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده»[٢].

---

(١) حسن: أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٢٢ - ٤٢٧)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (١/ ٢٣٧ - ٢٤٢) وحسن الحافظ إسناده فى الفتح.

(٢) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٤٤).

فَصْلٌ

فى المؤمنون من غير أهل مكة

١- سويد بن الصامت وما جاء فى أمره:

عن ابن إسحاق قال: حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة، عن أشياخ من قومه، قالوا: قدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجًا أو معتمرًا، وكان سويد يسميه قومه فيهم «الكامل» لجلده وشرفه ونسبه فتصدى له رسول الله ﷺ ودعاه إلى الله، فقال سويد: فلعل الذى معك مثل الذى معى، فقال رسول الله ﷺ: «**وما الذى معك؟**» قال: مجلة لقمان، يعنى: حكم لقمان، فقال رسول الله ﷺ: «**أعرضها على**» فعرضها عليه، فقال: «**إن هذا الكلام حسن، والذى معى أفضل منه، قرآن أنزله الله على**»، فتلا عليه القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه، وقال: إن هذا لقول حسن، ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، فإن كان رجال من قومه ليقولن، إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتله يوم بعاث[1].

---

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٤٥) والخبر أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤١٩)، وابن الأثير فى «أسد الغابة (٢/ ٣٥٦) والحافظ فى «الإصابة» (٣/ ١٨٩) وابن كثير فى «البداية والنهاية» (٣/ ١٤٧) وإسناده صحيح.

وقال الحافظ فى «الإصابة» (٣/ ١٨٩): «ذكره ابن شاهين وقال: شك فى إسلامه وقال أبو عمر: أنا أشك فيه كما شك غيرى، ذكره بعضهم معتمدًا على ما روى ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو عن أشياخ من قومه قالوا: فذكره ثم قال الحافظ: فإن صح ما قالوا لم يعد فى الصحابة لأنه لم يلق النبى ﷺ مؤمنًا» اهـ، قلت: لأنه يشترط فى الصحابى أن يلقى الرسول ﷺ مؤمنًا ولو ساعة من عمره، ومات النبى ﷺ وهو كذلك.

قال صاحب صحيح «السيرة الذهبية»: والأشياخ من الصحابة كما ثبت فى غير موضع من رواية عاصم عنهم ولو فرض كونهم من التابعين لانجبرت جهالتهم لكونهم جماعة.

٢ - إسلام إياس بن معاذ :

عن محمود بن لبيد قال: لما قدم أبو الحيسر، أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الأشهل، فيهم إياس بن مُعاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، فآتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: «**هل لكم فى خير مما جئتم له؟**» فقالوا له: وما ذاك؟ قال: «**أنا رسول الله بعثنى إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل على الكتاب**»، قال: ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عيهم القرآن. قال: فقال إياس بن معاذ، وكان غلامًا حدثًا، أى قوم، هذا والله خير مما جئتم له، قال: فأخذ أبو الحيسر، أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج، قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك، قال محمود بن لبيد: فأخبرنى من حضره من قومه عند مومته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلمًا، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع[1].

---

(١) حسن: أخرجه البخارى فى «التاريخ الكبير» (١/ ٤٤٢) والطبرانى (٨٠٥)، وأحمد (٥/ ٤٢٧) من طريق ابن إسحاق، وأخرجه الطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٣٥٢ - ٣٥٣) وفى «التفسير» (٤/ ٣٤) من طريق سلمة بن الفضل، والحاكم (٣/ ١٨٠ - ١٨١) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٢٠)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (١/ ١٨٦) من طريق يونس ابن بكير، كلاهما عن ابن إسحاق وصححه الحاكم على شرط مسلم، وتعقبه الذهبى بقوله: «مرسل» يعنى والله أعلم: مرسل الصحابى؛ لأنه من صغارهم قلت: ليست بعلة ورواية محمود بن لبيد صحابى صغير فهو من مراسيل الصحابة، وقال الحافظ فى «الإصابة» (١/ ٩٣) فى هذا الحديث: «من صحيح حديث ابن إسحاق».
وأخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ٤٨٣): من طريق عبد الله بن أبى سفيان عن أبيه سمعت محمد بن مسلمة بن سلمة بن سلامة بن وقش وأبا الهيثم بن التيهان يقولون: «لم ينشب إياس حين رجع أن مات، فلقد سمعناه يهلل حتى مات، فكانوا يتحدثون أنه مات مسلمًا لما سمع من رسول الله ﷺ».

٣ - إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى:

وكان سيدًا مطاعًا من أشراف العرب، ينسب إلى دوس، ودوس بطن من الأزد، وكان الطفيل يلقب: ذا النور، أسلم قبل الهجرة بمكة.

قلت: ساق ابن إسحاق قصة إسلامة بسند ضعيف جدًّا، لكن الذى ورد فى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إن دوسًا قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: اللهم اهد دوسًا وائت بهم»[(١)].

٤ - وفد النصارى الذين أسلموا:

قال ابن إسحاق: ثم قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بمكة؛ عشرون رجلًا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه فى المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عما أرادوا، دعاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له، وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركبًا أحمق منكم -

---

= وبعاث: موضع فى المدينة بقرب حصون بنى قريظة، ويوم بُعاث: يوم مشهور كان فيه حرب بين الأوس والخزرج، وبعاث حصن للأوس.

(١) أخرجه البخارى (٤٣٩٢)، ومسلم (٢٥٢٤)، وأحمد (٢/ ٢٤٣، ٤٤٨، ٥٠٢) والحميدى (١٠٥٠)، والطبرانى فى «الكبير» (٨٢١٧)، و(٨٢١٨ و ٨٢١٩ و ٨٢٢٠و ٨٢٢١ و ٨٢٢٢ و٨٢٢٣ و ٨٢٢٤ و٨٢٢٥) وابن قانع فى «مجمع الصحابة» (٢/ ٥٠) وغيرهم وانظر ترجمته فى «طبقات ابن سعد» (٤/ ٢٣٧ - ٢٤٠) و«أسد الغابة» (٣/ ٧٨)، والإصابة (٤٢٥٤).

أو كما قالوا - فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرًا، ويقال: إن النفر من النصارى من أهل نجران، فالله أعلم أى ذلك كان؛ فيقال - والله أعلم - فيهم نزلت هؤلاء الآيات:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص: ٥٢-٥٥][1].



(١) صحيح رواه ابن جرير فى «التفسير» (٢٧٥٠٤) والطبرانى فى «الكبير» (٤٥٦٣)، وابن قانع فى «معجم الصحابة» وغيرهم من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعة القرظى فذكره مختصرًا، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٧/ ٨٨): «رواه الطبرانى بإسناد متصل ورجاله ثقات»، وقال السيوطى: «إسناده جيد». ورواه الطبرى (٢٧٥٠٥)، والطبرانى (٤٥٦٤) بإسناد منقطع، ورواه البخارى فى «التاريخ الكبير» (٦/ ٢٧٤، ٢٧٥) من طريق عمرو بن أبى قيس عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن على بن رفاعة رضي الله عنهما: «كان أبى من الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب وكانوا عشرة فذكره والآية.

باب

مقدمات الهجرة إلى المدينة

فصل

فى بدء إسلام الأنصار

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان يوم بعاث يومًا قدَّمه الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وقد افترق ملؤهم، وقتلت سرواتهم(١)، قدمه الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى دخولهم فى الإسلام»(٢).

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: فلما أراد الله عَزَّ وَجَلَّ إظهار دينه وإعزاز نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنجاز موعده له، خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع فى كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقى رهطًا من الخزرج أراد الله بهم خيرًا، قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عُمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم: «**من أنتم؟**» قالوا: نفر من الخزرج، قال: «**أمن موالى يهود؟**» قالوا: نعم، قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم؟**» قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، وقال: وكان مما صنع الله بهم فى الإسلام، أن يهود كانوا معهم فى بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم

---

(١) سرواتهم: أى خيارهم.

(٢) رواه البخارى (٣٧٧٧).

أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبيًّا مبعوث الآن قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنه للنبى الذى توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فستقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا[1].



(١) إسناده حسن: «السيرة النبوية» (٢/ ٢٤٦) ورواه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٣٣، ٤٣٤) ورواه الطبرى فى «التاريخ» (١/ ٥٨٨) ورواه ابن سيد الناس فى «عيون الأثر» من غير إسناد كلهم عن ابن إسحاق به، وذكره الذهبى فى «تاريخ الإسلام» (١/ ١٣٠) وفى «السيرة» (١/ ٢٩٦) قلت: حسن إسناده الشيخ الألبانى فى «فقه السيرة» (ص ١٥٥).

فَصْلٌ

فى بيعة العقبة الأولى

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا اثنتا عشر رجلًا، فبايعنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفرض الحرب؛ على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئًا فأمركم إلى الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء عذب، وإن شاء غفر [(١)].

وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فبايعنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بيعة النساء...» أى: على وفق بيعة النساء التى نزلت بها آية الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢] بعد صلح الحديبية. حيث لم يرد فى بيعة العقبة الأولى ذكر القتال.

ورواه ابن إسحاق عن الزهرى عن عائذ الله بن عبد الله الخولانى أبى إدريس عن عبادة بن الصامت وذكر فيه: «**وأن غشيتم من ذلك شيئًا فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء عذب وإن شاء غفر**» [(٢)].

(١) صحيح: رواه من طريق ابن إسحاق كل من أحمد (٢٢٧٥٤) والشاشى فى «مسنده» (١٢٠٩) و (١٢١٠)، والحاكم (٢/ ٦٢٤) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٣٦)، وقد تابعه الليث بن سعد فرواه من طريقه: البخارى (٣٨٩٣ و٦٨٧٣) ومسلم (١٧٠٩/ ٤٤)، وأبو عوانة (٦٣٥٠ و٦٣٥١)، والبيهقى فى «الدلائل»، ٢/ ٤٣٦، وأحمد (٢٢٧٤٢) من طريقه عن يزيد به، وله طريق أخرى فرواه أحمد (٢٢٦٦٨) وابن حبان (٤٤٠٥) من طريق خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن عبادة به، ورواه أحمد (٢٢٦٦٩)، و(٢٢٦٧٠) و (٢٢٧٣٢) ومسلم (١٧٠٩، ٤٣)، وابن ماجة (٢٦٠٣) وأبو عوانة (٦٣٤٧)، والطيالسى (٥٧٩)، والبزار (٢٧٣٢) والطحاوى فى «شرح المشكل (٢٣٩٠) من طريق خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أبى الأشعث عن عبادة به.

(٢) صحيح: رواه البخارى (١٨و٢٩٩٩و٣٨٩٢و٤٨٩٤و٦٧٨٤و٦٨٠١و٧٢١٣)، ومسلم

فَصْلٌ

فى إرسال رسول الله ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة وانتشار الإسلام فيها

فلما انصرف عنه أصحاب بيعة العقبة الأولى ورجعوا إلى قومهم فى المدينة بعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير (وهو أول سفير فى الإسلام) - وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم فى الدين، فكان يسمى فى المدينة المقرئ، وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - [1] وكان مصعب يصلى بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض»[2].



= (٤١/١٧٠٩)، والترمذى (١٤٣٩)، والنسائى ٧/ ١٦١ و٨/ ١٠٨-١٠٩، وأحمد (٢٢٦٧٨)، و(٢٢٧٣٣) والشافعى ١/ ١٥، والحميدى (٣٨٧) وعبد الرزاق (٩٨١٨ و٢١٠١٩)، وابن أبى شيبة ٩/ ٤٤٠، وأبو عوانة (٦٣٤٤ و٦٣٤٥)، والدرامى (٢٤٥٣) والطحاوى فى «مشكل» (١٩٤)، و(٢١٨٣)، وابن الجارود (٨٠٣) والدار قطنى ٣/ ٢١٤، والحاكم ٢/ ٣١٨، والبيهقى ٨/ ٣٢٨، والبغوى (٢٩)، وأبو نعيم فى «الحلية» ٥/ ١٢٦ من طرق عن الزهرى به.

(١) كان أسعد بن زرارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بنى مالك بن النجار، وكان نقيب الخزرج، شهد العقبتين، وبايع فيهما وهو أول من بايع النبى ﷺ يوم العقبة، ومات قبل بدر، أخذته الذبحة، والمسجد يبنى، فكواه النبى ﷺ ومات بعد أيام، وخبر خروج مصعب إليهم انظره فى «تاريخ الطبرى» (١/ ٥٥٩) عن ابن إسحاق، و«السيرة» (٢/ ٢٤٩)، وذكره ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٢٦٤)، وقال: ذكر ابن إسحاق... فذكره.

(٢) حسن: «السيرة» لابن إسحاق (٢/ ٢٤٩)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (٢/ ١٨٠)، ونسبه إلى البيهقى وسنده حسن رجاله ثقات، انظر «دلائل النبوة» للبيهقى (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨).

فَصْلٌ

فى إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبيد الله بن معيقب، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل، ودار بنى ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطًا من حوائط بنى ظفر - قال ابن هشام: واسمُ ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. قالا: على بئر يقال لها: بئر مرق[١] فجلسا فى الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفائنا، فازجرهما وانهما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث ما قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدمًا، قال: فأخذ أسيد بن حُضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، قال: فوقف عليهما متشتمًا[٢]، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُف عنك ما تكره؟ قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا: فيما ذكر عنهما، والله لعرفنا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، فى إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له:

---

(١) بئر مرق: بئرٍ فى المدينة، ذكرها فى حديث الهجرة «معجم البلدان» (١/ ٣٠١).

(٢) متشتمًا: مطلقًا عبارات السب والشتم.

تغتسل وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائى رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، سأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد ابن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك، ليخفروك، قال: فقام سعد مغضبًا مبادرًا، تخوفًا للذى ذكر له من بنى حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين، عرف سعد أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رُمت هذا منى[1]، أتغشانا فى ديارنا بما نكره؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أى مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان - قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن. قالا: فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله؛ ثم قال لهما كيف تسنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير، قال: فلما رآه قومه مقبلًا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بنى عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا وأوصلنا

---

(١) ما رمت هذا منى: أى ما طمعت فيه ولا بلغته.

وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة[١]، قال فإن كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله، قالا: فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون[٢].



(١) **أيمننا نقيبة**: أى مبارك النفس، مظفر بما يحاول.

(٢) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٥٠ - ٢٥١) وسنده حسن: وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٣٨ - ٤٣٩) من طريق ابن إسحاق، ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ٣٦٢ و ٨٤٩) من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة فذكر نحوه.

وذكره ابن كثير فى «السيرة» (٢/ ١٨١ - ١٨٥): من طريق ابن إسحاق وإسناده صحيح، وصرح فيها ابن إسحاق بالسماع وذكره الذهبى فى «السيرة» (١/ ٣٠٠)، وفى «التاريخ» (١/ ١٣٢)، من طريق ابن إسحاق وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (١/ ٢٦٨، ٢٦٩) وقد جاء من طريق عروة بن الزبير فى «المجمع» (٦/ ٤٠ - ٤١)، وقال الهيثمى: «رواه الطبرانى» مرسلًا، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٣٨، ٤٣٩)، من طريق موسى بن عقبة مرسلًا، فيكون الحديث بمجموع هذه الطرق حسنًا.

فَصْلٌ

فى أول جمعة أقيمت فى المدينة

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن سهل بن حنيف عن أبيه أبى أمامة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبى، كعب بن مالك، حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبى أمامة، أسعد ابن زرارة، قال: فمكث حينًا على ذلك: لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له ، قال : فقلت فى نفسى : والله إن هذا بى لَعَجْز ، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبى أمامة أسعد بن زرارة ؟ قال : فخرجت به فى يوم الجمعة كما كنت أخرج ، فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له ، قال : فقلت له : يا أبت ، مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبى أمامة ؟ قال : فقال أى بنى ، كان أول من جمع بنا بالمدينة فى هزم النبيت ، من حرة بنى بياضة ، يقال له : نقيع الخضمات ، قال : قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال أربعون رجلاً[1] .

---

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٤٩)، وإسناده حسن: أخرجه أبو داود (١٠٥٦)، وابن ماجه (١٠٨٢)، وأبو القاسم البغوى فى «معجم الصحابة» (٥/ ١٠٦)، وابن خزيمة فى «صحيحه» (١٧٢٤)، والمروزى فى «الجمعة وفضلها» (٢٩ - ٣٠/ ١) والطبرانى فى «الكبير» (١/ ٣٠٥/ ٩٠٠ و١٩/ ٨٤ - ٨٥/ ١٧٦)، والدارقطنى فى «السنن» (٢/ ٥-٦)، وابن حبان (٧١٠٣ - إحسان)، والحاكم (١/ ٢٨١) و(٣/ ١٨٧)، والبيهقى فى «السنن» (١٦٧، ١٧٧)، «دلائل» (٢/ ٤٤١)، وابن عساكر فى «التاريخ» (٥٣/ ١٤٣ - ١٤٤) وغيرهم من طريق محمد بن إسحاق، وهذا حديث حسن الإسناد.

قال البيهقى: هذا حديث حسن صحيح، فإن ابن إسحاق إذا ذكر سماعه وكان الراوى عنه ثقة؛ استقام الإسناد.

وقال فى «الخلافيات»: «رواته كلهم ثقات».

وقال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٢٦٤)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٥٦): «إسناده حسن».

أما الحاكم فقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبى!

ورده الحافظ الزيلعى فى «نصب الراية» (٢/ ١٩٨) بقوله: «وأما قول الحاكم: إنه على شرط مسلم؛ فمردود، لأن مداره على ابن إسحاق، ولم يخرج له مسلم إلا متابعة». اهـ.

فَصْلٌ

فى بيعة العقبة الثانية

وكثر الإسلام بالمدينة وظهر، ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة، ووافى الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار، من المسلمين والمشركين، وزعيم القوم البراء بن معرور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلما كانت ليلة العقبة الثلث الأول منها؛ تسلل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة وسبعون رجلًا وامرأتان، فبايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خفية من قومهم ومن كفار مكة، على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم(١).

عن جابر بن عبد الله الأنصارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى حديث طويل ... وفيه ... فقلنا: حتى متى نترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطرد فى جبال مكة ويخاف، فرحل إليه سبعون رجلًا منَّا حتى قدموا عليه فى الموسم، فواعدناه شعب العقبة فاجتمعا عندها من رجل ورجلين، حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله على ما نبايعك؟ قال: **«تبايعونى على السمع والطاعة فى المنشط والكسل، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن تقولوا لله، لا تخافوا فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى، إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة»**، قال: فقمنا إليه فبايعناه.

وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغرهم فقال: رويدًا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، إما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم جبنة فتبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله، قالوا: أمط عنا يا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبدًا، ولا نسلبها أبدًا، فبايعناه فأخذ علينا وشرط،

---

(١) «الفصول» للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٧٢).

ويعطينا على ذلك الجنة»[١].

وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين، وقد صلينا وفقهنا، معنا البراء بن معرور، كبيرنا وسيدنا، فلما توجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء لنا: يا هؤلاء إنى قد رأيت رأيا، وإنى والله ما أدرى توافقونى عليه أم لا؟ قلنا له: وما ذاك؟

قال: إنى قد رأيت أن أدع هذه البنية منى بظهر، يعنى الكعبة، وأن أصلى إليها، قال: فقلنا والله بلغنا أن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يصلى إلا إلى الشام، وما نريد أن نخالفه، قال: فقال: إنى لمصل إليها. قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة، حتى قدمنا مكة.

قال: وكنا قد عبنا عليه ما صنع، وأبى إلا الإقامة عليه، فلما قدمنا مكة قال لى: يا ابن أخى انطلق بنا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى نسأله عما صنعت فى سفرى هذا، فإنه والله لقد وقع فى نفسى منه شيء، لما رأيت من خلافكم إياى فيه.

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكنا لا نعرفه، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلًا من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: هل تعرفانه؟ فقلنا: لا. قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه؟ قلنا: نعم، قال: وقد كنا نعرف العباس - كان لا يزال يقدم علينا تاجرًا قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس. قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس، ورسول الله

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٩٤) والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٩) من طريق ابن خيثم عن أبى الزبير ورجاله ثقات، وأخرجه ابن حبان فى «صحيحه» (١٦٨٦) والحاكم (٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥) وصححه ووافقه الذهبى، والبزار فى «كشف الأستار عن زوائد البزار» (١٧٥٦)، ورجاله رجال الصحيح، قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٢٢٠): «رواه أحمد بإسناد حسن» وصححه الحاكم، وقال ابن كثير فى «السيرة» (٢/ ١٩٦) هذا إسناد جيد على شرط مسلم، وقال: رواه أبو بكر بن أبى شيبة وهو صحيح، وأبو يعلى وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٤٦): «رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح، واللفظ لأحمد».

ﷺ جالس معه، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟

قال:نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك.

قال:فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ الشاعر؟ قال: نعم، فقال له البراء بن معرور: يا نبى الله إنى خرجت فى سفرى هذا، وقد هدانى الله للإسلام، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر، فصليت إليها، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك، حتى وقع فى نفسى من ذلك شيء، فماذا ترى يا رسول الله؟

قال:قد كنت على قبلة لو صبرت عليها: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات، وليس ذلك كما قالوا: نحن أعلم به منهم.

قال:وخرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ﷺ لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنما نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غدًا، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة.

قال:فأسلم وشهد معنا العقبة. وكان نقيبًا.

قال:فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى إذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلًا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة – إحدى نساء بنى مازن ابن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى، إحدى نساء بنى سلمة، وهى أم منيع.

قال: فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ﷺ ، حتى جاءنا ومعه (عمه) العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذعلى دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب، إنما يسمون هذا الحى من الأنصار: الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمدًا منَّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو فى عز من قومه، ومنعة فى بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، وما نعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده.

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال : فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ورغب فى الإسلام ، ثم قال : «**أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**».

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم، والذى بعثك بالحق نبيًّا، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا[(١)]، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة[(٢)]، ورثناها كابرًا عن كابر.

قال: فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالًا، وإنا قاطعوها - يعنى: اليهود- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «**بل الدم الدم، والهدم الهدم[(٣)] أنا**

---

(١) أزرنا: نساءنا، لأن العرب تكنى عن المرأة بالإزار، راجع «المعجم الكبير» حرف الهمزة.

(٢) أهل الحلقة: السلاح.

(٣) الهدم الهدم: أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم. قالها ابن هشام فى «السيرة».

منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم» وقال رسول الله ﷺ: «**أخرجوا لى اثنى عشر نقيبًا منكم يكونون على قومهم، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبًا منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس**»[1].

وعن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك، قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع بعد القوم، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الحباحب - الحباحب: المنازل هل لكم فى مذمم[2] والصباء[3] معه، قد اجتمعوا على حربكم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أزب العقبة**»[4]، هذا ابن أزيب - قال ابن هشام: ويقال ابن أزيب - «**أتسمع أى عدو الله، أما والله لأفرغن لك**». قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «**ارفضوا**[5] **إلى رحالكم**» قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والله الذى بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا؟ قال: فقال رسول الله: «**لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم**». قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فنمنا عليها حتى أصبحنا، قال: فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش، حتى جاءونا فى منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد

---

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٥٢ - ٢٥٤) وإسناده حسن، وصرح فيه ابن إسحاق بالتحديث.
وأخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٦١) (١٥٧٩٨)، والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٣٦٠ - ٣٦٢) والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ١٧٤ - ١٧٥) وابن حبان (٧٠١١) إحسان، والحاكم (٣/ ٤٤١)، والبيهقى (٢/ ٤٤٤ - ٤٤٧)، وابن خزيمة (٤٢٩)، كلهم عن ابن إسحاق به مطولًا، وعند ابن خزيمة مختصرًا، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٤٥): «رواه أحمد والطبرانى بنحوه» ورجاله ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع» وقال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٢٦٣): «إسناده حسن» وراجع «الصحيحة» (٦٣).
(٢) مذمم: المذموم جدًا.
(٣) الصباء: جمع صابئ، وكان يقال للرجل إذا أسلم فى زمن النبى ﷺ صابئ.
(٤) أزب العقبة: اسم الشيطان.
(٥) ارفضوا: تفرقوا.

جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه. قال: وقد صدقوا، لم يعلموه، قال: وبعضنا ينظر إلى بعض، قال: ثم قام القوم، وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وعليه نعلان له جديدان، قال: فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر، أما تستطيع أن تتخذ، وأنت سيد من ساداتنا، مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث، فخلعها من رجليه ثم رمى بهما إليَّ؛ وقال: والله لتنتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: مه، أحفظت والله الفتى، فاردد إليه نعليه، قال: قلت: والله لا أردهما، فأل والله صالح، لئن صدق الفأل لأسلبنه[1].

أسماء النقباء الاثني عشر:

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لهم: «**اخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبًا، ليكونوا على قومهم بما فيهم**» فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس»[2].

قال ابن إسحاق وهم: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبد الله بن حرام، وهو والد جابر، وكان قد أسلم تلك الليلة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو بن خنيس، وعبادة بن الصامت؛ فهؤلاء تسعة من الخزرج.

ومن الأوس ثلاثة: وهم: أسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر،

---

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٥٧) وإسناده حسن، ورواه الحاكم (٣/ ١٨١)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وراجع «الفتح» (٣/ ٢٦٢)، وهو جزء من الحديث السابق الطويل.
قلت: والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٤٥): رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرَّح بالسماع».اهـ.

(٢) سبق تخريجه.

قال ابن هشام، وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدون رفاعة.

والمرأتان هما: أم عمارة؛ نسيبة بنت كعب بن عمرو، التى قتل مسيلمة ابنها حبيب بن زيد بن عاصم بن كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدس.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للنقباء: «**أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومى**». يعنى: المسلمين، قالوا: نعم[١].

شروط البيعة فى العقبة الثانية:

قال ابن إسحاق: وكانت بيعة الحرب، حين أذن الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى القتال شروطًا سوى شرطه عليهم فى العقبة الأولى، كانت الأولى على بيعة النساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الحرب، فلما أذن الله له فيها، وبايعهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه، واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء، قال: بايعنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيعة الحرب، وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوه فى العقبة الأولى على بيعة النساء، على السمع والطاعة، فى عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف فى الله لومة لائم[٢].

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٥٥)، والحديث إسناده مرسل حسن أخرجه الطبرى فى «التاريخ» (١/ ٥٦٢ - ٥٦٣) من طريق ابن إسحاق، وانظر «الفتح» (٧/ ٢٩٢).

(٢) «السيرة» (٢/ ٢٦٠)، وإسناده صحيح، ومحمد بن إسحاق قد توبع عليه ورواه مالك فى «الموطأ» (٢/ ٤٤٥ - ٤٤٦)، وعنه البخارى (٧١٩٩، ٧٢٠٠) والنسائى (٧/ ١٣٨)، وفى «الكبرى» (٨٦٩٢)، والبيهقى فى «السنن» (٨/ ١٤٥) والبغوى (٢٤٥٦)، وأخرجه ابن أبى شيبة (١٥/ ٥٧)، ومسلم (٤١/ ١٧٠٩) والنسائى (٧/ ١٣٩) وابن ماجة (٢٨٦٦)، وابن أبى عاصم (١٠٢٩)، والبيهقى فى «السنن»(٨/ ١٤٥) من طريق عبد الله بن إدريس، وأخرجه النسائى (٧/ ١٣٨) وفى «الكبرى»



الهجرة إلى المدينة النبوية

فَصْلٌ

فى هجرة الصحابة رضي الله عنهم

إعداد المسلمين للهجرة:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم صعوبة الأمر بالهجرة على أصحابه، ولذلك تدرج فى أمرهم بالهجرة، وإخبارهم بمكانها ووجهتها.

ففى البداية قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: **«إنى أُريتُ دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين»**[1].

فبدأهم بأنها رؤيا منامية، ورؤيا الأنبياء حق، ولم يحدد لهم مكان الهجرة، لتنشغل نفوسهم بالبحث عنها والتفكير فى شأنهم معها، وليعلموا أنها حصينة لوصفها بأنها بين لابتين، وغنية لأنها ذات نخل.

وقد ظن الصحابة بعد أن أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم برؤياه تلك أنها اليمامة أو هجر أو يثرب أو قِنَّسْرِين؛ لوجود الصفات التى أخبرهم بما فيها، ومع هذا الظن لم يتصرفوا من تلقاء أنفسهم؛ وإنما انتظروا تحديد دار هجرتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

= (٨٦٨٨) عن الليث، ثلاثتهم (مالك وعبد الله والليث) عن يحيى بن سعيد عن عبادة بن الوليد بهذا الإسناد، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٤١) و(٥/ ٣١٦).

(١) أخرجه البخارى (٣٩٠٥) عن عائشة رضي الله عنها .

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلى إلى أنها اليمامة، أو هجر، فإذا هى المدينة: يثرب**»[(١)].

وبعد ذلك نزل الوحى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبره أن الهجرة إلى واحد من أماكن ثلاثة، هى المدينة، أو البحرين، أو قنسرين، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله أوحى إلى أى هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهى دار هجرتك: المدينة أو البحرين أو قنسرين**»[(٢)].

ثم كان تحديد دار الهجرة بعد ذلك، فبعد أن أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بالهجرة من مكة بأيام خرج عليهم مسرورًا وهو يقول لهم: «**قد أريت دار هجرتكم، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين - وهما الحرتان**»[(٣)].

الترغيب فى الهجرة، والترهيب من العودة من دار الهجرة إلى دار الكفر:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ

---

(١) أخرجه البخارى (٣٦٢٢ و ٧٠٣٥)، ومسلم (٢٢٧٢) عن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٤٢٥٨)، وقال: هذا صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، وهو كما قالا.

(٣) أخرجه البخارى تعليقًا فى كتاب الكفالة، باب جوار أبى بكر (٢٢٩٧)، وأخرجه أحمد فى «المسند» (٦/ ١٩٨)، بسند صحيح، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٣ - ٤) وصححه، ووافقه الذهبى.
وسبخة: الأرض المالحة ولا تنبت إلا بعض الشجر.
والحرتان: مفردها حرة وهى: الأرض ذات الحجارة السود.

لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٣٩،٤٠].

بل وصار فرضًا على كل مسلم بعد أن يهاجر ألا ينتكس فى هجرته، ولا يعود إلى دياره الأصلية مرة أخرى، وسماه النبى ﷺ «**التعرب بعد الهجرة**» محذرًا منه ومتوعدًا من فعله باللعن.

ومما جاء فى خطورة التعرب بعد الهجرة حديث عبد الله رضي الله عنه قال: آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه إذا علموا، والواشمة والمتوشمة والمستوشمة للحسن، ولاوى الصدقة، والمرتد أعرابيًّا بعد الهجرة؛ ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة [١].

وعن سهل بن أبى حثمة، قال: سمعت النبى ﷺ على المنبر يقول: «**اجتنبوا الكبائر السبع**»، فسكت الناس فلم يتكلم أحد، فقال النبى ﷺ: «**ألا تسألونى عنهن؟ الشرك بالله، وقتل النفس، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، والتعرب بعد الهجرة**» [٢].

وفى رواية: «**والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة**» [٣].

قال ابن الأثير رحمه الله فى النهاية: التعرب بعد الهجرة: هو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرًا، وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه من

---

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان فى «صحيحه» (٣٢٥٢)، وأخرجه البيهقى فى «السنن» (١٧٧٩١)، وفيه يحيى بن عيسى، وهو ضعيف وقد تفرد به، كما قال البيهقى: وانظر: «العلل» للدارقطنى (٦٩٢) وصححه الشيخ الألبانى رحمه الله فى «صحيح الترغيب والترهيب» (١٨٥٠). والشيخ شعيب الأرناؤوط فى الإحسان.

(٢) حسن: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٥٦٣٦)، وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (١٤٥).

(٣) حسن الإسناد: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٥٧٠٩)، وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٤٦٠٦).

غير عذر يعدونه كالمرتد.

قال الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونحوه (التغرب): وهو السفر إلى بلاد الغرب والكفر من البلاد الإسلامية إلا لضرورة، وقد يسمى ذلك بعضهم بالهجرة، وهو من القلب للحقائق الشرعية الذى ابتلينا به فى هذا العصر؛ فإن الهجرة إنما تكون من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، والله المستعان.

وهكذا هُرِع المسلمون - بإذن من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة وغيرها إلى يثرب يحدوهم اليقين، وترفع رؤوسهم الثقة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠][1].

المهاجرون إلى المدينة: ذكر ابن هشام أن أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، كان قد قدم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرًا[2].

---

(١) انظر: «مدرسة السيرة» للشيخ محمد حسين يعقوب - حفظه الله تعالى - (١/ ٣٧٤ - ٣٧٥).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٦٨)، وقال الحافظ فى «الإصابة» (٤/ ٩٥): «قال أبو نعيم: كان أول من هاجر إلى المدينة - يعنى: أبا سلمة؛ وزاد ابن منده: «وإلى الحبشة»، وأخرج البغوى بسند صحيح إلى قبيصة بن ذؤيب أن النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى أبا سلمة يعوده وهو ابن عمته، وأول من هاجر بظعينة إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة» وقال الطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٣٦٩): «فكان أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد».

لكن روى البخارى (٣٩٢٤) و (٣٩٢٥) عن البراء بن عازب قال: «أول من قدم علينا من أصحاب النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد...» الحديث وأخرجه أيضًا الطيالسى فى «مسنده» (٢٣٣٤)، وأحمد (٢٠/ ٢٧٦) - الفتح الربانى، وابن سعد فى «الطبقات» (٤/ ١/ ١٥١)، والحاكم (٣/ ٦٣٤) ورجاله ثقات.
=

هجرة أبى سلمة وأم سلمة رضي الله عنهما وكيف كانت؟

عن أم سلمة - زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لى بعيره ثم حملنى عليه، وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى، ثم خرج بى يقود بى بعيره، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام[1] البعير من يده فأخذونى منه، قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد؟ رهط أبى سلمة، فقالوا: لا والله، لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، قالت: فتجاذبوا بنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنوا عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى، قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح[2] فما أزال أبكى، حتى أمسى سنة أو قريبًا منها حتى مر بى رجل من بنى عمى، أحد بنى المغيرة، فرأى ما بى فرحمنى، فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة! فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها! قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت، قالت: ورد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابنى، قالت: فارتحلت بعيرى، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة، قالت: وما معى أحد من خلق الله ، قالت : فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى ،

= قال الحافظ فى الفتح (٧/ ٣٠٦): «فيجمع بينه وبين حديث البراء بحمل الأولية فى أحدهما على صفة خاصة، فقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم المدينة من المهاجرين مطلقًا أبو سلمة بن عبد الأسد، وكان رجع من الحبشة إلى مكة فأوذى بمكة فبلغه ما وقع للاثنى عشر من الأنصار فى العقبة، فتوجه إلى المدينة فى أثناء السنة، فيجمع بين ذلك وبين ما وقع هنا بأن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فرارًا من المشركين بخلاف مصعب بن عمير خرج إليها للإقامة بها وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبى صلى الله عليه وسلم فلكل أولية من جهة».اهـ.

(١) الخطام: الحبل الذى يربط به البعير.

(٢) الأبطح: مكان فى مكة.

حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة، أخا بنى عبد الدار، فقال لى: إلى أين يا بنت أبى أمية؟ قالت: فقلت أريد زوجى بالمدينة، قال: أو معك أحد؟ قالت: فقلت: لا والله، إلا الله وبنى هذا؟ قال: والله ما لك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فانطلق معى يهوى بى، فوالله ما صحبت رجلًا من العرب قط، أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى، فحط عنه، ثم قيده فى الشجرة، ثم تنحى (عنى) إلى الشجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله، ثم استأخر عنى، وقال: اركبى، فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه، فقاده، حتى ينزل بى، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك فى هذه القرية - وكان أبو سلمة نازلًا بها - فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعًا إلى مكة، قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة، وما رأيت صاحبًا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة[1].

هجرة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقصة عياش بن ربيعة وهشام بن العاص وإعادتهم إلى مكة:

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعياش بن أبى ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمى التناضُب[2] من أضاة بنى غفار[3]،

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٦٩)، إسناده حسن، من طريق ابن إسحاق، وقد صرَّح فيه بالسماع وسنده رجاله ثقات ورواه ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٦/ ٣٥١) من طريق ابن إسحاق به، وكذلك الذهبى فى «تاريخه» (١/ ١٤٠) وفى «السيرة» له (١/ ٣٠٨ - ٣٠٩) وذكره الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (٨/ ٢٤٠) من نفس الطريق - أيضًا ويعضد القصة شهرتها عند المؤرخين وأن لم يتكلم عليها أحد بشىء.

(٢) التناضب: بضم الضاد يقال: اسم موضع، ومن رواه بالكسر فهو جمع تنضب وهو شجر.

(٣) الأضاة: الماء المستنقع من سيل، ويقال: هو الغدير بجمع من ماء المطر، وغفار: قبيلة من كنانة على عشرة أميال من مكة (معجم البلدان ١/ ٢١٤).

فوق سَرِف[(١)]، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبى ربيعة عند التناضب، وحُبس عنا هشام، وفتن فافتتن، فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث ابن هشام إلى عياش بن أبى ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، فكلماه وقالا له: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها. فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد أذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت، قال: فقال: أبر قسم أمى، ولى هنالك مال فآخذه، قال: فقلت: والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالًا، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما. قال: فأبى على إلا أن يخرج معهما فلما أبى إلا ذلك قال: قلت له: أما إذ فعلت ما فعلت، فخذ ناقتى هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب، فانج عليها، فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا ابن أخى، والله لقد استغلظت بعيرى هذا، أفلا تعقبنى على ناقتك هذه؟ قال: بلى، قال: فأناخ، وأناخ ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه، فأوثقاه رباطًا، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن.

قال ابن إسحاق: فحدثنى به بعض آل عياش بن أبى ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلًا به نهارًا موثوقًا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفهينا هذا.

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع، عن عبد الله بن عمر، عن عمر فى حديثه قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفًا ولا عدلًا ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر

---

(١) سرف: موضع بين مكة والمدينة، وهو على ستة أميال من مكة، وقيل: سبعة وتسعة واثنى عشر، وهو الموضع الذى تزوج فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وهناك توفيت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «معجم البلدان» (٣/ ٢١٢).

لبلاء أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أنزل الله تعالى فيهم، وفى قولهم لأنفسهم ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :فكتبتها بيدي فى صحيفة، وبعثت بها إلى هشام ابن العاص، فقال هشام بن العاص: فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله تعالى فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول فى أنفسنا، ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيرى، فجلست عليه، فلحقت برسول الله ﷺ وهو بالمدينة (١).

وأما ما ورد من أن الفاروق عمر رضي الله عنه لما أراد أن يهاجر من مكة إلىٰ المدينة تقلَّد سيفه ومضىٰ قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت، ثم أتىٰ المقام فصلىٰ، ثم وقف فقال: «شاهت الوجوه»، لا يرغم الله إلا هذه المعاطىٰ، من أراد أن يثكل أُمه، أو يؤتم ولده، أو ترمل زوجته فليلقنىٰ وراء هذا الوادىٰ» فلم يصح.

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٧١ - ٢٧٢) والحديث إسناده صحيح، رواه البزار (١٧٤٦) (٢/ ٣٧٠ - ٣٧١، كشف الأستار)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٦١) «رجاله ثقات»، وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٥)، وعنه البيهقى فى «السنن» (٩/ ١٤) وفى «الدلائل» (٢/ ٤١٦)، والطبرى فى «التفسير» (٣٠١٨٢)، (٣٠١٨٣)، من طريق ابن إسحاق به، وصححه الحاكم وأقره الذهبى وصرح فيه ابن إسحاق بالتحديث فقال: حدثنى نافع مولى ابن عمر وقد تابع ابن إسحاق عليه عبد الله بن نافع فقد رواه ابن سعد ٣/ ٢٠٥ من طريق عبد الله بن نافع، عن نافع به، ورواه ابن سعد ٣/ ٢٠٥ من طريق الزهرى عن سالم عن أبيه، ورواه الطبرانى عن عروة مرسلًا وإسناده فيه ابن لهيعة وهو ضعيف، كما قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٦٢) وقال: «ورواه ابن شهاب مرسلًا، ورجاله ثقات» وصحح الحديث ابن حجر فى «الإصابة» (٣/ ٥٧٢)، وحسنه فى «مختصر زوائد البزار» (٢/ ١٤) وحسنه أيضًا الشيخ الوادعى فى «الصحيح المسند» (٢/ ١٠٨) وقد رواه بعضهم مختصرًا ومطولًا.

قال الشيخ العلامة المحدث الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فى رده على البوطى الذى نقل هذه القصة عن ابن الأثير**: «جزمه بأن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هاجر علانية اعتمادًا منه على رواية على المذكورة وجزمه بأن عليا رواها ليس صوابًا، لأن السند بها إليه لا يصح. وصاحب «أسد الغابة» لم يجزم أولًا بنسبتها إليه - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - وهو ثانيا قد ساق إسناده بذلك إليه لتبرأ ذمته، ولينظر فيه من كان من أهل العلم، وقد وجدتُ مداره على الزبير بن محمد بن خالد العثمانى: حدثنا عبد الله بن القاسم الأيلى، عن أبيه بإسناده إلى على، وهؤلاء الثلاثة فى عداد المجهولين، فإن أحدًا من أهل الجرح والتعديل لم يذكرهم مطلقًا». اهـ. كلام الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ «دفاع عن الحديث النبوى» (ص٤٣) (قال الدكتور أكرم العمرى - حفظه الله -: «وأما ما روى من إعلان عمر الهجرة وتهديده من يلحق به فلم يصح «السيرة النبوية الصحيحة» (١/ ٢٠٦). وانظر كتابنا الآخر: «ضعيف السيرة النبوية».

وشجاعة الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا تُجهل، لكن الكلام هنا على سند القصة - ثم إن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أشجع الناس - هاجر وصاحبه الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ متخفيين عن أعين المشركين، فليس فى هذا ما يعيب، بل هو من بذل الأسباب، ومن تمام التوكل علىٰ الله». ما شاع ولم يثبت للشيخ محمد العوش (ص ٧٠ - ٧١).

هجرة صهيب الرومى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

عن أبى عثمان النهدى، عن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما أردت الهجرة من مكة إلى النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت لى قريش: يا صهيب، قدمت إلينا ولا مال لك، وتخرج أنت ومالك؟! والله لا يكون ذلك أبدًا، فقلت لهم: أرأيتم إن دفعت إليكم مالى، تخلون عنى؟ قالوا: نعم، فدفعت إليهم مالى، فخلوا عنى، فخرجت حتى قدمت المدينة، فبلغ ذلك النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ربح صهيب! ربح صهيب!**»[1] مرتين.

---

(١) صحيح: رواه ابن هشام فى «السيرة» (٢/ ٢٧٤)، معلقًا، ورواه ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٢٢٧) عن

وقال حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن سعيد بن المسيب، قال: أقبل صهيب مهاجرًا نحو النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته، وانتثل[1] ما فى كنانته، ثم قال: يا معشر قريش قد علمتم أنى من أرماكم رجلًا، وأنتم والله لا تصلون إلى حتى أرمى كل سهم فى كنانتى، ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالى وقنيتى[2] بمكة وخليتم سبيلى، قالوا نعم فلما قدمتُ على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ربح البيع! ربح البيع!**» قال ونزلت: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧][3].

فيمن خرج مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت قبل أن يصل إلى المدينة:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمات فى الطريق قبل أن يصل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنزلت: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء: ١٠٠][4]

= هوزة بن عوف، عن أبى عثمان قال: بلغنى أن صهيبًا ... فذكره، ورواه ابن سعد (٢/ ٢٢٨) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٥١) من طريق على بن زيد عن سعيد بن المسيب، فذكر نحو القصة ... وأخرج نحوه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٤٠٠) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٢٢) من طريق سعيد بن المسيب عن صهيب نحوه.

(١) انتثل: أى أخرج ما فيها من سهام.

(٢) القنية: ما يكتسب ويدخر.

(٣) صحيح لشواهده، أخرجه ابن حاتم فى «التفسير» (٢/ ٣٦٨) (١٩٣٩) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٥١)، من طريق حماد بن سلمة به، وعلى بن زيد بن جدعان ضعيف، لكن يشهد له ما قبله، وأخرجه أيضًا: ابن سعد (٢/ ٢٢٨) وابن كثير فى «البداية والنهاية» (٣/ ١٧٣، ١٧٤) وابن حجر فى «المطالب العالية» (٣/ ٣٥٥٢) و (٤/ ٤٠٦٣)، قال البوصيرى: «رواه إسحاق وابن مردويه فى تفسيره بسند صحيح».

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى «التفسير» (٣/ ٥٨٨٩) وفيه أشعث بن سوار وهو ضعيف، وقد أشار إلى هذه الطريق ابن حجر فى الإصابة (٢/ ١٠٩) وزاد نسبه إلى أبى يعلى، وفيه خلاف على اسم الصحابى =

وعن سعيد بن جبير أن أبا ضمرة بن العيص الزرقى، الذى كان مصاب البصر، وكان بمكة، فلما نزلت: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء: ٩٨] فقلت: إنى لغنى، وإنى لذو حيلة، فتجهز يريد النبى ﷺ فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠][(١)].

من قدر على الهجرة فأقام بين ظهرانى المشركين ولم يهاجر:

عن محمد بن عبد الرحمن - أبى الأسود، قال: قطع على أهل المدينة بعث، فاكتتبت فيه، فلقيتُ عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهانى عن ذلك أشد النهى، ثم قال: أخبرنى ابن عباس أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتى السهم فيرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب عنقه، فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧][(٢)].

= حرره الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (٥/ ١٩٧) و(٢/ ١٠٩-١١٠)، و(١/ ٢٥١) وانظر أيضًا: «الغوامض والمبهمات» لابن بشكوال (٤٧٣، ٤٧٧) وذكره الحافظ ابن كثير فى «تفسيره».

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى «التفسير» (٣/ ٥٨٩٠) وإسناده صحيح وانظر ما قبله.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٤٥٩٦ و ٧٠٨٥) والنسائى فى «التفسير» (١٣٩) من طريق إسحاق بن إبراهيم نا المقرئ، نا حيوة به، قال الحافظ فى «الفتح» (٨/ ٢٦٣): «قوله: رواه الليث عن أبى الأسود وصله الإسماعيلى والطبرانى فى «الأوسط» (٣٥٨، ٨٦٣٨)، وفى «الكبير» أيضًا (١١/ ١١٥٠٥، ١١٥٠٦) ومن طريقه ابن حجر فى «تغليق التعليق» (٤/ ١٩٨) من طريق أبى صالح كاتب الليث عن الليث عن أبى الأسود عن عكرمة فذكره بدون قصة أبى الأسود، قال الطبرانى، لم يروه عن أبى الأسود إلا الليث وابن لهيعة.

قلت [ابن حجر]: ورواية البخارى من طريق حيوة ترد عليه، ورواية ابن لهيعة أخرجها ابن أبى حاتم أيضًا فى «تفسيره» (٣/ ٥٨٦٢) وكذا ابن جرير (٩/ ١٠٢٦١) من طريق ابن وهب، والطبرانى فى «الكبير» (١١/ ١١٥٠٥) من طريق أبى صالح الحرانى، كلاهما ثنا ابن لهيعة.

وفى هذه القصة دلالة على براءة عكرمة مما ينسب إليه من رأى الخوارج: لأنه بالغ فى النهى عن قتال =

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم بفعل بعض، قال المسلمون، كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء: ٩٧]، قال: فكتبت إلى من بقى من المسلمين بهذه الآية: لا عذر لهم، قالوا: فخرجوا، فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] الآية[(١)].

وعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»**[(٢)] وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لا يقبل الله عَزَّ وَجَلَّ من مشرك بعدما أسلم عملًا، أو يفارق المشركين إلى المسلمين»**[(٣)].

وعن جرير بن عبد الله أنه حين بايع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ عليه: **«أن لا يشرك بالله شيئًا ويقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، وينصح المسلم، ويفارق المشرك»**[(٤)].

= المسلمين، وتكثير سواد من يقاتلهم، وغرض عكرمة أن الله ذم من كثر سواد المشركين مع أنهم كانوا لا يريدون بقلوبهم موافقتهم، قال: فكذلك أنت لا تكثر سواد هذا الجيش، وإن كنت لا تريد موافقتهم؛ لأنهم لا يقاتلون فى سبيل الله.

(١) حسن: أخرجه ابن أبى حاتم فى «التفسير» (٣/ ٥٨٦٣)، وابن جرير فى «التفسير» (٩/ ١٠٢٦٠)، ثنا أحمد بن منصور الرمادى به، ورواه البزار (٤/ ٢٢٠٤ - كشف)، من طريق أبى نعيم، ثنا محمد بن شريك به، وقال البزار: «لا نعلم أحدًا يرويه عن عمر إلا محمد بن شريك» وذكره الهيثمى فى «المجمع»(٧/ ١٢ - ١٣) وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن شريك، وهو ثقة»، وثقه أحمد وابن معين، وأبو زرعة، والدارقطنى وقال أبو حاتم والنسائى والفسوى: «ليس به بأس».

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٢٧٨٧)، وسنده ضعيف لكنه يتقوى بما بعده وأخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٢/ ١٤١) من طريق همام عن قتادة عن حسن بن سمرة، ورجاله ثقات.

قلت: وحسنه الشيخ العلامة الألبانى فى «الصحيحة» (٢٣٣٠)، و«صحيح الجامع» (٦١٨٦).

(٣) إسناده حسن: أخرجه النسائى (٥/ ٨٢، ٨٣) وابن ماجة (٢٥٣٦)، وأحمد (٥/ ٤، ٥ وهو شاهد لما قبله.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٥)، والنسائى (٧/ ١٤٨)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٣).

من لم يقدر على الهجرة من العجزة والمستضعفين والولدان:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧، ٩٩].

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلى العشاء إذ قال: «**سمع الله لمن حمده**»، ثم قال قبل أن يسجد: «**اللهم أنج عياش بن أبى ربيعة، اللهم نج سلمة ابن هشام، اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنى كسنى يوسف**»[(١)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان[(٢)].

وعنه أيضًا قال: «كنت أنا وأمى ممن عذر الله»[(٣)].



---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٥٩٨)، و(٦٣٩٣)، ومسلم (٢٩٥/ ٦٧٥)، وأبو داود (١٤٤٢)، والنسائى (٢/ ٢٠٢)، وأحمد (٢/ ٤٧٠ و٥٢١) من طريق يحيى – وهو ابن أبى كثير..

(٢) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (١/ ١٧٢)، ومن طريقه ابن جرير (٩/ ١٠٢٧٤)، وابن أبى حاتم (٣/ ٥٨٧١).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٤٥٩٧ و ٤٥٨٨)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٢٧) من طريق سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، وأخرجه البخارى (٤٥٨٧) والبيهقى من طريقين عن سفيان به.

فَصْلٌ

فى هجرة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن، إلا على ابن أبى طالب، وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وكان أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى الهجرة ويتجهز لها[1] ، فيقول له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

«**على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى**»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال: «**نعم**»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليصحبه، وعلف راحلتين كانت عنده ورق السمر - وهو الخبط - أربعة أشهر»[2] .

تشاور قريش فى أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال ابن إسحاق: ولما رأت قريش أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له فى دار الندوة - وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حين خافوه.

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد بن جبير أبى الحجاج وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لما أجمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا فى دارة الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٠٥) من حديث عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - الطويل. ورواه أحمد (٦/ ١٩٨).

رسول الله ﷺ ، غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ جليل، عليه بت[1] له، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد[2] سمع بالذى اتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُعْدِمكم منه رأيًا ونُصحًا ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرافُ قريش؛ من بنى عبد شمس: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، ومن بنى نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدى، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل، ومن بنى عبد الدار بن قصى: النضر بن الحارث بن كلدة، ومن بنى أسد بن عبد العزى: أبو البخترى بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام، ومن بنى مخزوم،أبو جهل بن هشام، ومن بنى سهم، نبيه ومنبه ابنا الحجاج ومن بنى جمح: أمية بن خلف، ومن كان معهم، وغيرهم ممن لا يعد من قريش، قال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأيا، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه فى الحديد، وأغلقوا عليه بابًا، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرًا والنابغة، ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم.

فقال الشيخ النجدى: لا والله، ما هذا لكم برأى، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأى، فانظروا فى غيره، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من

(١) بت: بفتح الباء وتشديد التاء: الكساء الغليظ من صوف جيد أو خزيليس كالعباءة، ويدل على المكانة والشرف، وجمعه بتوت.

(٢) ذكر السهيلى فى «الروض الأنف»: «وإنما قال لهم: إنى من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة، لأنهم قالوا: لا يدخلن فيكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة؛ لأن هواهم مع محمد فلذلك تمثل لهم فى صورة شيخ نجدى.

بلادنا، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. فقال الشيخ النجدى: لا والله، ما هذا لكم برأى، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير إليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، ودبروا فيه رأيًا غير هذا. قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جليدًا نسيبًا وسيطًا [1] فينا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعًا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعقل [2] فعقلناه لهم. قال: فقال الشيخ النجدى: القول ما قال الرجل، هذا الرأى الذى لا رأى غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له، قال: فأتى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه**» قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانهم قال لعلى بن أبى طالب: «**نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم**»، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينام فى برده ذلك إذا نام [3].

---

(١) الوسيط: الشريف فى قومه.

(٢) العقل: الدية.

(٣) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦) ورواه من طريق ابن إسحاق ابن جرير الطبرى فى «التفسير» (١٣/ ١٥٩٦٥) وفى «التاريخ» (٢/ ٣٧٠)، والبيهقى فى «الدلائل» بهذا الإسناد.

وعلة هذا السند جهالة شيخ ابن إسحاق، وأخرجه الطبرى من طريق ابن إسحاق فقال:

«حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنى محمد بن إسحاق، قال: حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس...».

=

وفى سند الطبرى سقطت الواسطة بين ابن إسحاق وابن أبى نجيح وصرَّح ابن إسحاق فيه بالتحديث عنه، لكن فى الإسناد علة هى: أن شيخ الطبرى هو: محمد بن حُميد الرازى، كذبه أبو زرعة والنسائى وابن دارة، وذكره الذهبى فى «الضعفاء والمتروكين» (٢/ ٢٨٩)، وقال فى «الكاشف» (٣/ ٣٢): «وثقه جماعة والأولى تركه»، وقال الحافظ فى «التقريب» (٢/ ١٥٦): «حافظ ضعيف»، ومحمد بن حميد هذا هو المتهم - والله أعلم - بتسوية إسناد ابن إسحاق عند الطبرى.
ثم إن فى السند علة أخرى لكنها دون الأولى وهى أن عبد الله بن أبى نجيح - وهو ثقة رمى بالقدر، ربما دلَّس وقد عنعن هنا، قال يحيى بن سعيد وابن المدينى، «لم يسمع ابن أبى نجيح التفسير من مجاهد» [تاريخ ابن أبى خيثمة] (١/ ٢٣١)، وقال ابن حبان كما فى «تهذيب التهذيب» (٦/ ٥٤): «رواه عن مجاهد من غير سماع».
وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٦٥) من حديث عروة وهو مرسل وإسناده ضعيف، وأورده الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٥٢) وقال: «رواه الطبرانى مرسلًا وفيه ابن لهيعة وفيه كلام وحديثه حسن».اهـ. قلت: مع إرساله فيه ابن لهيعة وهو مدلس وقد عنعنه.
وله شاهد من حديث الزهرى؛ رواه ابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٢٢٧)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٦٦)، وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (١/ ٢٠١) مرسلًا وأخرجه الطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٣٧٠) من طريق الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس، والحسن متروك، ورواه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، والكلبى متروك.
ورواه ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ١٧٥) من طريق ابن أبى داود بن الحصين بن أبى غطفان عن ابن عباس وفيه انقطاع.
وأخرجه ابن سعد من طريق الواقدى: والواقدى على سعة علمه - متروك.
وأخرجه عبد الرزاق فى «المصنف» (٥/ ٣٨٩) - كتاب المغازى - عن قتادة مرسلًا.
ولهذه القصة شاهد من حديث عائشة فى «الصحيحين»، لكن من بعضه فقط.
وهذه الطرق والشواهد التى ذكرناها لا تحسن القصة.
وقد صحح هذه القصة بعض المعاصرين كالشيخ الدكتور مهدى رزق الله فى «السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية» (ص ٢٦٥) قال: «جاءت القصة بطريق صحيح عند ابن إسحاق والطبرى إضافة إلى أن ابن إسحاق والزهرى والواقدى وابن سعد والأموى من أئمة المغازى والسير، واتفقوا على ذكر القصة مما يدل أن لها أصلًا، خاصة حديثهم - إذ استثنينا قصة النجدى - ورد مضمونه فى أحاديث صحيحة، مثل الأحاديث التى وردت فى تفسير الآية: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ اهـ. انظر تفسير الطبرى لهذ الآية وقول د/ مهدى رزق الله بأن هذه القصة صحيحة، غير صحيح، وقد سبق أن

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا: قال دخلت فاطمة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهى تبكى، فقال ما يبكيك يا بنية؟ قالت: يا أبت، ومالى لا أبكى، وهؤلاء الملأ من قريش فى الحجر، يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأوك لقاموا عليك فيقتلونك، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك، فقال: «**يا بنية، ائتنى بوضوء**»، فتوضأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا: إنما هو ذا فطأطؤوا رؤوسهم، وسقطت أذقانهم بين أيديهم، فلم يرفعوا أبصارهم، فتناول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: «**شاهتْ الوجوه**» فما أصاب رجلًا منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافرًا[(1)].

= الرواية جاءت من طريق الواقدى، وهو متروك، أو من طريق ابن إسحاق وفيه جهالة شيخه، أو من مراسيل عروة والزهرى أو من رواية الكلبى وهو متروك أيضًا.

وما ذكر من أن ابن إسحاق قد صرَّح بالسماع فى رواية الطبرى لا يفيد لأن شيخ الطبرى - كما سبق كذبه العلماء وهو - والله أعلم - المتهم بتسوية السند «ما شاع ولم يثبت» (ص ٧٤).

وممن صححها أيضًا من المعاصرين د/ سليمان السعود فى أطروحته للماجستير: «أحاديث الهجرة جمع وتحقيق ودراسة» (ص١١٤)، وذلك لأمور ثلاثة:

١ - أن لها أصلًا فى كتاب الله فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. وبهذه القصة فسرها الطبرى.

٢ - أنها وردت من عدة طرق يشد بعضها بعضًا.

٣ - شهرة هذه القصة واستفاضتها عند أئمة السير».اهـ.

قلت: الشهرة لا تغنى عن صحة السند. كما هو مقرر فى الأصول . والحمد لله رب العالمين.

(١) حسن: أخرجه ابن حبان فى «صحيحه» (١٦٩١ - موارد) والحاكم فى «المستدرك» (٣/ ١٥٧)، والحديث فى إسناده مسلم بن خالد الزنجي؛ إلا أنه توبع ورواه أبو نعيم فى «الدلائل» (١٣٩)، وأخرجه سعيد بن منصور (٢٩١٣) من طريق إسماعيل بن عياش، وأحمد (١/ ٣٠٣) من طريق إسحاق بن عيسى، حدثنا يحيى بن سليم، (١/ ٣٦٨) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، والبيهقى فى «الدلائل» (٦/ ٢٤٠) من طريق أبى نعيم، عن بكر بن عياش جميعهم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم بهذا الإسناد، وأخرجه أيضًا الحاكم (٣/ ١٥٧) من طريق أبى بكر بن عياش، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير عن فاطمة مختصرًا، وقال «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

التخطيط للهجرة والرعاية الربانية، وذلك من خلال حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

عن ابن شهاب الزهرى قال: أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: «... **قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين: إنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان مهاجرًا بأرض الحبشة إلى المدينة**[١]**، وتجهز أبو بكر قبل المدينة**»[٢].

فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**على رسلك، فإنى أرجو أن يؤذن لى**»، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال: نعم، فحبس أبو بكر نفسه[٣] على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمر وهو الخبط[٤] أربعة أشهر[٥].

قال ابن شهاب: قال عروة: قالت عائشة: فبينما نحن يومًا جلوس فى بيت أبى بكر فى آخر الظهيرة قال قائل لأبى بكر: هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متقنعًا[٦] فى ساعة لم يكن يأتينا فيها - فقال أبو بكر: فداءً له أبى وأمى، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر، قال: فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستأذن، فأذن له، فدخل فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبى بكر، «**أخرج من عندك**»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله، قال: «**فإنى أذن لى فى الخروج**»، فقال أبو بكر: الصحابة[٧] بأبى أنت يا رسول الله قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم**»، قال أبو بكر: فخذ بأبى أنت يا رسول

---

(١) هذا للغالب فهاجر إلى المدينة، لا جميعهم،لأن جعفر ومن معه مكثوا فى الحبشة حتى عام خيبر.

(٢) **قبل**: أى جهة.

(٣) أى: منعها من الهجرة.

(٤) **الخبط**: كل ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر.

(٥) **قال الحافظ**: فيه بيان المدة التى كانت بين ابتداء هجرة الصحابة بين العقبة الأولى وبين هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٦) **متقنعًا**: أى مغطيا رأسه.

(٧) أى أريد المصاحبة.

الله إحدى راحلتى هاتين قال رسول الله ﷺ: «**بالثمن**»، قالت عائشة: فجهزناهما أحث[1] الجهاز، وصنعنا لهما سفرة فى جراب[2]، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعةً من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاق[3] قالت عائشة: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف[4] لقن[5]، فيدلج[6] من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمر يكتادان[7] به إلا وعاه حتى يأتيهما يخبر ذلك حتى يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان فى رسل - وهو لبن منحتهما ورضيفهما[8] حتى ينعق[9] عامر بن فهيرة بغلس[10] يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث.

---

(١) أحث: افعل تفضيل من الحث، وهو الإسراع والجهاز، ما يحتاج إليه السفر.

(٢) أى زادا فى جراب.

(٣) قال الحافظ: النطاق: ما يشد به الوسط، وقيل: هو إزار فيه تكة، وقيل: هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشده وسطها بحبل، ثم ترسل الأعلى على الأسفل نقله عن أبى عبيد الهروى، ثم قال: وسميت ذات النطاقين لأنها كانت تجعل نطاقًا على نطاق، وقيل كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتجعل على الآخر الزاد ثم قال: والمحفوظ أنها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر، اهـ، «الفتح» (٧/ ٢٧٨).

(٤) ثقف: حازق.

(٥) لقن: سريع الفهم.

(٦) يدلج: يخرج.

(٧) يكتادان: يطلب لهما فيه المكروه، وهو من الكيد.

(٨) رضيفهما: اللبن المرضوف، أى الذى وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس والنار لينعقد وتزول رخاوته.

(٩) ينعق: يصيح.

(١٠) غلس: آخر الليل إذا اختلط بضوء الصبح.

واستأجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر رجلًا من بنى الديل [(١)]، وهو من بنى عبد ابن عدى هاديا خريتًا، والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفًا [(٢)] فى آل العاص بن وائل السهمى، وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهما طريق السواحل [(٣)].

نوم على فى فراش النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الهجرة:

عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال فى حديث طويل: «... شرى علىٌّ نفسه، ولبس ثوب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم نام مكانه: وكان المشركون يرمون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألبسه برده، وكانت قريش تريد أن تقتل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعلوا يرمون عليا [(٤)]، ويرونه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد لبس برده، وجعل على صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتضور [(٥)]، فإذا هو على، فقالوا: إنك للئيم إنك لتتضور، وكان صاحبك لا يتضور، ولقد استذكرناه منك» [(٦)].

---

(١) جاء فى سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام أن اسم هذا الرجل: هو عبد الله بن أرقد، وفى رواية الأموى عن ابن إسحاق: أريقد، وحكى موسى بن عقبة وابن سعد أن اسمه: عبد الله بن أريقط ذكره الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٢٨٠).

(٢) أى كان حليفًا، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم فى دم أو خلوق أو فى شىء يكون فيه تلويث فيكون ذلك تأكيدًا للحلف «الفتح» (٧/ ٢٨٠).

(٣) الحديث أخرجه البخارى (٢١٣٨ و ٤٠٩٣) وأحمد (٦/ ٢١٦) رقم (٢٥٧٧٤) وابن حبان (٦٢٧٩) من طريق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ورواه البخارى (٤٧٦ و ٢٤٩٧ و ٣٩٠٥ و ٥٨٠٧ و٦٠٧٩) وأبو داود (٤٠٨٣) وعبد الرزاق (٩٧٤٣)، وأحمد (٢٥٦٢٦) وابن خزيمة (٢٦٥ و ٢٥١٨) والطحاوى فى «شرح المشكل» (٤٠٧٦) وابن حبان (٦٢٧٧) والحاكم (٣/ ٣- ٤) واللالكائى فى «شرح الاعتقاد» (١٤٢٢ و ٢٤٣١) والبيهقى فى «دلائل» (٢/ ٤٧١) وفى «السنن» (٩/ ٩) وأبو نعيم فى «الدلائل» (٢٣٠) والبغوى (٣٧٦٣) كلهم من طرق عن الزهرى عن عروة عن عائشة - مطولًا ومختصرًا.

(٤) يرمون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعنى بالحجارة.

(٥) يتضور: يتأوه ويضبح من الألم لإصابة الحجارة له.

(٦) إسناده حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» (١/ ٣٣١)، وفى «فضائل الصحابة» (١١٦٨)، والحاكم فى

قصة أسماء مع جدها وتعليله بالحجارة عن النقود:

عن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما قالت: لما خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وخرج معه أبو بكر، احتمل ماله كله، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدى أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا. قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها فى كوة(1) فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال، قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفى هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئًا، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك(2).

تعمية أبصار المشركين عن إبصار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه فى الغار:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن فى الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، قال: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»(3).

۞۞۞

= «المستدرك» (٣/ ٤) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى فى «تلخيصه» وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ١١٩ - ١٢٠): «رواه أحمد والطبرانى فى «الكبير» و«الأوسط» باختصار ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبى بلج الغزارى وهو ثقة وفيه لين، وصححه الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله فى تعليقه على «المسند» (٣٠٦٢).

(١) الكوة: ثقب فى الحائط.

(٢) إسناده حسن: رواه ابن إسحاق فى «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٨١)، ومن طريقه رواه الإمام أحمد (٦/ ٣٥٠) (٢٦٩٥٧) والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ٢٣٥) والحاكم (٣/ ٥ - ٦) وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٥٥ - ٥٦) قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٥٩): «رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى».

(٣) أخرجه البخارى (٣٩١٧ و٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١) والترمذى (٣٠٩٥) وأحمد فى «المسند» (١/ ٤).

فى الطريق إلى المدينة

حديث سراقة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن سراقة بن مالك بن جعشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج، إذا أقبل رجل منهم، حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إنى قد رأيت آنفًا أسودة[1] بالساحل أراها محمدًا وأصحابه، قال: سراقة، فعرفت أنهم هم، فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا.

ثم لبثت فى المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة[2]، فتحبسها على، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسى، فركبتها، فرفعتها تقرب لى، حتى دنوت فعثرت بى فرسى فخررت عنها، فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى، فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذى أكره.

فركبت فرسى - وعصيت الأزلام تقرب بى، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت[3]، يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان[4] ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسى حتى جئتهم، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله

(١) أسودة: أشخاص.

(٢) أكمة: بروة مرتفعة أو تلة.

(٣) ساخت: غاصت.

(٤) عثان: غبار ساطع إلى السماء.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآنى، ولم يسألانى إلا أن قال: «**اخف عنا**». فسألته أن يكتب لى كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)].

وزاد بعضهم فى غير الصحيحين:

قال سراقة: فكتب لى كتابًا فى عظم، أو فى رقعة، أو فى خرقة، ثم ألقاه إلى، فأخذته، فجعلته فى كنانتى ثم رجعت، فسكت فلم أذكر شيئًا مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفرغ من حُنين والطائف، خرجت ومعى الكتاب لألقاه، فلقيته بالجعرانة[(٢)]، قال: فدخلت فى كتيبة من خيل الأنصار، قال: فجعلوا يقرعوننى بالرماح، ويقولون: إليك، إليك، ماذا تريد؟ قال فدنوت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على ناقته، والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غرزه كأنها جُمَّارة، قال: فرفعت يدى بالكتاب، ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابك لى: أنا سراقة بن جعشم قال: فقال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يومُ وفاء وبرٍّ ادنه**» قال: فدنوت منه فأسلمت ثم تذكرت شيئًا أسأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه فما أذكره، إلا أنى قلت: يا رسول الله، الضالة من الإبل تغشى حياضى، وقد ملأتها لإبلى، هل لى من أجر فى أن أسقيها؟ قال: «**نعم، فى كل ذات كبد حرى أجر**»، قال: ثم رجعت إلى قومى، فسقت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صدقتى[(٣)].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٩٠٨) مختصرًا، وأخرجه (٣٩٠٦) مطولًا، وانظر: «الفتح» (٧/ ٢٨٣)، وأخرجه مسلم (٢٠٠٩)، وأحمد (٤/ ١٧٥ - ١٧٦)، وعبد الرزاق (٩٧٤٣)، والطبرانى فى «الكبير» (٦٦٠١)، وابن حبان (٦٢٨٠)، والحاكم (٣/ ٦٧)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (٢٣٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٨٤)، وابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٢٣٢)، والشيبانى فى «الآحاد والمثانى» (١٠٢٩).

(٢) **الجعرانة**: واد فى الشمال الشرقى من مكة، نزله النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قسم غنائم هوازن، عقب عودته من غزوة حنين، وأحرم منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعمرته، وله فيه مسجد «المعجم الكبير» (٤/ ٣٧١) وانظر: «معجم البلدان».

(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٨٢) وإسناده صحيح، ورواه ابن إسحاق بطوله وهى زيادة على ما فى «صحيح البخارى» ومسلم، وروى الحديث بطوله موسى بن عقبة كما قال الحافظ الذهبى فى «تاريخه» =

استراحة فى القائلة وشربة لبن:

عن البراء بن عازب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: اشترى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من عازب رحلًا بثلاثة عشر درهمًا، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إلى رحلى، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم.

قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا - أو سرينا - ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا، وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصرى هل أرى من ظل فآوى إليه، فإذا صخرة أتيتها، فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبى الله، فاضطجع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم انطلقت أنظر ما حولى: هل أرى من الطلب أحد؟ فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها الذى أردنا، فسألته، لمن أنت يا غلام؟ فقال لرجل من قريش سماه فعرفته، فقلت: هل فى غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: فهل أنت حالب لنا. قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال: هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لى كثبة من لبن[1].

وقد جعلت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أداوة على فمها خرقها، فصببت على اللبن

= (١/ ١٤٦ - ١٤٧) وفى «السيرة» (١/ ٣١٦) والحافظ ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٢٨٣) ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٦٦٠٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٨٧ -٤٨٨)، من طريق موسى بن عقبة، حدثنا ابن شهاب قال: حدثنا عبد الرحمن به، وإسناده صحيح ورواه الطبرانى (٦٦٠٣) من طريق صالح ابن كيسان عن ابن شهاب به، وأما قوله: «يا رسول الله الضالة من الإبل تغشى حياض» إلخ، أخرجه البيهقى فى «الدلائل» رقم (٧٨٣) من طريق موسى بن عقبة حدثنا ابن شهاب فذكره، ورواه أحمد (١٧٥٨١)، وابن ماجه (٣٦٨٦) وابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثانى» (١٠٣٢)، والطحاوى فى «شرح المعانى» (٤/ ١٣٤)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (٢٣٦) من طريق عن ابن إسحاق به، وإسناده صحيح، فإن ابن إسحاق قال صرح بالسماع، وله طرق أخرى كثيرة تقويه.

(١) كثبة من لبن: قدر كاف ملء القدح من اللبن.

حتى برد أسفله، فانطلقت به إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله، قال: «بلى» فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له: فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: «**لا تحزن، إن الله معنا**»[1].

فطنة أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبل نبى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف، ونبى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك؟

فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل، قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق، وإنما يعنى سبيل الخير»[2].

كسوة الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن عروة بن الزبير: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقى الزبير فى ركب من المسلمين، كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر ثياب بياض ...»[3].

مرور النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه على خيمتى أم معبد الخزاعية وما كان من شأنها:

عن حبيش بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة، وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومولى أبى بكر

---

(١) أخرجه البخارى (٣٦٥٢)، وانظر (٣٦١٥ و ٣٩١٧)، ومسلم (٩٠/ ٢٠٠٩)، وأحمد فى «المسند» (١/ ٢ - ٣) وابن حبان (٦٢٨١)، والبزار (١/ ١١٨) (٥٠)، وانظر فى «صحيح البخارى» (٣٩١١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخارى (٣٩١١)، وأحمد (١١٧٨٧)، وابن أبى شيبة فى «مصنفه» (٨/ ٤٦٠)، وأبو يعلى فى «مسنده» (٨/ ٦) (٣٣٩٢) بنحوه.

(٣) أخرجه البخارى (٣٩٠٦).

عامر بن فهيرة، ودليلهما الليثى عبد الله بن أريقط مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية، وكانت امرأة برزة[١] جلدة[٢] تحتبى[٣] بفناء الخيمة، ثم تسقى وتطعم فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين[٤] فنظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى شاة فى كسر الخيمة[٥] فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم، قال: هل بها من لبن؟ قالت: هى أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لى أن أحلبها. قالت: بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فدعا بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمسح بيده ضرعها وسمَّى الله تعالى ودعا لها فى شاتها فتفاجت[٦] عليه ودرت فاجترت فدعا بإناء يربض الرهط[٧] فحلب فيه ثجا[٨] حتى علاه البهاء[٩] ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب آخرهم حتى أراضوا[١٠]، ثم حلب فيه الثانية على هدة حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها وارتحلوا عنها، فقل ما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا يتساوكن هُزلًا ضحا مخض قليل، فلما رأى أبو معبد ... اللبن أعجبه وقال من أين لك هذا يا أم معبد والشاء عازب[١١] حائل، ولا حلوب فى البيت، قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفية لى يا أم معبد، قالت: رأيت

---

(١) **برزة:** «متقدمة فى السن فتخرج على الرجال ولا تحتجب عنهم.

(٢) **جلدة:** قوية صلبة، وقيل: عاقلة.

(٣) **تحتبى:** الاحتباء هو تشبيك أصابع اليدين ووضعهما على الركبتين، وتلك جلسة الأعراب.

(٤) **مرملين مسنتين:** أى أنهم دخلوا سنة الجدب والقحط.

(٥) **كسر الخيمة:** جانب الخيمة.

(٦) **تفاجت:** فتحت ما بين رجليها للحلب.

(٧) **يربط الرهط:** يبالغ فى ريهم حتى يثقلوا، والرهط: ما بين الثلاثة إلى العشرة.

(٨) **ثجا:** الثج: السائل، أى لبنًا كثيرًا سائلًا.

(٩) **البهاء:** رغوة الحليب.

(١٠) **أراضوا:** كرروا الشرب حتى بالغوا فى الرى.

(١١) **عازب:** بعيدة عن المرعى، وحائل لم تحمل.

رجلًا ظاهر الوضاءة [١]، أبلج الوجه [٢]، حسن الخلق، لـم تعبه ثجلة [٣]، ولـم تزريه صعلة [٤] وسيم [٥] قسيم، فى عينيه دعج [٦] وفى أشفاره وطف [٧] وفى صوته صحل [٨] وفى عنقه سطع [٩] وفى لحيته كثاثة [١٠] أزج أقرن [١١] إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء [١٢]، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق، فصلا لا نزر ولا هذر [١٣]، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تشنأه من طول [١٤] ولا تقتحمه عين من قصر [١٥]، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به [١٦]، إن قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود [١٧] محشود [١٨] لا عابس ....

(١) ظاهر الوضاءة:حسن الوجه.
(٢) أبلج الوجه:مشرق الوجه مضيؤه.
(٣) ثجلة:عظم البطن، وفى بعض المصادر: تجلة بالمثناة الفوقية، وهما معنى ووزنا. وفى بعضها:(نحلة): بالموحدة الفوقية: ومعناه: النحول والدقة والضمور.
(٤) صعلة:الصعلة: صغر الرأس وهى تعنى الدقة والنحول فى البدن.
(٥) الوسيم:المشهور بالحسن كأنه صار الحسن له سمة.
(٦) الدعج:شدة سواد العين فى شدة بياضها.
(٧) الوطف:طول أشفار العيون.
(٨) صحل:كالبحة، ليس بحاد الصوت.
(٩) سطع:إشراق وطول.
(١٠) كثاثة:دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها.
(١١) أزج أقرن:جقة شعر الحاجبين مع طول فيهما واتصال ما بينهما من شعر.
(١٢) البهاء:حسن المنظر.
(١٣) فصلا لا نزر ولا هذر:كلامه بين واضح ليس كثيرًا، وليس قليلًا.
(١٤) لا تشناه من طول:ليس طويلًا ولا مفرطًا.
(١٥) لا تقتحمه عين من قصر:لا يحتقر لقصره الشديد.
(١٦) يحفون به:يحيطون به.
(١٧) محفود:محذوم.
(١٨) محشود:يحيطون به انتظارًا لخدمته.

ولا مفند[١] قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا، فأصبح صوت بمكة عاليًا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلَّا خيمتى أم معبد

هما نزلاها بالهدى واهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فيال قصى ما زوى الله عنكم به من فَعَالٍ لا تُجارى وسؤددَ

ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد

ويهن بنى كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبت عليه صريحًا ضرة الشاة مزيد

فغادرها رهنًا لديها لحالب يرددها فى مصدر بعد مورد[٢]

---

(١) لا عابس ولا مفند: ليس عابس الوجه ولا مفند: ليس منسوبًا إلى الجهل وقلة العقل.

(٢) حديث حسن: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٩ - ١٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ونازعه الذهبى فى توافر شروط الصحيح، وعزاه ابن حجر فى «الإصابة» (١/ ٣٠٩) للبغوى وابن شاهين وابن السكن وابن منده، وغيرهم وخرجه الإمام الذهبى فى «السيرة» (٢/ ٢٦٠) فما بعدها وتوسع فى تخريجه.

وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٣٦٠٥) وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٢٨٢ - ٢٨٧) والإمام اللالكائى فى «اعتقاد أهل السنة» (١٤٣٤ - ١٤٣٧). وللحديث شواهد من حديث جابر رواه البزار (١٧٤٢ كشف الأستار).

وأبى سعيد الخزاعى، رواه البيهقى ذكرهما الحافظ ابن كثير فى (٢/ ٢٦٠ - ٢٦٣)، وابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٢٣٠ - ٢٣٢) وفى رواية البيهقى: أن أبا معبد أسلم وهاجر وفى رواية أبى نعيم: أن أم معبد هاجرت وأسلمت.

وله شاهد ثالث من حديث أبى وليس فيه اسم أم معبد ذكره البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤٩١)، وإسناده حسن، كما قال الحافظ ابن كثير، وقال البيهقى: هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد والظاهر أنها هى، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير فى «البداية» (٣/ ١٨٨): «وقصتها (أم معبد) مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضًا.

وبهذه الشواهد يكون الحديث حسنًا - والحمد لله رب العالمين -.

الطريق التى سلكها النبى ﷺ وصاحبيه والدليل:

قال ابن إسحاق: فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أريقط -أو أرقط- سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان[١]، ثم سلك بهما على أسفل أمج[٢]، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق، بعد أن أجاز قديدًا، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخرار[٣]، ثم سلك بهما ثنية المرة[٤]، ثم سلك بهما لقفًا[٥] قال ابن هشام : ويقال: لِفْتًا قال معقل بن خُويلد الهُذلى:

تزيعًا محلبا من أهل لفت لحى بين أثلة والنحام

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما مدلجة لقف، ثم استبطن بهما مدلجة مجاج - ويقال: مجاج، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مرجح مجاج [٦]، ثم تبطن بهما مرجح من ذى الغضوين[٧]، قال ابن هشام: ويقال الغضوين ثم بطن ذى كشر[٨]، ثم أخذ بهما على الجداجد[٩] ثم على الأجرد [١٠] ثم سلك بهما ذا سلم[١١] من بطن

(١) عسفان: بضم أوله وسكون ثانية: سميت بذلك لتعسف السير فيها، وهى من مكة على مرحلتين.

(٢) أمج: بلد من أعراض المدينة.

(٣) الخرار: واد من أودية المدينة، وقيل: ماء بالمدينة، وقيل: موضع بخيبر، وقيل: موضع بالحجاز، يقال: قرب الجحفة.

(٤) ثنية المرة: تخفيف امرأة.

(٥) لقفا: هى ثنية بين مكة والمدينة، وقيل: لقف: ماء آبار كثيرة عذب ليس عليها مزارع ولا نخل فيها لغلظ موضعها وخشونته: «معجم البلدان» (٥/ ٢١).

(٦) مرجح مجاج: موضع بين مكة والمدينة.

(٧) ذى الغضوين: موضع أيضًا.

(٨) ذى كشر: موضع أيضًا - بين مكة والمدينة.

(٩) الجداجد: آبار قديمة فى الطريق على مقربة من المدينة ومفردها جدجد.

(١٠) الأجرد: اسم جبل من جبال القبلية، والأشعر والأجرد جبلًا جهينة بين المدينة والشام «معجم البلدان» (٢/ ١٠٢).

(١١) ذى سلم: واد ينحدر على الذنائب، وهى أرض بنى البكاء على طريق البصرة إلى مكة.

أغداء مدلجة تعهن [١]، ثم على العبابيد [٢]، قال ابن هشام: ويقال: العبابيب ويقال: العثاينة، يريد العابيب.

قال ابن إسحاق: ثم أجاز بهما الفاجة [٣]، ويقال: القاحة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن هشام: ثم هبط بهما العَرج [٤]، وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجلٌ من أسلم، يقال له: أوس بن حُجر، على جمل له - يقال له: ابن الرداء إلى المدينة، وبعث معه غلامًا له، يقال له: مسعود بن هنيدة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك بهما ثنية الغائر، عن يمين ركُوبة [٥] ويقال: ثنية الغابر، فيما قال ابن هشام - حتى هبط بهما بطن رئم [٦] ثم قدم بهما قُباء [٧] على بنى عمرو بن عوف، لإثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، يوم الاثنين، حين اشتد الضحاء، وكادت الشمس تعتدل [٨].



---

(١) مدلجة تعهن: بكسر التاءوالهاء وسكون العين وآخره نون اسم عين ماء سمى به موضع على ثلاثة أميال من السقايا بين مكة والمدينة.

(٢) العبابيد: ويقال: العبابيب، مكان يجمع فيه الماء، أو يعبء منه الماء.

(٣) الفاجة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقايا بنحو ميل.

(٤) العرج: هى عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج تذكر مع السقايا «معجم البلدان» (٤/ ٩٩).

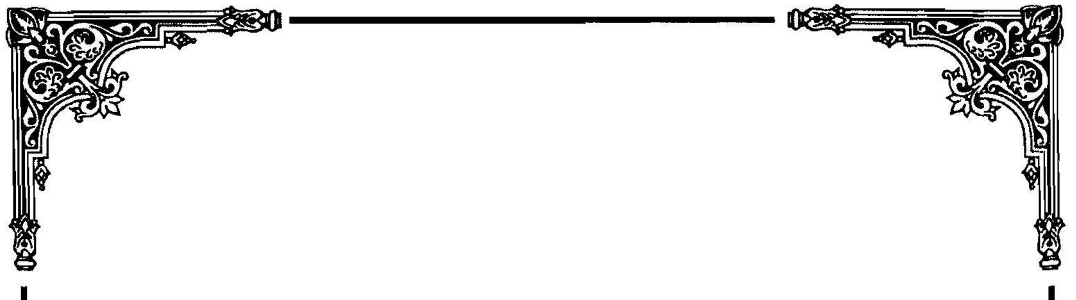
(٥) ركوبة: هى ثنية بن يمكة المدينة عند العرج صعبة «معجم البلدان» (٣/ ٦٤).

(٦) رئم: واد لزينة قرب المدينة يصب فيه وركان، وقيل: هو موضع على أربعة برد من المدينة «معجم البلدان» (٤/ ١١٤).

(٧) قباء: بضم أوله، قرية على ميلين من المدينة، وبها بنى أول مسجد فى الإسلام.

(٨) وهذا التاريخ موافق لما فى الصحيح، وقال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٢٨٧): «وهذا هو المعتمد، وشذ من قال: يوم الجمعة» - وراجع الأقوال والصواب منها فى «الفتح» (٧/ ٢٨٧).

والحديث: وإن كان معلقًا ... لكن وصله الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٨) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وصححه الحافظ فى «الفتح» وأشار إلى طريقين آخرين له.



القسم الثالث

قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة حتى لحوقه بالرفيق الأعلى





باب

ما بين قدوم النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغزوة بدر الكبرى

فَصْلٌ

فى قدوم النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبارك للمدينة

عن عروة بن الزبير: «... ويسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانطلقوا أيضًا بعدما أطالوا انتظارهم.

فلما آووا إلى بيوتهم، أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله وأصحابه مبيضين، يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذى تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل فى بنى عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صامتًا، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند ذلك.

فلبث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس

المسجد الذى أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته، فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدًا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة.

فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا، بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدًا، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه، ويقول - وهو ينقل اللبن:

هـذا الحمـال لا حمـال خيبـر هـذا أبـر ربنـا وأطهـر

ويقول: «اللهم إن الأجر أجر الآخرةفارحم الأنصار والمهاجرة»

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى: «قال ابن شهاب: ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات[1].

وروى ابن إسحاق قال: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال: حدثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، وتوكفنا قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلًّا دخلنا، وذلك فى أيام حارة، حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله ﷺ، جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم

---

(١) أخرجه البخارى (٣٩٠٦) وقال الحافظ: «وصورته مرسل»، لكن وصله الحاكم من طريق معمر عن الزهرى: «المستدرك» (٣/ ١١) وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبى، وقال: أخرجه البخارى، وقد جاء من حديث عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة الآتى بإسناد صحيح مرسل.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود، وقد رأى ما كنا نصنع، وأنا ننتظر قدوم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علينا، فصرخ بأعلى صوته: يا بنى قيلة[١]، هذا جدكم قد جاء، قال: فخرجنا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو فى ظل نخلة، ومعه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل ذلك، وركبه الناس وما يعرفونه من أبى بكر حتى زال الظل عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك[٢].

تاريخ قدومه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخوله دار الهجرة

ذكر ابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ فى «السيرة النبوية» أن: قدوم النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، يوم الاثنين، حين اشتدَّ الضَّحاء، وكادت الشمس تعتدل، قلت: وهذا التاريخ هو المعتمد الموافق لما فى «الصحيح»، ورجحه الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٢٨٧).

---

(١) قيلة: قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٢٨٧): «قيلة بفتح القاف وسكون التحتانية، هى الجدة الكبرى للأنصار والدة الأوس والخزرج، هى قيلة بنت كاهل بن عذرة.

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٨٤)، والحديث إسناده صحيح، قال البخارى فى «تاريخ الكبير» (٥/ ٣٢٥): «عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة - مرسل: حدثنى رجال قومى لما سمعنا مخرج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وقال ابن حبان فى «الثقات» (٥/ ١٠٣): «لم يرو عنه إلا عروة بن الزبير»، وقال ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٣/ ٣٨١): «ولد على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل: ولد قبل الهجرة، وذكر هذا الحديث عن محمد بن إسحاق مختصرًا، وقال: قال ابن منده، الذى ذكره فى الصحابة».
وذكره الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (٥/ ٧٣) من القسم الثانى: ونقل عن البغوى: أن حديثه مرسل، وذكر هذا الحديث. قلت: وإن كان تابعى فيكون سماعه من الصحابة صحيح، فعلى هذا إسقاط الصحابى لا يضر. والله أعلم.
وقد رواه الحاكم (٧/ ٢٨٧) كما فى «الفتح»: والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥١٢) من طريق ابن إسحاق.
ورواه البخارى (٣٩٠٦) من طريق ابن شهاب أخبرنا عروة وهو مرسل أيضًا كما قال الحافظ، ووصله الحاكم (٣/ ١١) من طريق معمر عن الزهرى أخبرنى عروة أنه سمع الزبير - فذكره.

خروج الأنصار لاستقبال الرسول ﷺ:

عن البراء عن أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى حديث الهجرة: «... فقدمنا المدينة ليلًا، فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ فقال: «**أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب، أكرمهم بذلك**» فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم فى الطرق ينادون: يا محمد! يا رسول الله! يا محمد! يا رسول الله![1].

إضاءة المدينة لمقدمه ﷺ وإظلامها لوفاته:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما كان اليوم الذى دخل فيه النبى ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء، فلما كان اليوم الذى مات فيه النبى ﷺ أظلم منها كل شىء...»[2].

نزوله ﷺ فى حى بنى عمرو بن عوف وبناء المسجد:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل فى علو المدينة، فى حى يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة، ثم أرسل إلى ملأ بنى النجار، قال: فجاءوا متقلدى سيوفهم[3]، قال: وكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته، وأبو بكر ردفه وملأ بنى النجار حوله، حتى

---

(١) أخرجه البخارى (٣٦٥٢) وفى الأشربة: باب شرب اللبن، وفى اللقطة: باب من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان، وأخرج مسلم بعضه (٢٠٠٩)، وأخرجه أحمد فى «المسند» (١/ ٢ - ٣)، من طريق عمرو بن محمد أبو سعيد العنقرى به، وابن حبان (٦٢٨١) من طريق عبيد الله بن رجاء الغدانى به ...، والبزار فى «مسنده» (٥٠) جميعًا من طريق عمرو بن محمد العنقرى عن إسرائيل... به.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٦٢٢)، وفى «الشمائل» (٣٧٤)، وابن ماجه (١٦٣١)، وابن حبان (٢١٦٢ - موارد) والدارمى (١/ ٤)، الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٥٧)، وابن سعد (٢/ ٢٧٤)، وأحمد فى «المسند» (٣/ ١٢٢، ٢٢١، ٢٤٠، ٢٦٨، ٢٨٧) وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وأقره الذهبى وصححه الألبانى فى «صحيح ابن ماجه»، و«مختصر الشمائل» و«صحيح الترمذى» (٢٨٦١).

(٣) متقلدى سيوفهم: حاملى السيوف خوفًا على النبى ﷺ من غدر اليهود.

حتى ألقى بفناء أبى أيوب، قال: فكان يصلى حيث أدركته الصلاة، ويصلى فى مرابض الغنم.

قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأ بنى النجار فجاءوا. فقال: يا بنى النجار ثامنونى [(١)] بحائطكم هذا، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، قال: فكان فيه ما أقول لكم: كانت فيه قبور المشركين وكانت فيه خرب [(٢)]، وكان فيه نخيل.

فأمر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبور المشركين وبالخرب فسويت، وبالنخل فقطعت قال: فصفوا النخل قبلة المسجد، قال وجعلوا عضادتيه [(٣)] حجارة، وجعلوا ينقلون الصخر، وهو يرتجزون ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرتجز معهم يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة   فاغفر للأنصار والمهاجرة [(٤)]

نزوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبى أيوب الأنصارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن أبى أيوب الأنصارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل عليه، فنزل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى السفل، وأبو أيوب فى العلو. قال: فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشى فوق رأس رسول الله، فتنحوا، فباتوا فى جانب، ثم قال للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السفل أرفق**» فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى العلو وأبو أيوب فى السفل فكان يصنع للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعامًا، فإذا جىء به إليه سأل عن موضع أصابعه، فيتتبع موضع أصابعه، فصنع له طعامًا فيه

(١) ثامنونى: ساومونى.

(٢) الخرب: البناء المتهدم.

(٣) عضادتيه: ما كان الباب يعتمد عليهما عند الإغلاق.

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩١١، ٣٩٣٢) ومسلم (٥٢٤)، وأبو داود(٤٥٣ و ٤٥٤) والنسائى فى المساجد؛ باب نبش القبور واتخاذ أراضيها مساجد ٢/ ٣٩ - ٤٠)، وابن ماجه (٧٤٢) وأحمد (٣/ ٢١١ - ٢١٢) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٢٦ - ٥٢٨) ورواية أبى داود وابن ماجه مختصرة، وهذا الارتجاز: «**لا عيش إلا عيش الآخرة...**» قد قاله النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حفر الخندق - أيضًا - كما روى أنس فى «صحيح البخارى» (٤٠٩٨ و ٤٠٩٩ و ٤١٠٠).

ثوم، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقيل له: لم يأكل ففزع وصعد إليه، فقال: أحرام هو؟ فقال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا ولكنى أكرهه**» قال: فإنى أكره ما تكره، أو ما كرهت، قال: وكان النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَى[(١)] يعنى: يأتيه الْمَلَكُ.

وعن أبى أيوب الأنصارى - أيضًا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل فى بيت الأسفل، وكنت فى الغرفة، فأهرق ماء فى الغرفة، فقمتُ أنا وأم أيوب نتبع الماء بقطيفة لنا شفقًا أن يصل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزلت إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا مشفق، فقلت: يا رسول الله، ليس ينبغى أن أكون فوقك، انتقل إلى الغرفة، فأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنقل متاعه، أظنه بليلٍ قليل، فقلت: يا رسول الله كنت ترسل إلينا بالطعام فأنظر فإذا رأيت أثر أصابعك وضعتُ يدى فيه حتى إذا كان هذا الطعام الذى أرسل به إلى نظرتُ إليه فلم أجد أثر أصابعك، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أجل إن فيه بصلًا، فكرهت أن آكله من أجل الملك الذى يأتينى، فأما أنتم فكلوه**»[(٢)].

۞۞۞

(١) رواه مسلم (١٧١/ ٢٠٥٣)، والترمذى (١٨٠٧) ورواه أحمد (٢٣٥١٧) مطولًا، ورواه فى مواضع مختصرًا منها (٢٣٥٠٤)، و(٢٣٥٠٧)، ورواه أبو عوانة (٨٦٩٠)، والطبرانى فى «الكبير» (٣٩٨٤)، والدارقطنى فى «العلل» (٦/ ١١١) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٠٩) من طرق عن عبد الله بن الحارث عن أفلح مولى أبى أيوب عن أبى أيوب.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» (٥/ ٤٢٠) (٢٣٦١٦)، والشيبانى فى «الآحاد والمثانى» (٣/ ٤٤٢) (١٨٨٥)، والطبرانى فى «الكبير» (٤/ ١٢٦) (٣٨٧٨) وابن سعد فى «الطبقات» (١/ ٣٩٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٠٩)

قدوم عبد الله بن سلام على رسول الله ﷺ وإسلامه، وبهت اليهود:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال**: إن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبى ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع[1] إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرنى به جبريل آنفًا، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه**» قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت[2]، فاسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامى، فجاءت اليهود. فقال النبى ﷺ: «**أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟**» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبى ﷺ: «**أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟**» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله[3].

---

(١) ينزع: يشبه.

(٢) البهت: الظلم.

(٣) أخرجه البخارى فى «الصحيح» (٣٩٣٨) عن بشر بن المفضل، ورواه أيضًا (٤٤٨٠) عن عبد بن بكر، ورواه أيضًا (٣٣٢٩) عن الفزارى ثلاثتهم عن حميد الطويل، ورواه أيضًا (٣٩١١) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٦) من طريق عبد العزيز بن صهيب كلاهما: «حميد وعبد العزيز» عن أنس إلا أن طريق حميد ذكر فيه زيادة وهى «الأسئلة الثلاثة» والتى سألها عبد الله بن سلام للنبى ﷺ قبل أن يسلم.

ورواه ابن إسحاق معلقًا فى «السيرة» لابن هشام (٢/ ٣٠٦): ومن طريقه رواه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٣٠)، وصححه الحاكم وعنه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٢٨) من طريق ابن إسحاق وفيه صرح ابن إسحاق بالتحديث.

بناء المسجد النبوى المبارك زاده الله شرفًا وحفظًا

المشاركة فى بناء المسجد:

وعن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينفض التراب عنه، ويقول: «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار**» قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن»[(١)].

صفة مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن عبد الله بن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «كان المسجد على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبنيًّا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل» فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه فى عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج»[(٢)].

اتخاذ المنبر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحنين الجزع إليه:

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى فلانة امرأة قد سماها سهل - أن مُرى غلامك النجار أن يعمل لى أعوادًا أجلس عليها إذا كلمتُ الناس، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأرسلته إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمر بها فوضعت هاهنا، ثم رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى عليها وكبر، وهو عليها ثم ركع وهو عليها، ثم نزل القهقرى، فسجد فى أصل المنبر، ثم عاد، فلما فرغ أقبل على الناس، فقال: «**أيها الناس، إنما صنعت هذا لتأتموا بى ولتعلموا صلاتى**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٤٧ و ٢٨١٢)، ومسلم (٧٠/ ٢٩١٥) وأحمد فى «المسند» (٣/ ٢٨ و ٣/ ٥ و ٥/ ٣٠٦، ٣٠٧ وابن سعد (٣/ ٢٥٢) والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٤٨) وابن حبان (٧٠٧٩).

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٦)، وأبو داود (٤٥١)، وأحمد (٢/ ١٣٠)، والقصة: هى الجص، والساج: نوع من الخشب يؤتى به من الهند.

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٨٧٥)، ومسلم (٥٤٤) وغيرهما.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله، الا أجعل لك منبرًا تقعد عليه؟ فإن لىٰ غلامًا نجارًا، قال: «**إن شئت**» قال: فعملت له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة قعد علىٰ المنبر الذىٰ صُنع له، فصاحت النخلة التىٰ كان يخطب عندها حتىٰ كادت أن تنشق، فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ أخذها، فضمها إليه، فجعلت تئن أنين الصبىٰ الذىٰ يسكت، حتىٰ استقرت، قال: «**بكت على ما كانت تسمع من الذكر عندها**»[١] .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع، فأتاه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمسحه فسكن[٢] .

قال البيهقى رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الأحاديث التى ذكرناها فى أمر الحنانة كلها صحيحة، وأمر الحنانة من الأمور الظاهرة والأعلام النيرة التى أخذها الخلف عن السلف ورواية الأحاديث فيه كالتكليف، والحمد لله على الإسلام والسنة، وبه العياذ والعصمة».

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة، ومنبرى على حوضى**»[٣] .

قال الحسن البصرى رَحِمَهُ اللَّهُ يا معشر المسلمين! الخشبة تحن إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شوقًا إليه أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه؟!.

---

(١) أخرجه البخارى (٤٣٨ و ١٩٨٩).

(٢) أخرجه الترمذى (٥٠٥)، والدارمى فى «المقدمة» (١/ ١٨ - ٣١) كلاهما من طريق معاذ بن العلاء عن نافع به.

وهو فى البخارى (٦٩٦) قال: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان، حدثنا أبو حفص، واسمه عمرو بن العلاء أخو أبى عمرو بن العلاء قال: سمعت ابن عمر .... به وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٤١٢ - ٤١٣).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (١١٩٦)، ومسلم (١٣٩١)، من حديث أبى هريرة به، وورد من حديث ابن عمر عند الطبرانى فى «الكبير» (١٣١٥٦)، وفى «الأوسط» (٦١٠).

ومن حديث عبد الله بن زيد المازنى: عند البخارى (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠)، وأحمد (٤/ ٣٩).

فضائل المدينة النبوية ودعاء

النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها ولأهلها بالبركة

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قدمنا المدينة وهى وبيئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شكوى أصحابه قال: «**اللهم حبب إلينا المدينة، كما حببت مكة، أو أشد وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها، وحول حماها إلى الجحفة**»[١].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة وعك أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا قلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يومًا مياه مجنة وهل يبدون لى شامةٌ وطفيل

قالت عائشة فجئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته فقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها، وبارك لنا فى صاعها ومدها، وانقل حماها، فاجعلها بالجحفة**».

وفى رواية للبخارى: «أن بلالًا قال بعد شعره: «اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة ابن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا**

---

(١) أخرجه البخارى (٢٩٢٦) وانظر أطرافه هناك، ومسلم (١٢٧٦)، وغيرها وانظر الحديث الآتى.

فى صاعنا وفى مدنا وصححها لنا، **وانقل حماها إلى الجحفة**». قالت: وقدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله، قالت: فكان بطحان يجرى نجلا، تعنى ماء آجنًا»[(١)].

قال ابن حبان عقب روايته: «العلة فى دعاء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنقل الحمى إلى الجحفة، أن الجحفة كانت دار اليهود، ولم يكن بها مسلم فمن أجله قال: «**وانقل حماها إلى الجحفة**».

مرض عائشة بالحمى:

وعن البراء قال: «... فدخلت مع أبى بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعه قد أصابتها حُمى فرأيت أباها يقبل خدها، وقال: كيف أنت يا بنية؟»[(٢)].

خروج الحمى إلى الجحفة:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة، حتى قامت بهيعة وهى الجحفة، فأوَّلْتُ أن وباء المدينة نقل إليها**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخارى (١٨٨٩ و٣٩٢٦ و٥٦٥٤ و ٥٦٧٧ و٦٣٧٢)، ومسلم (١٣٧٦) والبخارى فى «الآدب المفرد» (٥٢٥)، والنسائى فى «الكبرى» (٧٤٩٥)، ومالك (٢/ ٨٩٠ - ٨٩١) وابن أبى شيبة (٨/ ٧٠٢) وأحمد (٢٤٢٨٨)، و(٢٤٥٣٢) و(٢٦٢٤٠)، و(٢٦٢٤١)، وابن حبان (٣٧٢٤)، والطبرانى فى «الأوسط» (١٣٢٥)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٣٨٢)، وفى «الدلائل» (٢/ ٥٦٨ - ٥٦٩)، وابن عبد البر فى «التمهيد ٢٢/ ١٩٢) والبغوى، كلهم من طرق عن هشام بن عروة به.
رواه أحمد (٢٤٣٦٠) و (٢٥٨٥٦)، والنسائى فى «الكبرى» (٤٢٧٢)، و(٧٥١٩)، وابن حبان (٥٦٠٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٢/ ٥٦٦)، من طرق عن عبد الله بن عروة عن عروة به، ورواه النسائى «الكبرى» (٤٢٧١)، من طريق صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عروة به.

(٢) أخرجه البخارى (٣٩١٨).

(٣) أخرجه البخارى (٧٠٣٨ و٧٠٣٩ و٧٠٤٠) والترمذى (٢٢٩٠) وابن ماجه (٣٩٢٤). وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

آخى رسول الله ﷺ بين حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة - مولى رسول الله ﷺ [١].

وآخى ﷺ بين عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل [٢].

وآخى بين أبى بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبى زهير أخو بلحارث بن الخزرج [٣].

وأبو طلحة الأنصارى وأبو عبيدة بن الجراح أخوين [٤] وعبد الرحمن بن عوف

---

(١) هذه المؤاخاة ذكرها ابن إسحاق فى «السيرة» ٢/ ٢٩٥، وهى مؤاخاة صحيحة، روى الطبرانى فى «الكبير» (٤٦٥٨)، وأبو يعلى ١/ ٣٣٧، والبزار (١٩١٧ - زوائد)، من طريق يونس بن بكير عن يونس بن أبى إسحاق عن أبيه عن البراء أن زيد بن حارثة قال: «قلت يا رسول الله آخيْت بينى وبين حمزة بن عبد المطلب».
قال الهيثمى فى «المجمع» ٨/ ١٧١: «رجال البزار رجال الصحيح، وكذا أحد إسنادى الطبراني».
ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٤٦٦٠)، من طريق حجاج بن أرطأة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: «كان حمزة أخو زيد بن حارثة آخى بينهما النبى ﷺ». وفيه حجاج وهو مدلس. ورواه أيضًا من طريق أخرى عنه (٤٦٦١) وأحمد (٢٠٤٠) وأبو يعلى وفيه حجاج -أيضًا- مدلس. وقد روى البخارى فى عمرة القضاء عن البراء قول زيد «بنت أخي» يعنى بنت حمزة.

(٢) ذكره الحافظ فى «الفتح» ورواه ابن سعد فى «الطبقات» ٣/ ٤٣٨، وقال: لا اختلاف فيه عندنا. قلت وقدْ وَهم ابن إسحاق فذكر أن المؤاخاة كانت بين جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل، وهذا وهم بين فقد كان جعفر فى الحبشة ولم يقدم المدينة إلا فى عام خيبر وعقَّب عليه الحافظ.

(٣) صحيح. رواه ابن سعد فى «الطبقات» ٣/ ٣٩٧ بأسانيد بعضها جيد، وذكره الحافظ فى «الفتح» ٧/ ٢١٦ وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٣٥٤٥ و٣١٤٣٨)، وقال الهيثمى: ٦/ ٦٣ «رجاله ثقات» وذكر هذه المؤاخاة الحافظ فى «الإصابة» ٢/ ٨٤ فى ترجمة (خارجة بن زيد)، والبغوى من طريق ابن إسحاق. وراجع تاريخ ابن عساكر ٣٠/ ٤٠٦، ٤٠٧.

(٤) لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى «صحيح مسلم» (كتاب فضائل الصحابة، باب: مؤاخاة النبى ﷺ بين أصحابه رضي الله عنهم (٢٠٣).

وسعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزرج أخوين[١].

والزبير بن العوام ، وكعب بن مالك. وسيأتى – فى نسخ الإرث من هذه الأخوة.

وسلمان الفارسى وأبو الدرداء عُويْمر بن ثعلبة أخو بلحارث بن الخزرج أخوين[٢].

وساق ابن إسحاق أسماء بعض الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين آخى بينهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنه ساقها بدون أسانيد ، ثم إننى بحثتُ عنها فى كتب السنة فلم أجد لها سندًا صحيحًا وأكثرها مراسيل وقد ذكر بعض منها ابن سعد والحافظ ابن حجر فى «الفتح» وفى «الإصابة» وغيرهما.

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «قد حالف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين قريش ، والأنصار فى داري»[٣].

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة :

عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلًا من كثير، ولا أحسن مواساة فى قليل، قد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنأ، فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلا ما أثنيتم**

---

(١) كما فى «صحيح البخاري» (٣٩٣٧). من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومسلم (١٤٢٧) وأبو داود (٢١٠٩) والترمذى (١٩٣٤) ، والنسائى ٦/ ١٣٧ ، والبيهقى فى «السنن» ٧/ ٢٣٦ ، ٢٣٧ وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠٤١٠) ، وابن ماجة (١٩٠٧) ، والدارمى ٢/ ١٤٣ ، والحميدى (١٢١٨) ، وأحمد ٣/ ١٥٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٧١ وغيرهم.

(٢) روى البخارى فى المغازى باب «كيف أخى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه» عقب حديث مؤاخاة سعد بن الربيع. قال أبو جحيفة : «آخى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين سلمان وأبى الدرداء» معلقًا ، ووصله فى الصيام : باب «من أقسم على أخيه ليفطر فى التطوع» (١٩٦٨) و(٦١٣٩) والترمذى (٢٤١٥) ، وأبو يعلى (٨٩٨).

(٣) أخرجه البخاري(٢٢٩٤و٦٠٨٣و٧٣٤٠) ومسلم(٢٥٢٩)، وأخرجه البخارى فى «الأدب المفرد»(٥٦٩)

عليهم به، ودعوتم الله عَزَّوَجَلَّ لهم»[1].

نسخ الوارث بهذه الأخوة:

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فى قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ [النساء: ٣٣] قال: ورثة ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣]، قال: «كان المهاجرون لما قدموا على النبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المدينة ورث المهاجر الأنصارى دون ذوى رحمه، للأخوة التى آخى النبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بينهم، فلما نزلت: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ نسخت.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣]، إلا النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب - الميراث - ويوصى له»[2].

وعن الزبير بن العوام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أنزل الله عَزَّوَجَلَّ فينا خاصة معشر قريش والأنصار: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان، فواخيناهم، وأورثناهم، فآخى أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خارجة بن زيد، وآخى عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فلانًا، وآخى عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجلًا من بنى زريق بن سعد الزرقى، ويقول بعض

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» (١٣١٠٦) (١٣١٥٣) وإسناده ثقات، وأخرجه أبو داود (٤٨١٢)، والترمذى (٢٤٨٩) والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» (١٨١)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ١٨٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه الألبانى فى «صحيح الأدب المفرد» (٢١٧)، وفى «صحيح سنن الترمذى».

(٢) أخرجه البخارى (٢٢٩٢) و (٤٥٨٠ و ٦٧٤٧)، والنسائى فى «الكبرى» (٦/ ١١٠٣) ومن طريقه النحاس فى «الناسخ والمنسوخ» (ص ٣٣١) وابن أبى حاتم فى «التفسير» (٣/ ٥٢٣٦)، وابن جرير فى «التفسير» (٨/ ٩٢٧٥، ٩٢٧٧) والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٣٠٦)، والبيهقى فى «السنن» (١٠/ ٢٩٦)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ووهما رحمهما الله فى استدراكهما فقد أخرجه البخارى كما سلف، وأخرجه ابن جرير الطبرى فى «التفسير» فى موضع آخر بإسناد صحيح على شرط الشيخين (٨/ ٩٢٦٧).

الناس غيره، قال الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وآخيت أنا كعب بن مالك، فجئته فابتعلته، فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى، فوالله، يا بنى لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيرى، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى مواريثنا[1].



(١) إسناده حسن: ذكره ابن كثير فى تفسير سورة الأحزاب آية ٦، عن ابن أبى حاتم بسنده إلى الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَصْلٌ

معاهدة الرسول ﷺ مع اليهود

لئن كان النبى ﷺ بإخائه بين المهاجرين والأنصار بلغ الغاية فى الحكمة والتدبير السياسى، فقد كان العمل البارع حقًا الذى يدل على الحنكة السياسية والقدرة الفائقة على حل المشاكل - هو ما قام به ﷺ - من موادعة اليهود ومحالفتهم، فقد كتب بين المهاجرين والأنصار كتابًا وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم وهذا نص الكتاب:

قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم.

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبى ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقدون، بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولي، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على

ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين؛ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحـًا بينهم أن يُعطوه بالمعروف فى فداء أو عَقْل.

وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمنٍ دونه ؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظُلم[١]، أو إثم أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعًا، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنًا فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يُجيز عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل ا لله إلا على سواء وعدل بينهم؛ وإن كل غازية غازت معنا يعقب بعضها بعضًا، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالًا لقريش ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط مؤمنًا قتلًا على بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثًا ولا يؤويه، وإنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شىء، فإن مرده إلى الله عَزَّوَجَلَّ وإلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين؛ وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ[٢] إلا نفسه وأهل بيته، وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود

(١) الدسيعة: العظيمة، وهى فى الأصل: ما يخرج من حلق البعير إذا رغا، والمعنى هنا: ما ينال عنهم من ظلم.

(٢) يوتغ: يهلك.

بنى عوف وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف؛ وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف؛ وإن البر دون الإثم، وإن موالى ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ؛ وإنه لا ينحجز على ثأر جُرح، وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته، إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا؛ وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرامٌ جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وإلى محمد رسول الله ﷺ وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب فى الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم، وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة. قال ابن هشام: ويقال: مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة.

قال ابن إسحاق: وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم: وإن من خرج آمنٌ، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أَثِمَ، وإن الله جار لمن بر

واتقى، ومحمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (ج٢/ ٢٩١ - ٢٩٣) وذكر بنود هذه المعاهدة ابن إسحاق معلقًا، ولكنه جاء مفرقًا بأسانيد مختلفة منها الصحيح ومنها المرسل، مما يدل على ثبوت هذه المعاهدة، وإليك بعض طرقه: ما رواه أحمد (٢٤٤٣) من طريق الحجاج بن أرطأة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، مختصرًا، وإسناده ضعيف لضعف الحجاج، وقد رواه أحمد فى «مسند ابن عباس بهذا الطريق»، وطريق آخر برقم (٢٤٤٤) من طريق الحجاج - أيضًا - عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس وإسناده ضعيف - أيضًا - ورواه أحمد (٦٩٠٤) من مسند عبد الله بن عمرو من طريق الحجاج عن عمرو بن شعيب به وإسناده ضعيف، لضعف الحجاج، وقد ذكره الحافظ ابن كثير فى «البداية» (٣/ ٢٢٤)، وقال: «تفرد به أحمد»، وقال الهيثمى: (٤/ ٢٠٦) «رواه أحمد وفيه الحجاج وهو مدلس لكنه ثقة».

ورواه القاسم بن سلام أبو عبيد فى كتاب: «الأموال» (٣٢٨) من طريق عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن عقيل عن ابن شهاب أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب بهذا الكتاب: «هذا كتاب محمد النبى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المؤمنين والمسلمين، من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم» فذكره مختصرًا، وهذا إسناد صحيح لكنه مرسل، وعبد الله بن صالح كاتب الليث وإن كان لا يخلو من مقال لكنه أوثق الناس فى الليث، ولم يتفرد به فقد تبعه يحيى بن عبد الله بن بكير، رواه أبو عبيد فى «الأموال» (٣٢٩) عنه عن الليث، ورواه أبو عبيد (٣٣٠)، من طريق حجاج أن ابن جريج قال: «فى كتاب النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المسلمين والمؤمنين» فذكره مختصرًا، ورواه مسلم (١٥٠٧)، من طريق ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: «كتب النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كل بطن عقولة ثم كتب: «وأنه لا يحل لمسلم أن يتوالى مولى رجل مسلم بغير إذنه، ثم أخبرت أنه لعن فى صحيفته من فعل ذلك» وإسناده صحيح فإن أبا الزبير صرح بالسماع من جابر، وله شاهد لبعضه من حديث أبى هريرة رواه مسلم (١٥٠٨) وغيره مرفوعًا بلفظ: «**من تولى قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة لا يقبل منه عدل ولا صرف**» ومن حديث على بن أبى طالب وقد رواه البخارى فى مواضع ومسلم (١٣٧٠).

قلت: لكن هذا الكتاب لم يرد مسندًا كله بهذا السياق، وإن جاء بعضه فى الصحيح وفى غيره مفرقًا.

ولذا قال الشيخ العلامة الألبانى رحمه الله فى كتابه «الماتع»: «دفاع عن الحديث النبوى» (ص ٢٥ - ٢٦): «هذا مما لا يعرف صحته، فإن ابن هشام رواه فى «السيرة»: قال ابن إسحاق ... فذكره بدون إسناد، فهو معضل، وقد نقله ابن كثير... «فى البداية» عن ابن إسحاق: لم يزد عليه فى تخريجه شيئًا على خلاف عادته: مما يدل على أنه ليس مشهورًا عند أهل العلم والمعرفة بالسيرة والإسنايد».

وأقام الشيخ أكرم العمرى حفظه الله: الأدلة على أصالة هذا الكتاب وصحته، وذلك فى كتابيه: «السيرة

فَصْلٌ

فى الوقائع والأحداث التى وقعت بعد الهجرة وقبل بدر الكبرى

وفاة كلثوم بن الهدم وأسعد بن زرارة:

ذكر الطبرى وابن قتيبة وابن سعد والذهبى أن أول من مات من أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة هو كلثوم به هدم[1] ثم مات بعده أسعد بن زرارة.

وكلثوم بن هدم هو أول من نزل عليه رسول الله ﷺ فور قدومه المدينة المنورة[2].

موت أبى أمامة أسعد بن زرارة:

قال ابن إسحاق: وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة: أسعد بن زرارة، والمسجد يبنى، أخذته الذبحة أو الشهقة.

وفى الحديث عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة: أن رسول الله ﷺ قال: «**بئس الميت أبو أمامة! ليهود ومنافقى العرب يقولون: لو كان نبيا لم يمت صاحبه! ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئًا**»[3].

= النبوية الصحيحة» (١/ ٢٧٢ - ٢٨٥) و«المجتمع المدنى فى عهد النبوة» (ص ١٠٧ - ١١٢).

(١) انظر: الخبر فى «الطبقات» (١/ ٢٢٣) و«تاريخ الطبرى» (١/ ٥٧١)، و«السير» للذهبى (١/ ٢٤٢).

(٢) ذكره ابن إسحاق فى «السيرة» (٢/ ٢٨٥) وذكره ابن حجر فى «الإصابة» (٥/ ٣١١)، ومن قبله ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٤/ ١٨٤ - ١٨٥).

(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٩٨)، والحديث إسناده حسن رواه أحمد (١٧٢٣٨) من طريق زمعة بن صالح: سمعت ابن شهاب يحدث أن أبا أمامة بن سهل بن حنيف أخبره عن أبى أمامة أسعد ابن زرارة فذكره، وإسناده ضعيف، أبو أمامة بن سهل وإن كانت له رؤية - لم يسمع من النبى ﷺ قال الحافظ يحتمل أن يكون حمله عن والده أو غيره من أهله وزمعة بن صالح وإن كان ضعيفًا لكنه توبع، وباقى رجاله ثقات، وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٥٥٨٣) عن زمعة عن يعقوب =

وأسعد بن زرارة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أحد النقباء، وهو أول من بايع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة العقبة الثانية، وهو وكلثوم بن هدم من الأنصار الكرام.

وفى العام الأول: توفى عثمان بن مظعون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخو النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، وكان من أكابر المهاجرين، ومتعبديهم، وأول من قبر بالبقيع.

أول مولود فى الإسلام للمهاجرين بعد الهجرة (عبد الله بن الزبير بن العوام) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا:

عن أسماء بنت أبى بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت: «فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة، فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعته فى حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه، فكان أول

= ابن عطاء عن الزهرى به وإسناده ضعيف أيضًا، زمعة ويعقوب ضعيفان، ورواه الطبرانى (٨٩٦) من طريق عمرو بن مرزوق أخبرنا شعبة عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة حدثنى عمى أن أبا أمامة أصابه وجع قال: فى «المجمع» (٥/ ٩٨) رجاله ثقات، وأخرجه ابن سعد (٣/ ٦١١)، وعبد الرزاق (١٩٥١٥)، وعنه الطبرانى (٥٥٨٤) من طريق معمر، ورواه ابن سعد (٣/ ٦١٠) من طريق صالح بن كيسان، ورواه الحاكم (٤/ ٢١٤) وابن عبد البر فى «التمهيد» (٢٤/ ٦١) من طريق يونس ابن يزيد، ورواه أيضًا ابن عبد البر (٢٤/ ٦١) من طريقى ابن جريج وابن سمعان. كلهم عن الزهرى مرسلًا ورواه ابن أبى شيبة (٨/ ٦٥) وعنه الطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٢٨٧/ ٧٣٩) وابن ماجه (٣٤٩٢) من طريق غندر عن شعبة عن محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: سمعت يحيى وما أدركت رجلًا منا به شبيه يحدث الناس أن أسعد بن زرارة وهو ... قال الشيخ الألبانى فى «صحيح ابن ماجه» (٢٨١٤) حسن دون «ميتة سوء» وانظر: (المسند ٢٨/ ٤٧٧) رقم (١٧٢٣٨) والذبحة وجع يعرض فى الحلق من الدم، وقيل هى قرحة تظهر فيه فينسد معها وينقطع النفس فيقتل، الشوكة: هى حمرة تعلو الوجه والجسد، وقيل المراد بالشوكة هنا مرض الذبحة وبذلك عرفها ابن عبد البر، والحمرة تحدث من الألم الناتج عنها وقد وردت هذه اللفظة فى: «رواية أحمد وغيره» قال السندى: قوله بئس الميت: هو إظهار لكراهة نفس الموت والله أعلم، وروى مالك (٢/ ٩٤٤) عن يحيى بن سعيد قال: بلغنى أن أسعد بن زرارة اكتوى فى زمن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الذبحة، فمات، والذبحة كما يعرفها الأطباء الآن: نقص تروية شرايين القلب.

شئ دخل جوفه ريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه، وكان أول مولود فى الإسلام»[١].

وفيه قال الحبر ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لما ذكر ابن الزبير عنده: «ابن الزبير قارئ لكتاب الله، عفيف فى الإسلام، أبوه الزبير، وأمه أسماء، وجده أبو بكر، وعمته خديجة، وخالته عائشة، وجدته صفية، والله إنى لأحاسب له نفسى محاسبة لم أحاسب بها لأبى بكر وعمر»[٢].

شرع الأذان للصلوات الخمس

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه كان يقول: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلوات، وليس ينادى بها أحد، فتكلموا يومًا فى ذلك، فقال بعضهم نتخذ ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل قرنًا مثل قرن اليهود فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أولا تبعثون رجلًا ينادى بالصلاة: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا بلال قم فنادِ بالصلاة**»[٣].

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه، فذكروا أن يضربوا ناقوسًا أو ينوروا نارًا فأُمر بلال أنه يشفع الآذان ويوتر الإقامة[٤].

وعن أبى عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: اهتمَّ النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصلاة كيف يجمع الناس لها، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها

(١) أخرجه البخارى (٣٩٠٩)، ومسلم (٢١٤٦)، وأخرجه البخارى (٣٩١٠)، ومسلم (٢١٤٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وقولها: «متم» أى أتمت شهر الحمل.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٥٧٩)، ومسلم (٣٧٧)، والبيهقى فى «السنن» (١/ ٧٣١) وغيرهم.

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٥٧٨)، ومسلم (٣٧٨)، وابن خزيمة (٣٦٧)، والحاكم (١/ ٣١٣)، وعنه البيهقى فى «السنن» (١/ ٧٣١)، وأبو يعلى (٢٧٩٢)، والطيالسى (٢٠٩٥) وابن الجارود (١٥٩)، وغيرهم بلفظه ونحوه.

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤٦٦٤) (٤٦٦٥)، من طريق ابن جريج به.

آذن بعضهم بعضًا، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القنع (الشبور) وقال زياد: شبور اليهود فلم يعجبه ذلك وقال: «**هو من أمر اليهود**». فذكر له الناقوس فقال: «**هو من أمر النصارى**» فانصرف عبد الله بن زيد وهو مُهتم لِهَمِّ رسول الله ﷺ فأُرى الأذان فى منامه قال: فغدا على رسول الله ﷺ فأخبره فقال: يا رسول الله، إنى لبين نائم ويقظان إذْ أتانى آتٍ، فأرانى الأذان، قال: وكان عمر بن الخطاب، قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يومًا، قال: ثم أخبر رسول الله ﷺ فقال له: «**ما منعك أن تخبرنا؟**» فقال: سبقنى عبد الله بن زيد فاستحييت، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله**» قال: فأذَّن بلال .

قال أبو بشر: فأخبرنى أبو عمير: أن الأنصار تزعم أن عبد الله بن زيد لولا أنه كان يومئذٍ مريضًا لجعله رسول الله ﷺ مؤذنًا[1].

عن عبد الله بن زيد بن ثعلبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لما أمر رسول الله ﷺ بالناقوس[2] ليضرب به للناس لجمع الصلاة، طاف بى وأنا نائم رجل يحمل ناقوسًا: فقلت: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ فقلت: بلى فقال: تقول الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الصلاة، حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله.

قال: ثم استأخر عنى غير بعيد ثم قال: وتقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر الله

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٩٨) وعنه البيهقى فى «السنن» (١/ ٧٣٢)، وابن عبد البر فى «التمهيد» (٢٤/ ٢١)، الطبعة المغربية أو (٣/ ٨) ط: الفاروق الحديثة... وغيرهم وفى سنده أبو عمير بن أنس وهو صدوق، وحديثه حسن، وصحح الحديث الشيخ الألبانى فى «الثمر المستطاب» (١/ ١١٥) وقال: «وهذا سند صحيح كما قال الحافظ فى الفتح».

(٢) الناقوس: الجرس.

أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت، فقال: «**إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال، فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى**[1] **صوتًا منك**».

وزاد أحمد فى رواية «فقمت مع بلال، فجعلت ألقيه عليه، ويؤذن به، قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو فى بيته، فخرج يجر رداءه ويقول: والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى، فقال رسول الله ﷺ: «**فلله الحمد**»[2].

صرف القبلة إلى الكعبة

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما: «أن النبى ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو قال: أخواله - من الأنصار وأنه صلَّى - قبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا - كما هم - قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذا كان يصلى قبل

---

(١) أندى: أجمل.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١٦٤٧٨)، والبخارى فى «خلق أفعال العباد» (ص ٣٤ و ٣٥ و ٣٦) وعبد الرزاق (١٧٨٧)، وأبو داود (٤٩٩)، والترمذى (١٨٩) وابن ماجه (٧٠٦)، والدارمى (١١٨٧)، وابن الجارود فى «المنتقى» (١٥٨) وابن خزيمة (٣٧١)، و(٣٧٢)، وابن حبان (١٦٧٩)، والدارقطنى (١/ ٢٤١) والبيهقى فى «السنن» (١/ ٣٩١) وابن عبد البر فى «التمهيد» (٢٤/ ٢٤) ورواه البعض مختصرًا، وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح»، وقال ابن خزيمة بعد أن رواه برقم (٣٧٢): «فى هذا الإسناد: سمعت محمد بن يحيى يقول: ليس فى أخبار عبد الله بن زيد فى قصة الأذان خبر أصح من هذا».
قال الحافظ فى «التلخيص» (٢/ ٢٠٨): «وصححه جماعة من الأئمة الكبار مثل البخارى والذهبى والنووى»، وصححه أيضًا الحافظ نفسه، ثم الألبانى - رحم الله الجميع - انظر: «صحيح سنن الترمذى» (١٥٩)، و«صحيح سنن ابن ماجه» (٥٨٠)، و«الإرواء» (٢٤٦)، و«المشكاة» (٦٥٠).

بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك»[(١)].

قال زهير: حدثنا أبو إسحاق عن البراء فى حديثه هذا: «أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال قتلوا فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]»[(٢)].

من صلى جهة بيت المقدس ومات قبل أن تحول القبلة تجاه الكعبة:

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما وجه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ الآية»[(٣)].

كمال طاعة الصحابة لله ولرسوله، وسرعة انقيادهم لأوامر الله عَزَّ وَجَلَّ ورضى الله عنهم أجمعين:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «بينما الناس فى صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال:

(١) رواه البخارى (٤٠ و ٣٩٩ و٤٤٨٦ و ٤٤٩٢ و٧٢٥٢)، وأحمد (٤/ ٢٧٤)، والطيالسى (١/ ٨٥)، وأخرج نحوه مسلم (٥٢٧)، وأبو داود (١٠٤٥) والترمذى (٢٩٦٢) وابن ماجه (١٠١٠) والنسائى تفسير (٢٨)، عن أنس، لكن لم يذكر أنس عدد الشهور التى صلوا فيها إلى بيت المقدس. وفى بعض روايات حديث البراء «ستة عشر» من غير شك، وهى رواية أبى عوانة فى «صحيحه» وروى أحمد عن ابن عباس «سبعة عشر» وسنده صحيح، كما قال الحافظ؛ والبزار والطبرانى عن عمرو بن عوف «سبعة عشر» من غير شك.

قال الحافظ فى «الفتح» (١/ ١٢٠): «والجمع بين الروايتين سهل بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرًا أو ألغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدهما معًا، ومن شك تردد فى ذلك، وذلك أن القدوم كان فى شهر ربيع الأول بلا خوف، وكان التحويل فى نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه جزم الجمهور، ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس». اهـ. وهناك أقوال أخرى جمعها الحافظ وحققها فى «الفتح» (١/ ١٢٠) فراجعها ثم.

(٢) أخرجه البخارى (٤٢١٦).

(٣) صحيح أخرجه الترمذى (٢٩٦٤) وقال: حسن صحيح، وأبو داود الطيالسى (١٩٤٤)، والحاكم (٢/ ٢٦٩) وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبى.

«إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أنزل عليه الليلة، وقد أُمر أن يستقبل القبلة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلىٰ الشام، فاستداروا إلىٰ الكعبة»(١).

فريضة شهر رمضان:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وفى هذه السنة الثانية فرض صيام شهر رمضان، وقد قيل: إنه فرض فى شعبان منها.

ثم حكى أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عن ذلك فقالوا: هذايوم نجى الله فيه موسى، فقال: «نحن أحق بموسى منكم»(٢)، فصامه وأمر الناس بصيامه(٣).

قال الإمام ابن القيم: «وكان فرضه فى السنة الثانية من الهجرة، فتوفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد صام تسع رمضانات، وفرض أولًا على وجه التخيير بينه وبين أن يطعم عن كل يوم مسكينًا، ثم نقل من ذلك التخيير إلى تحتم الصيام، وجعل الإطعام للشيخ الكبير والمرأة إذا لم يطيقا الصيام، فإنهما يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينًا، ورخص للمريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا، وللحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما كذلك، فإن خافتا على ولديهما، زادتا مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم(٤)، فإن فطرهما لم يكن لخوف مرض، وإنما كان مع الصحة، فجبر بإطعام

---

(١) رواه البخارى (٤٤٨٨) ومسلم (١٣/ ٥٢٦)، والترمذى (٣٤١)، وعنده أنهم كانوا ركوعًا، فاستدروا كما هم إلى الكعبة، وهم ركوع، رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس (٥٢٧).
قال الحافظ ابن كثير فى «التفسير»: «وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانقيادهم لأوامر الله ﷻ ورضى الله عنهم أجمعين».اهـ.

(٢) رواه البخارى (٤٧٣٧)، ومسلم (١٢٧ - ١٢٨/ ١١٣٠).

(٣) «البداية والنهاية (٢/ ٢٩٧).

(٤) انظر: فى هذه المسألة: «تحفة الأحوذى» (٣/ ٤٠٢)، و«المجموع» للنووى (٦/ ٢٥٨، و«الروض المربع» (١/ ١٣٨) و«بداية المجتهد» (١/ ٤٤٦)، و«المحلى» (٦/ ٢٦٣)، وغيرهم.

المسكين كفطر الصحيح فى أول الإسلام.

وكان للصوم رتب ثلاث:

إحداها: إيجابه بوصف التخيير.

والثانية: تحتمه، لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يطعم حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة، فنسخ ذلك بالرتبة الثالثة: وهى التى استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة[1]. اهـ.

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصيام ثلاثة أحوال، فذكر أحوال الصلاة، فقال: «وأما أحوال الصيام فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وصيام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام، وأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ إلى قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ فكان من شاء صام، ومن شاء أطعم مسكينًا، فأجزأ ذلك عنه.

ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ أنزل الآية الأخرى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام، فهذان حالان.

قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلًا من الأنصار يقال له صرمة، كان يعمل صائمًا حتى أمسى فجاء أهله فصلَّى العشاء، ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح صائمًا، فرآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد جهد جهدًا شديدًا، فقال: «**مالى أراك قد جهدت جهدًا شديدًا؟**» قال: يا رسول الله؛ إنى عملت أمس فجئت حين جئت، فألقيت نفسى فنمت، فأصبحت حين أصبحت صائمًا، قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعد ما نام،

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (٢/ ٣٠ – ٣١)، وانظر (٢/ ٧٢).

فأتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر له ذلك، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [1].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان عاشوراء يصام، فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر» [2].



(١) صحيح: أخرجه الإمام أحمد فى «المسند» (٢٢٢٢٣) - ٥/ ٢٤٦، وأبو داود (٥٠٦، ٥٠٧) وابن خزيمة فى «صحيحه» (٣٨١ و ٣٨٣) والبيهقى فى «السنن» (٧٨٩٥). وأخرجه البخارى مختصرًا (١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخارى (٤٥٠٢)، ومسلم (١١٢٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأخرجه البخارى (٤٥٠١) عن ابن عمر، وفى التفسير باب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ برقم (٤٥٠٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَصْلٌ

فى الغزوات والسرايا قبل بدر الكبرى

الإذن بالقتال:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة، قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم إن لله وإنا إليه راجعون ليهلكن، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ وهى أول آية نزلت فى القتال[1]. فكان الإذن بالقتال دفاعًا عن النفس أولى المراحل.

المرحلة الثانية: الأمر بالقتال دفاعًا عن النفس والعقيدة:

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠] عن أبى العالية فى هذه الآية: قال: «هذه أول آية نزلت فى القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقاتل من قاتله، ويكف عمن كف عنه، حتى نزلت سورة براءة.

وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، حتى قال: هذه منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير: وفى هذا نظر؛ لأن قوله: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أى: كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم». اهـ.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٣١٧٠) والنسائى فى الجهاد، باب وجوب الجهاد (٦/ ٢) وأخرجه فى «الكبرى» (١١٣٤٥)، وأحمد فى «المسند» (١/ ٢١٦) وابن حبان (٤٧١٠)، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٦٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى وأخرجه ابن جرير بسنده فى «التفسير» (١٧/ ١٢٣).

المرحلة الثالثة: الأمر بقتال المشركين وابتدائهم به:

وذلك للتمكين للعقيدة الإسلامية من الانتشار دون أيَّة عقبات تضعها قوى الشرك، ولتصبح كلمة المسلمين هى العليا فى الأرض، وبذلك لا يقوى أحد على فتنة المؤمنين وصرفهم عن دينهم حيثما كانوا[1]، ويظهر هذا التوجيه الأخير فى قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقوله: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩][2].

غزوة ودَّان أو الأبواء

فكانت أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ غزوة ودان ويقال: غزوة الأبواء[3].

وكانت فى صفر سنة اثنتين من الهجرة، خرج بنفسه ﷺ حتى بلغ ودان، فوادع بنى ضمرة بن عبد مناة بن كنانة مع سيدهم مخشى بن عمرو، ثم كر راجعًا إلى المدينة، ولم يلق حربًا، وكان استخلف عليها سعد بن عبادة رضي الله عنه

قال الإمام البخارى: قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبى ﷺ الأبواء[4].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية الصحيحة» د/ أكرم العمرى (٢/ ٣٣٧).

(٢) انظر: «الفصول فى سيرة الرسول» ﷺ للحافظ ابن كثير (ص ٨٢) و«زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٦٩ - ٧١) مهم.

(٣) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا «معجم البلدان» (١/ ٩٢) وقال الحافظ: «سميت بذلك لما كان فيها من الوباء وهى على القلب؛ وإلا لقيل: الأبواء» ثم قال: «والأبواء وودان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية».

(٤) ذكر هذه الغزوة ابن إسحاق فى «السيرة» (٢/ ٣٦٠)، ورواها عنه خليفة بن خياط فى «تاريخه» (ص ١٩) وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٥) والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ١٦ رقم ١٢، و١٣) وابن

سرية حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى سيف البحر

ثم بعث عمه حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى ثلاثين راكبًا من المهاجرين - ليس فيهم أنصارى - إلى سيف البحر من ناحية العيص[1] إلى أبى جهل بن هشام، وركب معه ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحال بينهم مجدى بن عمرو الجهنى - أو مخشى - وكان مخش موادعًا للفريقين جميعًا، فانصرف بعض القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال[2].

= عدى فى «الكامل» (٦/ ٥٨)، من طريق إسماعيل بن عبد الله بن أبى أويس أخبرنا كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده (عمرو بن عوف) قال: غزونا مع رسول الله ﷺ أول غزوة غزاها الأبواء» وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٦٨): «كثير بن عبد الله المزنى ضعيف عند الجمهور، وقد حسن الترمذى حديثه، وبقية رجاله ثقات».

قلت: كثير هذا قال عنه ابن معين: ليس بشيء، وقال الشافعي وأبو داود، ركن من أركان الكذب، وضرب الإمام أحمد على حديثه وقال الدارقطني وغيره: متروك، وذكر هذا الحديث الذهبى فى ميزانه ٣/ ٤٠٧. قلت: ومع هذا فإن أكثر أهل السير على أن هذه الغزوة هى أولى الغزوات، راجع الواقدى (١/ ١١ و ١٢) وتاريخ ابن جرير (٢/ ١٤) و«الكامل» لابن الأثير (٢/ ١١١) وهكذا نقل البخارى فى كتاب المغازى أول باب: عن ابن إسحاق من قوله، أن أول غزوة غزاها النبى ﷺ كانت بالأبواء، وراجع تعليق الحافظ عليها فى «الفتح» (٧/ ٣٢٦) السلفية.

(١) والعيص: من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يأخذون منها إلى الشام.

(٢) ذكره ابن هشام فى «السيرة» (٢/ ٣٦٣) والواقدى فى «المغازى» (١/ ٩) وابن جرير فى «التاريخ» (٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٨) وقال ابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (١/ ٢٩٧): «وروينا عن ابن عائذ عن الوليد عن ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة أن راية حمزة هى الأولى» قلت: وإسناده ضعيف قال: وروينا عنه أيضًا عن محمد بن شعيب عن عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس - ذكر بعث عبيدة ثم بعث حمزة ما ذكر ابن إسحاق. وإسناده ضعيف؛ فإن عثمان بن عطاء ضعيف، وقد ذكره ابن سعد فى «الطبقات» ٢/ ٣-٤، بعد جملة أسانيد دخل حديثهم فى حديث بعض. وقد ذكر الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٦٧) تحت عنوان: «سرية حمزة» حديثًا عن جبير بن مطعم فى خروج حمزة، وقال: رواه الطبرانى وجادة من طريق أحمد بن صالح المصرى، قال: وجدت فى كتاب بالمدينة عن عبد العزيز بن محمد الداروردى ورجاله ثقات.

سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

وبعث عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف فى ربيع الآخر فى ستين - أو ثمانين - راكبًا من المهاجرين أيضًا إلى ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة[١]، فلقوا جمعًا عظيمًا من قريش، عليهم عكرمة بن أبى جهل، وقيل: بل كان عليهم مكرز بن حفص فلم يكن بينهم قتال.

إلا أن سعد بن أبى وقاص رشق المشركين يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمى به فى سبيل الله[٢]، وفرَّ يومئذ من الكفار إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى وعتبة ابن غزوان بن جابر المازنى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[٣].

فكان هذا البعثان: أول راية عقدها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولكن اختلف فى أيهما كان أول؟.

غزوة بواط

ثم غزا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فى شهر ربيع الأول من السنة الثانية يريد قريشًا، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون، فسار حتى بلغ بواط[٤] من

---

(١) المرة: بفتح الميم وتخفيف الراء، قاله ياقوت الحموى فى «معجم البلدان» (٢/ ٨٥).

(٢) انظر: «صحيح البخارى (٤٣٢٦ و ٤٣٢٧)..

(٣) ذكر هذه السرية ابن إسحاق فى «السيرة» (٢/ ٣٦٠)، وذكر أن هذه السرية هى أول راية عقدها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٧) وابن جرير فى «التاريخ» (٢/ ٤٠٤)، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (١/ ٢٢٤) وابن كثير فى «البداية» (٣/ ٢٧٢)، و«الفصول» (ص ٨٣ - ٨٤) والواقدى فى «المغازى» (١/ ١٠ - ١١) قال الحافظ فى «الفتح (٧/ ٣٢٧) وذكره أبو الأسود فى «مغازيه» عن عروة ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس أن النبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما وصل الأبواء بعث عبيدة بن الحارث فى ستين رجلًا فذكره نحوه مختصرًا. وراجع «مغازى الواقدى» (١/ ١٠ - ١١) وغيره ممن ذكرنا.

(٤) بُواط: بضم الوحدة، قد تفتح، وتخفيف الواو وآخره طاء مهملة: جبل فى أرض الحجاز، ناحية جبل رضوى الذى هو من جبال ينبغ ومساكن جهينة، ويقع على يمين المصعد من مكة إلى المدينة، وبين بُواط وبين المدينة ثلاثة بُرد.

ناحية رضوى(١)، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حربًا فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى(٢) وهى على رأس ثلاثة عشر شهرًا من مهاجره.

غزوة العشيرة

ويقال: بالسين المهملة، ويقال: العشيراء.

خرج بنفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى أثناء جمادى الأولى حتى بلغها، وهى مكان ببطن ينبع، وأقام هناك بقية الشهر وليالى من جمادى الآخرة، وصالح بنى مدلج، ثم رجع، ولم يلق حربًا، وكان قد استخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.

وفى «الصحيحين» (٣) عن أبى إسحاق السبيعى؛ قال: قلت لزيد بن أرقم: كم غزا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قال: تسع عشرة غزوة أولها العُسير، أو العشير(٤).

---

(١) رضوى: بفتح الراء وسكون المعجمة: جبل عظيم بينبع على أربعة برد بالمدينة فيافية طريق مكة، ومياسرة طريق البريراء لمن كان مصعدًا إلى مكة انظر «معجم البلدان» (١/ ٥٠٣).

(٢) ذكرها الواقدى فى «المغازى» (١/ ١٢) وقال: كانت فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرًا، وكذا قال ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٥) وابن جرير فى «التاريخ» (٢/ ٤٠٧) وابن خياط فى «تاريخه» (ص ٢٠)، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (١/ ٢٩٩) وابن الأثير فى «الكامل» (٢/ ١١٢)، وابن كثير فى «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٦) و«الفصول» (ص ٨٤) وجاء خبر هذه الغزوة فى «صحيح مسلم» من حديث جابر الطويل فى الزهد، باب حديث جابر الطويل رقم (٣٠٠٩).

قال البخارى فى «صحيحه» فى أول كتاب المغازى: «قال ابن إسحاق: أول ما غزا النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأبواء، ثم بواط، ثم العشيرة».

(٣) أخرجه البخارى (٣٩٤٩) ومسلم (١٤٣/ ١٢٥٤)، ورواه أحمد ٤/ ٣٦٨و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢و ٣٧٤) قال الحافظ: «وأما العشيرة... هذا لفظ البخارى - فلم يختلف على أهل المغازى أنها بالمعجمة والتصغير وآخرها هاء قال ابن إسحاق: هى ببطن ينبع».

والترمذى (١٧٢٧) والفسوى فى «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٦٢٩)، والبخارى فى «التاريخ الكبير» ٢/ ١/ ٣٨٥، والطبرانى فى «الكبير» (٥٠٤٢ و ٥٠٤٣ و ٥٠٤٤ و ٥٠٤٥ و ٥٠٤٦).

(٤) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فى «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٧): «هذا الحديث ظاهر فى أن أول الغزوات العشيرة؛ اللهم إلا أن يكون المراد: أول غزاة شهدها مع النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد بن أرقم

غزوة بدر الأولى ويقال: غزوة سفوان

ثم خرج بعد غزوة العشيرة بنحو عشرة أيام إلى بدر الأولى[١] وذلك أن كرز بن جابر الفهرى [٢] أغار على سرح المدينة [٣]، فطلبه، فبلغ واديًا يقال له: سفوان فى ناحية بدر، ففاته كرز، فرجع، وكان قد استخلف على المدينة زيد بن حارثة [٤].

سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه

ونزول قوله سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدى فى رجب

= العشيرة، وحينئذ لا ينفى أن يكون قبلها غيرها لم يشهدها زيد بن أرقم؛ وبهذا يحصل الجميع بين ما ذكره ابن إسحاق وبين هذا الحديث»، ولفظ الحديث عند الإمام أحمد «....تسع عشرة غزوة، وغزوت معه سبع عشرة وسبقته بغزوتين»، قال الحافظ ابن حجر: «ومراده (أى زيد بن أرقم) الغزوات التى خرج النبى صلى الله عليه وسلم فيها بنفسه سواء قاتل أم لم يقاتل.
لكن روى أبو يعلى من طريق أبى الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون غزوة وأصله فى صحيح مسلم (١٨١٣) فعلى هذا: ففات زيد بن أرقم ذكر اثنتين منها ولعلها الأبواء وبواط، وكأن ذلك خفى عليه لصغره ويؤيد ما قلته ما وقع فى صحيح مسلم بلفظ: قلت: ما أول غزوة غزاها؟ قال: ذات العشيز أو العشيرة).اهـ (الفتح ٧/ ٣٢٨).

(١) قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٣٣٣): «هى قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر، كان نزلها، ويقال: بدر بن الحارث، ويقال: بدر اسم البئر التى بها، سميت بذلك؛ لاستدارتها، أو لصفاء مائها، فكان البدر يرى فيها، وحكى الواقدى إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار، وإنما هى مأوانا ومنازلنا، وما ملكها أحد قط يقال له: بدر، وإنما هى علم عليها كغيرها من البلاد».اهـ.

(٢) هو كرز بن جابر بن حسل بن الأحب بن حبيب، القرشى، الفهرى، من رؤساء المشركين، ثم أسلم بعد بدر الأولى، وقتل يوم فتح مكة، كما فى «صحيح البخارى» (٤٢٨٠) (٧/ ٦٠٣) - فتح.

(٣) سرج المدينة: الإبل والغنم.

(٤) ذكره ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٨)، و«الفصول» (ص ٨٦)، وابن هشام عن ابن إسحاق فى «السيرة» (٢/ ٣٦٧)، والواقدى فى «المغازى» (١/ ١١) وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٤) والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٤٠٣)، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (١/ ٣٥٨) وغيرهم.

مقفلة من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، وكتب له كتابًا، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه،فيمضى لما أمره به، ولا يستنكر من أصحابه أحدًا، وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ومن حلفائهم عبد الله بن جحش، وهو أمير القوم، وعكاشة بن محصن بن حرثان، ومن بنى نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر، ومن بنى زهرة بن كلاب سعد بن أبى وقاص، ومن بنى عدى بن كعب: عامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة ابن يربوع، أحد بنى تميم، وخالد بن البكير، حليف لهم، ومن بنى الحارق بن فهر: سهيل بن بيضاء، فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم» فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب، قال سمعًا وطاعة؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرنى رسول الله ﷺ أن أمضى إلى نخلة، أرصد بها قريشًا، حتى آتيه منهم بخبر؛ وقد نهانى أن أستكره أحدًا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع؛ فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف منهم أحد، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران، أضل سعد بن أبى وقاص، وعتبة بن غزوان بعيرًا لهما، كانا يعتقبانه فتخلفا عليه فى طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش زبيبًا وأدمًا، وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحضرمى.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبد الله، المخزوميان، والحكم بن كيسان، مولى هشام بن المغيرة فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبًا منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا، وقالوا عمار، لا بأس عليكم منهم، وتشاور القوم فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب، فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم، فليمتنعن منكم

به، ولئت قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام؛ فتردد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التيمى، عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان؛ وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين، حتى قدموا على النبى ﷺ المدينة، وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمس - وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغانم - فعزل لرسول الله ﷺ خمس العير، وقسم سائرهم بين أصحابه.

قال ابن إسحاق: فلما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة؛ قال: ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام. فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئًا؛ فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سقط فى أيدى القوم، وظنوا أنهم هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا.

قريش تزعم أن المسلمين انتهكوا حرم الشهر الحرام:

وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال؛ فقال من يرد عليهم من المسلمين، ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان، وقالت يهود - تفاءل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله، عمرو، عمرت الحرب، والحضرمى، حضرت الحرب؛ وواقد بن عبد الله، وقدت الحرب، فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

نزول القرآن فى هذا الحادث:

فلما أكثر الناس فى ذلك، أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ

أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢١٧] أي: إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: قد كانوا يفتنون المسلم عن دينه، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾: أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا نازعين، فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش فى فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا**»، – يعني سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان – «فإنا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما، نقتل صاحبيكم». فقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم. فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قتل يوم بئر معونة شهيدًا، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة، فمات بها كافرًا، فلما تجلى عن عبد الله ابن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا فى الأجر، فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة: ٢١٨] فوضعهم الله عَزَّ وَجَلَّ من ذلك على أعظم الرجاء، والحديث فى هذا عن الزهرى، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير[1] اهـ.

---

(١) رواه ابن إسحاق فى «السيرة النبوية» (٢/ ٣٦٨ – ٣٧٠) وإسناده صحيح، رواه ابن جرير فى «التفسير» (٤٠٨٥) والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٥٨ – ٥٩) وفى «الدلائل» (٣/ ١٨ – ١٩) من طريق ابن إسحاق به، وإسناده صحيح، فإن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث، وقد توبع فقد رواه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ١٧–١٨) من طريق شعيب ابن أبى حمزة عن الزهرى قال: أخبرنى عروة، فذكره وهو مرسل لكن جاء مسنداً عن جبير بن مطعم، فقد رواه الطبرانى (١٦٧٠) فى «الكبير» وابن جرير فى «التفسير» (٤٠٩٢) وابن أبى حاتم (٢٠٢٢) وعنه ابن كثير فى «التفسير» والبيهقى من طريق المعتمر بن سليمان =

أول غنائم المسلمين وأول قتلاهم وأول أسراهم:

قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش: أن الله عَزَّوَجَلَّ قسم الفيء حين أحله، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه، وخمسًا إلى الله ورسوله، فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع فى تلك العير.

قال ابن هشام: وهى أول غنيمة غنمها المسلمون وعمرو الحضرمى أول من قتله المسلمون، وعثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون[1].



= عن أبيه أنه حدَّثه رجل عن أبى السوار يحدثه عن جندب بن عبد الله نحوه مختصراً، وفى راوية الطبرانى قال بدلاً من رجل «الحضرمي» وهو ابن لاحق فيكون السند صحيح، كما قال الشيخ الألبانى -رحمه الله- فى «فقه السيرة» (ص٢٢٦) وقال الهيثمى فى «المجمع» ٦/ ١٩٨: «رجاله ثقات».

وقال السيوطى فى «الدر» ١/ ٤٤٨: «إسناده صحيح وله شاهد من حديث مقسم مولى ابن عباس».

رواه عبد الرزاق فى «تفسيره» (٢٥٤) وعنه ابن جرير (٤٠٨٩) من طريق معمر عن الزهرى، وعن عثمان الجزرى عن مقسم مولى ابن عباس قال: لقى واقد بن عبد الله عمر بن الحضرمى فى أول ليلة من رجب فذكر. وعثمان ضعيف. ووصله البزار من طريق أبى سعيد البقال وهو ضعيف عن ابن عباس كما قال الهيثمى فى «المجمع» ٦/ ١٩٩، وروى ابن جرير شاهد آخر عن السدى (٤٠٨٩) من طريق موسى بن هارون، حدَّثنا عمرو بن حماد قال: حدَّثنا السدى بنحوه، وشاهد آخر رواه ابن جرير (٤٠٩٢) من طريق عماد بن الحسن قال: حدَّثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن حصين عن أبى مالك الغفارى فذكر نحوه مختصراً. وزاد السيوطى فى «الدر» ١/ ٤٤٩ نسبته إلى عبد بن حميد، ورواه البيهقى فى «الدلائل» ٣/ ٥٩ من طريق ابن أبى أويس أنبأنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة فذكر نحوه. والقصة من هذه الوجوه والطرق تثبت إن شاء الله وتصح.

(١) ذكر الهيثمى فى «المجمع» ٦/ ٦٧ عن زرّ قال: «أول راية رفعت فى الإسلام راية عبد الله بن جحش وأول مال خمُس فى الإسلام مال عبد الله بن جحش» رواه الطبرانى وإسناده حسن..

فَصْلٌ
فى غزوة بدر الكبرى
المبحث الأول

تاريخ الغزوة: عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: التمسوها: «يعنى ليلة القدر» فى سبع عشرة، وتلا هذه الآية: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] يوم بدر، قال: أو تسع عشرة، أو إحدى وعشرين»(١).

وعن ابن مسعود أيضًا - قال فى ليلة القدر: «تحروها لإحدى عشرة يبقين صبيحتها يوم بدر»(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فى «التلخيص»: «أما غزوة بدر فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود وغيرهم، واتفقوا على أنها كانت فى رمضان، قال ابن عساكر: والمحفوظ أنها كانت فى يوم الجمعة، وروى أنها كانت فى يوم الاثنين وهو شاذ(٣)، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشرة وقيل ثانى عشرة، وجمع بينهما بأن الثانى ابتداء الخروج، والسابع عشرة يوم الوقعة»(٤).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٣٨٤)، وابن أبى شيبة (٣/ ٧٥ - ٧٦)، وعبد الرزاق فى «المصنف» (٧٦٩٧)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٣١٠)، والطبرانى فى «الكبير» (٩٠٧٤ : ٩٠٧٩)، وابن نصر المروزى فى «مختصر قيام رمضان» (ص١٠٨) والطبرى «التاريخ» (٢/ ٣٦٦) بإسناد صحيح، والحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٢٠ - ٢١) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى وهو كما قالا.

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) وهو قول يزيد بن أبى حبيب - إمام أهل الديار المصرية فى زمانه - حكاه الحافظ ابن كثير فى «تفسيره» [الأنفال: ١].

(٤) «التلخيص الحبير» (٤/ ٨٩) (١٨٢٦).

وخلاصة الأمر:

كما جاء فى قول ابن حجر أن الخروج كان فى الثانى عشر، والسابع عشر يوم الوقفة، والتاسع عشر كما فى قول ابن مسعود الثانى هو انتهاء الغزوة، وخاصة أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقيم فى عرصة أى قوم يغزوهم ثلاثًا، وكذا فعل فى بدر[١].

قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن مسلم الزهرى، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبى بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن ابن عباس، كل قد حدثنى بعض هذا الحديث، فاجتمع حديثهما فيما سُقت من حديث بدر، قالوا: لما سمع رسول الله بأبى سفيان مقبلًا من الشام، ندب المسلمين إليهم، وقال: «**هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها**». فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلقى حربًا، وكان أبو سفيان - حين دنا من الحجاز - يتحسس الأخبار، ويسأل من لقى من الركبان تخوفًا على أمر الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان: أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك، فحذر عند ذلك، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتى قريشًا فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها فى أصحابه، فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة[٢].

خروج قريش للقتال وتجهيزهم:

بلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين، وأوعبوا فى الخروج، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبى لهب، فإنه عوض عنه رجلًا كان له عليه دين، وحشدوا ممن

---

(١) «صحيح السيرة» إبراهيم العلى (ص ٢١٩).

(٢) «السيرة النبوية» (٢/ ٣٧٢)، وإسناده صحيح، رواه ابن جرير الطبرى فى «التفسير» (٩/ ١٢٢) من طريق ابن إسحاق مطولًا، وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ١١) وابن كثير فى «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩٩)، وصححه الشيخ العلامة الألبانى - رحمه الله - فى تعليقه على «فقه السيرة» (ص ٢٢٩).

حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بنى عدى، فلم يخرج معهم منهم أحد[1].

أمية بن خلف يريد القعود وأبو جهل يستحثه ويستنفره:

عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حدَّث عن سعد بن معاذ أنه قال: «كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة انطلق سعد معتمرًا، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظرنى ساعة خلوة لعلى أن أطوف بالبيت، فخرج به قريبًا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟.

فقال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنًا وقد آويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينوهم، أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت إلى أهلك سالمًا، فقال له سعد - ورفع صوته عليه -: أما والله لئن منعتنى هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبى الحكم سيد أهل الوادي. فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنهم قاتلوك**» قال: بمكة؟ قال: لا أدرى، ففزع لذلك

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣٧٣ - ٣٧٤)، وعنه ابن كثير فى «الفصول» (ص ٩٢) مختصرًا، وهو جزء من حديث حسن عن ابن عباس بمعناه فى «المستدرك» للحاكم (٣/ ٢٠) و«الدلائل» للبيهقى (٣/ ٢٩) من طريق ابن إسحاق، وكذا رواه ابن الأثير فى «الأسد» ٦/ ١٨٨، وإسناده ضعيف، لكن الإسناد الثانى إلى عروة مرسل إسناده صحيح، رواه من طريقه الحاكم والبيهقى وابن الأثير فى المواضع السابقة، والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ٣٤٦) (٨٦٠) من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة قال: فذكر نحوه مطولًا، وقال الهيثمى: (٦/ ٧١) «رواه الطبرانى مرسلًا، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف، وحديثه حسن.

قلت: بل إسناده ضعيف مع إرساله، وله طريق أخرى عند الطبرانى (٨٥٩) من طريق عبد العزيز بن عمران، ثنا محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب من حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط عن عاتكة فذكرت نحوه، والحديث بهذه الطرق يحسن.

أمية فزعًا شديدًا، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم ترى ما قال لى سعد؟ قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمدًا أخبرهم أنهم قاتلى. فقلت له: بمكة؟ قال: لا أدرى، فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.

فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت، وأنت سيد أهل الوادى تخلفوا معك، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتنى فوالله لأشترين أجود بعير بمكة ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزينى. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربى؟ قال: لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبًا. فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلًا إلا عقل بعيره، فلم يزل بذلك حتى قتله الله عَزَّوَجَلَّ ببدر»[1].

إرسال العيون للتجسس على قوافل قريش:

عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبسة عينًا ينظر ما صنعت عير أبى سفيان فجاء وما فى البيت أحد غيرى وغير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فحدثه الحديث قال: فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتكلم فقال:

«**إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضرًا فليركب معنا**» فجعل رجال يستأذنونه فى ظهرانهم فى علو المدينة فقال: «**لا إلا من كان ظهره حاضرًا**»[2].

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشاور أصحابه فى المدينة قبل الخروج:

عن أنس بن مالك قال: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله الناس فانطلقوا...»[3].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٦٣٢ و ٣٩٥٠)، وأحمد (٣٧٩٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥/ ١٩٠١)، وأحمد فى «المسند» (٣/ ١٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٩)، وأبو داود (٢٦٨١)، وأحمد (٣/ ١٨٨)، (٣/ ١٠٠)، (٤/ ٢٢٨)، (٦/ ٢٩)، =

وعن أبى أيوب الأنصارى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن بالمدينة: «**إنى أخبرت ونحن بالمدينة عن عير أبى سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذا العير لعل الله يغنمناها**» قلنا: نعم فخرج وخرجنا معه، فلما سرنا يومًا أو يومين، قال لنا: «**ما ترون؟ فإنهم أخبروا بمخرجكم**» فقلنا: لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ولكن أردنا العير، ثم قال: «**ما ترون فى القوم؟**» فقلنا مثل ذلك، فقال المقداد بن عمرو» فذكره[(١)].

مشاورته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه بعد الخروج:

وعن ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عدل به، أتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا)، ولكن نقاتل عن يمينك، وعن شمالك وبين يديك وخلفك، فرأيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرق وجهه وسره - يعنى: قوله[(٢)].

= والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٧)، وقال: «هكذا وقع فى هذه الرواية سعد بن عبادة، وقال غيره: سعد بن معاذ. وقال الذهبى فى «تاريخه» (١/ ٢٧٧): «والمعروف أنه سعد بن معاذ فقال: إيانا تريد يا رسول الله...» الحديث.

(١) إسناده حسن: رواه الطبرانى فى «الكبير» (٤٠٥٦) وفيه ابن لهيعة قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٧٣) «إسناده حسن» وهو كما قال؛ فإن ابن لهيعة روى عنه أحد العبادلة الاثنى عشر قبل احتراق كتبه، ورواه البيهقى فى «الدلائل» مختصرًا (٢/ ٣٢٣) وله شاهد من حديث ابن مسعود الآتى.

(٢) رواه البخارى (٣٩٥٢)، ورواه النسائى بلفظ: جاء المقداد على فرس يوم بدر قال: فذكره - قال الحافظ فى «الفتح» وروى الإمام أحمد (١٧٦٤١) والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٢٩٧) عن عتبة بلفظ: «وقالوا حين أمرهم بالقتال: إذا يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل» فذكره، وقال الحافظ: إسناده حسن.
ورواه أحمد (١٢٠٢٢)، وفى «فضائل الصحابة» (١٤٣٨)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٣٤٨)، وأبو يعلى (٣٧٦٦)، وابن حبان (٤٧٢١) عن أنس، لكن من غير ذكر اسم القائل، وهو صحيح.
تنبيه:
قال الحافظ ابن حجر: «والمحفوظ أن القائل هو المقداد كما فى الحديث، وأن سعد بن معاذ إنما قال: =

خروج المسلمين وقلة ظهورهم من الجمال والخيول:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، كان أبو لبابة وعلى ابن أبى طالب زميلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال وقال: وكانت عقبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالا: نحن نمشى عنك فقال: «ما أنتما بأقوى منى، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما»[1].

= «لو سرت بنا حتى تبلغ برك الغماد لسرنا معك» كذا ذكره موسى بن عقبة، وعند ابن عائذ فقال سعد بن معاذ: لو سرت بنا حتى تبلغ البرك من غم ذى عين، ووقع عند مسلم أن الذى قال ذلك هو سعد بن عبادة».

وأخرج مسلم (١٤٠٣ و ١٤٠٤) من حديث أنس السابق.

وقال الحافظ أيضًا: «وفيه نظر؛ لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدرًا وإن كان بعد فيهم لكونه ممن ضرب له بسهمه ثم قال: ويمكن الجمع بأن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاور حين بلغه إقبال أبى سفيان، والثانية: «كانت بعد أن خرج كما فى حديث ابن مسعود».

ووقع عند الطبرانى: أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية، وهذا أولى بالصواب.اهـ.

(١) صحيح: أخرجه النسائى فى «الكبرى» (٨٨٠٧)، والطيالسى (٣٥٢)، وابن أبى شيبة (٣٩٩)، وأحمد (٣٩٠١) وابن سعد (٢/ ٢١) وأبو يعلى (٥٣٥٩)، والبزار فى «البحر الزخار» (١٨١٣) وابن حبان (٤٧٣٣)، «إحسان» وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٢٥٤ - ٢٥٥) والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٩١) و (٣/ ٢٠) والبيهقى فى «السنن» (٥/ ٢٥٨) والبغوى فى «شرح السنة» (٢٦٨٦)، عن حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، أتم منه.

وقال الحاكم فى الموضع الأول: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى.

وقال فى الموضع الثانى: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبى» لأنه قال: الحديث قد مر.

قلت: وليس كما قال فى الموضعين؛ لأن عاصمًا هذا صدوق له أوهام، كما قال فى «التقريب» فهو حسن الحديث، وليس هو على شرط مسلم؛ لأنه أخرج له مقرونًا؛ كما قال الذهبى وغيره.

قال الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٦/ ٦٩): «وفيه عاصم بن بهدلة وحديثه حسن، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

وله شاهد من مرسل عروة: أخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٢/ ٤٥٦).

وبالجملة: فالحديث بمجموع الطريقين صحيح.

قال البيهقى فى «الدلائل»: «والمشهور عند أهل المغازى مرثد بن أبى مرثد الغنوى بدل أبى لبابة؛ فإن أبا لبابة رده النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الروحاء واستخلفه على المدينة.

عدد المسلمين فى غزوة بدر:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: «كنا أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نتحدث أن عدة أصحاب بدر علىٰ عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة»(١).

وعن أبى موسى الأشعرى - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : «كان عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت يوم جالوت ثلاثمائة وسبعة عشر»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: «**خرج رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر رجلًا من أصحابه...**»(٣).

وهذه الرواية لا تنافى التى قبلها لاحتمال أن تكون هذه الرواية لم يعد فيها النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**ولا الرجل الذى لحق بهم...**»(٤).

رد الصغار من أبناء الصحابة عن الخروج للجهاد:

عن البراء بن عازب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: «استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكان المهاجرون يوم بدر نيفًا على ستين، والأنصار نيفًا وأربعين ومائتين»(٥).

---

(١) أخرجه البخارى (٣٩٥٨)، والترمذى (١٥٩٨) وقال: حديث حسن صحيح وابن جرير الطبرى فى «التفسير» (٥/ ٣٢٧).

(٢) صحيح: أخرجه البزار(١٧٨٤-كشف الأستار) وقال الهيثمى (٦/ ٩٣):«رواه البزار ورجاله ثقات».

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٢٧٤٧)، والحاكم (٢/ ١٤٥)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٥٧)، وحسنه الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٢٩٢)، والحديث حسن والله أعلم.

(٤) «صحيح السيرة» إبراهيم العلى (ص ٢٢٢).

(٥) أخرجه البخارى (٣٩٥٦) وقال الحافظ فى «الفتح»: قد وقع عند الحاكم من طريق عبد الملك بن

وعن سعد بن أبى وقاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نظر إلى عمير بن أبى وقاص، فاستصغره حين خرج إلى بدر، ثم أجازه، قال سعد: فيقال أنه خانه سيفه، قال عبد الله بن جعفر: قتل يوم بدر(١).

لن نستعين بمشرك:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**تؤمن بالله ورسوله؟**».

قال: لا: قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**».

قالت: ثم مضى، حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال أول مرة: قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**» قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: «**تؤمن بالله ورسوله**» قال: نعم، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**انطلق**»(٢).

إجارة الشيطان قريشًا، وفراره من الزحف لرؤية الملائكة:

عن عروة بن الزبير - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : «لما أجمعت قريش المسير ذكرت ما كان

= إبراهيم الجسرى، عن شعبة فى هذا الحديث: «إن المهاجرين كانوا نيفًا وثمانين» وهو خطأ فى هذه الرواية لإطباق أصحاب شعبة على ما وقع فى البخارى أى فى الحديث (٣٩٥٦) نيفاً على ستين».
وأخرجه البخارى (٣٩٥٥ و٣٩٥٦) من طريق شعبة عن أبى إسحاق عن البراء قال: «استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر، وكان المهاجرون يوم بدر نيفًا على ستين...».

(١) صحيح: قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٦٩)، «رواه البزار ورجاله ثقات، وانظر: «كشف الأستار عن زوائد البزار (١٧٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٠/ ١٨١٧)، وأبو داود (٢٧٣٢)، والترمذى (١٥٥٨)، وقال: «حسن غريب»، وأحمد (٦/ ٦٧، ٤٩) والدارمى (٢/ ٢٢٣)، وقال الإمام النووى فى شرحه على صحيح مسلم.
«يحتمل أن عائشة كانت مع المودعين فرأت ذلك، ويحتمل أنها أرادت بقولها: «كنا» كان المسلمون».

بينها وبين بنى بكر، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى، وكان من أشراف بنى كنانة، فقال لهم: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه، فخرجوا سراعًا»(١).

وفاء العهد ولو كان لمشرك:

عن حذيفة بن اليمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «ما منعنى أن أشهد بدرًا إلا أنى خرجت أنا وأبى حسيل، قال فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدًا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرناه الخبر فقال: «**انصرفا، نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم**»(٢).

عدد المشركين فى بدر:

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فى حديث له طويل وفيه: «... **فندب رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الناس انطلقوا حتى نزلوا بدرًا، ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم غلام أسود لبنى الحجاج، فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يسألونه عن أبى سفيان وأصحابه: فيقول: ما لى علم بأبى سفيان ولكن أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربوه، فقال: نعم، أن أخبركم هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لى بأبى سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف فى أناس، فإذا قال هذا أيضًا ضربوه، ورسوله الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قائم يصلى، فلما رأى ذلك**

---

(١) إسناده حسن: ذكره ابن إسحاق فى «السيرة» (٢/ ٣٧٦) ورواه من طريق ابن إسحاق ابن جرير (١٦١٩٨) و(١٦٢٠٠) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٥٣) من طريق عبد الله بن صالح، حدثنى معاوية عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس بنحوه وإسناده حسن، الكلام اليسير فى معاوية بن صالح، وعلى ابن أبى طلحة وله شاهد من حديث الحسن، أخرجه ابن جرير فى «التفسير» (١٠/ ١٥)، وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، وله شاهد ثالث من مرسل قتادة عند ابن جرير (١٠/ ١٤) وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨٧)، وأحمد (٥/ ٣٩٥)، والحاكم (٣/ ٣٧٩)، والطبرانى (٣٠٠٠ و ٣٠٠١).

انصرف وقال: والذى نفسى بيده لتضربوه إذ صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم»[١].

وعن على بن أبى طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها[٢]، فأصابنا بها وعك فكان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بدر، وبدر بئر، فسبقنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش، ومولى لعقبة بن أبى معيط، فأما القرشى فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه نقول له: كم القوم، فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: له النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**كم القوم؟**»، فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخبره فأبى، ثم أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأله: «**كم ينحرون من الجزر؟**» قال: عشر لكل يوم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**القوم ألف كل جزور لمائة ونيفها**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٩)، وأبو داود (٢٦٨١) وأحمد (٣/ ١٨٨) و (٣/ ١٠٠)، و(٤/ ٢٢٨)، و(٦/ ٢٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٧).

(٢) اجتويناها: أصابهم الجوى وهو المرض.

(٣) حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» (١/ ١١٧)، وأبو داود (٢٦٦٥)، وابن أبى شيبة (١٨٥٢٦)، والبزار فى «البحر الزخار» (٧١٩)، و«كشف الأستار» (١٧٦١)، والطبرى فى «التاريخ» (١/ ٢٦٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٩٢ - ٩٣) وابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (٤٠/ ١٨٢) من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق السبيعى عن حارثة بن مضرب عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٧٦): «أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة» وصححه العلامة أحمد شاكر - رحمه الله وهذا سند ضعيف؛ أبو إسحاق السبيعى مدلس مختلط، وقد عنعن فى جميع الطرق التى وقفت عليها، وإسرائيل سمع من أبى إسحاق بعد الاختلاط؛ على أصح قول العلماء.

وله شاهد من حديث ابن عباس: عند الحاكم (٣/ ١٨٧ - ١٨٨) وسنده حسن.

وله شاهد آخر يحسنه لغيره وهو مرسل عروة، أخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ٣٨٠) ومن طريقه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣١) والطبرانى فى «الكبير» كما فى «مجمع الزوائد» (٦/ ٧٣ - ٧٤) حدثنا =

تحديد مصارع القوم:

عن أنس بن مالك قال: «كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراء بنا الهلال» إلى أن قال: «ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: «**هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله**» قال: فقال عمر: فوالذى بعثه بالحق! ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ»(١).

عتبة بن ربيعة يريد أن يتراجع ويستفزه أبو جهل:

عن على - رضي الله عنه - فى حديثه الطويل قال: «فلما دنا القوم منا وصافناهم إذا رجل منهم على جمل أحمر، يسير فى القوم، فقال رسول الله ﷺ «**يا على ناد حمزة**»، وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن يكن فى القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر**» قال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم: إنى أرى قومًا مستميتين لا تصلون إليهم، وفيكم خير، يا قوم، اعصبوها اليوم برأسى وقولوا جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أنى لست بأجبنكم، فسمع ذلك أبو جهل: فقال: أنت تقول هذا، والله لو غيرك يقول لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعبًا، فقال عتبة: إياى تعنى يا مصفر إسته، ستعلم اليوم أينا الجبان»(٢).

= يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير به، وهذا مرسل صحيح الإسناد، وصححه الشيخ العلامة الألبانى فى «فقه السيرة» (ص ٢٣٣) وقال: «إسناده صحيح».

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس، (٢٨٧٣)، من حديث عمر رضي الله عنه وأخرجه أحمد (١/ ٢٦)، والنسائى فى الجنائز، باب أرواح المؤمنين (٤/ ١٠٨) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٧)، والذهبى فى «التاريخ» (١/ ٢٧٧).

(٢) صحيح: جزء من حديث عن على رضي الله عنه أخرجه أحمد (٩٤٨)، وأبو داود (٢٦٦٥)، والطيالسى (٢٣٤٢)، والبزار (٧١٩)، وابن أبى شيبة (١٤/ ٣٦٢) (١٨٥٢٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٩٢ - ٩٣) وفى «السنن» (٣/ ٢٧٦) و (٩/ ٣٣١) والطبرى فى «التاريخ» (١/ ٢٦٩)، وفى «التفسير» (١٣/ ١٥٧٦٤) وغيرهم وقد سبق تخريجه مع شواهده.

=

استغاثة النبى ﷺ ومناشدته ربه:

عن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبى الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم آت ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض**» فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه.

فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: «يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩] فأمده الله بالملائكة»(١).

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «قال النبى ﷺ يوم بدر «**اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد**» فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك فخرج وهو يقول: «**سيهزم الجمع ويولون الدبر**»»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم بدر فى ثلاثمائة وخمسة عشر رجلًا من أصحابه، فملا انتهى إليها قال: «**اللهم إنهم جياع فأشبعهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، الله إنهم عراة فاكسهم**»

= وقوله: «إياى تعنى يا مصفر إسته» يقصد عتبة بها المبالغة فى الذم، والإست: هى الدبر، والتصفير: من التطييب. قيل: كان يزعفر إسته. انظر: «النهاية» (٣/ ٣٦).

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٠٨، ٢٢١) وعبد بن حميد (٣١)، ومسلم (١٧٦٣)، والترمذى (٣٠٨١) وأبو عوانة (٤/ ١٥٢ - ١٥٥) وابن حبان (٤٧٩٣)، وأبو داود (٢٦٩٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٥١ - ٥٢)، وفى «السنن» (٦/ ٣٢١) والبزار (١٩٦)، وابن جرير فى «التفسير» (١٣/ ١٥٧٣٤).

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٥٣ و ٤٨٧٥ و ٤٨٧٧) والنسائى فى «الكبرى» فى كتاب التفسير، باب: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» (١١٥٥٧) وأحمد فى «المسند» (١/ ٣٢٩).

ففتح الله له يوم بدر، فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا»[١].

أبو جهل يستفتح يوم بدر فيقتله الله:

عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى قال: كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال: «اللهم! أقطعنا للرحم وآتانا بما لم يعرف فأحنه الغداة» فبينما هم على تلك الحال، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم، وقللهم فى أعينهم حتى طمعوا فيهم، خفق فى العريش ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته، آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وعدته»[٢].

عن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣][٣].

نزول الماء من السماء على المؤمنين لتطهيرهم والربط على قلوبهم:

عن على بن أبى طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «أصابنا من الليل طش من المطر»[٤] -

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح: رواه ابن أبى شيبة (١٤/ ٣٥٩)، والطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٤٤٩)، وفى «التفسير» (١٥٨٥٩)، والحاكم (٢/ ٣٢٨)، وأحمد (٢٣٦٦١) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٧٤)، من طريق ابن إسحاق به، وتابع ابن إسحاق صالح بن كيسان فرواه الطبرى (١٥٨٦٠)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٠١) والحاكم (٢/ ٣٢٨).

وابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثانى (٦٣٢): من طريقه بهذا الإسناد، وتابعه عقيل بن خالد فرواه الطبرى (١٥٨٥٢)، من طريق الليث عنه عن ابن شهاب به، فبهذا يصح المتن إن شاء الله تعالى.

ورواه عبد الرزاق فى «تفسيره» (٩٩٩) وعنه ابن جرير (١٥٨٥١) وابن أبى حاتم (٣/ ٢٣٤) من طريقه معمر عن الزهرى مرسلًا، وإسناده صحيح، وتابع عبد الرزاق عليه عن الأعلى فرواه ابن جرير (١٥٨٥٨) من طريقه عن معمر عن الزهرى بمثله.

(٣) أخرجه البخارى (٤٦٤٨ و ٤٦٤٩)، ومسلم (٢٧٩٦).

(٤) وهو المطر الضعيف.

يعنى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف، نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: «**اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد**» قال: فلما طلع الفجر نادى: «**الصلاة عباد الله**» فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله وحض على القتال[(١)].

النعاس يغشى المؤمنين قبل المعركة آمنة من الله:

من حديث على رضي الله عنه قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلى تحت شجرة، ويبكى حتى أصبح»[(٢)].

وعن أبى طلحة الأنصارى رضي الله عنه قال: «غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم بدر»[(٣)].

عريش للنبى ﷺ يدير من خلاله المعركة:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أن النبى ﷺ قال وهو فى قبلة له يوم بدر: «**أنشدك عهدك ووعدك اللهم! إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا**» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك وهو فى الدرع فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦][(٤)].

---

(١) سبق تخريجه وقال الحافظ ابن كثير فى «التفسير»[الأنفال: ١١]: «وأحسن ما فى هذا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق رحمه الله صاحب «المغازى» حدثنى يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير؛ قال: بعث الله السماء وكان الوادى دهسًا، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابهم ما لبَّد لهم الأرض، ولم يمنعهم من المسير، وأصاب قريشًا ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه» ثم ساق الحديث.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١١٦)، وأحمد (٩٧٣) وأبو يعلى (٢٦٤)، وابن حبان (٢٢٩٨).

(٣) حسن أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/ ٣٩) (٢١٩٧ و ٢١٩٨) وقال الشيخ العلامة أحمد شاكر - رحمه الله - «إسناده صحيح، ورجال هذا الإسناد ثقات، وقد جاء أيضًا من حديث أبى أسيد الساعدى الذى أخبره أبو داود (٢٦٦٣) بسند حسن.

(٤) أخرجه البخارى (٣٧٣٧) و(٤٨٧٧) وأحمد فى «مسنده (١/ ٣٢٩) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٠).

وهذه القبة التى اتخذها رسول الله ﷺ فى ميادين القتال كغرفة العمليات - كما هو معلوم فى العلوم العسكرية المعاصرة.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث: أن سعد بن معاذ قال: يا نبى الله، ألا نبنى لك عريشًا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله، ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرب ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير ثم بنى لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه[1].



(١) صحيح لغيره لشواهده، وهذا سند ضعيف للانقطاع بين عبد الله بن أبى بكر ومن حدثه رواه ابن إسحاق فى «السيرة» (٢/ ٣٨٣) ومن طريقه أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٤) بهذا الإسناد، لكن رواه الواقدى فى «المغازى» (١/ ٤٩) من طريق محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن سعد به، والواقدى متروك.
وله شاهد من حديث عبد الله بن ثعلبة بمعناه، أخرجه الأموى فى «مغازيه» كما فى «البداية والنهاية» لابن كثير من طريق ابن إسحاق قال: حدثنى الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير.
وهذا سند حسن: كما قال الشيخ الإمام الألبانى - رحمه الله- فى تعليقه على «فقه السيرة» (ص ٣٢٧)
وله شاهد آخر من حديث على عند البزار فى «مسنده» (٢٤٨١ - كشف) قال الهيثمى (٩/ ٤٦) «رواه البزار وفيه من لم أعرفه» وقد سبق تخريجه فيما مضى.
وتقدم أقوى شواهده، وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذى أخرجه البخارى (٤٨٧٧).

المبحث الثاني

أحداث المعركة والمبارزة

النبى ﷺ يحرض المؤمنين على القتال:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**والذى نفسى محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا، مقبلًا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة**».

فقال عمير بن الحمام أخو بنى سلمة، وفى يده تمرات يأكلهن بخ بخ، أفما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء، قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل»[١].

قال ابن إسحاق: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، أن عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء، قال: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ قال: «**غمسه يده فى العدو حاسرًا، فنزع درعًا كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل**»[٢].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى، فإن يكن فى الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع، فقال: «**ويحك - أو هبلت - أو**

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٠١) وأبو داود (٢٦١٨)، وعبد بن حميد (١٢٧٢)، وأحمد (١٢٣٩٨)، وأبو عوانة (٥/ ٣٥ - ٣٧)، والحاكم (٣/ ٤٢٦)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٤٣) وفى «الدلائل» (٣/ ٤٢٦) والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٤٣) وفى «الدلائل» (٣/ ٦٨ - ٦٩) من طرق عن أبى النضر هاشم ابن القاسم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس مطولًا، ورواه الحاكم وعنه البيهقى مختصرًا.

(٢) إسناده صحيح: رواه ابن إسحاق فى «السيرة» (٢/ ٣٨٨) وقد صرح فيه بالتحديث، وعاصم ثقة عالم بالمغازى لكن هل سمع ذلك من أحد من الصحابة أم فيه انقطاع، والله أعلم وقد ذكره الحافظ فى «الإصابة» (٥/ ٤٢) من طريق ابن إسحاق،وسكت عنه، ورواه الطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٤٤٨) من طريق ابن إسحاق به.

جنة واحدة هى؟ إنها جنان كثيرة؟ وأنه فى جنة الفردوس»(١).

وعن أبى أسيد الساعدى قال: «لما التقينا نحن والقوم - يوم بدر - قال لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«إذا أكثبوكم فارموهم، بالنبل، واستبقوا نبلكم»**(٢).

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرمى قريشًا بحفنة من الحصباء فيهزمهم الله:

قال ابن إسحاق: «ثم إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل قريشًا به ثم قال: «**شاهت الوجوه**» ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه، فقال: «**شدوا**» فكانت الهزيمة»(٣).

وعن حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء، كأنه صوت حصاة وقعت فى طست»، ورمى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بتلك الحصاة فانهزمنا»(٤).

---

(١) أخرجه البخارى (٣٩٨٢) وانظر (٦٥٥٠) وذكره ابن إسحاق فى «السيرة» (٢/ ٣٨٧) قال: «ثم رمى حارثة بن سراقة أحد بنى عدى بن النجار، وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره، فقتل: «قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٣٥٥) - السلفية «حارثة هو ابن سراقة بن الحارث بن عدى الأنصارى بن عدى بن النجار، وأبوه سراقة له صحبة، واستشهد يوم حنين، وأمه هى الربيع بالتشديد بنت النضر عمة أنس بن مالك وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويحك**» هى كلمة رحمة»اهـ.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ٤٩٨)، والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٢٦٢) (٥٨٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٩٦٩)، وأخرجه البخارى بنحوه (٣٧٦٣).

(٣) «السيرة» (٢/ ٣٩٨)، وإسناده حسن - قال الشيخ الإمام الألبانى - رحمه الله - فى «فقه السيرة» (ص ٢٣٩) وهو حديث حسن، وهو من رواية عبد الله بن ثعلبة المتقدمة وله شاهد من حديث حكيم بن حزام قال الهيثمى: «رواه الطبرانى وإسناده حسن» اهـ من «فقه السيرة».

(٤) حسن: وهو شاهد للحديث السابق، ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٣١٢٧) و«الأوسط» (٩٠٩٧) والطبرى فى «التفسير» (١٣/ ١٥٨٢٢) من طريق موسى بن يعقوب عن يزيد بن عبد الله عن أبى بكر ابن سليمان بن أبى حثمة عن حكيم بن حزام، قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٨٤): «إسناده حسن» ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٣١٢٨) من الطريق السابق بلفظ: «كما كان يوم بدر أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذ كفًّا من الحصباء، فاستقبلنا به، فرمانا بها، وقال: «**شاهت الوجوه**» فأنزل الله ﷻ:
=

مشاهد وأحداث المعركة

عمير بن الحمام والتمرات:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «... فانطلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يقدمن منكم إلى شىء، حتى أكون أنا دونه**» فدنا المشركون فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**».

قال: يقول عمير بن الحمام الأنصارى: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نعم**» قال: بخ بخ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**» قال: لا. والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه، إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل[1].

= ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] ورواه من هذا الطريق ابن جرير (١٥٨٣٥) لكن فى رواية الطبرانى قال: عبد الله بن يزيد بدلًا من: يزيد بن عبد الله، والثانى هو الصواب، وله شاهد مرسل رواه ابن جرير (١٥٨٣٤) من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا أبو العطار قال: حدثنا هشام ابن عروة فذكره فيه الشاهد: «فلما أقبلوا استقبلهم فحثا فى وجوههم فهزمهم الله تعالى» ورواه ابن جرير (١٥٨٣٦) عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس مرسلًا، ولفظه: «أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبضة من تراب فرمى بها فى وجوه القوم وقال: «شاهت الوجوه» «فدخلت فى أعينهم كلهم» ورواه (١٥٨٤٠) عن ابن عباس بنحوه وفيه انقطاع، وله شاهد من حديث ابن عباس فروى الطبرانى فى «الكبير» (١١٧٥٠) من طريق يحيى بن يعلى عن سليمان بن قرم عن سماك بن حرب عن مكة عن ابن عباس: «أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعلى: «**ناولنى كفًا من حصباء**» فناوله فرمى به وجوه القوم فما بقى أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء» وقال الهيثمى: «ورجاله رجال الصحيح» قلت: فيه نظر.

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١)، وأبو داود (٢٦١٧) وأحمد (٣/ ١٣٦ - ١٣٧) وعبد بن حميد فى «مسنده» (١/ ٣٧٩) (١٢٧٢) بألفاظٍ متقاربة، وقد سبق تخريجه بشىء من التفصيل.

مصرع فرعون الأمة أبى جهل لعنه الله:

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر: «**من ينظر ما صنع أبو جهل؟**» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضرباه أبناء عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته، فقال: أنت أبو جهل؟ قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه»[1].

مصرع أمية بن خلف:

عن عبد الرحمن بن عوف - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كاتبت أمية بن خلف كتابًا بأن يحفظنى فى صاغيتى بمكة، وأحفظه فى صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت «الرحمن» قال: لا أعرف الرحمن، كاتبنى باسمك الذى كان فى الجاهلية، فكاتبته «عبد عمرو».

فلما كان فى يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار، فقال أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية، فخرج معه فريق من الأنصار فى آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا - وكان رجل ثقيلًا - فلما أدركونا قلت له: أبرك، فبرك، فألقيت عليه نفسى لأمنعه، فتجللوا بالسيوف من تحتى حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر فى ظهر قدمه»[2].

مصرع عبيد بن سعيد بن العاص لعنه الله على يد الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن الزبير بن العوام - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: «لقيت يوم بدر عبيد بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات

---

(1) أخرجه البخارى (٣٩٦٣)، ومسلم (١٨٠٠)، وأبو داود (٢٧٠٩)، وأحمد (٣/ ١١٥ - ١٢٩).

(2) أخرجه البخارى (٢٣٠١)، ومسلم (١٧٥٢)، وقال البيهقى فى «الدلائل» (٩٩٩): «صاغيتى وصاغيته» يريد بالصاغية الحاشية والأتباع، ومن يصغى إليهم أى: يميل.

الكرش، فحملت عليه فطعنته فى عينه فمات». قال هشام، فأخبرت أن الزبير قال: «لقد وضعت رجلى عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها».

قال عروة: «فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياه، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل على، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل»[١].

استشهاد حارثة بن سراقة رضي الله عنه وهو غلام:

عن أنس قال: «أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة منى، فإن يكن فى الجنة أصبر وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع؟ فقال: «**ويحك - أو هبلت - أو جنة واحدة هى؟ إنها جنان كثيرة، وإنه فى جنة الفردوس**»[٢].

شجاعة الرسول ﷺ :

عن على بن أبى طالب قال: «لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا»[٣].

شجاعة سعد بن أبى وقاص وشدة بأسه :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر، قتال الفارس والراجل»[٤].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٩٩٨).

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٨٢)، وقد سبق التعليق عليه قريبًا فراجعه.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٨٦)، وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى» ﷺ (ص ٥٧)، وإسناده صحيح، وصححه الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ١٢) والشيخ العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على «المسند» (٢/ ٢٢٨) وله شاهد من حديث البراء عند مسلم (١٧٧٦).

(٤) أخرجه البزار (١٧٦٨ و ١٧٦٩ - كشف) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٨٢): «رواه البزار بإسنادين أحدهما متصل والآخر مرسل ورجاله ثقات».

مشاركة الملائكة المؤمنين يوم بدر:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فأخضر ذلك، فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة**»[1].

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أيضًا قال: «إن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم بدر: «**هذا جبريل أخذ برأسه عليه أداة الحرب**»[2].

قذف أئمة الكفر فى القليب:

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن أبى طلحة الأنصارى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش، فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث: أمر براحلته فشدت عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفى الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم «**يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا**» قال: فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**والذى نفسى محمد بيده ما أنت بأسمع لما أقول منهم**».

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨/ ٤٧٦٣) عن ابن عباس قال: حدثنى عمر بن الخطاب فذكره، وأخرجه أحمد (١/ ٣٠ - ٣١).

(٢) أخرجه البخارى (٣٩٩٥).

قال قتادة: «أحياهم الله حتى أسمعهم قوله، توبيخًا وتصغيرًا ونقيمة وحسرة وندمًا»[(١)].

إقامة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى بدر ثلاثًا:

عن أبى طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثًا»[(٢)].

عدد الشهداء من المسلمين والقتلى من المشركين:

عن البراء بن عازب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «جعل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرماة يوم أحد عبد الله بن جبير، فأصابوا منا سبعين، وكان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرًا وسبعين قتيلًا، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال»[(٣)].

عن سهل بن سعد، قال أبو أسيد الساعدى - بعدما ذهب بصره: «يابن أخى والله لو كنت أنا وأنت ببدر ثم أطلق الله لى بصرى لأريت الشعب الذى خرجت علينا منه الملائكة غير شك فلا تمار»[(٤)].

وعن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل لى ولأبى بكر يوم بدر، قيل لأحدنا معك جبريل وقيل للآخر معك ميكائيل وإسرافيل، ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون فى الصف[(٥)].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٤ - ٢٨٧٥) والنسائى (٤/ ١٠٩ - ١١٠)، وأحمد (٣/ ١٠٤) وقوله: «فقذفوا فى طوى» أى بئر خربة قوله: «العرصة» الموضع الواسع الذى لا بناء فيه. وقوله (الركى): البئر.

(٢) أخرجه الترمذى (١٥٥١) وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخارى (٣٩٨٦).

(٤) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٢٦٠)، وابن عبد البر فى «الاستيعاب» (٢/ ٧) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٢).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ١٤٧)، والحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٧٢) وصححه، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والضياء فى المختارة»(٢/ ٢٥٧)، وأبو يعلى فى«المسند» (١/ ٢٨٣)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٢١٧) والبزار فى «المسند» (٢/ ٣٠٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ =

وعن عروة بن الزبير قال: حدثنى الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم ابن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا.

فذكر الحديث فى يوم بدر إلى أن قال: فكان رسول الله ﷺ فى العريش هو وأبو بكر؟ وما معهما غيرهما، وقد تدانا القوم بعضهم من بعض فجعل النبى ﷺ يناشد ربه ما وعده من نصره ويقول: «**اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد**» وأبو بكر يقول: بعض مناشدتك لربك يا رسول الله؛ فإن الله موفيك ما وعدك من نصره، وخفق رسول الله ﷺ خفقة ثم هب، فقال رسول الله ﷺ : «**أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع يعنى الغبار**» ثم خرج رسول الله ﷺ فعبأ أصحابه وهيأهم وقال: «**لا يعجلن رجل بقتال حتى نؤذنه؛ فإذا أكثموكم القوم** - يقول: **اقتربوا منكم فانضحوهم عنكم بالنبل**» ثم تزاحم الناس، فلما تدانا بعضهم من بعض خرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من حصباء ثم استقبل بها قريشًا فنفخ بها فى وجوههم وقال: «**شاهت الوجوه**» يقول: قبحت الوجوه - ثم قال رسول الله ﷺ «**احملوا يا معشر المسلمين**» فحمل المسلمون وهزم الله قريشًا، وقتل من قتل من أشرافهم، وأسر من أسر منهم»[(١)].

= ٤٤) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٥٨): «رواه أبو يعلى والبزار وأحمد بنحوه، ورجال أحمد والبزار رجال الصحيح، وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٣٢٤١).

(١) إسناده حسن: أخرجه الذهبى فى «التاريخ» (١/ ٢٨١) من طريق ابن إسحاق: حدثنى الزهرى عن عبد الله ابن ثعلبة بن صُقير، والواقدى (١/ ٨١) نحوه من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس.
وحسن إسناده الشيخ الألبانى فى «فقه السيرة» (ص ٢٣٧): وأخرج البخارى أجزاء منه فى مواضع من صحيحه (٣٩٩٥)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبى ﷺ قال يوم بدر «هذا جبريل...» وأخرج مسلم (١٧٦٣)، والترمذى (٣٠٨١) وأبو داود (٢٦٩٠)، وأحمد (٢٠٨و ٢١١) وعبد بن حميد (٣١)، وابن حبان (٤٧٩٣) وابن جرير فى «التفسير» (١٥٧٣٤)، قوله: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة...**» من عمر بن الخطاب رضي الله عنه مطولًا.
ورواه البخارى (٣٩٥٣) والنسائى فى «الكبرى» (١١٥٥٧) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - .

زيد بن حارثة يحمل بشارة النصر إلى المدينة:

عن أسامة بن زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلف عثمان ابن عفان، وأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على رقية ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيام بدر، فجاء زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على العضباء ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبشارة قال أسامة: فسمعتُ لهيعة فخرجتُ فإذا زيد قد جاء بالبشارة، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأُسارى، فضرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسهمه[1].

أحداث ما بعد المعركة

الغنائم:

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى العدو، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقتلون، فأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه وأحدقت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نفينا العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ١] فقسمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وفاق بين المسلمين[2].

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٢١٧، ٢١٨) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وأخرجه البيهقى فى «السنن الكبرى» (٩/ ١٧٤)، وفى «الدلائل» (٣/ ١٠٣) والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٤٥٨) وابن إسحاق فى «السيرة» لابن هشام (٢/ ٤٠٢)، والبخارى فى «التاريخ الصغير» (١/ ٨١) وقوله (الهيعة): الصوت الذى يفزع المرء منه ويخاف (٦/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٤) وابن جرير فى «التفسير» (٩/ ١٧٢) والحاكم (٢/ ١٣٥، ١٣٦، ٣٢٦)،

النهى عن الغلول:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فله من النفل كذا وكذا، قال: فتقدم الفتيان، ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوها، فلما فتح الله تعالى عليهم، قالت المشيخة، كنا ردءًا لكم، لو انهزمتم فئتم إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا، فأنزل الله جل ثناؤه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ١-٥] يقول: فكان ذلك خيرًا لهم، فكذلك أيضًا: «**أطيعونى فإنى أعلم بعاقبة هذا منكم**»[(١)].

وعنه أيضًا قال: تنفل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيفه ذو الفقار يوم بدر[(٢)].

الاختلاف فى الأسرى:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: حدثنى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «... فقتلوا

= والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٢٩٢) وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم وأقره الذهبى، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٩٢): «رجاله ثقات» وقال فى (٧/ ٢٦) «رجال الطريقين ثقات».

(١) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (٢٧٣٧ و ٢٧٣٩)، والنسائى فى «الكبرى» (٦/ ٣٤٩) (١١١٩٧)، والحاكم (٢/ ١٣١، ١٣٢)، والطبرى فى «التفسير» (٩/ ١٧٢)، والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٦/ ٢٩١)، وفى «الدلائل» (٣/ ١٠٦) وإسناده صحيح..

(٢) إسناده حسن: أخرجه الترمذى (١٥٦١)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث ابن أبى الزناد»، وأخرجه ابن ماجه فى «السنن» (٢٨٠٨)، من طريق ابن أبى الصلت عن أبى الزناد وأخرجه أحمد (١/ ٢٧١) (٢٤٤٥) وأخرجه البيهقى فى «السنن» (٧/ ٧٠)، و«الدلائل» (٣/ ١٠٧) وقال ابن حجر فى «تغليق التعليق» (٥/ ٣٣٢): «قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد. قلت: وهو كما قال فقد روى النسائى وابن ماجه وأبو بكر البزار بعضه، ورواه أحمد بن حنبل بتمامه عن سريح ابن النعمان عن ابن أبى الزناد». اهـ. قلت: عبد الرحمن بن أبى الزناد يكتب حديثه على الصحيح.

يومئذ سبعين وأسروا سبعين قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا أبا بكر وعلى وعمر ما ترون فى هؤلاء الأسارى؟

فقال أبو بكر: يا نبى الله! هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أني يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ما ترى يا ابن الخطاب؟**

قال: لا والله، يا رسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر، ولكنى أرى إن تمكنَّا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنى من فلان (نسيبًا لعمر) فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

فهوى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال أبو بكر ولم يهوى ما قلت: فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر قاعدان يبكيان.

قلت: يا رسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أبكى الذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة**» شجرة قريبة من النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم»[(١)].

أسرى بنى عبد المطلب وخروجهم كرهًا:

عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدر: «**إن استطعتم أن تأثروا من بنى عبد المطلب فإنهم خرجوا كرهًا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨/ ١٧٦٣)، وأحمد (١/ ٣٠ - ٣١) وابن جرير فى «التفسير» (١٠/ ٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٦٥)، وصححه الحافظ فى «الفتح»، وأحمد (١/ ١١٧) وصححه الحاكم (٣/ ١٨٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وسنده حسن.

قتل عقبة بن أبى معيط صبرًا فى الطريق إلى المدينة:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بعنق عقبة أن تضرب صبرًا، ثم مر به فقال من للصبية بعدى؟ قال: «**لهم النار حسبك ما رضى لك رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

فداء الأسرى:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «فادى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف»(٢).

وعنه أيضًا قال: كان ناس من الأسارى يوم بدر ليس لهم فداء فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة قال: فجاء غلام من أولاد الأنصار إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربنى معلمى قال: الخبيث يطلب بذحل بدر والله لا تأتيه أبدًا»(٣).

العباس بن عبد المطلب وقصته فى الفداء:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رجالًا من الأنصار استأذنوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه، قال: «**والله لا تذرن منه درهمًا**»(٤)، وقال موسى بن عقبة: «كان فداؤهم أربعين أوقية ذهبًا وفدوا بعدما قدم

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٢٦٨٦) وقال الهيثمى (٦/ ٥٩) رواه الطبرانى فى «الأوسط» ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٩٠)، وقال: «رواه الطبرانى فى «الكبير» و«الأوسط» ورجاله رجال الصحيح» وأخرجه أبو داود (٢٦٩١)، والحاكم (٢/ ١٢٥) وصححه وقال: «صحيح على شرطهما ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى، وأخرجه البيهقى فى «السنن» (٦/ ٦١١) و«الدلائل» (٣/ ١٠٩). وهو حديث صحيح الإسناد.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٧) وصححه الشيخ أحمد شاكر وقال إسناده صحيح وفيه على بن عاصم وثقه الإمام أحمد وأخرجه البيهقى فى «السنن» (٦/ ٦١١)، وأخرجه ابن سعد فى الطبقات (٢/ ٢٢) من طريق عامر الشعبى وهو مرسل. ومعنى بذحل: الثأر. أو العداوة والحقد والجمع: أذحال وذحول

(٤) أخرجه البخارى (٤٠١٨).

بهم المدينة، وكانوا متفاضلين فى الفداء».

منزلة من شهدر بدرًا من الملائكة والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى حديثه الطويل - عن أهل بدر وحاطب بن أبى بلتعة أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فى حاطب: «**لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم**» فدمعت عينا عمر، وقال الله ورسوله أعلم[١].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن عبدًا لحاطب بن أبى بلتعة جاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكوا حاطبًا قال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كذبت لا يدخلها فإنه شهد بدرًا والحديبية**»[٢].

وعن معاذ بن رفاعة الزرقى عن أبيه، قال: وكان أبوه من أهل بدر، وجده من أهل العقبة، قال: جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ما تعدون من شهد بدرًا منكم؟** قال: «**من أفاضل المسلمين أو من خيار المسلمين**، قال: **وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة**»[٣].



---

(١) أخرجه البخارى (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤)، وسيأتى تخريجه إن شاء الله موسعًا فى «فتح مكة».

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٩٥) والترمذى (٣٨٦٤) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ١٢١).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٣٧٧١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ١١٩) وابن ماجه فى «المقدمة» (١/ ٥٦)، (١٦٠) وعبد بن حميد فى «المسند» (٤٢٥).

فَصْلٌ
فى ما جاء فى تزويج فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما تزوج على فاطمة قال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعطها شيئًا**» قال: ما عندى شىء، قال: «**أين درعك الحِطْمِيةُ**»[1].

وعن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جهز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاطمة فى خميل وقربة ووسادة أدم حشوها إذخر[2].

زينب بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفداؤها لزوجها أبى العاص بن الربيع:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما بعث أهل مكة فى فداء أسرائهم بعثت زينب بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى فداء أبى العاص وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى بها فلما رآها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رق لها رقة شديدة وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا**»، قالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليه الذى لها، وقال العباس يا رسول الله إنى كنت مسلمًا فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فالله**

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢١٢٥)، والنسائى (٣٣٧٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ١٢٨) وقوله: «**درعك الحطمية**»: منسوبة الى الحطم، وسميت بذلك لأنها كانت تحطم السيوف، وقيل: منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال له: حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع. ذكره ابن الأثير فى «النهاية» و«المعجم الكبير» حرف الحاء (٥/ ٤٥٦).

(٢) صحيح: أخرجه النسائى (٣٣٨٤) وابن ماجه (٤١٢٥) والإمام أحمد فى «المسند» (١/ ١٤) والحميدى فى «مسنده» (١/ ٢٥) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ١٢٨)، وقوله (خميل): وزن كريم هى القطيفة، و(الأدم) الجلد، و(الإذخر): حشيشة رطبة طيبة الرائحة.

يجزيك فافد نفسك وابنىْ أخويك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو بن جَحْدَم أخو بنى الحارث بن فِهر».
فقال: ما ذاك عندى يا رسول الله قال: **فأين المال الذى دفنت أنت وأم الفضل فقلت لها: إن أصبت فهذا المال لبنى الفضل وعبد الله وقسم»** فقال: والله يا رسول الله إنى أعلم أنك رسوله إن هذا لشىء ما علمه أحد غيرى وغير أم الفضل فاحتسب لى يا رسول الله ما أصبتم منى عشرين أوقية من مال كان معى فقال رسول الله ﷺ «**أفعل**»، ففدى العباس نفسه وابنى أخويه وحليفه وأنزل الله فيه:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾ فأعطانى الله مكان العشرين أوقية فى الإسلام عشرين عبدًا كلهم فى يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ[1].



(١) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (٢٦٩٢)، وأحمد (٦/ ٢٧٦)، وابن الجارود (١٠٩٠)، وابن سعد (٨/ ٢٥) والطبرانى فى «الكبير» (ص ٢٢) (١٠٥٠)، والطحاوى فى «شرح المشكل» (٤٧٠٨)، والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٤٦٨) والحاكم (٣/ ٢٣ و ٢٣٦) و(ج٤/ ٤٤ - ٤٥)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٦١٢)، و«الدلائل» (٣/ ١٢٢)، وصححه الحاكم وقال: «صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبى، وهو كما قالا، وقد صرَّح ابن إسحاق فيه بالتحديث، وحديث يحيى بن عباد عن عائشة فى «الصحيحين» وقصة فداء العباس، رواها غير واحد وقد سبقت.

فَصْلٌ

فيما بين بدر وأحد إجلاء بنى قينقاع

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: حاربت يهود بنى النضير وقريظة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأجلى بنى النضير، وأقر قريظة وَمَنْ عليهم حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمنهم وأسلموا، وأجل يهود المدينة كلهم: بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بنى حارثة، وكل يهود المدينة(١).

مقتل كعب بن الأشرف

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله**»، فقام محمد بن مسلمة، فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: «**نعم**»، قال: فأذن لى يا رسول الله أن أقول شيئًا، قال: «**قل**»، فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا، وإنى قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضًا والله لتملنه.

قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين - وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر «**وسقا أو وسقين**» فقلت له: فيه «**وسقًا أو وسقين**»، فقال: أرى فيه «**وسقًا أو وسقين**» فقال: نعم أرهنونى، قالوا: أى شىء تريد؟ قال: أرهنونى نسائكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: أرهنونى أبنائكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللامة... قال سفيان: يعنى السلاح.

---

(١) أخرجه البخارى (٤٠٢٨)، ومسلم (١٧٦٦).

فواعده أن يأتيه فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخى أبو نائلة، وقال غير عمرو: قالت أسمع صوتًا كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب.

قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين - قيل لسفيان: سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم قال عمرو: جاء معه برجلين وقال غير عمرو، أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس، وعباد بن بشر - قال عمرو جاء معه برجلين.

فقال: إذا ما جاء فإنى قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، قال مرة، ثم أشمكم، فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا - أى أطيب - وقال غير عمرو قال: عندى أعطر نساء العرب وأكمل العرب. قال عمرو فقال: أتأذن لى أن أشم رأسك قال: نعم فشمه، ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لى؟ قال: نعم فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتوا النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه»[(١)].

تشييع النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة الذين ذهبوا لقتل كعب بن الأشرف:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**مشى معهم النبى** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال:** «**انطلقوا على اسم الله**» وقال: «**اللهم أعنهم**»[(٢)]، يعنى النفر الذين

---

(١) أخرجه البخارى (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١)، وأبو داود (٢٧٦٨)، وابن سعد (٢/ ٣١ - ٣٤)

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩١)، والطبرانى (١١٥٥٤، ١١٥٥٥) والبزار (١٨٠١ و ١٨٠٢ - كشف) والحاكم (٢/ ٩٨)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ١٩٩ - ٢٠٠) من طرق عن ابن إسحاق، حدثنى ثور ابن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس به، وصححه الشيخ الألبانى فى تخريج «فقه السيرة» (ص ٢٨٢).
وأخرجه البخارى (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١)، وأبو داود (٢٧٦٨)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٨١)، و«الدلائل» (٣/ ١٩٥ - ١٩٦)، وابن سعد (٢/ ٣١ - ٣٤) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا السابق.

وجههم إلى كعب بن الأشرف.

لماذا أمر النبى ﷺ بقتل كعب بن الأشرف لعنه الله :

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن كعب بن الأشرف اليهودى كان شاعرًا، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض قريش فى شعره، وكان رسول الله ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاطًا منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان، ومنهم اليهود، وهم أهل الحلقة والحصون، وهم حلفاء للحيين الأوس والخزرج، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم وكان الرجل يكون مسلمًا وأبوه مشرك، والرجل يكون مسلمًا وأخوه مشرك.

وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمر الله تعالى رسوله والمسلمين بالصبر على ذلك، والعفو عنهم، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وفيهم أنزل الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩]

فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى رسول الله ﷺ، وأذى المسلمين، وأمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا ليقتلوه، فبعث إليه سعد...»[١].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٠٠)، والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٧٦) رقم (١٥٤)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٨٣)، و«الدلائل» (٣/ ١٥٤)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٩٥-١٩٦): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. قلت: والحديث: إسناده صحيح.

فَصْلٌ

فى غزوة أحد[1]

ما ورد فى أحد: ورد فى جبل أحد عدة أحاديث تدل على فضله، منها الصحيح، ومنها الضعيف، وسوف نذكر الصحيح، ضاربين عن الضعيف والمردود.

عن أبى حميد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وساق الحديث، وفيه: «ثم أقبلنا حتى قدمنا وادى القرى[2] فقال رسول الله ﷺ: «**إنى مسرع فمن شاء منكم فليسرع معى، ومن شاء منكم فليمكث**»فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال: «**هذه طابة، وهذا أحد وهو جبل يحبنا ونحبه**»[3].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدًا جبل**

---

(١) أُحد: بضم أوله وثانيه معًا؛ اسم الجبل الذى كانت عنده غزوة أحد، وهو مرتجل لهذا الجبل، وهو جبل أحمر، ليس بذى شناخيب، وبينه وبين المدينة قرابة ميل فى شماليها. «معجم البلدان» (١/ ١٠٩)

وقيل فى سبب تسميته بأحد أقوال:

الأول: أنه سمى بذلك لتوحده عن الجبال لأنه محاط بالسهول والأودية.

الثانى: أنه سمى باسم رجل من العمالقة اسمه أحد وهو أول من سكنه.

الثالث: أنه سمى بأحد رمزًا لوحدانية الله تعالى: «الدر الثمين فى معالم دار الأمين» محمد غالى (ص ١٧٩).

وقال ياقوت الحموى: «هو اسم مرتجل لهذا البلد» وانظر: «المغانم المطابة فى عالم طابة» للفيروز آبادي (ص ١٠) وذكر ابن شبه: «أن أهل الجاهلية كانوا يسمونه أحدًا عنقدا» «تاريخ المدينة المنورة» لابن شبة (١/ ٨٥).

(٢) وادى القرى: هو واد بين المدينة والشام، وهو بين تيماء وخيبر، من أعمال المدينة، سمى وادى القرى، لأن الوادى من أوله إلى آخره قرى منظومة لكنها الآن كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد، فتمها النبى ﷺ بعد فراغه من خيبر سنة سبع .اهـ. من «معجم البلدان».

(٣) أخرجه مسلم (٥٠٣/ ١٣٩٢) واللفظ له، وأخرجه البخارى (١٤٨١)، وهذه الرواية تفيد أن النبى ﷺ قال ذلك بعد رجوعه من غزوة تبوك، وقيل: من خيبر، وقيل: بل رجع من الحج، وقد يكون تكرر منه ﷺ ذلك أكثر من مرة، والله أعلم.

يحبنا ونحبه»، وفي رواية قال: «نظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أحد، فقال: «إن أحدًا جبل يحبنا ونحبه»[(١)].

وعنون البخاري بابًا في ذلك فقال: [باب أحد جبل يحبنا ونحبه][(٢)].

سبب الغزوة وموعدها:

وذلك أن قريشًا حين قتل الله سراتهم ببدر، وأصيبوا بمصيبة لم تكن لهم في حساب، ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب، لعدم وجود أكابرهم، وجاء - كما ذكرنا - إلى أطراف المدينة في غزوة السويق[(٣)]، ولم ينل ما في نفسه شرع يجمع قريشًا، ويؤلب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى المسلمين، فجمع قريبًا من ثلاثة آلاف من قريش، والحلفاء والأحابيش[(٤)].

وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا، ثم أقبل بهم نحو المدينة، فنزل قريبًا من جبل أحد، بمكان حيال أحد بينه وبينه واد[(٥)] وذلك في شوال من السنة الثالثة من الهجرة[(٦)].

---

(١) متفق عليه: واللفظ لمسلم (٤٠٥/ ١٣٩٣)، وانظر: «صحيح البخاري» (٢٨٨٩).

(٢) كتاب: المغازي باب (٢٧)، «الفتح» (٧/ ٤٣٦)، وللعلماء في معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يحبنا ونحبه**» أقوال:
أحدها: أنه على حذف مضاف، والتقدير: أهل أحد، والمراد بهم الأنصار؛ لأنهم جيرانه.
ثانيها: أنه قال ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقيامهم، وذلك فعل من يحب بمن يحب.
ثالثها: أن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره، انظر: «الفتح» (٧/ ٤٣٧) وهذا هو القول الراجح عندنا، والله أعلم.

(٣) راجع ما ذكرناه هناك.

(٤) (حبشي): جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش، وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده، فحالفوا قريشًا، وتحالفوا بالله إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار، وما أرسى حبشي مكانه؛ فسموا أحابيش قريش باسم الجبل «لسان العرب» (٦/ ٢٧٨).

(٥) صحيح البخاري (٤٠٧٢) وعند ابن هشام: «جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة» وعند ابن كثير: «بمكان يقال له: عينين»، وعينين: جبل صغير يقع جنوب شهداء أحد، وسمي بذلك لوجود عيني ماء كانت عنده، وهو المعروف «بجبل الرماة».

(٦) «الفصول» لابن كثير (ص ١١٣، ١١٤)، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣).

قريش تجمع أموالها للصد عن سبيل الله:

قال ابن إسحاق: حدثنى الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ؛ وغيرهم من علمائنا.

«لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره؛ مشى عبد الله بن أبى ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية، فى رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا.

قال ابن إسحاق: ففيهم - كما ذكر لى بعض أهل العلم - أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦] فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان [بن حرب] وأصحاب العير بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة[(١)].

رؤيا رسول الله ﷺ:

فلما سمع رسول الله ﷺ بخروج قريش ونزولهم حيث نزلوا ذكر للمسلمين ما رآه فى رؤياه ﷺ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر، وهو الذى فيه الرؤيا يوم أحد فقال: «**رأيت وفى سيفى ذا الفقار فلًّا فأولته: فلًّا يكون فيكم، ورأيت أنى مردف كبشًا، فأولته: كبش الكتيبة، ورأيت أنى فى درع حصينة،**

---

(١) «السيرة» لابن هشام (٣/ ٣ - ٤) وأخرجه ابن جرير الطبرى فى «التفسير» (١٣/ ١٦٠٦٣)، والواحدى فى «أسباب النزول» (ص ١٩٥) وفى إسناده مقال، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

فأولتها المدينة، ورأيت بقرًا تذبح، فبقر والله خير، فبقر والله خير» فكان الذى قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

وعن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته مرة أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح، واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها بقرًا والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى آتانا الله بعد يوم بدر»[٢].

استشارة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه الخروج:

روى الإمام البخارى معلقًا: «وشاور النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه يوم أحد فى المقام والخروج فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته[٣] وعزم؛ قالوا: أقم، فلم يمل

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٢٤٤٥)، من طريق أبى الزناد، عن الأعمى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود، عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم مطولًا (٢/ ١٢٨ - ١٢٩) وعنه البيهقى فى «السنن» (٧/ ٤١) وفى «الدلائل» (٣/ ٢٠٤ - ٢٠٥)، من طريق عبد الله بن وهب، عن أبى الزناد عن أبيه به، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبى، وأخرجه مختصرًا جدًّا كل من: الترمذى (١٥٦١)، وابن ماجه (٢٨٠٨)، والطحاوى (٣/ ٣٠٢) والطبرانى فى «الكبير» (١٠٧٣٣) والحاكم (٣/ ٣٩) والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٠٤) من طرق: عن أبى الزناد، عن أبيه به.

(٢) أخرجه البخارى (٣٦٢٢ و ٣٩٨٧ و ٤٠٨١ و ٧٠٣٥ و ٧٠٤١) من طريق: عبد الصمد وعفان قالا: حدثنا حماد بن سلمة، قال عفان فى حديثه: أخبرنا أبو الزبير، وقال عبد الصمد: حدثنا أبو الزبير، عن جابر نحوًا من حديث ابن عباس السابق، وصحح إسناده الحافظ فى «تغليق التعليق» (٥/ ٣٣٢)، فإن أبا الزبير لم يصرح بالسماع من جابر، ولكن قال الحافظ: إنه صرح بالسماع فى الرواية التى ذكرها من المسند، وصحيح الإسناد، ورواه ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٣٤ - ٣٥) من طريق عفان به، ورواه الدارمى (٢١٥٩)، من طريق الحجاج بن منهال، والنسائى فى «الكبرى» (٧٦٤٧) من طريق أمية بن خالد كلاهما عن حماد به، وابن الجارود فى «المنتقى» (٣/ ٣١٣ - ٣١٤) (١٠٦١)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١١/ ٦٨ - ٦٩) (١٠٥٣٨).

(٣) لأمته: درعه. وقيل: هى الأداة وهى الآلة من درع وبيضة وغيرهما من السلاح، وجمعها لأم مثل تمرة وتمر..

إليهم بعد العزم، وقال: «**لا ينبغى لنبى يلبس لأمته فيضعها؛ حتى يحكم الله**»[(١)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «... وذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه المشركون يوم أحد كان رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقيم بالمدينة فيقاتلهم فيها، فقال له ناس لم يكونوا شهدوا بدرًا، أخرج بنا يا رسول الله إليهم نقاتلهم بأحد، ونرجوا أن نصيب من الفضيلة ما أصاب أهل بدر، فمازالوا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لبس لأمته، فلما لبسها ندموا، وقالوا يا رسول الله! أقم فالرأى رأيك، فقال: «**ما ينبغى لنبى أن يضع أداته إن لبسها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه**»[(٢)].

عدد المقاتلين من المسلمين وانخزال رأس المنافقين بثلث الناس:

وخرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، فى ألف من أصحابه، حتى إذا كان فى الشوط بين المدينة وأحد انخزل عنه عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الناس وقال: أطاعهم وعصانى، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من

---

(١) علقه البخارى فى «صحيحه» فى كتاب الاعتصام (٩٦) باب قول الله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم)، (وشاورهم فى الأمر) (٢٨). ووصله الترمذى فى «السنن» ٤/ ١٣٠ (١٥٦١)، وابن ماجه (٢٨٠٨) -كلاهما مختصراً-؛ وأحمد فى «المسند» ١/ ٢٧١، والطبرانى فى «الكبير» ١٠/ ٣٠٣ (١٠٧٣٣)، ومن طريق الضياء المقدسى فى «الأحاديث المختارة».، وعنه الحافظ فى «تغليق التعليق» ٥/ ٣٣٠-٣٣١ والحاكم ٢/ ١٢٨-١٢٩، وعنه البيهقى فى «السنن» ٧/ ٤١، و«الدلائل» ٣/ ٢٠٤-٢٠٥، من طريق عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبى والحافظ ابن حجر وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (١١٠٠)، وقال الحافظ فى «الفتح»: «وهذا سند حسن»؛ للكلام المعروف فى ابن أبى الزناد. ولهذا قال الترمذى: «حديث حسن غريب». وله شاهد من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه وقد سبق سياقه وتخريجه..

(٢) سبق ذكره وتخريجه قريبًا.

عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال، قال: فلما استعصوا عليه، وأبوا إلا الانصراف عنه، قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه[1]، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦ - ١٦٧]

موقف الصحابة من المنافقين الذين خذلوا المسلمين بعودتهم:

قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨].

عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خرج إلى أحد، فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيهم فرقتين، فرقة تقول: نقتلهم، وفرقة تقول: لا هم المؤمنون، فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنها طيبة، وإنها تنفى الخبث، كما تنفى النار خبث الفضة**»[2].

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفض الاستعانة بغير مسلم:

عن أبى حميد الساعدى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج يوم أحد، حتى إذا جاوز ثنية الوداع، فإذا هو بكتيبة جيش فقال: «**من هؤلاء؟**» قالوا: هذا عبد الله بن

---

(١) ذكره ابن إسحاق فى «السيرة» ٣/ ٨، وابن كثير فى «الفصول» (ص١١٦). ويشهد له الآتي:

(٢) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (٥/ ١٨٤)، (١٨٧) ورواه أيضًا (٥/ ١٨٨)، و(٢٨٧) ورواه البخارى (١٨٨٤) وانظر أطرافه ثمت، ومسلم (٤٨٠/ ١٣٨٤) و(٦/ ٢٧٧٦)، والترمذى (٣٠٢٨)، والنسائى فى «الكبرى» (٦/ ١١١٣) من طريق عن شعبة، وفى ألفاظه خلاف تجده محررًا فى «الفتح» (٤/ ٩٧).

أبى فى ستمائة من مواليه من اليهود من بنى قينقاع قال: «وقد أسلموا؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: **«مروهم، فليرجعوا، فإنى لا أستعين بالمشركين على المشركين»**[1].

تعبئة النبى ﷺ للقتال ووصيته للرماة:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جعل النبى ﷺ على الرجالة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلًا - عبد الله بن جبير فقال: **«إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»** فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشددن، قد بدت خلاخلهن وأسوقهن، رافعات ثيابهن، فقال أصحاب ابن جبير: الغنيمة أى قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول ﷺ فى أخراهم، فلم يبق مع النبى ﷺ غير اثنى عشر رجلًا فأصابوا منا سبعين ....»[2] الحديث.

وعن السائب بن يزيد: أن النبى ﷺ ظاهر يومئذ بين درعين»[3].

---

(١) إسناده حسن: رواه ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٤٨)، والطبرانى فى «الأوسط» (٥١٤٢)، والحاكم (٢/ ١٢١) من طريق الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو، عن سعد بن المنذر، عن أبى حميد الساعدى، قال الهيثمى (٥/ ٢٠٣) بعد ما نسبه إلى «الكبير»: «وفيه سعد بن المنذر بن أبى حميد، وذكره ابن حبان فى «الثقات» فقال: «سعد بن أبى حميد فنسب إلى جده، وبقية رجال ثقات». قلت: سعد هذا قال فيه الحافظ: مقبول، فهو حسن الحديث فى المتابعات.

(٢) أخرجه البخارى (٣٠٣٩ و ٣٩٨٦ و ٤٠٤٣ و ٤٥٦١ و ٤٠٦٧) وأبو داود (٢٦٦٢)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٦٣٥)، و(١١٠٧٩) والطيالسى (٧٢٥ و ٧٢٦)، وابن سعد (٢/ ٤٧)، وأحمد (١٨٥٩٣) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣٨ - ٣٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٦٩)، وله شاهد من حديث ابن عباس: رواه أحمد (٢٦٠٩)، والطبرانى (١٠٧٣١)، والحاكم (٢/ ٢٩٦)، والبيهقى (٣/ ٢٦٩)، مطولًا، وفيه: **«واحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل، فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا»** والحديث سبق جزء منه.

(٣) أخرجه الترمذى فى «الشمائل المحمدية» (ص ١٦٢، ١٦٣) (١١١)، ومن طريقه البغوى فى «شرح

بعض من أجازه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعض من رده لصغر سنه:

قال ابن هشام: وأجاز رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ سمرة بن جندب الفزارى[1]، ورافع بن خديج، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما، فقيل له: يا رسول الله إن رافعًا رام فأجازه[2]، فلما أجاز رافعًا، قيل له: يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعًا، فأجازه ورد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وعمرو بن حزم أحد بنى مالك بن النجار، وأسيد بن ظهير، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة»[3].

عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرضه يوم أحد

= السنة» (١/ ٤٠٠) (٢٦٥٨)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٥٨٣)، وابن ماجه (٢٨٠٦) وأحمد (٣/ ٤٤٩)، ومن طريق الطبرانى فى «الكبير» (٦٦٦٩)، وابن الجارود فى «المنتقى» (١٠٦٠) وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى» (١٥٢/ ٤١٦)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٤٦)، والبغوى فى «شرح السنة» (١٠/ ٤٠٠) (٢٦٥٩) وغيرهم من طريق عن سفيان بن عيينة، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد به.
قال البوصيرى فى «المصباح» (٢/ ١١٥) (٩٩٣): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط البخارى» قلت: وهو كما قال، ومن حقه أن يقول: على شرط مسلم؛ فإن رجاله كلهم من رجالهما، ولا يلتفت لكلام الهيثمى إذ أعله فى «المجمع» (٦/ ١٠٨) بجهالة مَن حدَّث السائب!!.
والذى حدث به السائب: ولم يسم صحابى، ولا شك فى ذلك، لأن السائب صحابى، فيكون من مراسيل الصحابة أو من إبهاماتهم، وهى حجة، ثم إن جهالة الصحابى لا تضر. كما هو مقرر فى الأصول.
وقوله: «ظاهر بين درعين»: أى ليس إحداهما فوق الأخرى، أخذًا بالأسباب، واحتياطًا لمواجهة الأعداء.

(١) روى ذلك فى حديث طويل: الطبرانى (٦٧٤٩)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٥/ ٣١٩): «رواه الطبرانى مرسلًا ورجاله ثقات».

(٢) روى الطبرانى (٤٢٤١)، عن رافع: أنه خرج يوم أحد فأراد النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رده فاستصغره، فقال له عمى: يا رسول الله إنه رام فأخرجه، الحديث. قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٠٨): «وفيه من لم أعرفه»، ورواه من طريق أخرى الطبرانى (٥٦٩)، والحاكم (٣/ ٥٦١) عن أسيد بن ظهير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) «السيرة النبوية» (٣/ ١٠ - ١١).

وهو ابن أربع عشرة، فلم يجزه، ثم عرضه يوم الخندق، وهو ابن خمس عشرة فأجازه»[١].

لواء المسلمين:

وأعطى النبى اللواء لمصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجعل على إحدى المجنبتين: الزبير بن العوام، وعلى المجنبة الأخرى: المنذر بن عمرو؛ المعنق ليموت[٢].

قريش تعبئ للقتال وتعد الصفوف:

قال ابن إسحاق: «وتعبأت قريش، وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مائتا فرس قد جنوبها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل[٣]، وكان فيهم سبعمائة دارع[٤].

أبو دجانة وسيف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ سيفًا يوم أحد فقال:

---

(١) أخرجه البخارى (٢٦٦٤ - ٤٠٩٧)، ومسلم (١٨٦٨)، وأبو داود (٤٤٠٧)، والنسائى (٦/ ١٥٥)، والترمذى (١٣٦١ و ١٧١١)، وابن ماجه (٢٥٤٣)، وعبد الرزاق (٩٧١٧)، وابن سعد (٤/ ١٤٣)، وأبو عوانة (٥/ ٢ - ٣) والطيالسى (١٨٥٩)، وابن حبان (٤٧٢٧ و ٤٧٢٨) والطحاوى (٣/ ٢١٧)، والطبرانى (١٣٠٤١)، وأحمد (٤٦٦١)، والدارقطنى (٤/ ١١٥)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٨٣) وغيرهم.

فائدة: ذكر ابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (٢/ ٧): أن عدد من ردهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صغار السن أربعة عشر صبيا.

(٢) انظر: «تاريخ الطبرى» (٢/ ٥٠٦ - ٥٠٧) و«الدلائل» للبيهقى (٣/ ٢٢٦ - ٢٢٧) والمنذر بن عمرو، الملقب بالمعنق ليموت، هو لقبه، وهو صحابى مشهور أنصارى خزرجى، شهد العقبة، وكان من النقباء، شهد بدرًا وأحدًا، واستشهد يوم بئر معونة.

(٣) «السيرة النبوية» (٣/ ١١) دون إسناد، و«تاريخ الطبرى» (٣/ ٥٠٤)، عن رواية الواقدى، والواقدى متروك.

(٤) ذكره الطبرى فى «التاريخ» (٣/ ٥٠٤) من رواية الواقدى، ولا تصح رواية فى ذلك وإنما هى من أقوال الإخباريين المعنيين بذلك..

«من يأخذ منى هذا؟» فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: «فمن يأخذه بحقه؟» قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه، ففلق به هام المشركين(١).

أبو عامر الفاسق:

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، أن أبا عامر عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدًا لرسول الله ﷺ معه خمسون غلامًا من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلًا، وكان يعد قريشًا أن لو قد لقى قومه لم يتخلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش، وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عينًا يا فاسق، وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية الراهب، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومى بعدى شر، ثم قاتلهم قتالًا شديدًا، ثم راضخهم بالحجارة(٢).

۞۞۞

(١) أخرجه مسلم (٢٨/ ٢٤٧٠)، وأحمد (١٢٢٣٥) (٣/ ١٢٣)، وابن سعد (٣/ ٥٥٦) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٣٢) من طريق عنان، أخبرنا حماد، أخبرنا ثابت عن أنس بنحوه، ورواه عبد بن حميد (١٣٢٧)، والحاكم (٣/ ٢٣٠) من طريق حماد به.
وجاء موصولًا أيضًا: من حديث الزبير بن العوام من هذا فرواه البزار (٩٧٩)، والدولابى فى «الكنى» (١/ ٦٩)، والحاكم (٣/ ٢٣٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٣٣) من طرق: عن هشام بن عروة عن أبيه، عن الزبير لكن فيه عبيد الله بن الوازع الذى روى عن هشام مجهول.

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ١٢)، والخبر مرسل صحيح، وأخرجه الطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٦٤)، من طريق محمد بن إسحاق قال: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة فذكره، وإسناده صحيح إلى عاصم بن قتادة ولم يسنده، وذكره الواقدى فى «المغازى» (١/ ٢٢٣).

المبحث الثالث

وقائع المعركة

شعار الصحابة فى القتال:

وكان شعار المسلمين فى غالب غزواتهم: أمت أمت.

عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: «غزونا مع أبى بكر زمن النبى ﷺ فكان شعارنا، أمت أمت، وفى رواية: «كان شعارنا ليلة هوازن مع أبى بكر»[(١)].

وفى رواية الدارمى: «بارزت رجلًا فقتلته، فنفلنى رسول الله ﷺ سلبه، فكان شعارنا مع خالد بن الوليد: أمت؛ يعنى: أقتل»[(٢)].

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يلخص المعركة:

اشتدت المعركة، وكان النصر حليفًا للمسلمين فى أولها، واستمروا فى ذلك حتى

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (٢٥٩٦، ٢٦٣٨)، وابن ماجه (٢٨٤٠)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٥٤١٦)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٦١٢ و ٨٨١١) وأحمد (٤/ ٤٦)، وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ١١٨) والطبرانى فى «الكبير» (٦٢٣٩)، وابن عدى فى «الكامل» (٥/ ١٩١٢ - ١٩١٣)، وابن حبان فى «صحيحه» (٤٧٤٤ و ٤٧٤٧ و ٤٧٤٨)، وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى ﷺ» (١٦٦/ ٤٦٨) والحاكم (٢/ ١٠٧)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٦١ و ٩/ ٧٩) والبغوى فى «شرح السنة» (٢٦٩٩)، وغيرهم من طريق عكرمة بن عمار عن إياس بن سلمة، عن أبيه. قلت: سنده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٥٤١٧) والدرامى فى «مسنده» (٢٦٠٨ - فتح المنان) من طريق وكيع، عن أبى عميس، عن إياس بن سلمة، عن أبيه ؛ به. قلت : وسنده صحيح..
وهذا الشعار ليس مقيدًا بذكر غزوة أحد، وإنما كان للمسلمين فى غالب غزواتهم، والله أعلم.

حصل من مخالفة الرماة أمر قائدهم ﷺ وانقلبت الموازين وحصل ما يرويه لنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: «ما نصر الله تبارك وتعالى فى موطن كما نصر يوم أحد، قال: فأنكرنا ذلك! فقال ابن عباس: بينى وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى ، إن الله عز وجل يقول فى يوم أحد: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ وإنما عنى بهذا الرماة، وذلك أن النبى ﷺ أقامهم فى موضع، ثم قال: «**احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا**»، فلما غنم النبى ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعًا فدخلوا فى العسكر ينهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ، فهم كذا - وشبك بين أصابع يديه - والتبسوا فلما أخل الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبى ﷺ فضرب بعضهم بعضًا والتبسوا، وقتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار، إنما كانوا تحت المهراس، وصاح الشيطان: قتل محمد، فلم يشك فيه أنه حق، فما زلنا كذلك ما نشك أنه قد قتل، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين، نعرفه بتكفئه إذا مشى، قال: ففرحنا [حتى] كأنه لم يصبنا ما أصابنا، قال: فرقى نحونا وهو يقول: «**اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله**»، قال: ويقول مرة أخرى: «**اللهم إنه ليس لهم أن يعلونا**» حتى انتهى إلينا، فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح فى أسفل الجبل، أعل هبل، مرتين، يعنى آلهته، أين ابن أبى كبشة؟ أين ابن أبى قحافة؟ أى ابن الخطاب؟ فقال عمر: يا رسول الله، ألا أجيبه؟ قال: «بلى»، قال: فلما قال: أعل هبل، قال عمر: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب إنه قد أنعمت عينها، فعاد عنها، أو فعل منها، فقال: أين ابن أبى كبشة؟ أين ابن قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عمر، قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دول، وإن

الحرب سجال، قال: فقال عمر: لا سواء، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار، قال: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خبنا إذن وخسرنا، ثم قال أبو سفيان: أما إنكم سوف تجدون فى قتلاكم مثلًا، ولم يكن ذاك من رأى سرتنا، قال: ثم أدركته حمية الجاهلية، قال: أما إنه قد كان ذلك ولم نكرهه»[1].

هزيمة المشركين فى بداية المعركة:

عن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذا مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ ألَّا إن محمد قُتل، فانكفأنا، وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنوا منه أحد من القوم»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد فى «المسند» (٤/ ٢٠٩ - ٢١٢) رقم (٢٦٠٩)، وابن أبى حاتم فى «التفسير» (١٦٤٤)، والطبرانى فى «الكبير» (١٠٧٣١)، والحاكم (٢/ ٢٩٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٦٩) من طريق: سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن عبيد الله، عن ابن عباس به مطولًا وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، وقال عنه العلامة أحمد شاكر: رحمه الله فى تعليقه على «المسند» (٢٦٠٩): إسناده صحيح.

وروى البخارى منه: «اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله» (٤٧٠٦) من طريق عمرو بن على، عن أبى عاصم، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة عن ابن عباس، ومن هذا الطريق رواه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٦٢) عن أبى عاصم به، وروى البخارى أيضًا عن أبى هريرة هذه الجملة (٤٠٧٣ و ٤٠٧٤).

(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن إسحاق بإسناد صحيح فى «السيرة» (٣/ ٢٤ - ٢٥).

ورواه الطبرانى فى «الكبير» (٢٤٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٢٨)، والطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٥١٣) كلهم من طريق ابن إسحاق به.

وقوله: «خدم» جمع خدمة، وهى الخلخال، يعنى: أنهن شمرن ثيابهن للهرب فبدت خلا خيلهن.

وقوله: «فأنكفأنا» أى رجعنا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى «الفتح» (٧/ ٤٣١): «حديث أبى هريرة وحديث ابن عباس هذا من مراسيل الصحابة فإنهما لم يشهدا الواقعة فكأنهما حملاها عمن شهدها أو سمعاها من النبى

وقد جاء بزيادة فى رواية إسحاق بن راهوية عن الزبير قال: «والله إنى لأنظر يومئذ إلى خدم النساء مشمرات يسعين حين انهزم القوم، وما أرى دون أخذهن شيئًا، وإنا لنحسبهم قتلى ما يرجع إلينا منهم أحد، ولقد أصيب أصحاب اللواء، وصبروا عنده حتى صار إلى عبد لهم حبشى يقال له (صواب)، ثم قتل صواب، فطرح اللواء فلم يقربه أحد من خلق الله، حتى وثبت إليه عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لهم، وثاب إليه الناس، قال: الزبير، فوالله إنا لكذلك قد علوناهم وظهرنا عليهم، إذا خالفت الرماة عن أمر الرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعلوا يأخذون الأمتعة، فأتتنا الخيل فحطمتنا، وكر الناس منهزمين، فصرخ صارخ يرون أنه الشيطان: ألا إن محمدًا قد قتل، فأعظم الناس وركب بعضهم بعضًا فصاروا أثلاثًا: ثلثًا جريحًا، وثلثًا مقتولًا، وثلثًا منهزمًا، وقد بلغت الحرب وقد كانت الرماة اختلفوا فيما بينهم، فقالت طائفة: روا[1] الناس وقعوا فى الغنائم، وقد هزم الله المشركين وأخذ المسلمون الغنائم، فماذا تنتظرون؟ وقالت طائفة: قد تقدم إليكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونهاكم أن تفارقوا مكانكم إن كانت عليه أو له، فتنازعوا فى ذلك، ثم إن الطائفة الأولى من الرماة أبت أن تلحق بالعسكر، فتفرق القوم، وتركوا مكانهم، فعند ذلك حملت خيل المشركين».

وهذا إسناد صحيح له شاهد من حديث البراء فى «الصحيح» كما قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد سبق معنا حديث البراء رضى الله عنه وعن أبيه.



= صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك.

وقال العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفى لفظه - أى حُديث ابن عباس - ما يوهم أن ابن عباس شهد الواقعة وما كان ذلك قط، فإنه كان إذ ذاك طفلًا مع أبيه بمكة، والظاهر عندى أنه حكاه عن واحد من الصحابة من شهد أحدًا، ونسى بعض الرواة أن يذكر من حدَّث ابن عباس به، حتى يقول فى حديثه: «فمازلنا كذلك ما نشك أنه قد قتل... إلخ وأما سياق القصة فى ذاتها فصحيح له شواهد كثيرة فى الصحاح، أشار ابن كثير إلى بعضها فى التفسير والتاريخ».اهـ. كلام العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

(١) روا: فعل أمر من رأى؛ أى انظروا.

المبحث الرابع

بطولات وتضحيات أثناء المعركة

١ - حمزة بن عبد المطلب أسد الله وسيد الشهداء:

إذا قيل: «أسد الله» انصرف ذهن السامع إلى ذلكم البطل المجاهد حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب... الإمام البطل الضرغام - أسد الله - أبو عامرة، وأبو يعلى القرشى الهاشمى المكى ثم المدنى، البدرى الشهيد، عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخوه من الرضاعة.

لقد كان لحمزة مواقف تسطر بماء الذهب، بل سطرها التاريخ بأحرف من نور وحضنها بين دفتيه يخبر بها أجيال المستقبل؛ لكى يستفيدوا من تلك المواقف الغابرة الماضية، لقد سطر التاريخ سيرة أفضل جيل شهدته البشرية، فوالله لو حلفنا بين الركن والمقام لحلفنا: أنه لم تعرف البشرية جيلًا مثل جيل الصحابة، نبلًا وعدلًا، وعزة وتضحية، وإيمانًا وصدقًا فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

«وليس فى الأمة كالصحابة فى الإصابة للحكم المشروع، والهدى المتبوع، فهم أحق الأمة فى إصابة الحق والصواب وأجد الخلق بموافقة السنة والكتاب، ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من كان متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومهم هديا، وأحسنهم حالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[1].

وآن الأوان أن نتحدث عن سيد الشهداء الذى قال فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى جمع وإعداد محمد عبد الهادى المصرى (ص ٣١).

«سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر، أمره ونهاه، فقتله»[(١)].

وعن سعد بن أبى وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان حمزة يقاتل يوم أحد بين يدى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسيفين، ويقول: أنا أسد الله»[(٢)].

لقد صال حمزة بسيفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ميمنة وميسرة يهد الناس بسيفه هدًّا، لا يمر بشىء إلا قطعه، مدافعًا عن كلمة لا إله إلا الله وبينما هو كذلك، كان هنالك من يترصد له ليقتله، وذلك لأن حمزة كان بغيته المنشودة، فبقتله يذوق وحشى طعم الحرية كما وعده مولاه جبير بن مطعم، حيث يقول وحشى: «ورأيت رجلًا إذا حمل لا يرجع حتى يهزمنا، فقلت من هذا؟ قالوا: حمزة قلت: هذا حاجتى».

ولنقرأ قصته فى أصح كتاب من كتب السنة، ونورد بعض الفوائد منها. قال البخارى: «باب قتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال البخارى: وحدثنى أبو جعفر محمد بن عبد الله حدثنا جحين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة عن عبد الله بن الفضل عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية

---

(١) حسن: أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٥) من طريق رافع بن أشرس المروزى، حدثنا خليد الصفار، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فذكروه، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ورده الذهبى بقوله: «الصفار لا يدرى من هو؟!».
قلت: ومثله رافع بن أشرس المروزى فقد ذكره ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ٤٨٢) ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلاً ؛ فهو مجهول الحال -أيضـًا-.
وللحديث طريق أخرى يتقوى به ويصح ؛ أخرجه الخطيب فى «التاريخ» ٦/ ٣٧٧ و١١/ ٣٠٢ من طريق عمار بن نصر ، وأحمد بن شجاع المروزى ، عن حكيم بن زيد الأشعرى ، عن إبراهيم الصائغ ، به.
قلت : إسناده حسن ، فيه حكيم بن زيد ، ذكره ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ٢٠٤) (١/ ٢/ ٢٠٤) وقال: «سألت أبى عنه، فقال: صالح، هو شيخ».
قلت: وحسن إسناده الشيخ العلامة الألبانى رحمه الله فى «الصحيحة» (٣٧٤)، و«صحيح الجامع» (٣٦٧٥).

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ١٢) والحاكم (٤/ ١٩٤)، من طريق ابن عون، عن عمير بن إسحاق مرسلًا عن سعد بن أبى وقاص قال: فذكره، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

الضمرى قال: «خرجت مع عبيد الله بن عدى بن الخيار، فلما قدمنا حمص، قال لى عبيد الله بن عدى: هل لك فى وحشى نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم، وكان وحشى يسكن حمص، فسألنا عنه، فقيل لنا: هو ذلك فى ظل قصره كأنه حميت، قال: فجئنا حتى وقفنا على بيسير، فسلمنا، فرد السلام، قال وعبيد الله معتجر بعمامته ما يرى وحشى إلا عينيه ورجليه فقال عبيد الله: يا وحشى أتعرفنى؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله، إلا إنى أعلم أن عدى بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبى العيص، فولدت له غلامًا بمكة فكنت استرضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه، فلكأنى نظرت إلى قدميك، قال: فكشف عبيد الله وجهه ثم قال: ألا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن حمزة قتل طعيمة بن عدى بن الخيار ببدر فقال لى مولاى جبير ابن مطعم: إن قتلت حمزة بعمى فأنت حر، قال: فلما أن خرج الناس عام عينين، وعينين جبل بحيال أحد، بينهما واد - خرجت مع الناس إلى القتال: فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطعة البظور، أتحاد الله ورسوله ﷺ؟ قال ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا منى رميته بحربتى فأضعها فى ثنته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلًا فقيل لى: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآنى قال لى: «**أنت وحشى؟**» قلت: نعم. قال: «**أنت قتلت حمزة؟**» قلت: قد كان من الأمر ما بلغك. قال: «**فهل تستطيع أن تغيب وجهك عنى؟**» قال: فخرجت، فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب قلت لأخرجن إلى مسيلمة لعلى أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان قال: فإذا رجل قائم فى ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس، قال فرميته بحربتى، فوضعتها بين ثدييه

حتى خرجت من بين كتفيه، قال ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته قال: قال عبد الله بن الفضل: فأخبرنى سليمان بن يسار أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: «فقالت جارية على ظهر بيت: وا أمير المؤمنين قتله العبد الأسود»(١).

بيان بعض مفردات الحديث:

معتجز: أى لاف عمامته على رأسه من غير تحنيك.

مقطعة البظور: بالظاء المعجمة جمع بظر وهى اللحمة التى تقطع من فرج المرأة عند الختان.

قال ابن إسحاق: كانت أمه ختانة بمكة تختن النساء. اهـ.

والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم وإلا قالوا خاتنة.

أتحاد: بمهملتين، وتشديد الدال أى: أتعاند، وأصل المحاددة أن يكون ذا فى حد وذا فى حد، ثم استعمل فى المحاربة والمعاداة.

كأمس الذاهب: هى كناية عن قتله أى صيره عدمًا، وفى رواية ابن إسحاق: كانت فكأنما أخطأ رأسه» وهذا يقال عند المبالغة فى الإصابة.

كمنت: بفتح الميم أى اختفيت.

فى ثنته – بضم المثلثة وتشديد النون هى العانة، وقيل ما بين السرة والعانة.

فأكافئ به حمزة – بالهمزة أى أساويه به(٢).

---

(١) أخرجه البخارى (٤٠٧٢) والطبرانى فى «الكبير» (٢٩٤٩)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٩٧ – ٩٨) وفى «الدلائل» (٣/ ٢٤١)، وأحمد (٣/ ٥٠١) (١٦٠٧٧) والطيالسى بنحوه (١٣١٤) والبيهقى (٩/ ٩٧) وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٢٩٤٧) و (٢٩٥٠) وفى الأوسط (١٨٢١)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٤/ ٦٣٨) وابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثانى» (٤٨٣) من طرق عن محمد بن إسحاق وقد صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث. وانظر: «الفتح» (٧/ ٤٢٥ – ٤٢٩)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ١٥ – ١٨).

(٢) «الفتح» (٧/ ٤٢٧ – ٤٢٨).

حمزة يُمثل به:

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من رأى مقتل حمزة؟» فقال رجل: أعزك الله أنا رأيت مقتله، فانطلق فوقف على حمزة فرآه قد شق بطنه، وقد مثل به فقال يا رسول الله قد مثل به فكره رسول الله أن ينظر إليه ووقف بين ظهرانى القتلى وقال: «**أنا شهيد على هؤلاء لفوهم بدمائهم فإنه ليس مجروح يجرح فى سبيل الله إلا جاء جرحه يوم القيامة يدما لونه لون الدم وريحه ريح المسك قدموا أكثرهم قرآنًا واجعلوه فى اللحد**»[1].

صفية بنت عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكيف تلقت خبر المثلة بأخيها:

قال ابن إسحاق: وقد أقلبت فيما بلغنى صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنها الزبير بن العوام: «**ألقها فارجعها لا ترى ما بأخيها**» فقال لها: يا أمه، إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرك أن ترجعى، قالت: ولم؟ وقد بلغنى أن قد مثل بأخى وذلك فى الله؟ فما أرضانا بما كان

(١) صحيح قال الهيثمى رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح: «المجمع» (٦/ ١١٩)، والترمذى (١٠٣٦)، وأخرج الجزء الأخير منه كل من: «البخارى» (١٣٤٣ و١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧و ١٣٥٣ و ٤٠٧٩) وأبو داود (٣١٣٨)، و(٣١٣٩) والترمذى (١٠٣٦) والنسائى (٤/ ٦٧) وابن ماجه (١٥١٤)، وابن حبان (٣١٩٧) والدارقطنى (٤/ ١١٧)، والبيهقى (٤/ ١٠ - ٣٤)، والبغوى (١٥٠٠) من طريق الليث بن سعد عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن جابر به ورواه أحمد (٢٣٦٥٨)، وسعيد بن منصور فى «السنن» (٢٥٨٤) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٩٠) من طريق محمد بن إسحاق به، وإسناده حسن، ورواه النسائى ٤/ ٧٨ و٦/ ٢٩ ، عن معمر ورواه الطحاوى فى «مشكل» ١/ ٩٩ عن عمر بن الحارث ، ورواه سعيد بن منصور (٢٥٨٣) ، وأحمد ٥/ ٤٣١ عن سفيان ، وأبو بكر الشافعى «الفوائد» (٤٢٧) وعنه ابن الأثير فى «أسد الغابة» ٣/ ٨٥ من طريق : عباد بن إسحاق أربعتهم عن ابن شهاب به ، وقد رواه عبد الله بن صعير عن جابر بن عبد الله ، أخرجه عبد الزراق (٦٦٣٣) و(٩٥٨٠) وعنه أحمد (٢٣٦٦٠) ، وأبو يعلى (١٩٤٧) و(٢٠٠٩) ، والبيهقى ٤/ ١١ عن معمر عن ابن شهاب عن عبد الله بن صُعَيْر عن جابر وإسناده صحيح.

من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله، فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك قال: «**خل سبيلها**» فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن[(١)].

تكفين حمزة رضي الله عنه:

من حديث الزبير رضي الله عنه السابق: «أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبى ﷺ أن تراهم، فقال: المرأة المرأة! قال الزبير: فتوسمت أنها أم صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهى إلى القتلى، قال فلدمت فى صدرى، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك لا أرض لك، قال: فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك، قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخى حمزة فقد بلغنى مقتله، فكفنوه فيهما، قال: فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن نكفن حمزة فى ثوبين والأنصارى لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصارى ثوب، فقدرناهما، فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنا كل واحد منهما فى الثوب الذى صار له»[(٢)].

وعن أبى أسيد الساعدى قال: «أنا مع رسول الله ﷺ على قبر حمزة بن عبد المطلب؛ فجعلوا يجرون النمرة[(٣)] على وجهه فينكشف قدماه ويجرونها على

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٤٨)، وإسناده حسن؛ رواه ابن إسحاق معلقًا، ورواه مرسلًا: البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٨٩)، من طريق: هشام بن عروة عن أبيه به، ووصله أحمد (١/ ١٦٥) (١٤١٨) فقال: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن بن أبى الزناد، عن هشام عن أبيه عن جده بنحوه، وإسناده حسن، ورواه البزار (٩٨٠) وأبو يعلى (٦٨٢) والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٤٠١ - ٤٠٢)، من طريق: سليمان بن داود به، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١١٨) بعد عزوه لهؤلاء: وفيه عبد الرحمن بن أبى الزناد، وهو ضعيف وقد وثق قلت: بل هو حسن الحديث إن شاء الله.
وتابعه يونس عن هشام، لكنه أرسله كما سبق، وصححه الشيخ العلامة أحمد شاكر فى تعليقه على «المسند» (٣/ ١٣ - ١٤).

(٢) انظر: التعليق السابق.

(٣) النمرة: الثوب المخطط وهو من مآزر الأعراب.

قدميه فينكشف وجهه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجعلوها على وجهه واجعلوا على قدميه من هذا الشجر قال: فرفع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسه فإذا أصحابه يبكون فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتى على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يصبر على لأوائها[1] وشدتها أحد إلا كنت له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة[2].

النساء يبكين حمزة:

عن ابن عمرو وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «لما رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحد سمع نساء الأنصار يبكين، فقال: «**لكن حمزة لا بواكى له**» فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة، فنام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم استيقظ وهن يبكين! فقال: «**يا ويحهن مازلن يبكين منذ اليوم فليبكين، ولا يبكين على هالك بعد اليوم**»[3].

حمزة ووحشى بين الشهادة والإسلام:

وعن وحشى قال: أتيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لى: «**وحشى!**»، قلت: نعم، قال: «**قتلت حمزة**»، قلت: نعم، والحمد لله الذى أكرمه بيدى ولم يهنى بيده، قالت له قريش: أتحبه وهو قاتل حمزة؟! فقلت: يا رسول الله فاستغفر لى فتفل فى الأرض ثلاثة ودفع فى صدرى ثلاثة وقال: «**وحشى، أخرج فقاتل فى سبيل الله كما قاتلت لتصد**

(١) لأوائها: شدتها وضيق المعيشة فيها.

(٢) صحيح: قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١١٩): «رواه الطبرانى ورجاله ثقات وهو فى «المطالب العالية» (٤٣٢٢) وعزاه فيه إلى ابن أبى شيبة.

(٣) حسن: أخرجه ابن سعد (٣/ ١٧)، وأحمد (٤٩٨٤) و(٥٥٦٣ و ٥٦٦٦) وابن أبى شيبة (٣/ ٣٩٤)، و(١٤/ ٣٩٢ - ٣٩٣)، وابن ماجه (١٥٩١)، وأبو يعلى (٣٥٧٦) و (٣٦١٠)، والطحاوى (٤/ ٣٩٣)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٩٤٤) والحاكم (٣/ ١٩٤)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٧٠) من طرق: عن أسامة بن زيد الليثى، عن نافع عن ابن عمر، وإسناد حديث ابن عمر حسن.
قلت: أسامة بن زيد الليثى، صدوق كما قال الحافظ فى «التقريب» وحسنه الشيخ المحدث الألبانى رحمه الله فى «صحيح سنن ابن ماجه» (١٢٩٣).

عن سبيل الله»[١].

٢ - مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال الذهبى فى ترجمته: «مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى بن كلاب، السيد الشهيد، السابق، البدرى، القرشى، العبدرى»اهـ. يكنى أبا عبد الله[٢].

استشهد يوم أحد، وكان صاحب لواء المسلمين: «قاتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قتل وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى، وهو يظن أنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدًا، فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللواء على بن أبى طالب»[٣].

عن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «هاجرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نبتغى وجه الله، فوجب أجرنا على الله ومنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئًا كان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا به رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه، وجعلوا على فقال لنا النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غطوا رأسه، واجعلوا على رجله من الإذخر**» أو قال: «**ألقوا على رجله الإذخر**» ومنا من أينعت له ثمرته، فهو يهد بها[٤]».

---

(١) إسناده حسن: قال الهيثمى فى «المجمع» رواه الطبرانى وإسناده حسن.
قلنا: وله طريق أتم من هذه فى مناقب وحشى: «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢١).

(٢) انظر ترجمته فى «السير» (١/ ١٤٥)، و«الطبقات» لابن سعد (٣/ ١٧) و(١١٦ - ١٢٢) و(٤٢٠) و«الجرح والتعديل (٨/ ت١٤٠٠)، و«حلية الأولياء» (١/ رقم١٢)، و«الإصابة» (٣/ ٤٠١)، وغير ذلك.

(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ١٨) وذكره الحافظ فى «الفتح» عن ابن إسحاق، ورواه عن ابن إسحاق ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٤/ ٣٨٨).

(٤) أخرجه البخارى (١٢٧٦ و٣٨٩٧ و٣٩١٣ و٣٩١٤ و٤٠٤٧ و٤٠٨٢ و٦٤٣٢ و٦٤٤٨) ومسلم (٩٤٠)، وأبو داود (٣١٥٥)، والترمذى (٣٨٥٣) والنسائى (٤/ ٣٨ - ٣٩) وعبد الرزاق (٦١٩٥)، والحميدى (١٥٥)، وأحمد (٥/ ١٠٩، ١١١ - ١١٢) وابن الجارود فى «المنتقى» (٥٢٢) وابن حبان =

«وعن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى بطعام وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير منى، كفن فى بردة إن غطى بدت رجلاه، وإن غطى رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير منى ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا، ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام[1].

٣ - عبد الله بن عمرو بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **والد جابر بن عبد الله:**

أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرًا، واستشهد يوم أحد.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما حضر أحد دعانى أبى من الليل فقال: «ما أرانى إلا مقتولًا فى أول من يقتل من أصحاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنى لا أترك بعدى أعزَّ على منك، غير نفس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن علىَّ دينًا فاقض واستوص بأخواتك خيرًا فأصبحنا فكان أول قتيل، ودفن معه آخر فى قبر، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعْتُه هنيَّةً غير أذنه»[2].

وعن جابر - أيضًا - قال: «لما قتل أبى يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكى، وجعل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهونى ولا ينهانى، وجعلت عمتى تبكيه، فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تبكيه أو لاتبكيه، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه»**[3].

= (٧٠١٩)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٤٠١) والطبرانى فى «الكبير» (٣٦٥٧ - ٣٦٦٤) والبغوى (١٤٧٩) من طرق عن الأعمش، عن شقيق أبى وائل به وقوله: «يهد بها» أى يجنيها ولا يأكل منها.

(١) أخرجه البخارى(١٢٧٤و١٢٧٥و٤٠٤٥) وابن حبان (٦٠١٨)، والطحاوى فى «مشكل» (٤٠٤٨).

(٢) أخرجه البخارى (١٣٥١ و ١٣٥٢) والحاكم (٣/ ٢٠٣)، وصححه ووافقه الذهبى، وأخرجه ابن سعد (٣/ ١٠٦)، وانظر غير مأمور «الفتح» (٣/ ٢٥٤) فما بعد.

(٣) أخرجه البخارى (١٢٤٤ و ٤٠٨٠) ومسلم (١٣٠/ ٢٤٧١)، والنسائى فى الجنائز، باب فى البكاء على الميت (٤/ ١٣)، وأحمد (٣/ ٢٩٨ و ٣٠٧).

تكليم الله تعالى لعبد الله بن عمرو بن حرام كفاحًا:

وعنه أيضا رضي الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا أخبرك أن الله كلم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدى! سلنى أعطك، قال: أسألك أن تردنى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانيا، فقال: إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب! فأبلغ من ورائى، فأنزل الله:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩][(١)]».

---

(١) حسن: أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٦١)، والحميدى (١٢٦٥)، وعبد بن حميد (١٠٣٩)، وأبو يعلى (٢٠٠٢) من طريق سفيان بن عيينة به.

وهذا إسناد حسن من أجل عبد الله بن محمد بن عقيل، ومحمد بن على بن ربيعة هو ابن عم منصور بن المعتمر، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: شيعى صدوق لا بأس به، صالح الحديث، «تعجيل المنفعة» (٩٦٢).

وأخرجه الحاكم (٢/ ١١٩ - ١٢٠): من طريق أبى إسحاق الفزارى عن أبى حماد الحنفى عن ابن عقيل قال: سمعت جابر فذكره فى جزء من حديث طويل، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» فقال الذهبى متعقبًا: «أبو حماد هو المفضل بن صدقة، قال النسائى: متروك.

وأخرجه الطبرى فى «التفسير» (٤/ ١٧٢) ثنا ابن حميد ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق، وحدثنى بعض أصحابى عن عبد الله بن محمد بن عقيل، به وهذا إسناد ضعيف لجهالة أصحاب ابن إسحاق.

وأخرجه الترمذى (٣٠١٣) وابن ماجه (١٩٠ و ٢٨٠٠) وابن حبان (٧٠٢٢)، والحاكم (٣/ ٢٠٣ - ٢٠٤) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٦٠٢) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٩٨) والواحدى فى «أسباب النزول» (ص ٨٦) من طرق ثلاثة عن موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصارى قال: سمعت طلحة بن خراش قال: سمعت جابر بن عبد الله ... فذكر الحديث بأتم مما هنا، وقال الترمذى: حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

وأخرجه ابن أبى عاصم (٦٠٣) من طريق صدقة أبى معاوية عن عياض بن عبد الله عن جابر، به مختصرًا، وصدقة هو ابن عبد الله السمين، أبو معاوية ضعيف؛ لكن يشهد له ما تقدم.

وزاد السيوطى نسبه فى «الدر» (٢/ ١٦٨) إلى ابن خزيمة وابن مردويه، وفى الباب عن عائشة عند الحاكم (٣/ ٢٠٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٩٨)، والبزار (٢٧٠٦) لكن حسن فى الشواهد فقط، والإسناد فيه ضعف.

قلت:وهو عند ابن خزيمة فى «صحيحه» (٢/ ٥٩٩)، والحديث صححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وحسنه الترمذى وقال ابن كثير: «إسناده جيد»، والحديث زاد نسبته السيوطى إلى الطبرانى.

٤ - طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد العشرة ودفاعه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان أحد، وولى الناس، كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى ناحية فى اثنى عشر رجلًا منهم طلحة، فأدركهم المشركون فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من للقوم؟**» قال: طلحة أنا، قال: «**كما أنت**» فقال رجل: أنا، قال: «**أنت**»، فقاتل حتى قتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: «**من لهم؟**» قال طلحة: أنا، قال: «**كما أنت**»، فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «**أنت**» فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبى الله طلحة، فقال: «**من للقوم؟**» قال: طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه، فقال: حسس، فقال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو قلت باسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون**» ثم رد الله المشركين»[(١)].

وعن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة، قال: الزبير فسمعت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أوجب طلحة**»[(٢)].

وعن جابر أيضًا أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه النسائى فى الجهاد باب ما يقول من يطعنه العدو (٦/ ٢٩ - ٣٠) وأخرج الحاكم معناه فى «المستدرك» (٣/ ٣٦٩) ووثق رجاله الذهبى.

(٢) حسن: فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وأخرجه الإمام أحمد (١٤١٧) وابن المبارك فى «الجهاد» (٩٣)، وابن أبى شيبة (٧/ ٥٠٩/ ٥)، وابن سعد (٣/ ٢١٨) والترمذى (١٦٩٢ و ٣٧٣٨) وفى «الشمائل» (١٠٣) وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٣٩٧ و ١٣٩٨) وأبو يعلى (٦٧٠)، وابن حبان (٦٩٧٩) والحاكم (٣/ ٣٧٣ - ٣٧٤) والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٧٠)، والطبرى (٢/ ٥٢٢) والبغوى (٣٩١٥) من طرق عن محمد بن إسحاق به، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوجب طلحة**»: أى عمل عملًا أوجب له الجنة.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٣٩)، وابن عساكر فى «التاريخ» (٢٥/ ٨٧) من طريق الصلت بن دينار،

وعن قيس بن أبى حازم قال: «رأيت يد طلحة التى وقى بها النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد شلاء»(١).

٥ - عمرو بن الجموح ورجاؤه أن يطأ بعرجته فى الجنة:

عن أبى قتادة الأنصارى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم**»، فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «**كأنى أنظر إليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة**» فأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهما وبمولاهما فجعلوا فى قبر واحد»(٢).

٦ - غسيل الملائكة حنظلة:

عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «سمعت رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عند قتل حنظلة بن أبى عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان حين علاه شداد بن الأسود بالسيف

= عن أبى نضرة، عن جابر به، ورواه الطيالسى (١٧٩٣) وعنه ابن عساكر (٢٥/ ٨٧)، وابن ماجه (١٢٥) بنحوه عن جابر، وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة (١٢٦)، وله طرق كثيرة ذكرها الحافظ ابن عساكر فى «تاريخه» (٢٥/ ٨٦ - ٨٧).

(١) أخرجه البخارى (٣٧٢٤، ٤٠٦٣)، وابن ماجه (١٢٨)، وأحمد (١/ ١٦١).

(٢) حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» (٥/ ٢٩٩)، من طريق: حيوة، حدثنا أبو صخر حميد بن زياد، أن يحيى بن النضر حدثه، عن أبى قتادة به...

وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٤٦) من طريق: ابن إسحاق، وذكره ابن الأثير (٣/ ٧٠٤) قال الحافظ فى «الفتح»: «إسناده حسن» قلت: من أجل حميد بن زياد ففيه بعض الوهم؛ ومن أوهامه: أن الذى قتل معه ليس ابن أخيه، وإنما هو ابن عمه، وهو عبد الله بن حرام، والقرابة من بعيد، كما قال أهل السير، ولكن كان بينهما صفاء ومحبة، والوهم الثانى: أن الذى دفن معه هو عبد الله بن حرام لما سبق بيانه، وليس مولاه، كما روى البخارى (١٣٥١، ١٣٥٢) عن جابر قال: «دفن مع أبى رجل» الحديث وهو كما بينه البيهقى فى «الدلائل» عمرو بن الجموح، (٣/ ٢٩١) وذكر ابن حجر فى «الإصابة» (٢/ ٣٧) أنه عبد بن جحش.

فقتله، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته»** فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لذلك غسلته الملائكة»**[1].

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ليأتين على الناس زمان، يكون أفضل الناس فيه منزلة، رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، كلما سمع بهيعة استوى على متنه، ثم طلب الموت مظانه، ورجل شعب من هذه الشعاب يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويدع الناس إلا من خير»**[2].

---

(١) صحيح: ذكره ابن جرير (٢/ ٥٢٢)، من محمد بن إسحاق وذكره ابن عبد البر فى «الاستيعاب» (١/ ٣٨١) من طريق: حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لامرأة حنظلة: «ما شأنه؟» فذكره، وهو مرسل ورواه مسندًا من طريق محمد بن إسحاق، أبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٤١٩)، و«الحلية» (١/ ٣٥٧)، قال: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد فذكره، وإسناده حسن.
وله شاهد أو طريق أخرى: رواه الحاكم (٣/ ٢٠٤) وابن حبان (٧٠٢٥ - إحسان) والبيهقى فى «السنن» (٤/ ١٥) من حديث ابن إسحاق، حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله، عن أبيه، عن جده - فذكره، وقال الحاكم: وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبى، وهو كما قالا، على أن محمد بن إسحاق أخرج له مسلم فى «المتابعات» فالإسناد حسن لأجله، فقد صرح بالتحديث، وله شاهد من هذا الحديث وصححه النووى والألبانى فى «الإرواء» (٣/ ١٦٧ - ١٦٨) «افتخر الحيان من الأنصار الأوس والخزرج، فقالت الأوس: «منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب، ومنا من اهتز له عرش الرحمن سعد ابن معاذ ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت» وقال الخزرجيون: «منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله لم يجمعه غيرهم: زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبى بن كعب، ومعاذ بن جبل» رواه أبو يعلى (٢٩٥٣)، والبزار (٢٠٤٦ - زوائد) وقال الحافظ: «إسناده صحيح» وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٤٢٠) والطبرانى فى «الكبير» (٣٤٨٨) وقال البوصيرى: «إسناده حسن» وهو فى «الصحيح» الجزء الأخير منه برقم (٣٨١٠) و(٣٩٩٦ و ٥٠٠٣ و ٥٠٠٤) وصححه الألبانى راجع الإرواء (٣/ ١٦٧ - ١٦٨) و«أحكام الجنائز» (ص ٧٤ - المعارف).

(٢) أخرجه الإمام مسلم (١٨٨٩)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٨٣٠ و ١١٢٧٧)، وابن ماجه (٣٩٧٧)، وابن أبى شيبة (٥/ ٢٩١)، وسعيد بن منصور فى «السنن» (٢٤٣٦) وأحمد (٩٧٢٣ و ١٠٧٦٦) و(١٠٧٧٩) ولفظ مسلم: **«من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة»**.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أصيب حمزة بن عبد المطلب، وحنظلة بن الراهب، وهما جنبان، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**رأيت الملائكة تغسلهما**»[(١)].

٧ - لحاق اليمان أبى حذيفة وثابت بن وقش بالمسلمين فى أحد واستشادهما بعد المقاتلة:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: لما خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أحد رفع حسيل ابن جابر «وهو اليمان أبو حذيفة ابن اليمان» وثابت بن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبالك، ما تنتظر؟ فوالله بقى لواحد منا من عمره إلا ظمأ حمار إنما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا فى الناس، ولم يعلم بهما فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين، فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبى والله، فقالوا: والله إن عرفناه وصدقوا، قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فأراد رسول الله أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرًا»[(٢)].

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الطبراني فى «الكبير» (١٢٠٩٤) وقال الهيثمى (٣/ ٢٣) «إسناده حسن» وأخرجه الحاكم (٣/ ١٩٥) دون ذكر حنظلة وقال: «صحيح الإسناد»، وتعقبه الذهبى فأصاب كما قال الشيخ المحدث الألبانى فى «أحكام الجنائز» (ص ٧٥) ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ «لكن له شاهد مرسل قوى أخرجه ابن سعد عن الحسن البصرى مرفوعًا مثله، وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات».اهـ. من «أحكام الجنائز».

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ٣٦ - ٣٧) والخبر إسناده صحيح، ورواه الطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٥٣٠) وابن الأثير فى «أسد الغابة» (١/ ٥٦٣) من طريق محمد بن إسحاق به، وذكره الحافظ فى «الإصابة» فى موضعين الأول فى ترجمة ثابت (١/ ٢٠٤) ثم قال عقبة: وفى الصحيح قصة والد حذيفة من حديث عائشة، لكنه ليس فيه ذكر ثابت، ثم قال: (٢/ ١٣) فى ترجمة (حسيل) بعد ذكره للحديث: وروى البخارى بعض هذه القصة من طريق: هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قلت: هو فى «الصحيح»

٨ - أنس بن النضر صدق ما عاهد الله عليه:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «عمى الذى سميت به لم يشهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم بدرًا، قال: فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيبت عنه، وإن أرانى الله مشهدًا، فيما بعد، مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليرانى الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها.

قال: فشهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: يا أبا عمرو وأين؟ واهًا لريح الجنة أجده دون أحد، فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد فى جسمه بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، قال: فقالت أخته عمتى الربيع بنت النضر: فما عرفت أخى إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه» وهذا لفظ مسلم[(١)].

(٤٠٦٥) من هذا الطريق بنحوه ثم قال الحافظ: وروى السراج فى «تاريخه» من طريق عكرمة أن والد حذيفة بن اليمان قتل يوم أحد، قتله رجل من المسلمين وهو يظن أنه من المشركين فوداه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ورجاله ثقات» وقال الحافظ: وله شاهد أخرجه أبو إسحاق الفزارى فى كتاب «السيرة» عن الأوزعى عن الزهرى قال: أخطأ المسلمون بأبى حذيفة يوم أحد حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فبلغت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزاده عنده خيرًا ووداه من عنده.

قلت: وصله ابن عساكر من طريقين الأول (١٢/ ٢٦٤) من طريق: يونس، الثانى: (١٢/ ٢٦٥) من طريق: عقيل، كلاهما عن الزهرى، أخبرنا عروة: أن حذيفة فذكره وإسناده صحيح.

وقوله: «ظمأ حمار» الظمأ: مقدار ما يكون بين الشربتين، ولأن أقصر ظمأ ظمأ الحمار لذا ضرب به المثل.

الهامة: زعم كانت العرب تزعمه قديمًا، أن القتيل إذا قتل خرج طائر من رأسه لا يزال يصيح، اسقونى اسقونى اسقونى، حتى يؤخذ بثأره فضربته العرب مثلًا للموت.

(١) **صحيح**: رواه من طرق عن حميد عن أنس كل من: ابن أبى شيبة (٥/ ٣١٢)، والبخارى (٢٨٠٥)، و(٤٠٤٨)، وعبد بن حميد (١٣٩٦)، والترمذى (٣٢٠١) والنسائى فى «الكبرى» (١١٤٠٣) والطبرى (٢١/ ١٤٧)، والطبرانى فى «الكبير» (٧٦٩)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٢١) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٤٤ - ٢٤٥) والبغوى (٣/ ٥٢٠) وابن الأثير (١/ ١٥٥) وغيرهم ورواه مسلم (١٤٨/ ١٩٠٣) والترمذى (٣٢٠٠) والنسائى فى «الكبرى» (٨٢٩١) وأحمد (٣/ ١٤٩) وأبو عوانة (٥/ ٣٨)،

٩ - عبد الله بن جحش وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنهما ودعوتهما.

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه: «أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا تدعو الله، فخلوا فى ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقنى رجلًا شديدًا بأسه، شديدًا حرده، أقاتله ويقاتلنى، ثم ارزقنى الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه ، فأمن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقنى رجلًا شديدًا حرده شديدًا بأسه، أقاتله فيك ويقاتلنى، ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى، فإذا لقيتك غدًا، قلتَ: من جدع أنفك وأذنك، فأقول: فيك وفى رسولك، فتقول صدقت، قال سعد: يا بنى كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرًا من دعوتى، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان فى خيط»[1].

١٠ - سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أحد العشرة ودفاعه عن النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد:

عن على رضي الله عنه قال: «ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن أبى وقاص فإنى سمعته يقول يوم أحد: «**يا سعد ارم فداك أبى وأمى**»»[2].

= والطيالسى (٢٠٤٤) وابن حبان (٧٠٢٣)، والواحدى (ص ٢٣٨) من طريق: ثمامة بن عبد الله، عن جده، عن أنس، قال: «نرى هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر».

(١) أخرجه البيهقى فى «السنن» (٩/ ٢٤)، و«الدلائل» (٣/ ٢٥٠) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٠٩)، والحاكم (٣/ ١٩٩ - ٢٠٠) وقال: صحيح على شرطهما لولا إرساله، ووافقه الذهبى، وقال: «صحيح مرسل» وابن سعد ٣/ ٦٣ ، وقال الهيثمى فى «المجمع» ٩/ ٣٠١-٣٠٢ : «رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح» وله شواهد متصلة من طريق إسحاق بن سعد بن أبى وقاص كما فى «الإصابة» (٤٥٨٣) والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٠٧ - ٣٠٨) والحاكم (٢/ ٧٦ - ٧٧) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٠٩) وصححه الحاكم وأقره الذهبى موصولًا من حديث إسحاق بن سعد. وهذا إسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخارى (٢٩٠٥) و (٤٠٥٩) و (٦١٨٤)، ومسلم (٢٤١١) والترمذى (٢٨٢٨)، و(٢٨٢٩) (٣٧٥٣) والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» (١٩١، ١٩٢، ١٩٤) وابن ماجه (١٢٩)، والطيالسى (١٠٢)، وابن سعد (٣/ ١٤١)، وابن أبى عاصم (١٤٠٥)، وأحمد (٧٠٩، ١٠١٧، ١١٤٧ و ١٣٥٧) وأبو يعلى (٤٢٢)، وابن حبان (٦٩٨٨)، والبغوى (٣٩٢٠)، من طرق عن على بن أبى طالب رضي الله عنه.

وعن سعد بن أبى وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «نثل[١] لى النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنانته[٢] يوم أحد فقال: «ارم فداك أبى وأمى»[٣].

١١ - استشهاد سعد بن الربيع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسؤال النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه:

قال ابن إسحاق: حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى، أخو بنى النجّار: أن النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع أفى الأحياء هو أم فى الأموات؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد، فنظر فوجده جريحًا فى القتلى وبه رمق، قال: فقلت له: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات، قال: أنا فى الأموات، فأبلغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنى السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن أمته، فأبلغ قومك عنى السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: [إنه] لا عُذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنكم عينٌ تطرف، قال: ثم لم أبرح حتى مات، قال: فجئت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته خبره[٤].

---

(١) نثل: استخرج ما فيها من السهام.

(٢) الكنانة: جعبة السهام.

(٣) أخرجه البخارى (٤٠٥٥) وغيره، وانظر التعليق السابق.

(٤) «السيرة النبوية» (٣/ ٤٦)، والخبر إسناده صحيح إلا أنه مرسل، رواه عن ابن إسحاق ابن جرير فى «التاريخ» (٢/ ٥٢٨)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٨٥) وابن المبارك فى «الجهاد» (١/ ١٠٨) والحاكم (٣/ ٢٠١)، وسعيد بن منصور فى «السنن» (٢٨٤٢)، من طرق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن به، وهو معضل، ورواه مالك (٢/ ٤٦٥/ ٤١)، وابن سعد (٣/ ٣٩٦) من طريق: يحيى ابن سعيد فذكره معضلًا، ورواه الحاكم (٣/ ٢٠١)، من طريق: أبى صالح عبد الرحمن بن عبد الله الطويل، ثنا معن بن عيسى، عن مخرمة بن بكير، عن أبيه، عن أبيه، عن أبى حازم، عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه، قال: بعثنى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر نحوه وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبى. والحديث صحيح بمجموع طرقه.

١٢ - من أهل الجنة ولم يسجد لله سجدة!:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يقول: «حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو، فيقول: أُصيرم [من بنى عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وَقَش] قال الحصين: فقلت لمحمود بن لبيد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يومُ خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أحد بدا له فى الإسلام، فأسلم، ثم أخذ سيفه؛ فعدا حتى دخل فى عُرْض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، قال: فبينا رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإن لمُنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو، أحدبٌ على قومك أم رغبة فى الإسلام؟ قال: بل رغبة فى الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفى فغدوت مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى، ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم، فذكروه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إنه لمن أهل الجنة**»[(١)].

١٣- أبو طلحة الأنصارى ودفاعه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم أحد انهزم ناس عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو طلحة بين يديه مجوبًا عليه[(٢)] بحجفة، وكان راميا شديدًا النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل، فيقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انثرها لأبى طلحة**» ثم يشرف على القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبى الله بأبى أنت، لا تشرف ألا يصيب سهم، نحرى دون نحرك[(٣)].

---

(١) إسناده حسن، رواه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ٣٩ - ٤٠) وصرَّح فيه بالتحديث ورواه عنه أحمد فى «المسند» (٥/ ٤٢٨ - ٤٢٩) (٢٣٦٣٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٤٧)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٤/ ٢٠٢) ورواه أبو داود فى الجهاد، باب فيمن يسلم ويقتل مكانه فى سبيل الله ﷻ (٢٥٣٧).

(٢) مجوبًا عليه: مترس عليه ليقيه من الكفار.

(٣) أخرجه البخارى (٣٨١١ و ٤٠٦٤)، ومسلم (١٨١١)، وأحمد (٣/ ١٠٥، ٢٥٦، ٢٨٦)، وقوله أبي

١٤ - الأنصار السبعة الذين ضحوا بأنفسهم للدفاع عن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه، قال: «**من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقى فى الجنة**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا: فقال: «**من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقى فى الجنة**» فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحبيه: «**ما أنصفنا أصحابنا**»[١].

١٥ - ردّ النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عين قتادة بعد سقوطها على وجنته :

قال ابن إسحاق: وحدَّثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رمى عن قوسه حتَّى اندقت سيتها[٢] فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عينُ قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته.

قال ابن إسحاق: فحدَّثنى عاصم بن عمر بن قتادة، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردَّها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما[٣].

= طلحة: «نحرى دون نحرك»: أى جعل الله نحرى أقرب إلى السهام من نحرك لأصاب بها دونك.

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٩)، وقوله: «**ما أنصفنا أصحابنا**»: أى ما أنصف قريش الأنصار لكون القرشيين لم يخرجا للقتال، بل خرجت الأنصار واحدًا بعد واحد، وذكر القاضى وغيره أن بعضهم رواه: «**ما أنصفنا**» بفتح الفاء والمراد على هذا: الذين فروا من القتال فإنهم لم ينصفوا لفرارهم.

(٢) السيه - بكسر السين وفتح الياء مخففة - طرف القوس.

(٣) «السيرة النبوية» (٣/ ٣٠ - ٣١)، وإسناده حسن، رواه ابن سعد (٣/ ٣٤٦) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٥١) من طريق ابن إسحاق، وإسناده حسن مع إرساله، ووصله أبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٤١٨) عن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان، عن محمود بن لبيد، عن قتادة، وإسناده حسن، فإن ابن إسحاق قد صرح فى الروايتين السابقتين بالتحديث.

ورواه أبو يعلى (١٥٤٩) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٥٢) من طريق عبد الرحمن بن سليمان بن غسيل عن عاصم به، وإسناده حسن إلى عاصم؛ للكلام اليسير فى ابن غسيل، فبقيت علة الإرسال.

وأعله الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٢٩٨) بيحيى بن عبد الحميد الحمانى . شيخ أبى يعلى.

قلت: هذا الإعلال منتف هنا؛ لأن الحمانى هذا توبع عليه، تابعه مالك بن إسماعيل وهو ثقة متقن. =

١٦ - عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح وجهاده فى هذا اليوم:

قال ابن إسحاق: وقاتل عاصم بن أبى الأقلح، فقتل مسافع بن طلحة، وأخاه الجُلاس بن طلحة، كلاهما يشعره سهمًا[١]، فيأتى أمه سُلافة، فيضع رأسه فى حجرها، فتقول: يا بُنى من أصابك؟ فيقول: سمعتُ رجلًا - حين رمانى - وهو يقول: خُذها وأنا ابن أبى الأقلح، فنذرتْ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصمُ قد عاهد الله أن لا يمسَّ مشركًا أبدًا، ولا يمسه مشركٌ[٢].

تغشية النعاسُ المسلمين يوم أحد:

عن أبى طلحة الأنصارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «غشينا ونحن فى مصافنا يوم أحد، حدَّث أنه فيمن غشيه النعاس يومئذ قال: فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه، ويسقط من يدى فآخذه، والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق» وهذا اللفظ للترمذى.

وفى لفظ آخر لأبى طلحة قال: «رفعت رأسى يوم أحد فجعلت أنظر، وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته من النعاس، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤][٣].

= ورواه أبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٣١٨) من طريق أبى الفضل، عن أبيه عاصم به، والحديث قواه الشيخ الألبانى فى «بداية السول» (ص ٤٢)

(١) يشعره سهمًا: أى: صيبه به فى جسده، فيصير له مثل الشعار، والشعار: ما ولى الجسد.

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ٢٠) وذكره ابن جرير فى التاريخ (٢/ ٥١٦) وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٧/ ٦) عن محمد بن إسحاق بغير إسناد، وسيأتى بعد ذلك فى «يوم الرجيع» وذكر ابن عبد البر فى «الاستيعاب» (٢/ ٧٨٠) قصة إخفاءه.

(٣) أخرجه البخارى (٤٠٦٨ و ٤٥٦٢)، والترمذى (٣٠٠٧) و (٣٠٠٨) والنسائى فى التفسير (٢١٨)، وأحمد (٤/ ٢٩)، والحاكم (٢/ ٢٩٧)، والنسائى فى «الكبرى» كما فى «التحفة» (٣/ ٣٧٧١) وكذا أخرجه ابن جرير فى «التفسير» (٧/ ٨٠٧٤) ثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبى عدى عن حميد به، وأخرجه أيضًا: البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٧٢)، والطبرانى فى «الكبير» (٤٧٠٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح».

وعن الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقد رأيتنى مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد حين اشتد علينا الخوف، وأرسل علينا النوم، فما منَّا أحد إلا وذقنه - أو قال - ذقنه فى صدره، فوالله إنى لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير «لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ها هنا» فحفظتها، فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ إلى قوله: ﴿مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤] لقول بن قشير، قال: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ حتى بلغ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥٤]»[١].

شهادة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن أحسن القتال يوم أحد من أصحابه:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جاء على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسيفه يوم أحد قد انحنى، فقال لفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هاكِ السيف حميدًا، فإنها قد شفتنى، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«لئن كنت أجدت الضرب بسيفك، لقد أجاده سهل بن حنيف، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت ابن الأقلح، والحارث بن الصمة»**[٢].



---

(١) صحيح أخرجه الإمام الجليل: عبد بن حميد - كما فى «الدر المنثور» (٢/ ١٥٥)، وعنه الترمذى (٣٠٠٧) حدثنا روح بن عبادة، عن حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير وقال الترمذى: «حديث حسن صحيح»، وكذا أخرجه ابن جرير فى «التفسير» (٧/ ٨٠٨٦)، من طريقين عن حماد بن سلمة، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٧١).

(٢) صحيح أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٦٥٠٧ و ١١٦٤٤)، والحاكم (٣/ ٢٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٨٣)، من طريق منجاب بن الحارث التميمى، قال: «زعم سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة عن ابن عباس به فذكره».

وقال الحاكم: صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٢٣)، ورجاله رجال الصحيح.

قلت: هو على شرط مسلم فقط؛ لأن منجاب من رجال مسلم فقط.

المبحث الخامس

ما لقيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المشركين يوم أحد

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيهم** - يشير إلى رباعيته - **اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

قال ابن إسحاق: وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشقِهِ، فأصيبت رباعيته، وشج في وجهه، وكلمت شفته[2].

---

(١) صحيح: وجاء صحيحًا مسندًا عن أكثر من صحابي، منهم حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٠٦/ ١٧٩٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٦١) والبغوي (٣٧٥٠)، وجاء عنه بلفظ: «**اشتد غضب الله على قوم دمَّوا وجه رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وهشموا عليه البيضة وكسروا رباعيته**» رواه البزار (١٧٩٣ - كشف)، وأبو يعلى (٥٩٣١)، والطحاوي (مشكل) (٤٩١٥)، و«شرح المعاني» (١/ ٥٠٢)، من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة به، وإسناده حسن، ويصح بما سبق.

ومن حديث ابن عباس، وهو جزء من حديث رواه الإمام أحمد (٢٦٠٩)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٦٤٤)، والطبراني في «الكبير» (١٠٧٣١) والحاكم (٢/ ٢٩٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٦٩)، من طريق: سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عبيد الله، عن ابن عباس مطولاً، وسبق إيراده وسياقه قبل. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ورواه البخاري (٤٠٧٦) من طريق عمرو بن علي، عن أبي عاصم، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، ومن هذا الطريق رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٦٢) عن أبي عاصم به.

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ٢٦ - ٢٧) وهو صحيح وإن لم يسنده ابن إسحاق وذلك لتضمنه الأحاديث الصحيحة، التي سقناها والتي سوف نذكرها.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كسرت رباعية النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد وشجَّ فى رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله**» فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨][(١)]

وعن سهل بن سعد الساعدى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال حين سئل عن جرح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد جرح وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغسل الدم، وكان على بن أبى طالب يسكب عليها بالمجن، فلما رآت فاطمة الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رمادًا، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم»[(٢)].

---

(١) صحيح: علقه البخارى بإثر حديث رقم (٤٠٦٨) من طريق حميد وثابت، عن أنس، وجاء موصولًا عنهما من طرق، أما طريق حميد عن أنس: الأول: عن هشيم عنه: رواه الطبرى (٧٨٠٦) وابن سعد (٢/ ٤٤) وأحمد (١١٩٥٦) والترمذى (٣٠٠٢) وأبو يعلى (٣٧٣٨) وابن حبان (٦٥٧٤) الثانى: طريق يزيد بن هارون عنه: رواه أحمد (١٣٠٨٣)، والترمذى (٣٠٠٣) وابن حبان (٦٥٧٤)، الثالث: عن ابن أبى عدى عنه، رواه أحمد (١٣١٣٨)، والطبرى (٧٨٠٥)، الرابع: إسماعيل بن إبراهيم، والخامس: عن خالد عنه كلاهما عند النسائى فى «الكبرى» (١١٠٧٧)، السادس: عبد الوهاب عنه: رواه ابن ماجه (٤٠٢٧)، السابع: عن أبى بكر بن عياش. والثامن: عن بشر بن المفضل. والتاسع: عن ابن علية عنه: رواه الطبرى (٧٨٠٤ و ٧٨٠٧ و ٧٨٠٩) العاشر: عن مروان الغزاوى عنه: رواه البغوى (٣٧٤٨)، الحادى عشر: عن عبيدة عنه: رواه الواحدى فى «أسباب النزول» (٣٧٤٨) أما طريق ثابت عن أنس : فرواه أحمد (٣٦٥٧)، و(٤٠٧٢)، وعبد بن حميد (١٢٠٤)، ومسلم (١٧٩١)، وأبو عوانة ٤/ ٣٠٩، وأبو يعلى (٣٣٠١)، وابن حبان (٦٥٧٥)، والطحاوى فى «شرح المعانى» (١/ ٥٠٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٦٢ -٢٦٣) والبغوى فى «التفسير» (١/ ٣٥٠)، والواحدى فى «أسباب النزول» (٢٤٣) من طرق: عن حماد بن سلمة، عن ثابت به.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩٠) واللفظ له، وأخرجه البخارى (٤٠٧٥)، والترمذى (٢٠٨٥)، وابن ماجه (٣٤٦٤)، وأحمد (٥/ ٣٣٠، ٥٣٤) وغيرهم.

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كأنى انظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكى نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**رب اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون**»[1].

وعن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأتى المهراس، وأتاه بماء فى درقته، فأراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشرب منه، فوجد له ريحًا، فعافه، فغسل به الدم الذى فى وجهه»[2].

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما انجلى الناس عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد نظرتُ إلى القتلى، فلم أر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، فقلت: والله ما كان ليفر، وما أراه فى القتلى، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا، فرفع نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما فى خير من أن أقاتل حتى أقتل، فكسرت جفن سيفى، ثم حملته على القوم فأفرجوا لى فإذا أنا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم»[3].



(١) أخرجه البخارى (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢)، وابن ماجه (٤٠٢٥) وغيرهم.

(٢) إسناده حسن: أخرجه إسحاق بن راهوية فى «مسنده» كما فى «المطالب العالية» (٤٢٦٠) ومن طريقه ابن حبان فى «صحيحه» (٦٩٧٩ - إحسان)، من طريق ابن إسحاق: حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير، عن أبيه، عن جده عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: فذكره.

(٣) إسناده حسن: ذكره فى «المطالب العالية» (٤٣٢٣) قال البوصيرى: رواه أبو يعلى (٥٤٦) بإسناد حسن، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١١٢)، «فيه محمود بن مروان العقيلى»، وثقه أبو داود وابن حبان، وضعفه أبو زرعة وغيره» وإسناده حسن.

صفحات مشرقة من جهاد المرأة المسلمة فى يوم أحد

لقد كان للمرأة المسلمة دور كبير فى الجهاد فى سبيل الله حيث كانت تشارك بسقى العطشى وتضميد الجرحى، وصنع الطعام، بل وبالأخذ بالسلاح إذا لزم الأمر - كما فعلت أم عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأحد.

وممن شارك يوم أحد فى جلب الماء للجرحى من نساء المسلمين، أم المؤمنين عائشة، وأم سليم[١] وأم سليط[٢] ... وغيرهن.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «... ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر، وأم سليم، وإنهما لمشمرتان، أرى خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما، ثم تفرغانه من أفواههم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئات تفرغانه فى أفواه القوم ولقد وقع السيف من يدى أبى طلحة إما مرتين وإما ثلاثًا من النعاس»[٣].

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه، إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى»[٤].

---

(١) أم سليم: بنت على ملحان بن خالد الأنصارية - أم أنس بن مالك فى اسمها فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: مليكة، وقيل الرميصاء، انظر: «طبقات» ابن سعد (٨/ ٤٢٤) و«الجرح والتعديل» (٩ رقم ٢٣٧٦) و«تهذيب الكمال» (١/ ٣٥/ ٧٩٨٣) و«الإصابة» (٤/ ١٣٢١) و«السير» (٣/ ٥٣٠) ط. دار الحديث.

(٢) أم سليط: هى أم قيس بنت عبيد - كناها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بابنها سليط بن أبى سليط بن أبى حارثة - تزوجت بعد أبى سليط مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى فولدت أبا سعيد فهو أخو سليط بن أبى سليط لأمه، انظر: «الإصابة» (٤/ ٤٤١).

(٣) أخرجه البخارى (٤٠٦٤)، ومسلم (١٣٦/ ١٨١١)، وأحمد (٣/ ١٠٥، ٢٥٦، ٢٨٦).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب غزو النساء مع الرجال (١٣٥/ ١٨١٠).

وعن ثعلبة بن أبى مالك: «أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قسّم مروطًا بين نساء من نساء المدينة، فبقى منها مرط[(١)] جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين: «أعط هذا بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التى عندك يريد أم كلثوم بنت على» فقال عمر: أم سليط أحق منها، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد»[(٢)].



(١) المروط: جمع مرط، وهو كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل: هو الثوب الأخضر، انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٧/ ٤٠١).

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٧١).

المبحث السادس

الذين تولوا وعفا الله عنهم

من المعلوم بداهة أن الصحابة بشر ينتابهم ما ينتاب غيرهم من البشر مع أفضليتهم وعلو منزلتهم التى لا يجادل فيها إلا حاقد مكابر يريد هدم الدين والتنقص والازدراء بهم.

ولأفضليتهم اختارهم الله لصحبة نبيه، وجعلهم خير قرن، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** ...» الحديث بتمامه فى الصحيحين[1].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[2].

فانظر إلى هذين الحديثين وغيرهما كيف صوروا لنا المنهج الذى ينبغى أن يقف كل مسلم نحوهم، وانظر إلى جمال وروعة إضافة الأصحاب إليه ... «**أصحابى**»

(١) أخرجه البخارى (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٢٣) كلاهما من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخارى (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٢٢/ ٢٥٤١)، وأبو داود (٤٦٥٨)، والترمذى (٣٨٦٠)، وأحمد فى «المسند» (٣/ ١١)، وفى «فضائل الصحابة» (٥ و ٦ و٧ و ٦٥٤ و ١٧٣٥)، والطيالسى (٢١٨٣)، وأبو نعيم فى «أخبار أصبهان» (٢/ ١٢٢)، والبغوى (٣٨٥٦)، والخطيب فى «التاريخ» (٧/ ١٤٤). وابن أبى عاصم (٩٨٨) من حديث أبى سعيد الخدرى.

وانظر: ما كتبناه فى «شحذ السيوف والأسنة على منكرى السنة» فصل (عدالة الصحابة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وفيه رد على الخوارج والشيعة والقدرية والمعتزلة والجهمية، ومن لف لفهم.

وما كتبه الشيخ محمد عبد الرحمن المغراوى - حفظه الله -: بعنوان: «من سب الصحابة ومعاوية فأمه هاوية» وفيه التأصيلات السديدة، والنقولات المفيدة، وبيان لهذه المسألة، وأنها من مهمات العقيدة.

وكأنه يقول لنا من آذى أصحابى فقد آذانى، ومن قدَّرهم وأحبهم فذاك الذى أصاب سنتى[(١)].

والذين فرَّوا يوم أحد لم يكن ذلك نفاقًا ولا عنادًا، بل كان عارضًا وعفًا الله عنهم، أي بالاعتذار والندم لأن هذا الفرار لم يكن عن نفاق، فعادت شجاعة الإيمان وثباته إلى مركزها ونصابها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: جاء رجل من مصر يحج البيت، قال: فرأى قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا: قريش، قال: فمن الشيخ فيهم، قالوا: عبد الله بن عمر، قال: يابن عمر، إنى سائلك عن شيء، أو أنشدك، أو نشدتك بحرمة هذا البيت، أتعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنه غاب عن بدر فلم يشهده، قال: نعم، قال: وتعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان، قال، نعم، قال: فكبر المصرى، فقال ابن عمر تعال أبين لك ما سألتنى عنه، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله قد عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته ابنة رسول الله ﷺ وإنها مرضت فقال له رسول الله ﷺ: لك أجر رجل شهد بدرًا وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه، بعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان، فضرب بها يده على يده، وقال: هذه لعثمان، وقال ابن عمر: اذهب بذا الآن معك[(٢)]!!.

۞۞۞

(١) راجع فى ذلك: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للإمام اللالكائى.

(٢) أخرجه البخارى (٣٦٩٨ و ٤٠٦٦) وأحمد (٨/ ١٠١) (٥٧٧٢) واللفظ لأحمد.

المبحث السابع

منزلة الشهداء عند الله

عن مسروق قال: سألنا عبد الله - بن مسعود - عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم إطلاعة، ثم قال: هل تشتهون شيئًا، فقالوا: أي شيء نشتهي؛ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات؛ فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا»**[١].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الشهداء على بارقِ نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًا»**[٢].

عن أنس، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من نفس تموت لها عند الله خير،

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١/ ١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١١)، وابن ماجه (٢٨٠١)، وابن جرير (٨٢٠٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٣٠٣) من طريق سليمان الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق.

(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ٧٣)، ورواه عنه كل من الإمام أحمد (١/ ٢٦٦) (٢٣٩٠) وابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٠) وهناد في «الزهد» (١٦٦)، وابن أبي عاصم (١٩٩)، وعبد بن حميد (٧٢١)، وابن جرير (٨٢٠٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٨٢٥)، وفي «الأوسط» (١٢٣)، والحاكم (٢/ ٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٢٤١) وفي «إثبات عذاب القبر» (٧٨)، وابن حبان (٤٦٥٨) وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٤٢).

يسرها أن ترجع إلى الدنيا إلا الشهيد؛ فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى، لما من فضل الشهادة»[(١)].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«ما من جريح يجرح فى سبيل الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة، يدمى جرحه، اللون لون دم، والريح ريح مسك...»**[(٢)] إلى غير ذلكمن الأحاديث الصحيحة التى تدل على عظم منزلة الشهداء عند الله.

مدفن الشهداء حيث صُرعوا:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن قتلى أُحد حملوا من مكانهم فنادى منادٍ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن ردُّوا القتلى إلى مضاجعها»**.

وجاء عنه بلفظ آخر: «فبينما أنا فى الناظرين إذ جاءت عمتى بأبى وخالى عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا، إذ لحق رجل ينادى ألا إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها فى مصارعها

(١) رواه البخارى (٢٨١٧)، ومسلم (١٠٩/ ١٨٧٧)، والطيالسى (١٩٦٥)، وابن المبارك فى «الجهاد» (٢٨)، وعبد بن حميد (١١٦٧)، والدارمى (٢٤٠٩)، وأبو يعلى (٣٠٥٦ و ٣٢٢٤)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٦٣)، وفى «الشعب» (٤٢٤٤)، وأحمد (١٢٧٧١)، ومن طرق عن قتادة عن أنس بنحوه، ورواه ابن المبارك فى «الجهاد» (٢٦)، والبخارى (٢٧٩٥)، ومسلم والترمذى (١٦٤٣)، وأبو يعلى (٣٧٩٧)، والبغوى (٢٦٢٨) وأحمد (٢/ ٢٧٨)، من طرق عن حميد عن أنس به.

(٢) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٦٦٣٣)، و(٩٥٨٠) وعنه أحمد (٢٣٦٦٠)، وأبو يعلى (١٩٤٧ و ٢٠٠٩)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ١١) عن عبد الله بن صعير عن جابر بن عبد الله، وإسناده صحيح وجاء من طريق أخرى فرواه: عبد بن حميد (١١١٩)، والبخارى (١٣٤٣) وانظر أطرافه تمت، وأبو داود (٣١٣٨) و (٣١٣٩) والترمذى (١٠٣٦)، والنسائى (٤/ ٦٢)، وابن ماجه (١٥١٤)، وابن الجارود (٥٥٢)، والطحاوى فى «شرح المعانى» (١/ ٥٠١)، وفى «المشكل» (٥٩١١)، وابن حبان (٣١٩٧)، والدارقطنى (٤/ ١١٧)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ١٠ - ٣٤)، والبغوى من طريق: الليث ابن سعد، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر به.

حيث قتلت، فرجعنا بهما فدفناهما حيث قُتلا»[١].

دفن الشهداء في أحد والتقديم للأحفظ للقرآن:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «**أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟**» فإذا أشير له إلى أَحَد قدمه في اللحد، وقال: «**أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة**» وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصل عليهم ولم يغسلوا»[٢].

عدد شهداء المسلمين:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**أصابوا منَّا سبعين، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه قد أصابوا من المشركين، أراه قال يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرًا، وسبعين قتيلًا**»[٣].

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمنى الشهادة يوم أحد:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ذكر أصحاب أحد قال: «**والله لوددت أني غودرت مع أصحاب فحص الجبل**» يقول: قتلت معهم»[٤].

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٧)، مطولًا، ورواه مختصرًا برقم (١٤١٦٩)، وإسناده صحيح ورواه أبو داود (٣١٦٥)، والنسائي (٤/ ٧٩)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٥٧)، من طريق: الأسود بن قيس به، ورواه الطيالسي (١٧٨٠)، والترمذي (١٧١٧)، وابن حبان (٣١٨٣)، عن شعبة به، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في أحكام الجنائز» (ص ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤٣) و(٤٠٧٩)، وانظر أطرافه ثمت، والترمذي (١٠٣٦)، وأبو داود (٣١٣٨)، والنسائي (٤/ ٦٢)، وابن ماجه (١٥١٤) وأحمد (٥/ ٤٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٣)، وأبو داود (٢٦٦٢)، والنسائي في «التفسير» (٩٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٩٣)، والطيالسي (٢٣٤٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٨ - ٣٩)، وقد مرَّ معنا هذا الحديث بطوله..

(٤) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٥)، والحاكم (٢/ ٧٦) و(٣/ ٢٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٣٠٤) من طريق يونس بن بكير، عن ابن إسحاق به، وقد صرَّح ابن إسحاق بالتحديث، وهو صدوق.

غزوة حمراء الأسد(١)

وقتها:

قال ابن إسحاق: فلما كان الغد من يوم الأحد لستٍّ عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الناس بطلب العدو(٢).

سببها: عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قال أبو سفيان: لا محمدًا قتلتم، ولا الكواعب أردفتهم، شر ما صنعتم، فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أو بئر بنى عيينة - فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾[آل عمران: ١٧٢]، وذلك أن أبا سفيان قال للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة، فأتوه فلم يجدوا به أَحَدًا، وتسوقوا فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[عمران: ١٧٤](٣).

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت لعروة بن الزبير: «يا ابن أختى! كان أبواك منهم

= وقع فى «المسند» (نحض الجبل): وعند ابن كثير فى «السيرة» (٣/ ٨٩)، (بحضن) و«فحص الجبل» أصل الجبل وما بسط منه، تمنى أن يكون استشهد معهم يوم أحد.

(١) موضع على طريق المدينة إلى مكة، يبعد عن المدينة ثمانية أميال،«معجم ما استعجم» للبكرى (٢/ ٤٦٨)، و«معجم البلدان» لياقوت الحموى (٢/ ٣٠١)، و«السيرة النبوية» (٣/ ٥٣)، وقال البلاوى: «تقع جنوب المدينة بعشرين كيلًا» معجم المعالم الجغرافية (ص ١٠٥).

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ٥٢).

(٣) صحيح: أخرجه النسائى فى «التفسير» (١٠٣)، والطبرانى فى «الكبير» (١١٦٣٢)، عن عكرمة عن ابن عباس. وقال الحافظ فى «الفتح» ٨/ ٢٢٨: «إسناد صحيح» وصححه السيوطى فى «لباب النقول» (ص٦١)، وقال الهيثمى فى «المجمع» ٦/ ١٢١ ؛ : «رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير محمد ابن منصور الجواز، وهو ثقة».

الزبير وأبو بكر تعنى: من الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون؛ خافوا أن يرجعوا فقال: «**من يذهب فى إثرهم! فانتدب منهم سبعون رجلًا فيهم أبو بكر والزبير**»[(١)].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[(٢)].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٠٧٧)، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣١٢، ٣١٣)، من طريق أبى معاوية به نحوه، وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٩٨)، غير أن فيه: أن عائشة قالت ذلك لعبد الله بن الزبير وليس لعروة، ولعل هذا علة استدراكه عن الشيخين، لا سيما وقد وافقه الذهبى فى هذا ولم يتعقبه، وأخرجه ابن جرير (٧/ ٨٢٣٩)، حدثنى يعقوب ابن إبراهيم، قال: حدثنا هاشم بن القاسم ... أبو النضر – به.
وأخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٣): أخبرنا الحسن بن يعقوب العدل، ثنا محمد بن عبد الوهاب العبدى، أنا جعفر بن عوفن، أنا إسماعيل بن أبى خاله به، وقال: «حديثا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» واستدركه الذهبى فحذفه من «التلخيص» حيث أخرجه مسلم (٥٢/ ٢٤١٨)، حدثنا أبو كريب محمد العلاء، ثنا وكيع، حدثنا إسماعيل به، وأخرجه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٧/ ٥١٠)، ثنا وكيع عن إسماعيل به.
وأخرجه ابن ماجه (١٢٤)، وسعيد بن منصور كما فى «الدر المنثور» (٢/ ١٧٩): والحميدى فى «المسند» (١ رقم/ ٢٦٣)، وابن جرير فى «التفسير» (٧/ ٨٢٤١)، من طريق سفيان به، وأخرجه مسلم (٥١/ ٢٤١٨) من طرق عن هشام بن عروة به.

(٢) أخرجه البخارى (٤٥٦٣)، والحاكم (٢/ ٢٩٨)، ومن طريقه ... من غير طريق المستدرك البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣١٧)، من طريق أحمد بن يونس به، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى فوهما: فالحديث كما ترى عند البخارى.
وأخرجه النسائى فى «الكبرى» (١١٠٨١): وأخرجه فى «عمل اليوم والليلة» (٦/ ١٠٤٣٩)، أخبرنا هارون بن عبد الله، حدثنا يحيى بن بكير به، والبيهقى فى «الأسماء والصفات» (١٤٦)، من طريق بن إسحاق ثنا يحيى بن بكير به، وأخرجه ابن أبى حاتم فى «التفسير» (٣/ ٤٥٢١)، من طريق أبى داود الطيالسى، ثنا قيس عن أبى حصين به، وأخرجه البخارى (٢٥٦٤)، عن أبى غسان، ومالك بن

ولا شك أن حملة حمراء الأسد حققت الأهداف المرسومة لإظهاره قدرة المسلمين على التصدى لخصومهم من الأعراب وقريش رغم ما أصابهم فى أحد، فإنهم إذا كانوا قادرين على التحرك العسكرى خارج المدينة فهم أقدر على مواجهة اليهود والمنافقين داخلها[1].



= إسماعيل، عن إسرائيل، عن أبى حصين، عن أبى الضحى، عن ابن عباس.

(١) «السيرة النبوية الصحيحة» د/ أكرم ضياء العمرى (٢/ ٣٩٧).

باب

ما بين غزوة أحد وغزوة الخندق

فصل

فى نتائج غزوة أحد

وكانت من نتائج غزوة؛ أن تجرأ الأعراب حول المدينة على المسلمين، وظهر ذلك فى التجمعات التى قام بها بنو أسد بقيادة طليحة الأسدى وأخيه سليمة فى نجد، وبنو هذيل بقيادة خالد بن سفيان الهذلى فى عرفات؛ مستهدفين غزو المدينة طمعًا فى خيراتها وانتصارًا لشركهم، ومظاهرة لقريش وتقربًا إليها، وكان ذلك فى شهر المحرم من السنة الرابعة من الهجرة[١].

وتحرك المسلمون قبل أن يستفحل الأمر، فأرسل الرسول ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد بمائة وخمسين رجلًا من المهاجرين والأنصار إلى طليحة الأسدى الذى تفرق أتباعه تاركين إبلهم وماشيتهم بيد المسلمين من هول المفاجأة[٢].

مقتل خالد بن سفيان الهذلى لحشده لقتال المسلمين:

عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: ودعانى رسول الله ﷺ فقال: «**إنه قد بلغنى أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لى الناس ليغزونى، وهو بعرنة فأته فاقتله**»

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٥٠)، و«زاد المعاد» (٢/ ١٢١)، و«السيرة النبوية الصحيحة» (٢/ ٣٩٨).

(٢) أخرجه ابن سعد (٢/ ٥٠)، وذكره الذهبى فى ترجمة أم سلمة فى «السيرة» (١/ ٤٣٠).

قال: يا رسول الله انعته حتى أعرفه، قال: «**إذا رأيته وجدت له قشعريرة**».

قال: فخرجت متوشحًا بسيفى، حتى وقعت عليه بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلًا، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بينى وبينه محاولة تشغلنى عن الصلاة، فصليت وأنا أمشى نحوه أومئ برأسى الركوع والسجود.

فلما انتهيت إليه قال: من الرجل، قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا، قال: أجل أنا فى ذلك، قال: فمشيت معه شيئًا، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرآنى فقال: «**أفلح الوجه**»، قال: قلت: قتلته يا رسول الله، قال: «**صدقت**»، قال: ثم قام معى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل فى بيته فأعطانى عصا، فقال: «**أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس**».

قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمرنى أن أمسكها، قالوا: أولا ترجع إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتسأله عن ذلك قال: فرجعت إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله لم أعطيتنى هذه العصا؟ قال: «**آية بينى وبينك يوم القيامة، إنْ أقل الناس المختصرون يومئذ يوم القيامة**» فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه، حتى إذا مات أمر بها، فضمت معه فى كفنه، ثم دفنا جميعًا»[1].

۞۞۞

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ٤٩٦)، وأبو داود (١٢٤٩)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٢٥٦)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٢٠٣ - ٢٠٤) رواه الطبرانى ورجاله ثقات، وحسن إسناده الحافظ فى «الفتح» (٢/ ٣٥٠).

قلت: والحديث حسن؛ لأن ابن إسحاق صرَّح فيه بالسماع، فزالت شبهة التدليس.

فَصْلٌ

فى يوم الرجيع[(١)]

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرة عينًا، وأمرَّ عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى - جد عاصم بن عمر بن الخطاب[(٢)]، حتى إذا كانوا بالهدة[(٣)] بين عسفان ومكة، ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر فى منزل نزلوه.

فقالوا: نوى يثرب فاتبعوا آثارهم، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا أيديكم، ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا.

فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب وزيد بن الدثنة، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها.

قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن لى بهؤلاء أسوة - يريد القتلى - فجروه وعالجوه، فأبى أن يصحبهم (فقتلوه) فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا - وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر بن نوفل يوم بدر - فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى

(١) قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٤٣٨): «الرجيع: اسم للروث سمى بذلك لاستحالته، والمراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل، كانت الوقعة بقرب منه فسميت به».

(٢) هو عاصم بن أمير المؤمنين الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولد أيام النبوة - ومات سنة سبعين من الهجرة.

(٣) هو مكان على بعد سبعة أميال من عسفان (الفتح ٧/ ٤٤٠).

أجمعوا قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدبها، فأعارته ، فدرج بنى لها وهى غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجلسه على فخذه والموسى بيده: قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك.

قالت: والله ما رأيت أسيرًا، قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب في يده، وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة.

وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل، قال لهم خبيب: دعونى أصلى ركعتين فتركوه، فركع ركعتين فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، ثم أنشأ يقول:

فلست أبالى حين أقتل مسلمًا ... على أى جنب كان لله مصرعى

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام أبو سِرْوَعة عقبة بن الحارث فقتله، وكان خبيب سن لكل مسلم قتل صبرًا الصلاة، أخبر - يعنى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه يوم أصيبوا خبرهم، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشىء منه يعرف - وكان قتل رجلًا عظيمًا - فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا»[1].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٠٤٥ و ٣٩٨٩ و ٤٠٨٦ و ٧٤٠٢)، وأبو داود (٣٦٦٠ و ٣٦٦١) والنسائى فى «الكبرى» (٨٨٣٩)، وأحمد فى «المسند» (٢/ ٢٢٤)، وابن حبان (٧٠٣٩)، والطيالسى (٢٥٩٧)، وعبد الرزاق (٩٧٣٠)، وابن سعد (٢/ ٥٥ - ٥٦)، والطبرانى فى «الكبير» (٤١٩١ و ٤١٩٢) و (١٧)، و(٤٦٣)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٤٥)، وفى «الدلائل» (٣/ ٣٢٣)، وأحمد (٢/ ٣١٠)، والطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٥٣٨ - ٥٤١).

وفى رواية ابن إسحاق عاصم بن عمر بن قتادة قال: «كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهدًا أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركًا أبدًا، فكان عمر يقول لما بلغه الخبر: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما =

وعن ابن إسحاق قال: حدَّثنا عاصم بن عمر بن قتادة: أنَّ نفرًا من عضل والقارة قدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة بعد أحد فقالوا: إنَّ فينا إسلامًا فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهونا فى الدين ويقرؤونا القرآن فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم خبيب بن عدى ... فذكرهم وذكر قصتهم بمعنى ما ذكر موسى ابن عقبة آخرًا وزاد قال وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت أرادوا رأسه ليبعوه من سلافة بنت سعد بن الشهيد وقد كانت نذرت حين أصيب ابناها بأحد لئن قدرت على رأسه لتشربن فى قحفه الخمر فمنعتهم الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسى فتذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادى فاحتمل عاصمًا فذهب به وقد كان عاصم أعطى الله عهدًا لا يمس مشركًا ولا يمسه مشرك أبدًا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته مما امتنع منه فى حياته»[(١)].

قال ابن إسحاق: فكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول يحفظ الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمن فمنعه الله بعد وفاته مما امتنع منهم فى حياته.

وبإسناده عن ابن إسحاق قال وقال عند صلب المشركين إياه:

لقد جمع الأحزاب حولى وألَّبُوا قبائلهم واستجمعوا كل مَجْمعِ

= حفظه فى حياته».

وقوله: «اللهم أخبر عنا نبيك»، فى رواية الطيالسى عن إبراهيم بن سعد: «فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبره فأخبر أصحابه بذلك يوم أصيبوا» وفى رواية بريدة: «فقال عاصم: اللهم إنى أحمى لك اليوم دينك، فاحم لى لحمى».

قوله: «ما أن أبالى» للأكثر، وللكشمهينى: «فلست أبالى»، قال الحافظ: وهو أوزن.

وقوله: «أوصال شلو ممزع» جمع وصل وهو العضو، والشلو: الجسد، والممزع: المقطع، ومعنى الكلام: أعضاء جسد يقطع.

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» كما فى «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩٩)، من حديث عاصم بن عمرو ابن قتادة، ورجاله ثقات، ويشهد له حديث أبى هريرة السابق الذى فى البخارى وغيره.

وكلهم مبدى العداوة جاهد علىّ لأنى فى وثاق مضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقُرِّبت من جذع طويل مُمنع
إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى وما أرصَد الأحزابُ لى عند مصرعى
فذا العرش صبرنى على ما يراد بى فقد بَضَعوا لحمى وقد ياس مطمعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع
وقد خيرونى الكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزع
وما بى حذارُ الموت إنى لميت ولكن حذارى جحم نار ملفَّع
فوالله ما أرجو إذا مُت مسلمًا على أى جنب كان فى الله مصرعى
فلست بمبد للعدو تخشُّعًا ولا جزعًا إنى إلى الله مرجعى

قال: وجعل عاصم يحمل عليهم ويزمجر وهو يقول:

ما علتى وأنا جلد نابل والقوس فيها وترعُنَا بل
تَزلُ عن صفحتها المعابل الموت حق والحياة باطلُ
وكل ما حم الإله نازل بالمرء والمرء إليه آئل

إن لم أقاتلكم فأمى هابل

وزاد موسى بن عقبة: ترأس القوم ولا يقاتل

ثم ذكر ابن إسحاق وموسى بن عقبة أبياتًا قالها حسان بن ثابت فى حديثهم وفيها كثرة.

وعن بريدة بن سفيان الأسلمى أن رسول الله ﷺ بعث عاصم بن ثابت إلى بنى لحيان بالرجيع ... فذكر قصتهم وذكر فيها فأرادوا ليحتزوا رأسه ليذهبوا بها

إليها فبعث الله عَزَّوَجَلَّ رجلًا من دَبْر فحمته فلم يستطيعوا أن يحتزوا رأسه.

وذكر فى شأن خبيب بن عدى أنه قال اللهم إنى لا أجد من يبلغ رسولك عنى السلام فبلغ رسولك منى السلام فزعموا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال حينئذٍ وعليه السلام قال أصحابه يا نبى الله مَن، قال أخوكم خبيب بن عدى يقتل فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء قال رجل فلما رأيته يدعو ألبدتُ بالأرض فلم يحل الحول ومنهم أحد غير ذلك الرجل الذى ألبد بالأرض[1].



(١) إسناده صحيح كسابقه.

فَصْلٌ
فى حديث بئر معونة

وقتها: قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحاب بئر معونة فى صفر على رأس أربعة أشهر من أحد[1] أى: فى العام الرابع من الهجرة.

سبب خروج القراء من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«إن رعلًا وذكوان وعصية وبنى لحيان استمدوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عدو، فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم، وكانوا يحتطبون بالنهار، ويصلون بالليل، حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ ذلك رسول اله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقنت شهرًا يدعو فى صلاة الصبح على أحياء من أحياء العرب، على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان. قال أنس: فقرأ بهم قرآنًا ثم إن ذلك رُفع: «بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا»**[2].

وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«جاء ملاعب الأسنة[3] إلى النبى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ١٢٧)، ط. دار الحديث، وانظر: «تاريخ الطبرى» (٢/ ٥٤٥)، و«الطبقات» (٢/ ٥١)، و«عيون الأثر» (٢/ ٦٧) و«مجمع الزوائد» (٦/ ١٢٨ - ١٢٩).

(٢) أخرجه البخارى مقطعًا (٤٠٨٨ و٤٠٨٩ و٤٠٩٠ و ٤٠٩١ و٤٠٩٢ و ٤٠٩٣ و٤٠٩٥ و٤٠٩٦) ومسلم (٢٩٧ / ٦٧٧) والطبرى (٢/ ٥٤٦)، و (٢/ ٥٤٥-٥٤٦)، وأحمد (٣/ ١٦٧، ٢٥٥)، وابن سعد (٢/ ٤١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣٤٣ - ٣٤٤) و (٣/ ٣٤٦ - ٣٤٧) و (٣/ ٣٤٨ - ٣٤٩)، من طريق عن أنس، وأخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ١٢٧)، فما بعدها وهو مرسل، ورواه عنه خليفة بن خياط فى «تاريخه» (ص ٣٣ - ٣٤) والطبرى (٢/ ٥٤٥ - ٥٤٦) والبيهقى (٣/ ٣٣٨)، وانظر كلام الحافظ على مرسل ابن إسحاق فى «الفتح» (٧/ ٣٣٩).

(٣) هو ربيعة بن عامر بن مالك وسمى ملاعب الأسنة فى يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه وقيعة فى أيام «جبلة» وهى أيام حرب كانت بين قريش وتميم، وجبلة اسم لهضبة عالية، وكانت سبب تسميته فى يوم سوبان ملاعب الأسنة أن أخاه يقال له: فارس قرزل وهو طفيل بن مالك، وكان أسلمه فى ذلك اليوم وفر» «الروض الأنف» للسهيلى (٣/ ٢٣٨).

ﷺ بهديه فعرض عليه الإسلام فأبى أن يسلم، فقال النبى ﷺ فإنى لا أقبل هدية من مشرك، قال: فابعث إلى أهل نجد من شئت فأنا لهم جار، فبعث إليهم بقوم فيهم المنذر بن عمرو، وهو الذى يقال له - المعتق ليموت - أو - أعتق عند الموت -، فاستجاش عليهم عامر بن الطفيل بنى عامر فأبوا أن يطيعوه، وأبوا أن يخفروا ملاعب الأسنة، فاستجاش عليهم بنى سليم، فأطاعوه، فاتبعهم بقريب من مائة رجل رام فأدركهم ببئر معونة، فقتلوهم إلا عمرو بن أمية».

أخذه عامر بن الطفيل فأرسله، فلما قدم على رسول الله ﷺ من بينهم، وكان فيهم عامر بن فهيرة رضي الله عنه فزعم عروة: أنه قتل يومئذ فلم يوجد جسده حين دفنوه، كانوا يرون الملائكة هى دفنته، فقال حسان يعرض على عامر بن الطفيل:

بنى أم البنين[1] ألم يرعكم وأنتم من نوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبى براء ليخفره وما خطأ كعمد

فطعن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن مالك عامر بن الطفيل فى فخذه طعنة فقده[2].

وعن عائشة رضي الله عنها: «فقتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة، وعن أبى أسامة قال: قال هشام بن عروة فأخبرنى أبى قال: لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمرى، قال له عامر ابن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر ابن فهيرة، فقال: لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع، فأتى النبى ﷺ خبرهم فنعاهم فقال:

---

(١) راجع خبر «أم البنين» فى «الروض» (٣/ ٢٣٩).

(٢) صحيح: أخرجه عبد الرزاق فى «المصنف» (٩٧٤١)، والطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٧٠ - ٧٢) (١٣٨، ١٣٩ و ١٤٠) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٢٧): «رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. ورواه أحمد فى «المسند» عن أنس (٣/ ٢١٠، ٢٧٠، ٢٨٩).

«**إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا ورضيت عنا فأخبرهم عنهم**» وأصيب يومئذ عروة بن أسماء ابن الصلت فسمي عروة به، ومنذر بن عمرو سمي به منذرًا[١].

عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَعَثَ خَالَهُ، وَكَانَ اسْمُهُ حَرَامًا أَخَا أُمِّ سَلِيمٍ فِى سَبْعِينَ رَجُلًا فَقُتِلُوا يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، وَكَانَ رَئِيسُ الْمُشْرِكِينَ عَامِرَ ابْنَ الطُّفَيْلِ، وَكَانَ أَتَى النَّبِى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أُخَيِّرُكَ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ: أَنْ يَكُونَ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِى أَهْلُ الْمَدَرِ، وَأَكُونَ خَلِيفَتَكَ مِنْ بَعْدِكَ أَوْ أَغْزُوكَ بِغَطَفَانَ بِأَلْفِ أَشْقَرَ وَأَلْفِ شَقْرَاءَ. قَالَ: فَطُعِنَ فِى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِى فُلَانٍ فَقَالَ: غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَكْرِ فِى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِى فُلَانٍ، ائْتُونِى بِفَرَسِى، فَرَكِبَهُ فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ فَانْطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ وَرَجُلَانِ مَعَهُ رَجُلٌ أَعْرَجُ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِى فُلَانٍ، قَالَ: كُونَا، يَعْنِى قَرِيبًا مِنِّى حَتَّى آتِيَهُمْ، فَإِنْ أَمَّنُونِى كُنْتُ كَذَا، وَإِنْ قَتَلُونِى أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ، فَأَتَاهُمْ حَرَامٌ فَقَالَ: أَتُؤَمِّنُونَنِى أُبَلِّغْكُمْ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ، وَأَوْمَئُوا إِلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ. قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ: فَأَنْفَذَهُ بِالرُّمْحِ، فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَلَحِقَ الرَّجُلُ فَقُتِلَ كُلُّهُمْ إِلَّا الْأَعْرَجَ كَانَ فِى رَأْسِ الْجَبَلِ. قَالَ إِسْحَاقُ: فَحَدَّثَنِى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: أُنْزِلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الْمَنْسُوخِ: «**إِنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِىَ عَنَّا وَأَرْضَانَا**»، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ صَبَاحًا عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبَنِى لِحْيَانَ وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ»[٢].

وعنه أيضًا قال: «لما طُعن حرام بن ملحان - وكان خاله- يوم بئر معونة، قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: «**فزت ورب الكعبة**»[٣].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٠٩٣) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣٥٣)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٥١٣)، وفى «الحلية» (١/ ١١٠).

(٢) أخرجه البخارى (٤٠٩١) ومسلم (٦٧٧/ ٢٩٧) بنحوه، وأحمد فى «المسند» (١٤١٠٦).

(٣) أخرجه البخارى (٤٠٩٢) وغيره.

فَصْلٌ

فى إجلاء بنى النضير(١)

سبب الغزوة وغدرهم بالنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحاولة قتله :

قال أبو داود: حدثنا بن داود بن سفيان، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجب من أصحاب النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبى ابن سلول، ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر، يقولون: أنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عددًا، وإنا نُقسم بالله لتقتلنه أو لتخرجنه، أو لنستعن عليكم العرب، ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نسائكم، فلما بلغ ذلك ابن أبى ومن معه من عبدة الأوثان، تراسلوا فاجتمعوا، وأرسلوا، وأجمعوا لقتال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلقيهم فى جماعة، فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر ما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبنائكم وإخوانكم، فلما سمعوا ذلك من النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش،

---

(١) ذكر البخارى رَحِمَهُ اللهُ فى «صحيحه» -- حديث بنى النضير فى كتاب المغازى بعد غزوة بدر، وعلق عن الزهرى عن عروة كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد، وأشار كذلك إلى خلاف ابن إسحاق فقال: «وجعله ابن إسحاق بعد بئر معونة وأحد» «الفتح» (٧/ ٣٨٢)، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله فى «زاد المعاد» (٣/ ٢٤٩)، «وزعم محمد بن شهاب الزهرى أن غزوة بنى النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذى لا شك فيه أنها كانت بعد أحد، والتى كانت بعد بدر بستة أشهر هى غزوة بنى قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية» . اهـ. وانظر نفس الكلام بعينه فى «الفصول» للحافظ ابن كثير (ص ١٤١) واستدراكه على الزهرى - رحمه الله - وانظر - أيضا - جوامع السيرة لابن حزم (ص ١٨١) فقد ذهب هذا المذهب من قبل.

وكانت وقعة بدر، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة، والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء، وهو الخلاخل، فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر فأرسلت إلى النبى ﷺ أخرج إلينا فى ثلاثين رجلًا من أصحابك، ولنخرج فى ثلاثين حبرًا، حتى نلتقى فى مكان كذا، نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإذا صدقوك وآمنوا بك، آمنا كلنا فخرج النبى ﷺ فى ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبرًا من يهود، حتى إذا برزوا فى براز الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه، ومعه ثلاثون رجلًا من أصحابه، كلهم يحب أن يموت قبله، فأرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم، ونحن ستون رجلًا؟ اخرج فى ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا، فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا، وصدقناك، فخرج النبى ﷺ فى ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ فأرسلت امرأة ناصحة من بنى النضير إلى بنى أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعًا، حتى أدرك النبى ﷺ، فساره بخبرهم، قبل أن يصل النبى ﷺ إليهم، فرجع النبى ﷺ، فلما كان من الغد، غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب، فحاصرهم، وقال لهم: إنكم لا تأمنون عندى إلا بعهد تعاهدونى عليه، فأبوا أن يعطوه عهدًا، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون، ثم غدا الغد على بنى قريظة بالخيل والكتائب، وترك بنى النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغدا إلى بنى النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة، والحلقة: السلاح، فجاءت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت إبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم، وخشبها، فكانوا يخربون بيوتهم، فيهدموها فيحملون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام، وكان بنو النضير من سبط من أسباط بنى إسرائيل، لم يصبهم جلاءٌ منذ كتب الله على بنى إسرائيل الجلاء، فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ فلولا ما كتب

الله عليهم من الجلاء لعذبهم فى الدنيا كما عذبت بنو قريظة، فأنزل الله:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦)﴾ [الحشر: ١-٦]، وكانت نخل بنى النضير لرسول الله ﷺ خاصة، فأعطاه الله إياه، وخصه بها، فقال: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]، يقول بغير قتال، قال فأعطى النبى ﷺ أكثرها للمهاجرين، وقسمها بينهم، و«لرجلين» من الأنصار كانا ذوى حاجة لم يقسم لرجل من الأنصار غيرهما، وبقى منها صدقة رسول الله ﷺ فى يد بنى فاطمة [(١)].

عن ابن إسحاق قال: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بنى النضير يستعينهم فى ذينك القتيلين من بنى عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى فيما حدثنى يزيد ابن رومان وكان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم فى الدية قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٠٠٤)، وعبد الرزاق فى «المصنف» (٩٧٣٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ١٧٨ - ١٧٩) وفى «السنن» (٩/ ١٨٣)، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٤٨٣) وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وصحيح الحافظ إسناده فى «الفتح» (٧/ ٣٣١)، وفيه محمد بن داود بن سفيان، وقال الحافظ: «مقبول» ولا يضر جهالة الصحابى، ورجاله ثقات، والحديث صححه الشيخ الإمام الألبانى فى «صحيح سنن أبى داود» (٢٥٩٥).

وقوله: «ولرجلين من الأنصار» هما: سهل بن حنيف، وأبى دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرًا فأعطاهما رسول الله ﷺ كما فى رواية ابن إسحاق - رحمه الله -.

استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جانب أصحابه بعضهم ببعض جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلوا على هذا البيت فيلقى عيه صخرة فيقتله بها فيريحنا منه فانتدب لذلك منهم عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وقال لأصحابه لا تبرحوا فخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استبطأ النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه قاموا فى طلبه فلقوا رجلًا مقبلًا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلًا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادته يهود من الغدر وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحربهم والسير إليهم فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه فى الحصون وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بالك تقطع النخل وتحرقه[1].

وعن ابن إسحاق قال حدثنا عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال لما تحصن بنو النضير من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بقطع نخلهم وتحريقه فقالوا يا أبا القاسم ما كنت ترض بالفساد فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فى ذلك إنه ليس بفساد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ وليس بفساد

وعن ابن إسحاق قال: حدثنا أبو سعد شرحبيل بن سعد قال والله رأيت بعض نخل بنى النضير وإن الحريق لفيه.

قلت: ولا تعارض بين حديث عبد الرحمن بن كعب وما ساقه ابن إسحاق، ولا مانع من وقوعهما، والغدر من طبائعهم.

---

(١) صحيح: أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٢٧٨) عن ابن إسحاق بدون إسناد وابن هشام فى «السيرة النبوية» (٣/ ٦٨٢ - ٦٨٤) وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٥٧) ولم يسنده أيضًا - وله شواهد منها: حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الحديث السابق، وإسناده صحيح، وشاهدًا آخر من حديث ابن عمر مختصرًا وهو الآتى..

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «حرق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نخل بنى النضير، وقطع وهى البويرة، فنزلت: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]، وفى لفظ آخر له: «أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرق نخل بنى النضير، قال: ولها يقول حسان بن ثابت:

وهان على سراه بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

قال فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلك من صنيع وحرق فى نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزه وتعلم أى أرضينا تضير[(١)]

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته، وقال مرة: قوت سنة - وما بقى جعله فى الكُراع والسلاح فى سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)].

عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: «أنزلت فى بنى النضير»[(٣)].

وعنه أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قلت: لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: «قال: سورة النضير»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٨٨٤)، وانظر أطرافه هناك، ومسلم (٢٩/ ١٧٤٦)، والترمذى (١٥٥٢)، و(٣٣٠٢)، وأبو داود (٢٦١٥)، وأحمد (٢/ ٧ - ٨)، البويرة: قال ابن حجر: هى تصغير بؤرة وهى الحفر، وهى هنا مكان معروف بين المدينة وبين تيمار.

(٢) أخرجه البخارى (٢٩٠٤)، وأطرافه هناك، ومسلم (٤٨/ ١٧٥٧)، وأبو داود (٢٩٦٥)، والترمذى (١٧١٩)، والنسائى فى كتاب قسم الفيء (٧/ ١٣٢) وأحمد (١/ ٢٥)، وأخرجه أبو داود (٢٩٦٣) مطولًا عن مالك بن أوس قال: أرسل إلى عمر بن الخطاب ... الحديث ورجال إسناده ثقات.

(٣) أخرجه البخارى (٤٨٨٢)، ومسلم (٣١/ ٣٠٣١).

(٤) أخرجه البخارى (٤٨٨٣).

فَصْلٌ

فى غزوة بدر الموعد

ويقال: غزوة بدر الآخرة

قال ابن إسحاق: ثم خرج فى شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان حتى نزله.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى.

قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة، من ناحية الظهران؛ وبعض الناس يقول: قد بلغ عسفان، ثم بدا له فى الرجوع، فقال: يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإنى راجع، فارجعوا، فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق، وأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مخشى بن عمرو الضمرى، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم، يا أخا بنى ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك، قال لا والله يا محمد! ما لنا بذلك من حاجة[1].

فأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم انصرف إلى المدينة.

۞۞۞

---

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ١٤٩)، ورواه عن ابن إسحاق، الطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٥٥٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣٨٧)، وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ١٥٩)، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (٢/ ٨٢)، ورواه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣٨٧)، عن ابن شهاب وعروة مرسلًا.

فَصْلٌ
فى غزوة دومة الجندل(١)

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها شهرًا حتى مضى ذو الحجة، وولى تلك الحجة المشركون، وهى سنة أربع، ثم غزا رسول الله ﷺ دُومة الجندل.

قال ابن هشام: فى شهر ربيع أول، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى(٢).

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيدًا - أى حربًا - فأقام بالمدينة بقية سنته(٣).

❁❁❁

(١) دومة الجندل: بضم أوله، وأنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين، وتقع فى شمال نجد، وهى طرف من أفواه الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة، انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٤٨٧).

(٢) من مشاهير الصحابة رضوان الله عليهم - ذكره ابن حجر فى «الإصابة» (٣/ ٦٣)، وقال: استخلفه فى غزوة خيبر، وقال أبو حاتم: استعمله النبى ﷺ على المدينة فى غزوة دومة الجندل.
وذكره ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٢/ ٣٣٢)، وقال: «استعمله النبى ﷺ على المدينة لما خرج إلى خيبر وإلى دومة الجندل».

(٣) «السيرة النبوية» (٣/ ١٥٢)، وروى عن ابن إسحاق قوله كل من: الطبرى (٢/ ٥٦٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣٨٩)، وانظرها فى «الطبقات» (٢/ ٦٢) و«المغازى» للواقدى (١/ ٤٠٣)، و«أنساب الأشراف» للبلاذرى (١/ ١٦٤)، و«عيون الأثر» (٢/ ٧٥)، و«تاريخ الإسلام» للذهبى (١/ ٣٥٣)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥٥ - ٢٥٦).
و«البداية والنهاية» (٤/ ٩٢)، و«المنتظم» لابن الجوزى (٣/ ٢١٥).

فَصْلٌ

فى غزوة الأحزاب (الخندق)[١]

فى شوال سنة خمس

وقت الغزوة: قال ابن إسحاق: ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس[٢] وهى الغزوة التى ابتلى الله فيها عباده المؤمنين وزلزلهم، وثبت الإيمان فى قلوب أوليائه، وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق، وفضحهم، وقرَّعهم، ثم أنزل نصره، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأعز جنده، وردَّ الكفرة بغيظهم، ووقى المؤمنين شر كيدهم، وذلك بفضله ومنه»[٣].

سببها: قال محمد ابن إسحاق: حدَّثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة ابن الزبير ومن لا أتَّهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظى،

---

(١) فى البخارى: «باب غزوة الخندق، وهى الأحزاب»، قال الحافظ فى «الفتح»: «يعنى أن بها اسمين، وهو كما قال: والأحزاب: جمع حزب؛ أى: طائفة، فأما تسميتها الخندق، فلأجل الخندق الذى حفر حول المدينة بأمر النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان الذى أشار بذلك سلمان - فيما ذكر أصحاب المغازى - وأما تسميتها الأحزاب، فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم: قريش، وغطفان، واليهود، ومن تبعهم، وقد أنزل الله - تعالى - فى هذه القصة صدر سورة الأحزاب».اهـ.

(٢) هذا هو الصواب الذى رجحه الإمام ابن القيم فى «الزاد» (٣/ ٢٦٩): وقال: «كانت فى سنة خمس من الهجرة فى شوال على أصح القولين». ورجحه الحافظ فى «الفتح» ٧/ ٤٥٤ ، مع أن البخارى مال إلى قول موسى بن عقبة أنها كانت فى الرابعة. وحكاه البيهقى فى «الدلائل» والسنن.
وقال الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية»: «والصحيح: قول الجمهور: إن الخندق فى شوال سنة خمس، من الهجرة، والله أعلم» وقال قبلها: «نص على ذلك : ابن إسحاق ، وعروة بن الزبير ، وقتادة ، والبيهقى وغير واحد من العلماء سلفًا وخلفًا». وانظر «الدلائل» للبيهقى (١٢٩٧) فقد وفق بين القولين.

(٣) «الفصول» للحافظ ابن كثير (ص١٥٣)..

والزهرى، وعاصم ابن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبى بكر وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق قالوا:

«إنه كان الذين حزبوا الأحزاب نفرًا من اليهود، وكان منهم سلام بن أبى الحقيق، وحيى بن أخطب النضرى، وكنانة بن أبى الحقيق النضرى، وهوذة بن قيس الوائلى، وأبو عمار الوائلى، فى نفر من بنى النضير، فلما قدموا على قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢)﴾ [النساء: ٥١ - ٥٢][(١)].

---

(١) «السيرة النبوية» ٣/ ١٥٣ وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» ٣/ ٤٠٨، والطبرى فى «التاريخ» ٢/ ٩٠، ٩١، وفى «التفسير» (٩٧٩٧)، وابن كثير فى «البداية» ٤/ ٩٤، ٩٥، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» ٢/ ٨٤ كلهم عن ابن إسحاق وهو مرسل؛ عن محمد بن أبى محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، بنحوه، وإسناده ضعيف، لجهالة محمد بن أبى محمد. ورواه البيهقى ٣/ ٣٩٨، من طريق: موسى بن عقبة، عن ابن شهاب مرسلاً. ووصله السيوطى فى «لباب النقول» (ص١٧) من رواية ابن إسحاق عن ابن عباس، ورواه الطبرانى فى «الكبير» ١١/ ٢٥١، وقال فيه الهيثمى فى «المجمع» ٧/ ٦: وفيه يونس بن سليمان الجمال، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. لكن صحَّ الحديث من طريق آخر عن ابن عباس: قال: «لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية، قال: أنتم خير. قال: فنزلتْ فيهم: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ونزل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ إلى ﴿نَصِيرًا﴾ قلت: أخرجه ابن جرير فى «التفسير» (٨/ ٩٧٨٦) و٣٠/ ٣٣٠، وابن أبى حاتم ٣/ ٥٤٤٠، وصحح إسناده الحافظ ابن كثير فى «التفسير»، وكذا صححه أبو حاتم بن حبان (١٤/ ٦٥٧٢) كلهم من طريق محمد ابن أبى عدى به.
وعزاه الحافظ ابن كثير إلى الإمام أحمد، وكذا عزاه له - أيضًا - السيوطى فى «الدر المنثور» ٢/ ٣٠٦، لكنى لم أعثر عليه فى النسخ المطبوعة للمسند على اختلاف طبعاتها، وكذا لم يذكره الحافظ ابن حجر فى «أطراف المسند»، وكذا الهيثمى فى «المجمع»..

قال: فلما قالوا ذلك لقريش: سرَّهم ونشطوا لما دَعَوهم إليه، من حرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود، حتى جاءوا غطفان من قيس علان، فدعوهم إلى حرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

قال ابن إسحاق: فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فى بنى فزارة، والحارث بن عوف بن حارثة المرى فى بنى مرة، ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع ابن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه[من] أشجع، فلما سمع بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترغيبًا للمسلمين فى الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا.

وأبطأ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستأذنه فى اللحوق بحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة فى الخير واحتسابًا له.

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [النور: ٦٢]، فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة فى الخير والطاعة لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم قال تعالى: يعنى: المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) ﴾ [النور: ٦٣][1].

حفر الخندق[2]:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الخندق فإذا

---

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ١٥٤)، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٠٩)، وذكره القرطبى فى «الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٣١٩)، وقال: «وروى نحوه أشهب وابن عبد الحكم عن مالك»، وذكره الشوكانى فى «فتح القدير» (٤/ ٨٤، ٨٥)، وعزاه فيه إلى ابن إسحاق، وابن المنذر والبيهقى فى «الدلائل» عن عروة ومحمد بن كعب القرظى به مرسلًا ورواه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٠٩)، موصولًا به، وروى نحوه الطبرى فى «التفسير» (٢٦٢٥٨) عن الحسن، وعيينه بن حصين من المؤلفة قلوبهم، كان اسمه حذيفة وسمى عيينة، أسلم ثم ارتد وآمن بطليحة بن خويلد حين تنبأ وأخذ عيينة أسيرًا فأتى به أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمنَّ عليه، ولم يزل مظهرًا للإسلام على جفوته وعنجهيته، ولوثة أعرابيته حتى مات، وكان سيدًا مطاعًا فى قومه مع حماقته.

(٢) اتفق أهل السير والتاريخ على أن الذى أشار على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفر الخندق، هو سلمان الفارسى ولم أعلم فى ذلك مخالف، وانظر: «السير للذهبى» (١/ ٥٣٩)، و«الاستيعاب» (٢/ ٦٣٥)، و«أسد الغابة» (٢/ ٢٨٦)، و«تاريخ دمشق» (٢١/ ٤٠٨)، و«المغازى للواقدى» (٢/ ٤٤٥)، و«عيون الأثر» (٢/ ٣٥)، و«الزاد» لابن القيم (٣/ ٢٧٠).

قال الحافظ فى «الفتح»: «وكان الذى أشار بذلك سلمان، فيما ذكر أصحاب المغازي، منهم أبو معشر، قال: قال سلمان: إنا كنا بفارس إذا حُوصرنا خندقنا علينا فأمر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفر الخندق حول المدينة....».

ولم يسق له إسنادًا، وأبو معشر هو: نجيح بن عبد الرحمن السندى (ت/ ١٧١هـ)، روى له الأربعة وضعفه الجمهور، وليست العلة فى ضعف أبى معشر فحسب؛ بل كون الخبر مرسلًا، حيث ساقه دون إسناد. ولم يشر ابن إسحاق إلى مشورة سلمان الفارسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإنما قال: «فلما سمع بهم (أى الأحزاب)- رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترغيبًا للمسلمين فى الأجر.....». وذكره ابن هشام فى السيرة بدون إسناد حيث قال: يقال إن سلمان الفارسى أشار على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...».

المهاجرين والأنصار يحفرون فى غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: «**اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة**» فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدًا   على الجهاد ما بقينا أبدًا

وفى لفظ آخر قال: «جعل المهاجرين والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا   على الإسلام ما بقينا أبدًا

قال يقول النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يجيبهم (**اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك فى الأنصار والمهاجرة**) قال: يؤتون بملء كفى من الشعير، فيصنع لهم بإهالة سنخ توضع بين يدى القوم، والقوم جياع، وهى بشعة فى الحلق ولها ريح منتن»[(١)].

نقل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التراب يوم الخندق:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عنى التراب جلدة بطنه، وكان كثير الشعر - فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا   وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا   وإن أرادوا فتنة أبينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها[(٢)].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٠٩٩ و ٤١٠٠)، ومسلم (١٨٠٥)، وأحمد كما فى «الفتح الربانى» (٢١/ ٧٧).

(٢) أخرجه البخارى (٤١٠٦ و ٤١٠٤) ومسلم (١٨٠٣، وأحمد كما فى «الفتح الربانى» (٢١/ ٧٧)، وهو فى البخارى - أيضًا - من حديث سهل بن سعد الساعدى (٤٠٩٨)، وعند مسلم(١٨٠٤).

ما أصاب رسول الله ﷺ والصحابة ﭫ من الجوع والمخمصة عند حفر الخندق: سبق ذكر حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبى** ﷺ **فقالوا: هذه كديةٌ عرضت فى الخندق، فقال: إنى نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا**»[1].

ما أيد الله به رسوله ﷺ من معجزات فى غزوة الخندق:

من حديث جابر السابق - لما عرضت لهم كدية فى الخندق: «فأخذ النبى ﷺ المعول فضرب فى الكدية، فعاد كثيبًا أهيل أو أهيم».

و«الكدية»: القطعة العظيمة الصلبة التى لا يعمل فيها الفأس، و«المعول»: الفأس.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ وكان فى حفر الخندق أحاديث بلغتني، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسوله ﷺ وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون.

فكان مما بلغنى: «أن جابر بن عبد الله كان يحدث أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا بإناءٍ من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضخ ذلك الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذى بعثه بالحق نبيًّا، لانهالت حتى عادت كالكثيب، لا ترد فأسًا ولا مسحاة»[2].

---

(١) أخرجه البخارى (٤١٠٢)، ومسلم (١٤١/ ٢٠٣٩)، وأحمد كما فى «الفتح الربانى» (٢٢/ ٦٠)، وفى «المسند» مختصرًا (٣/ ٣٠٠) وغيرهم.

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ١٥٥)، وهو صحيح، ورواه ابن إسحاق بلاغًا، ووصله البخارى فى الموضع السابق وأبو عوانة (٤/ ٣٥٥)، والدارمى (٤٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٢٢)، وأحمد (٣/ ٣٠٠)، مختصرًا على قصة الصخرة و«الكثيب»: رملًا سائلًا مذرى، مفتت. انظر: «غريب السجستانى» ص (١٦٧) و«غريب» ابن قتيبة (٢/ ١٨٩)، و«تفسير الزمخشرى» (٤/ ١٧٧)، و«بهجة الأريب» لابن التركمانى (٢/ ١٩٠).

إبصاره قصور الملوك، وإعطاؤه مفاتيح ملكهم:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما كان حين أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفر الخندق عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاءنا فأخذ المعول فقال: «بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: **الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة**، ثم ضرب الثانية، فقطع الثلث الآخر فقال: **الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر قصر المدائن أبيض**، ثم ضرب الثالثة، وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: **الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا الساعة**»[1].

تكثيره الطعام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما حفر الخندق رأيت برسول الله خمصًا

---

(١) حسن بشواهده، أخرجه أحمد (١٨٦٩٤)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٨٥٨)، وأبو يعلى (١٦٨٥)، وحسن إسناده الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٤٥٨)، السلفية وذكر شواهده، قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٣٠ - ١٣١)، رواه أحمد وفيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات، وللحديث شواهد منها: من حديث ابن عباس أخرجه الطبرانى (١٢٠٥٢) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٣١)،: «رجاله رجال الصحيح» غير عبد الله بن أحمد، ونعيم العبدى، وهما ثقتان:
ومن حديث سلمان الفارسي - رواه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤١٧)، من طريق ابن إسحاق. وإسناده منقطع.
ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رواه أبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٤٣١) وفيه ضعف. قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٣١): «رواه الطبرانى بإسنادين فى أحدهما حيى بن عبد الله، وثقه ابن معين، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح»، ومن حديث عمرو بن عوف المزنى - أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤١٨) نحوه، وفيه متروك، وله شاهد من حديث جابر فى «الصحيحين» وقد سبق ذكره، والحديث بهذه الشواهد يكون حسنًا لغيره، والله أعلم.
وقوله: (صخرة لا تأخذ فيها المعاول): أى لا تعمل فيها ولا تؤثر، والمعاول: جمع معول: بكسر الميم وهو الفأس وقوله: (فاشتكينا): من الشكاية.

فانكفأت إلى امرأتى، فقلت لها: هل عندك شىء؟ فإنى رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت له جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن، قال: فذبحتها وطحنت، ففزعت إلى فراغى، فقطعتها فى برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحنى برسول الله ﷺ ومن معه، قال: فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله! إنا قد ذبحنا بهيمة لنا، وطحنت صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت فى نفر معك، فصاح رسول ﷺ وقال: «**يا أهل الخندق! إن جابرًا قد صنع لكم سورًا فحيهلا بكم**».

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم، حتى أجىء**» فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتى، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذى قلت لى، فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك، ثم قال: «**ادعى خابزة فلتخبز معك، واقدحى فى برمتكم ولا تنزلوها**» وهم ألف. فأقسم بالله إلا أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هى، وإن عجينتنا - أو كما قال الضحاك - ليخبز كما هو»[(١)].

منزل المشركين فى الخندق:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ

---

(١) أخرجه البخارى (٣٠٧٠ و٤١٠١ و ٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩)، وأحمد (١٥٠٢٨)، وأبو عوانة (٤/ ٣٥٥ - ٣٥٨) وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى ﷺ» (ص ٢٥٤) والدارمى (١/ ١٩ - ٢١)، والحاكم (٣/ ٣٠ - ٣١) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٢٥-٤٢٦) و(٣/ ٤٢٤)، والطبرانى فى الأحاديث الطوال بزع (٥١) (٢٥/ ٣٠٢).

وقوله: «خمصًا»: خلاء البطن من الطعام و«انكفأت» أو «انكفيت»: رجعت وانقلبت. و«الجراب» الوعاء من الجلد «البهيمة» بالتصغير: السخلة الصغيرة من ولاد الماعز و«داجن»: ما ألف البيوت، و«السور» الطعام الذى يدعى إليه، و«بك بك»: أسلوب ذم ودعاء على المخاطب. و«اقدحى فى برمتكم»: اغرفى و«تركوا وانحرفوا» شبعوا وانصرفوا.

وقوله: «لتغط» أى تغلى ويسمع غليانها.

ﱡﭐﭐﱡﱡٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، قالت: كان ذلك يوم الخندق»[١].

وعن ابن عباس: «﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: عيينه بن حصن، و﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ أبو سفيان بن حرب»[٢].

ويبين ابن إسحاق الموعد الذى نزل فيه المشركون فقال: «أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزغابة[٣] فى عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نقمى، وإلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[٤] فى ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام»[٥].

غدر يهود بنى قريظة ونقضهم العهد مع رسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: وخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى[٦]، حتى أتى كعب بن أسد القرظى، وصاحب عقد بنى قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده؛ فلما سمع كعب حيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيى: ويحك يا كعب! افتح لى؛ قال: ويحك يا حيى، إنك امرؤ مشئوم، وقد عاهدت محمدًا، فلست بناقض ما بينى وبينه، ولم

(١) أخرجه البخارى (٤١٠٣).

(٢) ذكره الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٤٦٢) - السلفية، وعزاه لابن مردويه.

(٣) زغابة: اسم موضع بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة، وعند الطبرى: بين الجرف والغابة، واختار هذه الرواية، وقال لأن زغابة لا تعرف.

(٤) سلع: بفتح فسكون: جبل بسوق المدينة «معجم البلدان» (٣/ ٢٣٦).

(٥) «السيرة النبوية» (٣/ ١٥٧)، وحديث ابن إسحاق مرسل، وقد أوردناه للاستئناس به، وساقه ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٤٦٢)، والآطام: الجبال أو الحصون.

(٦) حيى بن أخطب النضرى: من أشراف يهود بنى النضير الذين أجلوا من المدينة إلى خيبر، وكمن العداوة للنبى ﷺ.

أر منه إلا وفاء وصدقًا؛ قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك أن آكل معك منها؛ فأحفظ الرجل، ففتح له؛ فقال: ويحك يا كعب؛ جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه، قال: فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماؤه، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاء.

فلم يزل حيي بن كعب يفتله في الذروة والغارب، حتى سمح له، على أن أعطاه عهدًا [من الله]: لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمدًا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن دليم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله ابن رواحة أخو بني الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف؛ فقال: «**انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا من هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًا فالحنوا لي لحنًا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس**»، قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله ﷺ ـ وقالوا من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلًا فيه حدة؛ فقال له سعد ابن عبادة: دعك عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة؛ أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، فقال رسول الله

ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين»[(١)].

هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً:

قال ابن إسحاق: وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف: كان يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط[(٢)].

وقال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٢- ١٩].

---

(١) إسناده صحيح مرسل: أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٢٩) من طريق ابن إسحاق: حدثنا عاصم بن عمر ابن قتادة به، وأخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ١٥٧ - ١٥٩) ولم يسنده وذكره ابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (٢/ ٩٠ - ٩١) وابن كثير فى «البداية والنهاية» (٤/ ٥٢٤) عن ابن إسحاق، قوله: «الجشيشة»: هو طعام يصنع من الجشيش وهو البر يطحن غليظًا، (فاحفظه): أى أغضب الرجل، وقوله: (طام): مرتفع ويريده كثرة الرجال. وقوله: (الجهام): السحاب الرقيق الذى ليس فيه ماء، وقوله: (ويفتله فى الذروة والغارب) هذا مثل أصله: فى البعير يستصعب عليك، فتأخذ القرادة من ثروته وغارب سنامه، وتفتر هناك فيجد البعير لذة فيأتى عند ذلك فضرب هذا الكلام مثلًا فى المراوضة والمخاتلة..

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ١٥٩)، والخبر رواه عبد الرزاق فى «التفسير» (٢٣٢٤)، عن معمر عن قتادة بنحوه، وأخرجه ابن المبارك فى «الجهاد» (١/ ٦٦) (٧٥) وإسناده صحيح إلى قتادة، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (١٣٢٧).

تسلل المنافقين وهروبهم يوم الخندق:

عن قتادة أنه قال: «كان المنافقون يقولون: إن بيوتنا عورة، ولا نأمن على أهالينا، فيبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلا يجد فيها أحدًا**»[(١)].

مفاوضة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زعيم غطفان على أن يرجعوا:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء الحارث الغطفانى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد شاطرنا المدينة فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حتى أستأمر السعود**» فبعث إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وسعد بن خيثمة، فقال: «**إنى قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وأن الحارث سألكم أن تشاطروه تمر المدينة، فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا فى أمركم بعد**» فقالوا: يا رسول الله أوحى من السماء، فالتسليم لأمر الله أو عن رأيك وهواك فرأينا نتبع هواك ورأيك، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء، ما ينالون منا ثمرة إلا شراء أو قرى، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هو ذا تسمعون ما يقولون**» قالوا: غدرت يا محمد، فقال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يا حار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمدًا لا يغدر

وأمانة المرى حين لقيتها ... كسر الزجاجة صدعها لا يجبر

إن تغدروا فالغدر من عاداتكم ... واللؤم ينبت فى أصول السخبر[(٢)]

---

(١) صحيح: رواه عبد الرزاق فى «التفسير» (٢٣٢٥)، وعنه ابن جرير فى «التفسير» (٢١/ ١٢٦)، من طريق معمر، عن قتادة، وإسناده صحيح ورواه ابن جرير فى «التفسير» (٢٨٣٨٠)، من طريق ابن إسحاق، ثنى يزيد بن رومان مرسلًا.

(٢) أخرجه البزار (١٨٠٣ - كشف الأستار) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٣٢) «رواه البزار والطبرانى ورجال البزار والطبرانى فيهما محمد بن عمرو وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات» وله شواهد مرسلة، والسخبر: شجر تألفه الحيات فتسكن فى أصوله.

مشاهد من المعركة

شعار المسلمين فى المعركة:

عن أبى إسحاق السبيعى: سمعت المهلب بن أبى صفرة يحدث عن رجل من أصحاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وهو يخاف أن يبيته أبو سفيان فقال: «إن أبيتم فادعوا حم لا ينصرون»[1].

انتداب الزبير ليأتى بخبر بنى قريظة:

عن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما كان يوم الخندق كنت أنا وعمر بن أبى سلمة فى الأطم الذى فيه نساء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أطم حسان، فكان يرفعنى وأرفعه، فإذا رفعنى عرفت أبى حين يمر إلى بنى قريظة، وكان يقاتل مع رسول الله

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٦٥)، (٥/ ٣٧٧)، وأبو داود (٢٥٩٧)، والترمذى (٢٦٨٢)، وأبو عبيد القاسم بن سلام فى «فضائل القرآن» (ص ٢٥٤)، وابن الجارود فى «المنتقى» (١٠٦٣)، وعبد الرزاق فى «المصنف» (٩٤٦٧)، وأبو نعيم فى «معرفة الصحابة» (٦/ ٣١٧١/ ٧٢٩٨)، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ١٠٧)، وعنه البيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٦١ - ٣٦٢)، وغيرهم من طريق سفيان الثورى، عن أبى إسحاق السبيعى، سمعت المهلب بن أبى صفرة، يحدث عن رجل من أصحاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وجهالة الصحابى لا تضر كما هو معلوم.

وأخرجه النسائى فى «الكبرى» (٦/ ١٠٤٥٣)، من طريق شريك بن عبد الله، والنسائى أيضًا والحاكم من طريق زهير بن معاوية كلاهما (شريك وزهير) عن أبى إسحاق به، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبى!! ولم يرويا للمهلب بن أبى صفرة، وهو ثقة، ومن دونه ثقات، والثورى من أثبت الناس فى أبى إسحاق به، فالإسناد صحيح، وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الترمذى (١٣٧٥)، و«المشكاة» (٣٩٤٨)، وقد رواه أحمد (٤/ ٢٨٩)، وغيره من طريق الأجلح الكندى، عن أبى إسحاق، عن البراء به، بلفظ: «إنكم ستلقون العدو غدًا، وإن شعاركم حم لا ينصرون» وأعله النسائى بالأجلح فقال: «الأجلح ليس بالقوى» وكان مسرفًا فى التشيع، وتابعه شيبان عند النسائى - أيضًا (٦/ ١٠٤٥١) لكن فيه عنعنة الوليد ابن مسلم، وسوء حفظ هشام بن عمار، فالمعول على الإسناد الأول، والله الموفق

ﷺ يوم الخندق فقال: «**من يأتى بنى قريظة فيقاتلهم؟**» فقلت له حين رجع: يا أبت تالله إن كنت لأعرفك حين تمر ذاهبًا إلى بنى قريظة فقال: «يا بنى أما والله إن كان رسول الله ﷺ ليجمع لى أبويه جميعًا يفدينى بهما، يقول: «**فداك أبى وأمى**»[(١)].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «اشتد الأمر يوم الخندق فقال رسول الله ﷺ: «**ألا رجل يأتينا بخبر بنى قريظة؟**» فانطلق الزبير فجاء بخبرهم، ثم اشتد الأمر أيضًا، فذكر ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ «**إن لكل نبى حوارى والزبير حوارى**»[(٢)].

إشغال الأحزاب المسلمين عن الصلاة:

عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال يوم الأحزاب: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارًا**»[(٣)]. ثم صلاها بين العشاءين

---

(١) أخرجه البخارى (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦)، وأحمد (١/ ١٦٤ و ١٦٦).

(٢) أخرجه البخارى (٣٧١٩)، ومسلم (٢٤١٥)، والترمذى (٣٧٤٥)، وابن ماجه (١٢٢)، والحميدى (١٢٣١)، وأحمد (٣/ ٣٠٧ و ٣١٤ و ٣٣٨ و ٣٦٥).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٨١) من طريق أبى معاوية، حدثنا الأعمش، عن مسلم، عن شتير بن شكل عن على وأخرجه مسلم (٦٢٧)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٠٤٥)، من حديث أبى معاوية والنسائى من طريق عيسى بن يونس كلاهما عن الأعمش به.
وأخرجه مسلم -أيضًا- (٦٢٧)، من طريق شعبة عن الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار عن على به.
وأخرجه البخارى (٢٩٣١)، وطرفه (٤١١١) ومسلم (٦٢٧)، وأبو داود (٤٠٩)، والترمذى (٢٩٨٤)، والنسائى (١/ ٢٣٦)، وابن ماجه (٦٨٤)، وغيرهم من أصحاب المساند والسنن والصحاح من طرق يطول ذكرها عن عبيدة السلمانى عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.
ورواه ابن جرير فى «التفسير» (٥/ ١٨٤)، عن بندار عن ابن مهدى به.
وأخرجه ابن عبد البر فى «التمهيد» (٤/ ٢٨٨)، والدمياطى فى «كشف المغطى» (ص ٢٠، ٢١) من طريق سفيان عن عاصم بن زر قال: قلت لعبيدة: سل عليا عن الصلاة الوسطى؟ فسأله، فقال: كنا نراها الفجر، حتى سمعت النبى ﷺ فذكره، وإسناده صحيح، وكذا قال إسرائيل عن عاصم: رواه ابن جرير فى «التفسير» (٢/ ٣٤٥)، وكذا قال زائدة بن قدامة رواه الدمياطى (ص ٢٠)، قال الحافظ
=

المغرب والعشاء.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله، ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس أن تغرب فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«والله ما صليتها»** فنزلنا مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطمان، فتوضأنا لها، فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب»[1].

وعن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أبيه قال: «**حبسنا يوم الخندق عن الصلاة حتى كان بعد الغروب، وذلك قبل أن ينزل فى القتال ما نزل**، وفى رواية - قبل أن ينزل صلاة الخوف فرجالًا أو ركبانًا، فلما كفينا القتال وذلك قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، أمر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بلالًا فأقام الظهر، فصلاها كما يصليها فى وقتها»**[2].

المقاتلة والمبارزة بين المسلمين والمشركين:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوا أن يواروه فأبى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حتى أعطوه الدية، وقتل من بنى عامر بن لؤى

= ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فى «التفسير»: «وحديث يوم الأحزاب، وشغل المشركين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه عن أداء صلاة العصر يومئذ مروى عن جماعة من الصحابة يطول ذكرهم». اهـ.

(١) أخرجه البخارى (٤١١٢)، ومسلم (٦٣١)، والترمذى (١٨٠).

(٢) أخرجه النسائى فى «المجتبى» (٢/ ١٧)، و«الكبرى» (١٦٢٥)، والطيالسى (٢٣٤٥)، ومن طريق البيهقى فى «السنن» (٣/ ٢١٥)، والشافعى فى «المسند» (١/ ٣٦٩/ ٥٥٣ - ترتيبه)، و«السنن المأثورة» (١١١/ ١) و«الأم» (١/ ٧٤)، وأحمد فى «المسند» (٣/ ٢٥ و ٤٩و ٦٧ - ٦٨)، وابن خزيمة (٩٩٦و ١٧٠٣)، والدارمى (١/ ٣٥٨)، وابن حبان (٢٨٥)، وصححه، من طريق ابن أبى ذئب، عن سعيد المقبرى، عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى، عن أبيه مطولًا، وهذا سند صحيح، رجاله ثقات، قال ابن سيد الناس كما فى «شرح السيوطى للنسائى»: «وهذا إسناد صحيح جليل»، وصححه ابن السكن، ذكره الحافظ فى «التلخيص» (ص ٧٣).

ابن عبد ود، قتله على بن أبى طالب، مبارزة[١].

إصابة سعد بن معاذ فى أكحله[٢]:

قال ابن إسحاق: وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل الأنصار أخو بنى حارثة أن عاشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة، قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمر سعد وعليه درع له مقلَّصة، وقد خرجت منها ذراعه كلها، وفى يده حربته يرقُد، ويقول:

لبث قليلًا يشهد الهيجا حمل   لا بأس بالموت إذا حان الأجل

قال: فقالت له أمه: الحق: أى بنى، فقد والله أخَّرت؛ قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى؛ قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمى سعد بن معاذ بسهم، فقطع منه الأكحل، رماه - كما حدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة، حبانُ بن قيس بن العرقة، أحد بنى عامر بن لؤى، فلما أصابه قال: خدها منى وأنا ابن العرقة؛ فقال له سعد: عرق الله وجهك فى النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة»[٣].

---

(١) أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٣٢)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى، وقد جاء أيضًا مرسلًا من حديث ابن شهاب الزهرى، وهو مرسل عند الحاكم (٣/ ٣٢)، وقال: إسناد هذه المغازى صحيح على شرط الشيخين، قلت: أما مبارزة على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعمرو بن عبدود فقد رواها ابن إسحاق مفصلة لكنها مرسلة، رواه ابن جرير فى «التاريخ» (٢/ ٥٧٣ - ٥٧٤) والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٣٦ - ٤٣٩)، من طريق ابن إسحاق ورواه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ١٦١).

(٢) الأكحل: عرق فى وسط الذراع فى كل عضو منه شعبة إذا قطع لم يرقأ الدم.

(٣) إسناده حسن: لأجل ابن إسحاق وقد صرح فيه بالتحديث أخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ =

ابتهال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعائه لربه:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شىء بعده**»[(١)].

عن عبد الله بن أبى أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأحزاب فقال: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»[(٢)].

محاولات فاشلة للتسلل إلى حصون النساء:

عن رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لم يكن حصن أحصن من حصن بنى حارثة، فجعل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النساء والصبيان والذرارى فيه، وقال: «**إن ألم بكن أحد**

= ١٦٢)، وابن جرير فى «التاريخ» (٢/ ٥٧٥)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٤٤٠ - ٤٤١)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٣/ ٢٣٩)، بالإسنادين معًا من طريق ابن إسحاق بهذا الإسناد، والإسناد الثانى مرسل وهو عن عاصم لكن للحديث طرق يصح بها، منها ما رواه أحمد (٢٥٠٩٧)، وابن سعد (٣/ ٢٢١ - ٣٢٢)، وابن أبى شيبة (١٤/ ٤٠٨)، وابن حبان (٦٤٣٩) و(٧٠٢٨)، والطبرانى فى «الكبير» (٥٣٣٠)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص٤٣٣)، من طرق عن محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص عن عائشة مطولاً ومختصرًا، وإسناده فيه ضعف، لجهالة حال عمرو بن علقمة الذى لم يرو عنه إلا ابنه محمد ولم يوثقه إلا ابن حبان، لكن قوله: «اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا» رواه البخارى (٤١٢٢)، ومسلم (٦٧/ ١٧٦٩)، من طريق: هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة بنحوه، وذكر ابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (٢/ ٩٥)، أن الذى رماه هو خفاجة بن عاصم بن جبارة، وقيل: بل الذى رماه أبو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم وذكر ابن كثير فى «البداية» (٤/ ١٠٨)، من طريق ابن إسحاق به.

ومعنى «درع مقلصة»: أى مجتمعة منضمة. و«العرقة»: هى قلابة بنت سعد وهى أمه، لقبت بذلك لطيب ريحها، وهى جدة أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أم أمها هالة.

(١) أخرجه البخارى (٤١١٣)، ومسلم (٢٧٢٤)، من طريق أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة به.

(٢) أخرجه البخارى (٢٩٣٣)، و(٤١١٥) و (٧٤٨٩) ومسلم (٢١/ ١٧٤١) من طريق إسماعيل بن أبى خالد به.

فألمعن بالسيف» فجاءهن رجل من بنى ثعلبة ابن سعد يقال له نجدان أحد بنى حشاش على فرس، حتى كان فى أصل الحصن ثم جعل يقول للنساء: أنزلن إلى خير لكن، فحركن السيف فأبصره أصحاب رسول الله ﷺ فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بنى الحارثة يقال له: ظهير بن رافع، فقال: يا نجدان ابرز، فبرز إليه، فحمل على فرسه، فقتله وأخذ رأسه فذهب به إلى النبى ﷺ[(١)].

ما لقيه الصحابة من شدة فى يوم الخندق:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أرسلنى خالى عبد الله بن مظعون ليلة الخندق فى برد شديد وريح إلى المدينة، فقال: ائتنا بطعام ولحاف، قال: فاستأذنت رسول الله ﷺ فأذن لى، وقال: «**من أتيت من أصحابى فمرهم يرجعوا**» قال: فذهبت والريح تسفى[(٢)] كل شىء، فجعلت لا ألقى أحدًا إلا أمرته بالرجوع إلى النبى ﷺ قال: فما يلوى أحد منهم عنقه، قال: وكان معى ترس لى، فكانت الريح تضربه على، قال: وكان فيه حديد، قال: فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفى فأنفذها إلى الأرض»[(٣)].

ما كان فيه الصحابة رضوان الله عليهم من شدة الخوف والجوع والبرد والظلمة، وتحسس الأخبار عن الأحزاب:

عن محمد بن كعب القرظى قال: قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله لقد رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يابن أخى، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، وقال: والله لو أدركنا ما تركناه

---

(١) صحيح: قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٣٣) رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٢) تسفى، سفت الريح التراب: أذرته أو حملته.

(٣) أخرجه الطبرى فى «التفسير» (٢١/ ١٢٧)، بسنده قال: حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب حدثنى عبيد الله ابن عمر، عن نافع، عن عبد الله بن عمر به، وسنده صحيح.

يمشى على الأرض، ولجعلناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يابن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخندق، وصلى رسول الله ش من الليل هويا، ثم التفت إلينا فقال: «**من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم، يشترط له رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه يرجع، أدخله الله الجنة**» فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد.

فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يكن لى بد فى القيام حين دعانى فقال: «**يا حذيفة فاذهب فادخل فى القوم فانظر ما يفعلون، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا**» قال: فذهبت فدخلت فى القوم، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل، لا تقر لهم قدر، ولا نار، ولا بناء فقام أبو سفيان ابن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ إلى جليسه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذى جنبى فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان ابن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع وأخلفتنا بنو قريظة، بلغنا منهم الذى نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أطلق عقله، إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله «**لا تحدث شيئًا حتى تأتينا**» ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: ثم رجعت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه مرجل، فلما رآنى أدخلنى إلى رحله، وطرح عليه طرف المرط، ثم ركع وسجد وإنه لفيه، فلمَّا سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشمروا إلى بلادهم»[1].

---

(١) صحيح: وهذا مرسل إسناده حسن، حسنه من أجل محمد بن إسحاق، وإرساله لمحمد بن كعب القرظى فإنه لم يدرك حذيفة، ورواه أحمد (٢٣٣٣٤)، عن ابن إسحاق به ويشهد له ما بعده، والكراع: اسم لجمع الخيل، والمرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به، وتتلفع به المرأة.

وفى صحيح مسلم؛ بعد أن ذكر حذيفة استنفار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة ثلاثة ثم قوله قم يا حذيفة قال: «... **فمضيت كأنى أمشى فى حمام حتى آتيتهم، فإذا أبو سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهمى فى كبد قوسى واردت أن أرميه، ثم ذكرت قول رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«لا تذعرهم على»** ولو رميته لأصبته، قال: فرجعت كأنما أمشى فى مثل الحمام، فأتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أصابنى البرد حين فرغت وقررت، فأخبرت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فألبسنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها، فلم أزل نائمًا حتى الصبح، فلما أن أصبحت، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«قم يا نومان»**[1] .

تأييد الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بريح الصبا :**

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الأحزاب: ٩] .

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»**[2] .

اغتسال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **واستجماره ووضعه السلاح بعد رحيل الأحزاب :**

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **«لما رجع النبى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من طلب الأحزاب، فنزل المدينة، وضع لأمته، واغتسل، واستجمر»**[3] .

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩/ ١٧٨٨) وأبو عوانة (٦٨٣٩)، وابن حبان (٧١٢٥)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣٥٤)، وفى «الدلائل» (٤٣٢)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٤٨)، وفى «الدلائل» (٣/ ٤٤٩)، من طريق عن إبراهيم التيمى، عن أبيه، عن حذيفة، ورواه الحاكم (٣/ ٣١)، ومن طريقه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٥٠)، ومن طريق البيهقى رواه ابن عساكر فى «التاريخ» (١٢/ ٢٨٢ - ٢٨٣).
من طريق: موسى بن أبى المختار عن بلال بن يحيى العبسى، عن حذيفة، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٥١)، من طريق: محمد بن عبيد الحنفى، عن عبد العزيز ابن أخى حذيفة عن حذيفة.
وقوله: «كأنما أمشى فى حمام» أى: أنه لم يجد من البرد ما يجد الناس.

(٢) أخرجه البخارى (١٠٣٥ و ٣٢٠٥ و٣٣٤٣ و٤١٠٥)، ومسلم (١٩٠٠).

(٣) حسن: ذكره فى «المطالب العالية» (٤٣٢٨)، ونسبه لإسحاق بن راهويه، وقال الحافظ: هذا إسناد =

لن يغزو المشركون المدينة بعد يوم الأحزاب:

عن سليمان بن صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول حين أجلى عنه يوم الأحزاب: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم**»[(١)].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعًا كثيرة، «**لا يغزونكم بعدها أبدًا، ولكن تغزونهم**»[(٢)].

وهذا من أعلام نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذى يغزوها، حتى فتح الله عليه مكة.



= حسن، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٤٠)، «رواه الطبرانى فى «الأوسط» ورجاله ثقات.

(١) أخرجه البخارى (٤١٠٩)، والطبرانى فى «الكبير» (٦٤٨٤)، وابن قانع فى «معجم الصحابة» (١/ ٢٨٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٥٧)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٤/ ٣٤٥)، و(٧/ ١٣٣)، وأحمد (١٨٣٠٨)، من طريق سفيان الثورى، ورواه البخارى (٤١١٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٥٧ - ٤٥٨)، والبغوى (٣٧٩٤)، من طريق: إسرائيل، وأبو نعيم فى «الحلية» (٤/ ٣٤٥) من طريق شريك، ثلاثتهم عن أبى إسحاق، عن سليمان به.

(٢) أخرجه البزار (١٨١٠ - كشف) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٣٩)، «رجاله ثقات»، وحسن إسناده الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٤٦٨) - السلفية.

فَصْلٌ
فى غزوة بنى قريظة

جبريل يأمر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمسير إلى بنى قريظة:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما رجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخندق، ووضع السلاح، واغتسل أتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ،فقال: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه، فأخرُجْ إليهم، قال: «**فإلى أين؟**» قال: ها هنا، وأشار إلى قريظة، فخرج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم»[1].

النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحث الصحابة على سرعة المسير إلى بنى قريظة:

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجع من طلب الأحزاب رجع، فوضع لأمته،واستجمر: «زاد دحيم فى حديثه: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: **عذيرك من محارب، ألا أراك قد وضعت اللأمة، وما وضعناها بعد**»، فوثب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزعًا، فعزم على الناس ألا يصلوا العصر إلا فى بنى قريظة، فلبسوا السلاح، وخرجوا فلم يأتوا بنى قريظة حتى غربت الشمس، واختصم الناس فى صلاة العصر فقال بعضهم: صلوا، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرد أن تتركوا الصلاة، وقال بعضهم: عز علينا أن لا نصلى حتى نأتى بنى قريظة، وإنما نحن فى عزيمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليس علينا إثم، فصلت طائفة العصر إيمانًا واحتسابًا، وطائفة لم يصلوا حتى نزلوا بنى قريظة بعد ما غربت الشمس فصلوها إيمانًا واحتسابًا، فلم يعنف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحدة من الطائفتين»[2].

---

(١) أخرجه البخارى (٤١١٧)، ومسلم (٦٥/ ١٧٦٩) وأحمد فى «المسند» (٦/ ١٣١و ٢٨٠)، وعبد بن حميد فى «مسنده» (١٤٨٦ - منتخب) والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٥ - ٦).

(٢) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٩/ ٧٩) (١٦٠)، وفى «الأوسط» (٨١٩٥)، والبيهقى فى «الدلائل»

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نادى فيهم يوم انصرف عنهم الأحزاب: «ألا لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة»، فأدرك بعضهم العصر فى الطريق فقال بعضهم: لا نصلى حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلى، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يعنف واحدًا منهم»[1].

= (٤/ ٧)، من طريق الذهبى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عمه عبيد الله فى «الفتح» والطبرانى: (عبيد الله)، وعند البيهقى (عبد الله)، والصواب: (عبيد الله) وهو مرسل. ووصله الطبرانى فى «الكبير» عن كعب بن مالك، وفى «الأوسط» عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن كعب.
قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٤٠): «إسناد الأوسط رجاله ثقات، وإسناد الكبير رجاله رجال الصحيح غير أبى هذيل وهو ثقة» وقال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٣٢٨)، «إسناده صحيح إلى الزهرى».
وأخرجه عبد الرزاق فى «المصنف ٥/ ٣٦٩)،والطبرانى فى «الكبير» (١٣/ ٤٢٥) (١٥٥٠٩)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (٢/ ١٧٣). جميعًا من طريق الزهرى، وصححه الحافظ فى «الفتح»، وقوله: عذيرك: أى هات من يعذرك واللأمة: الدرع أو السلاح، ولأمة الحرث آلته.

(١) أخرجه البخارى (٤١١٩)، ومسلم (٦٩/ ١٧٧٠)، لكن لفظ مسلم: «الظهر» بدل من «العصر»، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٦)، من طرق عن نافع عن ابن عمر به.
وانظر كلام الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٤٧٢- ٤٧٣):السلفية فى التوفيق بين الروايتين. وكذا كلام الإمام فى «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ١٣٩ - ١٤٠).
قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٤٧٢ - ٤٧٣):فى التوفيق بين روايتى الظهر والعصر: «قد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر، وبعضهم لم يصلها فقيل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر.
وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة- فقيل للطائفة الأولى: الظهر، وقيل للطائفة التى بعدها: العصر، وكلاهما جمع لا بأس به، لكن يبعده اتحاد مخرج الحديث لأنه عند الشيخين - كما بيناه - بإسنادٍ واحد من مبدئه إلى منتهاه، فيبعد أن يكون كل من رجال إسناده قد حدث به على الوجهين إذ لو كان كذلك لحمله واحد منهم عن بعض رواته على الوجهين، ولم يوجد ذلك، ثم تأكَّد عندى أن الاختلاف فى اللفظ المذكور من حفظ بعض رواته، فإن سياق البخارى وحده مخالف لسياق كل من رواه عن عبد الله بن محمد بن أسماء، وعن عمه جويرية ولفظ البخارى: قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لا يصلين أحدٌ العصر إلا فى بنى قريظة**» فأدرك بعضهم العصر فى الطريق، فقال بعضهم: لا نصلى حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلى لم يُرد منا ذلك، فذكر للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يُعنف واحدًا منهم. ولفظ مسلم وسائر من رواه: نادى فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم انصرف عن =

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولكن فى ترجيح أحد هذين الفعلين على الآخر نظر، وذلك أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعنف أحدًا من الفريقين، فمن يقول بتصويب كل مجتهد، فكل منهما مصيب ولا ترجيح، ومن يقول بأن المصيب واحد - وهو الحق لا شك فيه ولا مرية؛ لدلائل من الكتاب والسنة كثيرة -؛ فلا بد على قوله من أن أحد الفريقين له أجران بإصابة الحق، وللفريق الآخر أجر»[(١)].

سبب الغزوة:

هو نقضهم العهد الذى كان بينهم وبين النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى أحلك الظروف وأصعبها على المسلمين، فى أثناء حصار الأحزاب للمدينة، وهذا السبب قد ثبت بطرق قابلة بمجموعها للاحتجاج بها[(٢)]، ومنها:

عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: اشتد الأمر يوم الخندق فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا رجل يأتينا بخبر بنى قريظة؟**» فانطلق الزبير فجاء بخبرهم، ثم اشتد الأمر ايضًا، فذكر ثلاث مرات، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لكل نبى حوارى، والزبير**

= الأحزاب أن لا يصلين أحدٌ الظهر إلَّا فى بنى قريظة - فتخوَّف ناسٌ فَوْت الوقت فصلوا دون بنى قريظة. وقال آخرون: لا نصلى إلا حيث أمرنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن فاتنا الوقت، قال: فما عنف واحدًا من الفريقين؛ فالذى يظهر من تغاير اللفظين أن عبد الله بن محمد بن أسماء شيخ الشيخين فيه لما حدَّث به البخارى حدَّث به على هذا اللفظ، ولما حدَّث به الباقين حدَّثهم به على اللفظ الآخير وهو اللفظ الذى حدَّث به جويرية، بدليل موافقة أبى عتبان له عليه بخلاف اللفظ الذى حدَّث به البخاري، أو أن البخارى كتبه من حفظه، ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه فى تجويز ذلك بخلاف مسلم فإنه يحافظ على اللفظ كثيرًا، وإنما لم أجوز عكسه لموافقة من وافق مسلمًا على لفظه بخلاف البخاري، لكن موافقة أبى حفص السلمى له تؤيد الاحتمال الأول، وهذا كله من حديث ابن عمر إلى حديث غيره، فالاحتمالان المتقدمان فى كونه قال الظهر لطائفة، والعصر لطائفة متجه، فيحتمل أن تكون رواية الظهر هى التى سمعها ابن عمر، ورواية العصر: هى التى سمعها كعب بن مالك وعائشة، والله أعلم. اهـ. كلام الحافظ.

(١) «الفصول»: (ص ١٦٣).

(٢) «صحيح السيرة النبوية» (ص ٣٧٢).

حوارى»(١).

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر - أن الذى دار بين حيى بن أخطب وكعب بن أسد القرظى - بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس).

وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة، وخوات ابن جبير، فقال: **«انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لى لحنًا أعرفه، ولا تفتوا فى أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس»**، قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: مَنْ رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلًا فيه حدة؛ فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة؛ أى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين»**(٢).

بنو قريظة يسبون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالغيب ويسمعون أصحابه ذلك:

قال ابن إسحاق: ... سار على بن أبى طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجع حتى لقى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالطريق، فقال يا رسول الله: لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟ قال: نعم يا رسول الله؟ قال: لو رأونى لم يقولوا من ذلك

(١) سبق تخريجه فى «غزوة الأحزاب».

(٢) أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٤٢٩) من طريق ابن إسحاق: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة به وإسناده مرسل صحيح، وذكره ابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (٢/ ٩٠، ٩١)، وابن كثير فى «البداية» (٤/ ٢٠٤) وغيرهم وسبق تخريجه.

شيئًا، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولًا»[1].

جبريل عليه السلام يزلزل حصون بنى قريظة ويقذف الرعب فى قلوبهم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كأنى انظر إلى الغبار ساطعًا فى زقاق بنى غنم، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة»[2].

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ١٦٧، ١٦٨)، وأخرجه موسى بن عقبة فى «مغازيه» كما فى «البداية والنهاية» (٤/ ٥٤٣) ومن طريق البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١١ - ١٤) عن الزهرى به وهذا مرسل صحيح الإسناد.
وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١٤): بسند حسن عن عروة بن الزبير به مرسلًا.
وأخرجه ابن جرير الطبرى فى «التفسير» (٢١/ ٩٥ - ٩٦): من حديث محمد بن إسحاق عن ابن شهاب الزهرى به والحاكم فى «مستدركه» (٣/ ٣٤ - ٣٥) من طريق عبد الله بن عمر العُمرى، عن أخيه عبيد الله بن عمر عن القاسم بن محمد عن عائشة بنحوه، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين فإنهما قد احتجا بعبد الله بن عمر العمرى فى الشواهد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى قال الحافظ فى «التقريب»: ضعيف.
وقال الحافظ ابن كثير فى «البداية»: ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها، وذكره أيضًا فى «التفسير» (١/ ١٦٦) عن مجاهد.

(٢) أخرجه البخارى (٤١١٨)، وأخرجه ابن سعد من طريق سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال مطولًا لكن ليس فيه أنس، وأوله: «كان بين بنى قريظة وبين النبى ﷺ عهد؛ فلما جاءت الأحزاب نقضوه وظاهروهم فلما هزم الله ﷻ الأحزاب تحصنوا، فجاء جبريل ومن معه من الملائكة فقال: يا رسول الله انهض إلى بنى قريظة فقال: إن فى أصحابى جهدًا قال: انهض إليهم فلأضعضعنهم قال: فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم الأنصار» ذكره الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٤٧١)، وأخرج ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ١٦٨)، »... ومر رسول الله بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بنى قريظة، فقال: «هل مر بكم أحد. قالوا: يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى» على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال رسول الله ﷺ: «ذلك جبريل بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم» أخرجه الحاكم (٣/ ٣٤ - ٣٥) والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٨)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (٤٣٧) من طريق: عبد الله بن عمر العمرى، عن أخيه عبيد الله بن عمر، عن القاسم بن محمد، عن عائشة بنحوه مطولًا ومختصرًا وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبى! قلت: بل هو ضعيف، فإن العمرى ضعيف كما قال الحافظ فى «التقريب» لكن يشهد له ما فى البخارى من حديث أنس.
=

حصار بنى قريظة:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «... فلبس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته، وأذن فى الناس بالرحيل أن يخرجوا، فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمر على بنى غنم، وهم جيران المسجد حوله، فقال: من مر بكم؟ فقالوا: مر بنا دحية الكلبى، وكان دحية الكلبى تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالت: فأتاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسًا وعشرين ليلة»[1].

قصة أبى لبابة وتوبته:

عن معبد بن كعب بن مالك: قال: «ثم إنهم - أى يهود بنى قريظة - بعثوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، أخا بنى عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، لنستشيره فى أمرنا، فأرسله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه، فرق لهم، وقالوا له: يا أبا لبابة! أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقة، إنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله - ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت، وعهد الله: أن لا أطأ بنى قريظة أبدًا، ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فيه أبدًا»[2].

«ثم ندم على هذه الكلمة من وقته، فقام مسرعًا، فلم يرجع إلى رسول الله

= قال الحافظ ابن كثير فى «البداية» (٤/ ٥٤١): «ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وغيرها.

(١) وهو جزء من حديث طويل عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سبق تخريجه.

(٢) مرسل صحيح الإسناد: أخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ١٦٩)، ومن طريق البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١٥) قال: حدثنى أبى إسحاق بن يسار، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصارى به مطولًا.
وهذا مرسل صحيح الإسناد: وانظر الآتى.

ﷺ، حتى جاء مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف: لا يحله إلا رسول الله ﷺ بيده وأنه لا يدخل أرض بنى قريظة أبدًا، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك: قال: «**دعوه حتى يتوب الله عليه**»، وكان من أمره ما كان حتى تاب الله عليه رضي الله عنه(١).

نزول بنى قريظة على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه:

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: «نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبى ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم** - أو خيركم - فقال: **هؤلاء نزلوا على حكمك**» فقال: تقتل مقاتلتهم، ويسبى ذراريهم قال: «**قضيت بحكم الله**، وربما قال: **بحكم الملك**»(٢).

---

(١) «الفصول» لابن كثير (ص ١٦٦) وقوله ﷺ: «دعوه ..» إسناده حسن، أخرجه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٨٦٤٣)، وأحمد (٦/ ١٤١ - ١٤٢) وابن سعد (٣/ ٤٢١ - ٤٢٣)، وابن حبان (٧٠٢٨ - إحسان) من طريق محمد بن عمرو عن أبيه عن جده عن عائشة به.

وهذا الإسناد حسن فى الشواهد والمتابعات: عمرو بن علقمة مقبول؛ كما فى «التقريب» وله شاهد آخر من مرسل قتادة: أخرجه سعيد بن منصور فى «السنن» (٩٨٧) وابن جرير الطبرى فى «التفسير» (٩/ ١٤٦) وابن أبى حاتم فى «التفسير» (٨٩٧٥)، من طريق سفيان، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عبد الله بن أبى قتادة به مختصرًا.

قلت: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وشاهد ثالث من مرسل موسى بن عقبة: أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١٢ - ١٤)، وهو مرسل صحيح الإسناد.

وبالجملة: فالحديث ثابت صحيح لغيره، والله أعلم.

وقد ساق شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى قصة توبته رضي الله عنه -وأنه قيد نفسه فى سارية من سوارى المسجد، فلما نزلت توبته أراد الناس أن يحلوه فأبى أن لا يحله إلا رسول الله ﷺ بيده، فحله فقال: يا رسول الله: إنى كنت نذرت أن أنخلع من مالى صدقة»، فقال: «**يجزيك الثلث أن تتصدق به**» «التفسير» (١٣/ ١٥٩٢٣).

(٢) أخرجه البخارى (٣٠٤٣ و ٣٨٠٤ و ٤١٢١ و ٦٢٦٢) وفى «الأدب المفرد» (٩٤٥)، ومسلم (١٧٦٨)، وأبو داود (٥٢١٥) (٥٢١٦) والنسائى فى «الكبرى» (٨٢٢٢) وابن أبى شيبة (٨/ ٥٠٣/

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلما أصبحوا «بنو قريظة» نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت - وقد كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بنى قريظة قدحاصر بنى قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أبى ابن سلول، فوهبهم له - فلما كلمته الأوس قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى؛ قال: رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فذاك إلى سعد بن معاذ وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لا مرأة من أسلم، يقال لها: رُفيدة، فى مسجده كانت تداوى الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «**اجعلوه فى خيمة رُفيدة حتى أعودَهُ من قريب**». فلما حكَّمه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى بنى قريظة، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطَّئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلًا جسيمًا جميلًا، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن فى مواليك، فإن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل، فنعَى لهم رجال بنى قريظة، قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التى سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قوموا إلى سيدكم**» فأما المهاجرون من قريش، فيقولون: إنما أراد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنصار؛ وأما الأنصار، فيقولون: قد عم به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله

= ٦) وأحمد (١١١٦٨)، والطبرانى فى «الكبير» (٥٣٢٣)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٣/ ١٧١)، والبيهقى فى «الشعب» (٨٩٢٥) وفى «السنن» (٦/ ٥٧ - ٥٨) و(٩/ ٦٣)، وفى «الدلائل» (٤/ ١٨)، وأبو يعلى (١١٨٨)، والبغوى (٢٧١٨)، من طرق عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبى أمامة بن سهل قال: سمعت أبا سعيد الخدرى.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم؛ فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم، وعلى ما هاهنا؟ فى الناحية التى فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو معرض عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إجلالًا له؛ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم**»، قال سعد: فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتُسبى الذرارى والنساء.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثى، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**»[(١)].

عدد الذين قتلهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بنى قريظة:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لسعد لما حكم فيهم: «**أصبت حكم الله فيهم**» وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم، انفتق عرقه فمات[(٢)].

قال ابن إسحاق: وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة[(٣)].

---

(١) **صحيح:** والإسناد مرسل حسن: أخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ١٧١ - ١٧٢)، وقد وصله أحمد فى «المسند» (٢٥٠٩٧)، والطحاوى فى «شرح المشكل» (١١٢٠)، وابن سعد (٣/ ٣٢١ - ٣٢٣)، وابن حبان (٧٠٢٨) وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٤٣٥)، من طريق محمد بن عمرو، حدثنى أبى، عن جده علقمة، عن عائشة به مطولًا ومختصرًا، وإسناده فيه ضعف، فإن عمرو بن علقمة، مجهول الحال، فلم يرو عنه غير ابنه محمد، ولم يوثقه غير ابن حبان، وقال الطحاوى: عن أبى سعيد، وجاء متفرقًا من طرق صحيحة، فروى أبو الشيخ فى «أخلاق النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (ص ٧١)، وابن حبان (٦٤٣٩)، من طريق: محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، عن عائشة بنحوه وإسناده أحسن مما مضى وأقوى، وانظر الحديث السابق فى التعليق السابق.

(٢) **صحيح:** أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ٣٥٠)، والدارمى (٢/ ٢٣٨)، والترمذى (١٥٨٢)، وقال: «حديث حسن صحيح» وابن حبان (٤٧٨٤)، وصحح إسناده الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٤٧٨).

(٣) «السيرة النبوية» (٣/ ١٧٢)، وقد جمع الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٤٧٨) بين هذه الأقوال فراجعه فى «الفتح».

قتل حيى بن أخطب:

قال ابن إسحاق: وأتى بحيى بن أخطب عدو الله، وعليه حلة فقاحية[1]، قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أما والله ما لُمت نفسى فى عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس: إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ثم جلس فضربت عُنقه[2].

قصة المرأة التى قُتلَت من بنى قريظة:

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندى تتحدث معى تضحك ظهرًا وبطنًا ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت، أنا والله، قالت: قلت: ويلك ومالك؟ قالت: أقتل، قالت: قلت: ولم؟ قالت: حدثًا أحدثته، قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها، وكانت عائشة رضىٰ الله تعالى عنها: والله ما أنسىٰ عجبىٰ من طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل»[3].

---

(١) أى: تضرب إلى الحمرة.

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ١٧٢ - ٧٣)، ورواه عن ابن إسحاق: الطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٥٨٨)، والبيهقى فى «الدلائل (٤/ ٢٢ - ٢٣)، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (٢/ ١٠٩)، وابن كثير فى «التاريخ» (٤/ ١٢٤). وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٣٩): «رواه الطبرانى مرسلًا وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن وفيه ضعف.

(٣) إسناده حسن: وذلك لأجل ابن إسحاق، وقد صرح بالتحديث، وقد رواه من طريق ابن إسحاق: أحمد (٦/ ٢٧٧) (٢٦٣٦٤)، وأبو داود (٢٦٧١)، والحاكم (٣/ ٣٥ - ٣٦)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٨٢)، وفى «معرفة السنن» (١٨٠١٨)، والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٥٨٩)، وصححه الحاكم على شرط مسلم وقال الساعاتى فى «الفتح الربانى» (٢١/ ٨٥)، «سنده صحيح ورجاله ثقات» وقولها: «ظهرًا وبطنًا» أى لا يبدو على ملامحها أثر الحزن: «والحديث الذى أحدثته»: طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته، فقتلها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به.

إسلام بعض يهود بنى قريظة:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حاربت قريظة وبنو النضير، فانجلى بنى النضير، وأقر قريظة، ومَنَّ عليهم حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبى فأمنهم، وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم: بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بنى حارثة، وكل يهود المدينة»[(١)].

قسم فىء بنى قريظة:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسَّم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبنائهم على المسلمين، وأعلم فى ذلك اليوم سُهمان الخيل وسهمان الرجال، وأخرج منها الخُمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل، من ليس له فرس، سهم، وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسًا، وكان أول فىء وقعت فيه السهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة فى المغازى[(٢)].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٠٢٨)، ومسلم (١٧٦٦)، وأبو داود (٣٠٠٥)، وذكر ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ١٧٠)، أسمائهم فقال: «ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعيد، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بنى هذل، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) أخرجه ابن جرير فى «التاريخ» (٢/ ٥٩١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٢٤)، من طريق ابن إسحاق معلقًا «السيرة» (٣/ ١٧٥)، ومنه يستفاد أن أول قسمة قسمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الفارس وغيره كان زمن بنى قريظة، لكن جاء فى «صحيح البخارى» (٢٨٦٣ و ٤٢٢٨)، و«مسند أحمد» (٢/ ٢)، و«سنن ابن ماجه» (٢٨٥٤)، و«المنتقى» (١٠٨٤)، و«السنن» للدارقطنى (٤/ ١٠٢)، و«السنن» للبيهقى (٩/ ٥١)، وغيرهم عن ابن عمر، «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل يوم خيبر للفرس سهمين، وللرجل سهم»، وروى النسائى (٦/ ٢٢٨)، والطحاوى فى «شرح المعانى» (٣/ ٢٨٣)، والدارقطنى (٤/ ١١٠)، والبيهقى (٦/ ٣٢٦)، عن الزبير بن العوام أنه قال: «ضرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام خيبر»، الحديث؛ فيمكن أن يقال: أرسى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر يوم قريظة وحققه زمن خيبر والله أعلم.

إعفاء من لم ينبت من القتل من صغار بنى قريظة وكيف يعرفون:

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر بقتل كل من أنبت منهم.

وعن عطية القرظى قال: «كنت من سبى بنى قريظة، فكانوا ينظرون، فمن أنبت الشعر قتل، ومن لم ينبت لم يقتل، فكنت ممن لم ينبت».

وفى رواية أخرى: «فكشفوا عن عانتى، فوجدوها لم تنبت فجعلونى فى السبى»(١).

موت سعد بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وفيه: بعد حكمه على بنى قريظة: أنه دعا فقال: «اللهم إن كنت أبقيتَ على نبيك من حرب قريش شيئًا فأبقنى لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضنى إليك، قالت: فانفجر كلمه وكان قد برئ حتى ما يرى منه إلا مثل الخرص ورجع إلى قبته التى ضرب عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت عائشة: فحضره

---

(١) صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ١٦٤/ ٤٣٠)، من طريق ابن إسحاق، وقد تابع ابن إسحاق عليه جماعة، فرواه الطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ١٦٣/ ٤٢٩)، من طريق عمرو بن مرزوق، والطيالسى (١٢٨٤)، والنسائى (٨/ ٩٢)، عن خالد وابن الجارود فى «المنتقى» (١٠٤٥)، عن وهب ابن جرير، والحاكم (٣/ ١٢٣)، والبيهقى فى «السنن» عن آدم بن إياس، والحاكم (٣/ ١٢٣)، عن النضر بن شميل، وابن سعد (٢/ ٥٩)، عن الفضل كلهم بهذا الإسناد عن شعبة.، وقد تابع شعبة عليه جماعة منهم: «سفيان الثورى» فرواه ابن أبى شيبة (١٢/ ٣٨٤)، وابن سعد (٢/ ٥٩)، وعبد الرزاق (١٨٧٤٣)، وأحمد (٤/ ٣١٠)، وأبو داود (٤٤٠٤)، والترمذى (١٥٨٤)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٦٢١)، وابن ماجه (٢٥٤١)، والطحاوى فى «شرح المعانى» (٣/ ٢١٦)، والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ١٦٣ - ٤٢٨)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٥٨)، و (٩/ ٦٣)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٣/ ٥٤٢)، كلهم من طرق عن الثورى بهذا الإسناد. و«منهم سفيان بن عيينة» أخرجه الحميدى (٨٨٨)، وأحمد ٤/ ٣٨٣ (١٩٤٢٢)، والنسائى ٦/ ١٥٥، وفى «الكبري» (٥٦٢٣)، وابن ماجه (٢٥٤٢)، والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ١٦٤/ ٤٣٢)، وابن حبان (٤٧٨٢)، والحاكم (٤/ ٣٩٠)، من طرق عنه بهذا الإسناد، وللحديث طرق أخرى لو استقصيناها لطال بنا المقام. وفيما ذكرناه الآن كفاية. والحمد لله رب العالمين. قال الترمذى رَحِمَهُ اللهُ: «هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم: أنهم يرون الإنبات بلوغًا إن لم يعرف احتلامه ولا سنه، وهو قول أحمد وإسحاق».

رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، قالت: فوالذى نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر، وأنا فى حجرتى، وكانوا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال علقمة: قلت: أى أمه، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته»[١].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى رسول الله ﷺ حين قُبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجرًا بعمامة من استبرق فقال: «**يا محمد من هذا الميت الذى فُتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش؟**» قال: فقام رسول الله ﷺ سريعًا يجرُّ ثوبه إلى سعد فوجده قد مات»[٢].

اهتزاز العرش لموت سعد:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد**»[٣].

---

(١) هو جزء من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد سبق ذكره وتخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٠)، من طريق: معاذ بن رفاعة قال: أخبرنى محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح، عن جابر به، وأخرجه أيضًا الطبرانى (٥٣٤٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٢٩)، وفى «إثبات عذاب القبر» (١١٣)، وأحمد (٣/ ٣٧٧)، من طريق ابن إسحاق به، وأخرجه أحمد فى «فضائل الصحابة» (١٤٩٦ و ١٤٩٧)، وفى «المسند» (٣/ ٣٢٧)، والطبرانى (٥٣٤٠)، وابن حبان (٧٠٣٣)، والحاكم (٣/ ٢٠٦)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٢٢٤)، من طرق عن معاذ بن رفاعة عن جابر وفيه انقطاع فإن معاذًا لم يسمعه من جابر، فإن بينهما محمود - كما سبق - وله شاهد من حديث عائشة وابن عباس وابن عمر وغيرهم يصح بهم الحديث إن شاء الله تعالى وصححه الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٩٨).

(٣) أخرجه البخارى (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦)، والترمذى (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٥٨)، وأحمد (٣/ ٣٧٢)، وابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ٤٣٠)، والنسائى فى «فضائل الصحابة» (ص ٣٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٢٩)، وهذا حديث بلغ حد التواتر، ورد من حديث جابر وأنس وحذيفة وعاصم بن عمر عن جدته رميثة وابن عباس وغيرهم، وقال ابن عبد البر: «أنه روى من وجوه كثيرة متواترة.
قال الذهبى فى «السير»: وقد تواتر قول النبى ﷺ: «إن العرش اهتز لموت سعد».
=

مشاركة الملائكة فى حمل جنازته :

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته لحكمه فى قريظة، فبلغ ذلك النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**لا، ولكن الملائكة تحمله**» [(١)].

ضم القبر لسعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسبحَّ الناسُ معه، ثم كبر فكبر الناس معه، فقالوا: يا رسول الله مِمَّ سبحت؟ قال: «**لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره، حتى فرَّج الله عنه**» [(٢)].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجيا منها، نجا منها سعد بن معاذ**» [(٣)].

= وذكر الذهبى رحمه الله -: أكثر هذه الروايات.

قال فى «شرح المواهب»: ثبت عن عشرة من الصحابة، وراجع: «نظم المتناثر فى الحديث المتواتر» (ص ١٢٦).

(١) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٢٠٤١٤)، ومن طريقه عبيد بن حميد (١١٩٤)، والترمذى (٣٨٤٩)، وأبو يعلى (٣٠٢٤)، والطبرانى فى «الكبير» (٥٣٤٥)، والحاكم (٣/ ٢٠٧)، عن معمر عن قتادة عن أنس وقال الترمذى: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، وهو كما قالا: وصححه الشيخ الألبانى - رحمه الله -.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١٤٨٧٣) و(١٥٠٢٩)، والطبرانى (٥٣٤٦)، والبيهقى فى «إثبات عذاب القبر» (١١٣)، من طريق : محمد بن إسحاق به.

(٣) صحيح : أخرجه أحمد ٦/ ٥٥ (٢٤٢٨٣)، والطحاوى فى «شرح المشكل» (٢٧٣)، وعلى بن الجعد فى «الجعديات» (١٥٦٦)، والبيهقى فى «إثبات عذاب القبر» (١٠٦)، وابن حبان (٣١١٢)، عن عائشة. ورواه الطحاوى (٢٧٦)، والبيهقى (١٠٨) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الإمام الذهبى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «السير» ٣/ ١٧٨ ط دار الحديث : «هذه الضمة ليست من عذاب القبر فى شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه فى الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه وألم خروج نفسه وألم سؤاله فى قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد، وما هى من =

عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ»**[1].

مناديل سعد فى الجنة:

عن واقد بن عمرو بن سعد قال: دخلت على أنس بن مالك - وكان واقد من أعظم الناس وأطولهم - فقال لى: من أنت؟ قلت: أنا واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ، قال: إنك بسعد لشبيه.

ثم بكى، فأكثر البكاء، ثم قال: يرحم الله سعدًا، كان من أعظم الناس، وأطولهم، بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيشًا إلى أكيدر دومة، فبعث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجبة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعلوا يمسحونها وينظرون إليها.

فقال: **«أتعجبون من هذه الجبة؟»** قالوا: يا رسول الله! ما رأينا ثوبًا قط أحسن منه. قال: **«فوالله لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن مما ترون»**[2].

= عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقى يرفق الله به فى بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾، وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ فنسأل الله العفو واللطف الخفى، ومع هذه الهزات فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول فى الدارين، ولا روع ولا ألم، ولا خوف. سل ربك العافية وأن يحشرنا فى زمرة سعد».

(١) حسن: أخرجه ابن سعد ٣/ ٤٢٧-٤٢٨ من طريق عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد به مطولاً - وصحح إسناده الشيخ الألبانى -رحمه الله- فى «الصحيحة» (١١٥٨).

(٢) حسن: أخرجه ابن سعد ٣/ ٤٣٥-٤٣٦، وأحمد فى «الفضائل» (١٤٩٥)، وابن أبى شيبة ١٢/ ١٤٤، والترمذى (١٧٢٣)، والنسائى ٨/ ١٩٩ من طرق عن محمد بن عمرو عن واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ به. وإسناده حسن، محمد بن عمرو، هو ابن علقمة الليثى، صدوق له أوهام كما قال الحافظ فى «التقريب» وأكيدر دومة: هو أكيدر بن عبد الملك الكندى -من كندة- صاحب دومة الجندل مدينة بين الشام والحجاز قرب تبوك. ذكره ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة وقال: كتب إليه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرسل إليه سرية مع خالد بن الوليد ثم أسلم وأهدى إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلة =

وفي رواية: «أهدى النبى ﷺ جبة سندس، وكان ينهى عن الحرير، فعجب الناس منها فقال: «**والذى نفس محمد بيده، لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا**»[1].



= سيراء فوهبها لعمر، وتعقب ذلك ابن الأثير فقال: إنما أهدى إلى النبى ﷺ وصالحه ولم يسلم، وهذا لا خلاف فيه بين أهل السير، ومن قال أنه أسلم فقد أخطأ خطأ ظاهراً بل كان نصرانيًّا، ولما صالحه النبى ﷺ عاد إلى حصنه وبقى فيه، ثم إن خالد بن الوليد أسره فى أيام أبى بكر فقتله كافراً، وقد ذكر البلاذرى أن أكيدر دومة لما قدم على النبى ﷺ مع خالد أسلم، وعاد إلى دومة، فلما مات النبى ﷺ ارتد ومنع ما قبله، فلما سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام قتله، قال ابن الأثير: فعلى كل حالٍ لا ينبغى أن يذكر فى الصحابة.

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٢٤٨) وانظر أطرافه ثمت. ومسلم (٢٤٦٩)، والترمذى (١٧٧٧)، والنسائى ٨/ ١٩٩، وأحمد فى «المسند» ٣/ ١١١، ١٢١، ٢٠٦، ٢٠٩ ومواضع أخر.



في الأحداث التي أعقبت الأحزاب وبني قريظة وسبقت صلح الحديبية

فَصْلٌ

في قتل أبي رافع سلام ابن أبي الحُقيق

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رهطًا إلى أبي رافع فدخل على عبد الله بن عتيك بيته ليلًا، وهو نائم فقتله»(١).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الانصار وأمر عليهم عبدالله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبدالله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل.

فأقبل حتى دنا من البواب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبدالله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب.

فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على عود قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها وفتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي له: فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت عليَّ من داخل، فقلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣٨) مختصرًا. وانظر الآتي:

فانتهيت إليه فإذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت قلت: أبا رافع. قال: من هذا ؟.فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنيت شيئا، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ فقال: لأمك الويل إن رجلًا فى البيت ضربنى قبل بالسيف.

قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت خبيب السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره، فعرفت أنى قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا. فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز. فانطلقت إلى أصحابى فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع. فانتهيت إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحدثته فقال لى: «**ابسط رجلك**». فبسطت رجلى فمسحها فكأنها لم أشتكها قط[1].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٠٣٩)، وابن جرير فى «التاريخ» (٢/ ٤٩٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٦-٣٧) وفى «السنن» (٩/ ٨٠ - ٨١)، من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق به مطولًا، وأخرجه البخارى (٤٠٤٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٧)، من طريق: يوسف بن أبى إسحاق عن أبى إسحاق به.

وأخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ٢٠١ - ٢٠٣)، بإسناد مرسل صحيح إلى عبد الله بن كعب وروايات البخارى وغيره بينها وبين رواية ابن إسحاق المرسلة فروق كثيرة فى أصل القصة ، ما طالع أحد القصتين إلا علمها ، لكن الذى فى «الصحيح» أصح ، مع تسليمنا بأن ابن إسحاق هو إمام المغازى بلا منازع ؛ لكن روايته مرسلة مع ما فيها من مغايرة، مما يجعلنا نقول: ما فى الصحيح أصح، ونسلم بما فى القصة المسندة الصحيحة، والله أعلم. وانظر الرواية الأخرى عند البخارى (٤٠٤٠) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: «وراح الناس بسرحهم»: أى رجعوا بمواشيهم التى ترعى.

قوله: «ثم علق الأغاليق على عود» وهو الوتد، والأغاليق جمع غلق، والمراد بها المفاتيح.

قوله: «فقمت إلى الأقاليد» جمع إقليد وهو المفتاح قوله: «فى علالى له» وهى الغرفة.

قوله: «نذروا بى»: أى علموا، وأصله من الإنذار وهو الإعلام بالشىء الذى يحذر منه.

وذكر ابن سعد أن عبد الله بن عتيك كان يرطن باليهودية فاستفتح فقالت له امرأة أبا رافع: من أنت؟ =

فَصْلٌ

فى غزوة بنى لحيان

وقتها: قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة ذا الحجة، والمحرم وصفرًا وشهرى ربيع، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بنى لحيان[١].

وقال ابن كثير: كانت فى أوائل السنة السادسة للهجرة على الصحيح[٢].

سببها: خرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدى وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة[٣].

= قال: جئت أبا رافع بهدية ففتحت. قوله: «خبيب السيف» وزن رغيف، قال الخطابى: هكذا يروى وما أراه محفوظًا، وإنما هو ظبة السيف وهو حرف حد السيف، ويجمع على ظبات». اهـ. باختصار.

فوائد:

- قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٣٩٦ - ٤٠٠) ما ملخصه: «ولأبى رافع أخوان مشهوران من أهل خيبر أحدهما كنانة، وكان زوج صفية بنت حيى أم المؤمنين قبل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخوه الربيع ابن أبى الحقيق وقتلهما النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعًا بعد فتح خيبر.

- وذكر الحافظ أيضًا فى «الفتح»: أن الرهط الذين بعثهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عبد الله بن أبى الحقيق ليقتلوه وهم عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، وحليف لهم، ورجل من الأنصار وأنهم قدموا خيبر ليلًا، فذكر الحديث عن الحاكم.

-فائدة: وقَّت ابن إسحاق مقتل أبى رافع سلام بن أبى الحقيق بعد انقضاء شأن الخندق وبنى قريظة، وحكاه عنه البيهقى فى الدلائل (٤/ ٢٩). وغيره.

وخالفهم الطبرى فذكره فى السنة الثالثة من الهجرة بعد مقتل كعب بن الأشرف، وقبل غزوة أحد.

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ٢٠٦)، و«الفصول» لابن كثير (ص ١٧٥)، وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٧٨)، وابن سيد الناس فى «عيون الأثر» (٢/ ١٢٤) عن محمد بن إسحاق ..

(٢) «السيرة النبوية» لابن كثير (٣/ ٢٨٥).

(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٢٠٦).

الطريق التى سلكها ﷺ إلى بنى لحيان:

قال ابن إسحاق: فسلك ﷺ على غُراب، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مخيص، ثم على البتراء، ثم صفق ذات اليسار، فخرج على بين، ثم على صخيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة، فأغذ السير سريعًا، حتى نزل على غُران، وهى منازل بنى لحيان، وغران وادٍ بين أمج وعسفان، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا على رءوس الجبال، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد، قال: «لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة، فخرج فى مائتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع الغميم، ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلًا[1].

مشروعية صلاة الخوف فى هذه الغزوة:

عن أبى عياش الزرقى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى رسول الله ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتى

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣٠٦ - ٣٠٧) وإسناده مرسل حسن أخرجه ابن سعد (٢/ ٦٠ - ٦١)، وابن جرير (٢/ ٥٩٥)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣٦٤)، من طريق ابن إسحاق به مرسلًا، وإسناده حسن.

و«غراب»: جبل قرب المدينة لبنى لحيان «معجم البلدان» (٤/ ٣٩٠).

وقوله: «صفق» أى عدل.

و«بين»: واد من أودية المدينة أو قريب منها.

و«صخيرات اليمام»: منزل قريب من بدر.

و«المحجة»: من قرى حوران.

و«كراع الغميم»: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عصفان بثمانية أميال، «معجم البلدان» (٤/ ٤٤٣).

عليهم الآن صلاة هى أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم.

قال: فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾[النساء: ١٠٢]، قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذوا السلاح قال: فصففنا صفين، قال: ثم ركع، فركعنا جميعًا، ثم رفع، فرفعنا جميعًا، ثم سجد النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصف الذى يليه، والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون، فسجدوا فى مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء قال: ثم ركع فركعوا جميعًا، ثم رفع فرفعوا جميعًا، ثم سجد النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصف الذى يليه والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلس، جلس الآخرون فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف قال: فصلاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتين، مرة بعسفان ومرة بأرض بنى سليم[1].

(١) إسناده حسن: أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٥٩)، وعبد الرزاق فى «المصنف» (٢/ ٤٢٣٧)، ومن طريقه أيضًا - الدارقطنى فى «السنن» (٢/ ٥٩-٦٠)، وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٥/ ٥١٣٢) وأحمد (٤/ ٦٠)، من طريق مؤمل، وابن أبى حاتم فى «التفسير» (٤/ ٥٨٩٩، ٥٩٠١)، من طريق أبى إسحاق الفزارى محمد ابن شعيب، والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (١/ ٣١٨)، من طريق قبيصة، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (٢/ ٣٥٠) ومن طريق ابن حبان (٧/ ٢٨٧٥) -إحسان)، ثنا وكيع أربعتهم (مؤمل وأبو إسحاق وقبيصة ووكيع) ثنا سفيان به. ورواه الطيالسى فى «المسند له» (١٣٤٧) -ومن طريق الطبرانى فى «الكبير» (٥/ ٥١٣٨) والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٢٥٤)، ثنا ورقاء، ورواه سعد بن منصور ومن طريق أبى داود (١٢٣٦)، والدارقطنى (٣/ ٦٠)، والطبرانى فى «الكبير» (٥/ ٥١٤٠)، والحاكم فى «المستدرك» (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨) والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٢٥٦، ٢٥٧)، ورواه أيضًا البيهقى من طريق يحيى بن يحيى، وعلقه من طريق قتيبة بن سعيد، ورواه ابن جرير فى «التفسير» (٩/ ١٠٣٢٣) ثنا إليه حميد وابن حبان (٧/ ٢٨٧٦ -إحسان)، نا أبو يعلى ثنا أبو خيثمة والدارقطنى ٢/ ٦٠، من طريق سعيد بن سليمان، ويوسف بن موسى سبعتهم (سعيد ويحيى وقتيبة وابن حميد وأبو خيثمة وابن سليمان ويوسف) ثنا جرير بن عبد الحميد ورواه أحمد (٤/ ٩٠)، ومن طريق الطبرانى (٥/ ٥١٣٤) وابن أبى شيبة فى «مسنده» (٢/ ٨١٥) وفى «المصنف» (٢/ ٣٥١)، ومن طريق ابن أبى عاصم. فى «الآحاد والمثانى» (٤/ ٢١٧٩)، والطبرانى (٥/ ٥١٣٤) وابن أبى شيبة فى «مسنده» (٢/ ٨١٥) وفى «المصنف» (٢/ ٣٥١)، ومن طريق ابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثاني» (٤/ ٢١٧٩)، والطبرانى (٥/ ٥١٣٤)، والنسائى ٣/ ١٧٦، من طريق محمد بن المثنى ومحمد بن بشار، أربعتهم «أحمد وابن أبى شيبة والمحمدان» ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة، ورواه النسائى - أيضًا (٣/

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر بنخل فهم بهم المشركون ثم قالوا دعوهم فإن لهم صلاة بعدها أحب إليهم من أبنائهم قال فنزل جبريل على رسول الله ﷺ فأخبره فصلى بأصحابه العصر وصفهم صفين رسول الله ﷺ بين أيديهم والعدو بين يدى رسول الله ﷺ فكبروا جميعا وركعوا جميعا ثم سجد الذين يلونه والآخرون قيام فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون ثم تقدم هؤلاء وتأخر هؤلاء فكبروا جميعا وركعوا جميعا ثم سجد الذين يلونهم والآخرون قيام فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون.

استشهد البخارى برواية هشام الدستوائى وأخرجه مسلم من حديث أبى خيثمة زهير بن معاوية عن أبى الزبير عن جابر إلا أنه قال غزونا مع رسول الله ﷺ قوما من جهينة فقاتلونا قتالا شديدا فلما صلينا الظهر قال المشركون لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله بذلك وذكر ذلك لنا رسول الله ﷺ قال وقالوا أنه ستأتيهم صلاة هى أحب إليهم من الأولاد ... فذكر الحديث [١].

= ١٧٧)، وابن جرير (٩/ ١٠٣٧٨)، من طريق عبد العزيز بن عبد الصمد، ورواه ابن جرير (٩/ ١٠٣٢٤)، من طريق شيبان النحوى وإسرائيل والطبرانى (٥/ ٥١٣٣ و ٥١٣٥ و ٥١٣٦ و ٥١٣٧ و ٥١٣٩) من طريق زائدة بن قدامة واود بن عيسى الكوفى وعلى بن صالح وجعفر بن الحارث وإسرائيل - عشرتهم (ورقاء وجرير وشعبة وعبد العزيز وشيبان وإسرائيل وزائدة وداود وعلى وجعفر) ثنا منصور بن المعتمر به.

وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى مع أن أبا عياش الزرقى لم يخرجا له شيئًا!! فإسناده صحيح فحسب.

وصححه الدارقطنى، وقال ابن حجر فى «الإصابة» (٤/ ١٤٣): سنده جيد وقال البيهقى أيضًا: «إسناده صحيح»، وقال الحافظ ابن كثير فى «التفسير»: و«هذا إسناد صحيح وله شواهد كثيرة» ثم أورد - رحمه الله - شواهده

والحديث أورده السيوطى فى «الدر المنثور» (٢/ ٣٧٤ - ٣٧٥): وزاد عزوه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، والحمد لله رب العالمين.

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤١٣٠)، وقال معاذ: حدَّثنا هشام عن أبى الزبير عن جابر بنحوه وأخرجه مسلم (٨٤٠)، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا أبو الزبير عن جابر به.

وأخرج أبو داود (١٢٣٦) والنسائى (٣/ ١٧٧ - ١٧٨): من حديث أبى عياش الزرقى قال: كنا مع

فَصْلٌ
فى سرية نجد وقصة ثمامة بن أثال الحنفى

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيلًا قبل نجد، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سوارى المسجد، فخرج إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**ماذا عندك يا ثمامة؟**» فقال: عندى يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم، تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى كان من الغد فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى كان بعد الغد فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**» قال: عندى ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أطلقوا ثمامة**» فانطلق إلى نخيل قريب من

= رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر، فقال المشركون: لقد أصبنا غرة لو حملنا عليهم وهم فى الصلاة. فنزلت آية القصر بين الظهر والعصر، فلما حضرت العصر قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستقبل القبلة والمشركون أمامه، فصف خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صف...» وقد سبق وقد ذكر غير واحد من الحفاظ والأئمة أوجه صلاة الخوف وصفاتها. انظر مثلًا: «السنن الكبرى» للبيهقى (٣/ ٦٥٩، ٦٨٢) فارجع إليه غير مأمور فإنه مهم.

قال الإمام ابن القيم فى «الزاد» (١/ ٥٣١): بعد سياقه الصفات صلاة الخوف: «وهذه الأوجه كلها تجوز الصلاة بها. قال الإمام أحمد: كل حديث يروى فى أبواب صلاة الخوف، فالعمل به جائز، وقال ستة أوجه، أو سبعة، تُروى فيها كلها جائزة».

وسوف نذكر بعض هذه الأوجه فى غزوة ذات الرقاع: ومشروعية صلاة الخوف فيها.

المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى، والله! ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلى، وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا، ولكنى أسلمت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا والله! لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيلًا قبل نجد فجاءت بثمامة بن أثال الحنيفى سيد بنى حنيفة»[2].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٦٢ و ٤٦٩ و ٢٤٢٢ و٢٤٢٣ و ٤٣٧٢)، ومسلم (٥٩/ ١٧٦٤)، وأبو داود (٢٦٧٩)، والنسائى (١/ ١٠٩)، وأحمد (٢/ ٤٥٢)، وابن خزيمة (٢٥٢) ، وابن حبان (١٢٣٩) ، والبيهقى فى «السنن» ١/ ١٧١ ، وفى «الدلائل» (٤/ ٧٨ - ٧٩)، من طريق الليث بن سعد، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة به.

وأخرجه عبد الرزاق (٩٨٣٤) وعنه أحمد (٢/ ٢٤٦ - ٢٤٧)، وابن الجارود (١٥)، وابن خزيمة (٢٥٣)، وأبو عوانة (٤/ ١٦١ - ١٦٢))، وابن حبان (١٢٣٨)، والبيهقى فى «السنن» (١/ ١٧١)، من طريق: عبيد الله وعبد الله ابنى عمر، عن سعيد، عن أبى هريرة بنحوه، وأخرجه مسلم (٦٠/ ١٧٦٤)، وأبو عوانة، ٤/ ١٥٧-١٥٩ من طريق : عبد الحميد بن جعفر ، عن سعيد به. وأخرجه ابن قانع فى «معجم الصحابة» ١/ ١٣١ من طريق : ابن عجلان ، عن سعيد المقبرى ،عن أبيه، عن أبى هريرة بنحوه مختصرًا.

قال النووى فى «شرحه على صحيح مسلم» (١٢/ ٨٧ - ٨٨): «قوله: «إن تقتل تقتل ذا دم» اختلفوا فى معناه، فقال القاضى عياض فى «المشارق» وأشار إليه فى «شرح مسلم» معناه: إن تقتل تقتل صاحب دم لدمه موقع يشتفى بقتله قاتله ويدرك قاتله به ثأره أى لرياسته وفضيلته، وحذف هذا لأنهم يفهمونه فى عرفهم.

وقال آخرون: معناه تقتل من عليه دم ومطلوب به وهو مستحق عليه فلا عتب عليك فى قتله. ورواه بعضهم فى «سنن أبى داود» وغيره ذا دم، أى ذا ذمام وحرمة فى قومه، ومن إذا عقد ذمة وفى بها». اهـ.

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢٧٧).

فَصْلٌ

فى غزوة بنى المصطلق أو غزوة المريسيع(١)

المبحث الأول

وقتها: قال ابن إسحاق فأقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبًا، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة فى شعبان سنة ست(٢).

---

(١) قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٣٤٥): «المصطلق بضم الميم وسكون المهملة، وفتح الطاء وكسر اللام بعدها قاف، وهو لقب، واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة، بطن من بنى خزاعة - والمريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة، هو ماء لبنى خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم». اهـ.
ولمزيد من التفصيل انظر: «السيرة النبوية الصحيحة» (ص ٤٠٤) د/ أكرم ضياء العمرى - حفظه الله تعالى.

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ٢١٥)، وهذه الغزوة اختلف فى زمن وقوعها، فمن قائل أنها كانت فى سنة ست وهذا قول ابن إسحاق، وقال الحافظ ابن كثير فى «الفصول» (ص ١٧٨)، «هذا أصح» وبه جزم خليفة فى «تاريخه» (ص ٣٥) والطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٦٠٤) وغيرهم
ونقل البخارى قول ابن إسحاق كما فى «الفتح» (٧/ ٣٤٥): «إنها فى السنة السادسة، وقال ابن القيم فى «الزاد» (٣/ ٢٥٦) أنها سنة خمس، وحكاه البيهقى ورجحه الحاكم وقال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٣٤٥)، فى تعليقه على قول البخارى: «وقال موسى بن عقبة سنة أربع ، قال الحافظ : كذا ذكره البخارى وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس ، فكتب سنة أربع ، والذى فى مغازى موسى بن عقبة من عدة طرق أخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابورى والبيهقى فى «الدلائل» وغيرهم سنة خمس، ولفظه عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب: ثم قاتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنى المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس، ويؤيده ما أخرجه البخارى فى «الجهاد» عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه غزا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنى المصطلق فى شعبان سنة أربع، ولم يؤذن له فى القتال؛ لأنه إنما أذن له فيه فى الخندق - كما تقدم - وهى بعد شعبان، سواء قلنا إنها كانت سنة خمس أو أربع، وقال الحاكم فى «الإكليل» قول عروة وغيره أنها كانت سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق ، قلت : ويؤيده ما ثبت فى

سبب الغزوة:

ذكر علماء السير والتاريخ والمغازى أن لهذه الغزوة أسبابًا عدة منها:

١ - تأييد هذه القبيلة لقريش وتكتلها معها فى معركة أحد ضد المسلمين، وذلك ضمن كتلة الأحابيش التى كانت فى الجيش المكى.

٢ - سيطرة هذه القبيلة على الخط الرئيسى المؤدى إلى مكة، فكانت حاجزًا منيعًا من نفوذ المسلمين إلى مكة.

٣ - من أهم الأسباب فى هذه الغزوة أن قبيلة بنى المصطلق أخذت تجمع الجموع لغزو المدينة المنورة، وقد أطمعها فى التفكير فى غزوة المدينة والتصميم على ذلك انتصار المشركين فى غزوة أحد، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك أعد عدته، واتخذ التدابير المناسبة، وباغتهم فى مكانهم، وهزمهم شر هزيمة[1].

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبى بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان، كل حدثنى بعض حديث بنى المصطلق، قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ: فلما سمع رسول الله

= حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة فى أصحاب الإفك، فلو كان المريسيع فى شعبان سنة ست مع كون الإفك كانت فيها، لكان ما وقع فى الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطًا؛ لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة، وكانت سنة خمس على الصحيح... وإن كانت كما قيل سنة أربع فهى أشد، فيظهر أن المريسيع كانت سنة خمس فى شعبان لتكون قد وقعت قبل الخندق، لأن الخندق كانت فى شوال من سنة خمس أيضًا، فيكون سعد بن معاذ موجودًا فى المريسيع، ورمى بعد ذلك فى الخندق، ومات من جراحته قريظة». اهـ. قلت: ورجَّح الذهبي - فى تاريخ الإسلام قسم المغازى أنها فى السنة الخامسة من الهجرة.

(١) «صحيح السيرة النبوية» إبراهيم العلى (ص ٣٣١، ٣٣٢)، وانظر: «السيرة النبوية الصحيحة» د/ أكرم ضياء العمرى (٢/ ٤٠٤ - ٤٠٥)

ﷺ بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء لهم، يقال له: المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بنى المصطلق، وقتل من قتل منهم ونفلَّ رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه[1].

مباغتة النبى ﷺ بنى المصطلق على غرة:

عن ابن عون أنه كتب إلى نافع - مولى ابن عمر - فكتب نافع إلى أنَّ النبى ﷺ أغار على بنى المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية، حدثنى به ابن عمر وكان فى ذلك الجيش هذا لفظ البخارى.

وعن مسلم: قال ابن عون: «كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء[2] قبل القتال، قال: فكتب إلى إنما كان ذلك فى أول الإسلام، قد أغار رسول الله ﷺ على بنى المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى سبيهم، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث، وحدثنى هذا الحديث عبد الله بن عمر، وكان فى ذاك الجيش[3].

(١) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ٦٠/ ١٥٨)، من طريق محمد بن إسحاق بهذا الإسناد، وهو مرسل إسناده حسن، وقال الهيثمى فى «المجمع (٦/ ١٤٢)، «رجاله ثقات»، وقد جاء موصولًا مختصرًا من طريق، عنبة بن خالد، ثنا يونس بن يزيد، عن الزهرى، عن أبى إمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه قال: «سبى رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار من بنى المصطلق من خزاعة فى غزوته التى هدم فيها مناة، غزوة المريسيع، أخرج الطبرانى (٥٥٨٨)، مطولًا، وفى (٢٤/ ٥٨/ ١٥١) مختصرًا، وفيه شيخ الطبرانى اتهمه الدارقطنى بالوضع وفيه نكارة، وروى الطبرانى (٢٤/ ٥٩/ ١٥٢)، عن الزهرى بنحوه، ورواه (٥٩/ ١٥٤) عن الشعبى، وسيأتى حديث عائشة بلفظه.

(٢) أى الدعوة إلى الإسلام أو عرض الإسلام على العدو أولًا قبل مقاتلتهم.

(٣) أخرجه البخارى (٢٥٤١)، ومسلم (١/ ١٧٣٠)، وأبو داود (٢٦٣٢)، وأحمد (٢/ ٣١، ٣٢، ٥١) والطحاوى فى «شرح المعانى» (٣/ ٢٠٩)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٥٤)، (٩/ ١٠٧)، قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله فى «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٢٣)، «والواجب على الإمام: أن

بعض أحداث الغزوة وقتلى بنى المصطلق:

قال ابن إسحاق: وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناسٌ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين مالكًا وابنه، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلًا من فرسانهم، يقال له: أحمر، أو أحيمر. وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أصاب منهم سبيا كثيرًا فشا قسمه فى المسلمين، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، زوج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لما قسَّمَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبايا بنى المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مُلاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تستعينه فى كتابتها؛ قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رأيت، فدخلت عليه،

= يدعو أولًا، ثم يغير، لكن إذا كانت الدعوة قد بلغت القوم، فإنه لا حاجة إلى دعوتهم؛ لأنهم لو كانوا يريدون الإسلام، لأتوا وأسلموا، وما تكون دعوتهم - والحالة هذه إلا تطويلًا للمدة، وإنما يغزون بدون دعوة». اهـ.

وقال د/ أكرم العمرى فى «السيرة..» رواية مسلم صريحة فى أن الغارة وقعت دون إنذار لبنى المصطلق لأنهم ممن بلغتهم دعوة الإسلام، وقد كانوا يعتبرون فى حرب مع المسلمين منذ اشتراكهم مع قريش فى غزوة أحد، كما كانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين فبوغتوا واضطربوا ولم يتمكنوا من المقاومة قليلًا؛ بل إن رواية الصحيحين لا تشير إلى المقاومة، ولكن ذكر وقوع قتال على ماء المريسيع ثم انهزم بنو المصطلق وقتل بعضهم وأخذ المسلمون أبناءهم ونساءهم وأموالهم فتمت قسمه ذلك بينهم».اهـ.

قلت: وتبويب الإمام النووى رحمه الله لصحيح مسلم يشير إلى أن دعوة الإسلام بلغتهم قبل هذه الغزوة كما فى (صحيح مسلم) كتاب الجهاد، باب: جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام.

وقد أعرض الشيخ محمد الغزالى -رحمه الله- فى «فقه السنة» عن رواية الصحيحين، وسكنت نفسه (كما قال هو) إلى رواية ابن إسحاق وقد أشار الشيخ الألبانى -رحمه الله- إلى ضعف رواية ابن إسحاق ورواية الصحيحين لا تُعارض بروايات ضعيفة، وما أتانا من حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحيحًا، فعلى العين والرأس. وانظر كتابنا: «السنة النبوية بين سهام الأعداء ودفاع الأصدقاء» (ص ٣٨٨-٣٩٧).

فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار، سيد قومه، وقد أصابنى من البلاء، ما لم يخف عليك، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسى، فجئتك أستعينك على كتابتى؛ قال: «**فهل لك فى خير من ذلك؟**» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «**أقضى [عنك] كتابتك وأتزوجك**» قالت: نعم يا رسول الله؛ قال: **قد فعلت**».

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها[١].

شعار المسلمين فى الغزوة:

وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق: يا منصور أمت أمت[٢].

إثارة الفتنة بين المسلمين فى هذه الغزوة، وما ظهر من نفاق عبد الله بن أبى بن سلول:

قال ابن إسحاق: فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة

---

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ٢١٩)، والخبر إسناده حسن؛ لأجل محمد بن إسحاق وقد صرح فيه بالتحديث، وأخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٧٧)، (٢٦٢٦٥)، وأبو داود (٣٩٣١)، وابن الجارود (٧٠٥)، وأبو يعلى فى «مسنده» (٤٩٦٣)، والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٦١٠)، والطحاوى فى «شرح المشكل» (٤٧٤٨)، وفى «شرح المعانى» (٣/ ٢١)، وابن حبان (٤٠٥٤، ٤٠٥٥)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ١٥٩)، والحاكم (٤/ ٢٦)، وعنه البيهقى فى «السنن» (٩/ ٧٤)، وأبو نعيم فى «معرفة الصحابة» (٧٤٣٩)، وابن الأثير فى «أسد الغابة» (٦/ ٥٨ - ٥٩) من طرق عن محمد بن إسحاق حدثنى محمد بن جعفر ابن الزبير عن عروة عن عائشة به، وحسن الشيخ الألبانى إسناده فى صحيح موارد الظمآن» (١٠٢٠).

(٢) إسناده حسن: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٦٤٩٦)، وفى «الأوسط» (٦٠١٥)، من طريق محمد بن الحسن الشيبانى، عن خارجة بن رافع، عن أبيه، عن سنان بن وبرة به، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٤٢): «وإسناد الكبير حسن»، وقد مرَّ بنا أن هذا كان شعارًا للمسلمين فى بعض الغزوات، ولعله كان غالبًا، والله أعلم.

الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار، يقال له: جهجهاه بن مسعود[١] يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى[٢]، حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين؛ فغضب عبد الله بن أبى بن سلول، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم، فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مُرْ به عباد بن بشر فليقتله؛ فقال له رسول الله ﷺ: **«فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، لا ولكن أذن بالرحيل»**، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس.

وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول إلى رسول الله، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله، ما قلت ما قال، ولا تكلمت به، وكان فى قومه شريفًا عظيمًا، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل حدبًا على ابن

---

(١) جهجاه بن مسعود، وقيل: ابن قيس، وقيل: بن سعيد الغفارى، شهد الرضوان بالحديبية، وعاش إلى خلافة عثمان، وقال ابن السكن: مات بعد عثمان بأقل من سنة، انظر: «الإصابة» (١/ ٢٦٥)، و«أسد الغابة» (١/ ٣٦٥).

(٢) سنان بن وبر الجهنى حليف بنى الحارث بن الخزرج، قال ابن أبى حاتم عن أبيه: هو الذى سمع عبد الله بن أبى يقول: «لئن رجعنا إلى المدينة» «الإصابة» (٣/ ١٣٥)، وأسد الغابة.

أبى بن سلول، ودفعًا عنه.

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبى الله، والله لقد رحت فى ساعة منكرة، ما كنت تروح فى مثلها؛ فقال له رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أوما بلغك ما قال صاحبكم؟**» قال: وأى صاحب يا رسول الله؟ قال: «**عبد الله بن أبى**»؛ قال: وما قال؟ قال: «**زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**»، قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، وهو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله، أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكًا.

سير الرسول بالناس ليشغلهم عن الفتنة:

ثم مشى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح،؟ وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نيامًا، وإنما فعل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبى.

تنبؤ الرسول بموت رفاعة بن زيد:

ثم راح رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع، يقال له: بقعاء فلما راح رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هبت على الناس ريح شديدة أذتهم وتخوفوها؛ فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار**» فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت، أحد بنى قينقاع، وكان عظيمًا من عظماء يهود، وكهفًا للمنافقين، مات فى ذلك اليوم.

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: «**هذا الذى أوفى**

الله بأذنه»[1].

عن زيد بن أرقم قال: غزونا مع رسول الله وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا فيسبق الأعرابى أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجىء أصحابه فأتى رجل من الأنصار الأعرابى فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فانتزع حجرًا ففاض فرفع الأعرابى خشبة فضرب بها رأس الأنصارى فشجه فأتى عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبى ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله، حتى ينفضوا من حوله يعنى: الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله عند الطعام فقال عبد الله لأصحابه: إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن عنده ثم قال لأصحابه إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل قال زيد وأنا ردف عمى فسمعت عبد الله وكنا أخواله فأخبرت عمى فانطلق فأخبر رسول الله فأرسل إليه رسول الله فحلف وجحد فصدقه رسول الله وكذبنى فجاء إلى عمى فقال ما أردت أن مقتك رسول الله وكذبك المسلمون فوقع على من الغم ما لم يقع على أحد قط فبينما أنا أسير مع رسول الله فى سفر وقد خففت برأسى

---

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ٢١٦ - ٢١٧) وهو مرسل إسناده حسن، أخرجه ابن جرير فى «التفسير» (٣٤١٧٨)، وفى «تاريخه» (٢/ ٦٠٥، ٦٠٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٥٢ - ٥٣) من طريق ابن إسحاق به، وهو مرسل إسناده حسن. وروى بعضه ابن أبى حاتم من طريق: عقيل، عن الزهرى، عن عروة بن الزبير، وعمرو بن ثابت أنهما أخبراه - فذكر نحوه، وهو مرسل إسناده جيد قاله الحافظ فى «الفتح» (٨/ ٥٢٦)، وقصة المهاجرى والأنصارى، واقتتالهم عند البئر فى «صحيح البخارى» (٤٩٠٥ و ٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤)، والترمذى (٣٣١٥)، وأحمد (٣/ ٣٩٢ - ٣٩٣)، والطيالسى (٢/ ٧٦) (٢٢٧٢)، والحميدى (١٢٣٩).

وراجع الصحيح - كتاب التفسير - باب تفسير سورة المنافقون - وشرحها وطرق تفسيرها للحافظ - رحمه الله - فى «الفتح» (٨/ ٥٢٢ - ٥٢٥)، وجمعها البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٥٢ - ٥٨)، وهبوب الريح لموت المنافق، أخرجه مسلم (٢٧٨٢)، وأحمد (٣/ ٣١٥، ٣٤١، ٣٤٦)، وأبو يعلى (٤/ ٢٠١)، والطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٦٠٧)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٦١).

من الهم إذ أتانى رسول الله ففرك أذنى وضحك فى وجهى فما كان يسرنى أن لى بها الخلد أو الدنيا ثم إن أبا بكر لحقنى فقال ما قال لك رسول الله قلت ما قال لى رسول الله شيئا غير أن عرك أذنى وضحك فى وجهى فقال أبشر ثم لحقنى عمر فقلت له مثل قولى لأبى بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله سورة المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، حتى بلغ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ حتى بلغ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٧، ٨][(١)].

وعنه أيضًا قال: كنت مع عمى فسمعت عبد الله بن أبى بن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال: فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن أبى وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذبنى، فأصابنى هم لم يصبنى مثله قط، وجلست فى بيتى، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ إلى قوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فأرسل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأها على وقال: **«إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد صدقك»**[(٢)].

موقف عبد الله بن عبد الله بن أبى من أبيه:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى مقالة أبيه وقول

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٣١٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٥٣١)، والطبرانى فى «الكبير» (٥٠٤١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٤٥).

وأخرجه البخارى فى مواضع منها (٤٩٠١ و٤٩٠٣ و٤٩٠٧) ومسلم (١/ ٢٧٧٢)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٥٩٨)، والترمذى (٣٣٠٩)، وأحمد (٣/ ٣٩٢ - ٣٩٣)، (٤/ ٣٦٨ و٣٧٣، و٣٧٣) (١٩٣٨٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٤٦)، وغيرهم قريبًا من رواية الترمذى. مع اختلاف يسير فى التطويل والاختصار.

(٢) انظر ما قبله. وهو فى صحيح البخارى (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢)، وأحمد (٤/ ٣٦٩) وغيرهم.

عمر للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقول النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر: **«دعه لا يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه»** فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله، **«والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العزيز ففعل»**[(١)].

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كنا فى غزاة - قال سفيان مرة فى جيش - فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصارى يا للأنصار وقال المهاجرى يا للمهاجرين فسمع ذاك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«ما بال دعوى جاهلية»**. قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال: **«دعوها فإنها منتنة»**. فسمع بذلك عبد الله بن أبى فقال فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فبلغ النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقام عمر فقال يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»**. وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم إن المهاجرين كثروا بعد»[(٢)].

طلب ابن عبد الله بن أبى أن يتولى قتل أبيه، وعفو الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال ابن إسحاق: فحدَّثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن عبد الله بن عبد الله بن أبى أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه، فإن كنت [لا بد] فاعلًا فمرنى به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى

(١) هذه رواية الترمذى (٣٣١٥)، وقال: حسن صحيح، وأصله فى «الصحيحين» (٤٩٠٥ - ٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخارى (٤٩٠٥-٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤)، وغيرهما.

قال ابن حجر فى «الفتح» (٨/ ٥١٧): «وسمى ابن إسحاق هذه الغزوة غزوة بنى المصطلق، وكذا وقع عند الإسماعيلى من طريق ابن أبى عمر عن سفيان قال: يرون أن الغزاة غزاة بنى المصطلق، وكذا فى مرسل عروة الذى ذكره...»اهـ.

فيقتله، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى بين الناس، فأقتله فأقتل [رجلًا] مؤمنًا بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقى معنا**».

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم: «**كيف ترى يا عمر؛ أما والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله لأرعدت له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته**»، قال عمر: والله علمت لأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم بركة من أمرى»[1].

۞۞۞

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ٢١٨)، وإسناده إلى عاصم بن عمر صحيح، أخرجه ابن جرير فى «التفسير» (٣٤١٧٩)، وفى «التاريخ» (٢/ ٦٠٨ - ٦٠٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٦٢)، عن ابن إسحاق عن عاصم موقوفًا عليه، وذكره ابن الأثير فى «أسد الغابة» (٣/ ١٩١ - ١٩٢)، بغير إسناد.
وقال الحافظ فى الإصابة (٤/ ٩٦): رواه ابن منده من طريق: محمد بن عمرو من أبى سلمة عن أبى هريرة بهذا وفيه قصة وقال: رواه الطبرانى من طريق: عروة عن عبد الله بن عبد الله بن أبى «أنه استأذن» - نحوه فقال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقتل أباك**» والقصة فى «مسند الحميدى» (١٢٤٠)، فالقصة بمجموع هذه الطرق موصولة ثابتة إن شاء الله.
قلت: أما طلب عبد الله بن عبد الله بن أبي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتل والده فقد أخرجه البزار دون ذكره لغزوة بني المصطلق. ولفظه: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مرَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعبد الله بن أبي وهو في ظل أطم، فقال: عبر علينا ابن أبي كبشة (يعني بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: يا رسول الله، والذي أكرمك لئن شئت لآتينَّك براسه، فقال: «لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته».
قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله ثقات «المجمع» (٩/ ٣١٨).
وأما ربط هذا الطلب وتوقيته بغزوة بني المصطلق فقد جاء من طرق مرسلة أو منقطعة متعددة المخارج وتشهد لبعضها البعض، ويؤيدها أصل القصة من حديث أبي هريرة عند البزار وهو السابق، وحديث الترمذي عن جابر (٣٣١٥).
وتفصيل ذلك كله وسرد الطرق في كتابنا الآخر: «ضعيف السيرة النبوية».

المبحث الثاني

حادثة الإفك

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكروا أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه»، قالت عائشة: «فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج فيها سهمى، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل فى هودجى، وأنزل فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليله بالرحيل».

فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت من شأنى أقبلت إلى الرحل فلمست صدرى فإذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت التمس عقدى، فحبسنى ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فحملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب، وهم يحسبون أنى فيه، قالت وكانت النساء إذ ذاك خفاف لم يهبلن(١) ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة(٢) من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدى بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلى الذى كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونى، فيرجعون إلىَّ فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت، وكان

---

(١) يهبلن: أي: لم يكثر عليهن اللحم والشحم فيثقلهن.

(٢) العلقة: بضم العين المهملة وسكون اللام، ثم قاف، أي: القليل. قال القرطبي: كأن المراء الشيء القليل الذى يسكن الرمق.

صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى قد عرس [١] من وراء الجيش فادلج، فأصبح عند منزلى، فرأى سواد إنسان نائم، فأتانى، فعرفنى حين رآنى، وقد كان يرانى قبل أن يضرب الحجاب على، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى، فخمرت وجهى بجلبابى، والله ما يكلمنى كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة، فهلك من هلك فى شأنى، وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول».

انتشار الدعاية فى المدينة:

فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرًا، والناس يفيضون فى قول أهل الإفك ولا أشعر بشىء من ذلك، وهو يريبنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «**كيف تيكم؟**» [٢] فذاك يريبنى ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معى أم مسطح قبل المناصع [٣]، وهو متبرزنا، ولا نخرج إلا ليلًا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف [٤] قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول فى التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهى بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وبنت أبى رهم قبل بيتى حين فرغنا من شأننا.

فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت: «**تعس مسطح**» فقلت لها: **أتسبين رجلا قد**

---

(١) عرس: التعريس هو نزول المسافر آخر الليل نزله للنوم والاستراحة.

(٢) تيكم: هى للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.

(٣) المناصع: موضع قضاء الحاجة.

(٤) الكنف: جمع كنيف مع كنيف وهو مكان الغائط وكان يتخذه الأعاجم.

شهد بدرا»؟!! قالت: «أى هنتاه[1] أولم تسمعى ما قال؟» قلت: «وماذا قال؟».

قالت: «فأخبرتنى بقول أهل الإفك، فازددت مرضا إلى مرضى، فلما رجعت إلى بيتى فدخل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «**كيف تيكم؟**»

قلت: أتأذن لى أن آتى أبوى؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما، فأذن لى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجئت أبوى فقلت لأمى: «يا أمتاه ما يتحدث الناس»، فقالت: «يا بنية هونى عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها»، قالت: «قلت: سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟»

قالت: «فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم حتى أصبحت أبكى».

ودعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بن أبى طالب وأسامة ابن زيد حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالذى يعلم من براءة أهله، وبالذى يعلم فى نفسه لهم من الود فقال: «يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرًا»، وأما على بن أبى طالب فقال: «**لم يضيق الله عليك فى النساء وسواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك**»، فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بريرة فقال: «**أى بريرة هل رأيت من شىء يريبك من عائشة؟**» قالت له بريرة: «والذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن، فتأكله» قالت: فقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر، فاستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول، قالت: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغ أذاه فى أهل بيتى، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت**

---

(١) أي: هنتاه، معناه يا هذه، وقيل: يا بلهاء؛ كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم. ذكره النووي.

عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معى»، فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال: «أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فعلنا أمرك».

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحا، ولكن اجتهلته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: «كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله»، فقام أسيد ابن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: «كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين»، فثار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، وسكت، قالت: وبكيت يومى ذلك، لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى، فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى، استأذنت علىَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكى، قالت: فبينما نحن على ذلك، دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندى منذ قيل لى ما قيل.

وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه فى شأنى بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: **«أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب، تاب الله عليه»**، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبى: أجب عنى رسول الله ﷺ، فيما قال، فقال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: لأمى: أجيبى عنى رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن، إنى والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر فى نفوسكم، وصدقتم به، فإن قلت لكم: إنى بريئة - والله يعلم أنى بريئة - لا تصدقونى بذلك- ولئن اعترفت لكم

بأمر- والله يعلم أني بريئة - لتصدقوننى - وإني والله ما أجد لى ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)﴾، [يوسف: ١٨].

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشى، قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أنى بريئة، وأن الله مبرئى ببرائتى، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى، ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله عَزَّوَجَلَّ فىَّ بأمر يتلى، ولكننى كنت أرجو أن يرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها».

قالت: فوالله ما رام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشات من ثقل القول الذى أنزل عليه، قالت: فلما سرى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «**أبشرى يا عائشة، أما الله فقد برأك الله**»، فقالت لى أمى: قومى إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله الذى برأنى قالت: فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١-٢٠] فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ هؤلاء الآيات ببراءتى قالت: فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره - والله لا أنفق عليه شيئًا أبدًا بعد الذى قال لعائشة، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)﴾، [النور: ٢٢].

قال حبان بن موسى، قال عبد الله بن المبارك: «هذه أرجى آية فى كتاب الله» فقال أبو بكر: «والله إنى لأحب أن يغفر الله لى»، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه، وقال: «لا أنزعها منه أبدا»، قالت عائشة: «وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل زينب بنت جحش زوج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمرى، «ما علمت؟ وما رأتْ؟»، فقالت: «يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى، والله ما علمت إلا خيرا»، قالت عائشة: «وهى التى كانت تسامينى من أزواج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعصمها الله بالورع».

وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك، قال الزهرى: «فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط»[١].

الذى تولى كبر الإفك:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «... وكان الذى يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبى وهو الذى كان يستشويه[٢]، وهو الذى تولى كبره منهم هو وحمنة»[٣].

إقامة الحد على المتكلمين فى الإفك من المسلمين:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما نزل عذرى قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدَّهم»[٤].

---

(١) أخرجه البخارى (٢٨٧٩) و (٤٠٢٥)، و(٤٦٩٠) و (٤٧٥٠) و (٦٦٦٢)، و(٦٦٧٩)، و(٧٥٠٠) و(٧٥٤٥)، ومسلم (٢٧٧٠) والطحاوى فى «شرح المعانى»(٤/ ٣٨٣)، وفى «شرح المشكل» (٧٤٧)، والطبرانى (٢٣/ ١٣٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٦٤)، و«السنن» (١٠/ ٤١) من طريق: يونس بن يزيد، وأخرجه البخارى (٢٦٦١)، ومسلم (٥٧/ ٢٧٧٠)، وأبو يعلى (٤٩٢٧) والطبرانى (٢٣/ ١٣٥)، والبيهقى (٧/ ٣٠٢)، من طريق/ فليح بن سليمان وأخرجه الطحاوى فى «شرح المشكل» (٧٤٦)، وفى «شرح المعانى» (٤/ ٣٨٣)، والطبرانى (٢٣) (١٤١)، من طريق: إسحاق بن راشد، ثلاثتهم عن الزهرى به، وأخرجه البخارى (٢٦٦١)، وأبو يعلى (٤٩٢٨)، والطبرانى (٢٣) (١٣٧) من طريق: فليح بن سليمان، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن ويحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة به، وأخرجه أبو داود (٧٨٥) من طريق: الزهرى، عن عروة، عن عائشة، وأخرجه الطبرى فى «تفسيره» (١٨/ ٩٢ - ١٠٢)، وفى «تاريخه» (٢/ ٦١١) والطحاوى فى «شرح المعانى» (٤/ ٣٨٣)، من طريق ابن إسحاق به، وأخرجه عبد الرزاق (٩٧٤٨)، وعنه أحمد (٦/ ١٩٤ - ١٩٥)، ومسلم (٥٦/ ٢٧٧٠)، وابن حبان (٤٢١٢)، والطبرانى (٢٣/ ١٣٣)، واللالكائى فى «أصول الاعتقاد» (٢٧٥٧)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٧٢)، وفى «الدلائل» من طريق معمر، عن الزهرى، عن سعيد وعروة وعبيد الله، قال البخارى: «والإفك بمنزلة النجس والنجسى».

(٢) أى: يستخرج الحديث، ويبحث عنه.

(٣) أخرجه البخارى (٤٧٥٧) ومسلم (٢٧٧٠)، والترمذى (٣١٨٠).

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى «المصنف» (٥/ ١٩)، وأحمد (٦/ ٦١)، والترمذى (٣١٨١)، وابن ماجه (٢٧٦٥).

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قال: حَدَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسطحًا وحمنة وحسان»[(١)].

عن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبَّبَ بأبيات له فقال:

حصان رزان ما تُزنُّ بريبةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت: لست كذلك، قلت: تَدَعين مثل هذا يدخل عليك، وقد أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١] فقالت: وأى عذاب أشد من العمى.
وقالت: وقد كان يردُّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

ذكر ما نزل من القرآن فى شأن قصة الإفك

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: «أبشرى يا عائشة أما الله فقد برأك» فقالت لى أمى: قومى إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله هو الذى برأنى، قالت: فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١-٢٠] عشر آيات فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ هؤلاء الآيات ببراءتى...»[(٣)].

قال الله تعالى فى شأن قصة الإفك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ

---

(١) قال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٢٣٠)، رواه البزار وفيه محمد بن عمرو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخارى (٤٧٥٦)، ومسلم (٢٤٨٨).

(٣) جزء من حديث طويل سبق تخريجه.

عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١-٢٠].



فَصْلٌ
فى قصة العرنيين وما نزل فى شأنهم من أحكام

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ناسًا من عُرينةَ قدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة فاجتووها، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها**» ففعلوا فصحُّوا .

ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم، وارتدوا عن الإسلام، وساقوا ذود رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبلغ ذلك النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبعث فى أثرهم، فأُتِى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، وتركهم فى الحرة حتى ماتوا(١) .

---

(١) أخرجه مسلم (٩/ ١٦٧١)، واللفظ له، وأخرجه البخارى (٢٣٣)، وانظر أطرافه هناك وقوله: (عُرَينة): بالتصغير حى من بجيلة من قحطان، ووقع فى الرواية الأخرى، (أن نفرًا من عكل): وعكل بالضم فسكون قبيلة من تيم الرباب من عدنان، وذكر الحافظ فى «الفتح» وقوله: (فاجتووها) وعند البخارى (فاجتووا المدينة) وفى رواية لمسلم (١٠/ ١٦٧١)، «فاستوخموا المدينة» (واجتوو): كرهوا المقام فيه لوخمها. قال الحافظ فى «الفتح» (١/ ٤٠٣): «والظاهر أنهم قدموا سقامًا فلما صحوا من السقم كرهوا الإقامة بالمدينة لوخمها وعند مسلم: «رواية معاوية بن قرة عن أنس: «وقع بالمدينة الموم» وهو البرسام (مسلم ١٣/ ١٦٧١) والبرسام مرض يصيب الرأس والصدر ورجح ابن حجر الأخير لما وقع فى مسند أبى عوانة من رواية همام عن قتادة عن أنس فى هذه القصة: «فعظمت بطونهم».

وقوله: «فقطع أيديهم وأرجلهم» وقع للبخارى من رواية الأوزاعى زيادة: «ولم يحسمهم» أى: لم يكو ما قطع منهم بالنار لينقطع الدم بل تركه ينزف. ذكره الحافظ فى «الفتح».

وقوله: «وسمل أعينهم» أى: فقأ أعينهم، وعند البخارى: «وسمرت أعينهم» بتشديد الميم وروايات البخارى كلها بالراء خلافًا لمسلم. فقد ساق فى صحيحه لفظتى السمل، والسمر، والسمر كالسمل، قال الخطابى: وقد يكون من المسمار يريد أنهم كحلوا بأميال قد أحميت ويفسره ما عند البخارى عن أبى قلابة ولفظه: «ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها» فهذا يوضح ما تقدم، ولا يخالف رواية السمل لأنه فقء العين بأى شىء ذكره الحافظ فى «الفتح» (١/ ٤٠٦) بتصرف يسير.

=

وعنه أيضًا أن نفرًا من عُكل ثمانية قدموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام فاستوخموا المدينة وسقمت أجسامهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ألا تخرجون مع راعينا فى إبله فتصيبون من أبوالها وألبانها**» فقالوا: بلى فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها، فصحوا فقتلوا الراعى وطردوا الإبل فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فبعث فى آثارهم فأدركوا فجىء بهم فأمر بهم فقُطعتْ أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم نبذوا فى الشمس حتى ماتوا [1].



= وقوله: «وتركهم فى الحرة حتى ماتوا» الحرة أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة وإنما ألقوا فيها لأنها قرب المكان الذى فعلوا فيه ما فعلوا. ذكره الحافظ فى الفتح، وانظر: «المعجم الكبير» حرف الحاء.

وفى «الصحيحين» البخارى (٢٣٣)، ومسلم (١١/ ١٦٧١)، «وألقوا فى الحرة يستسقون فلا يسْقَون» (٢٣٣)، وفى رواية شعبة عن قتادة: يعضون الحجارة، وفى الطب من صحيح البخارى عن أنس فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت، ولأبى عوانة: «يعض الأرض ليجد بردها مما يجد من الحر والشدة.

(١) أخرجه مسلم (١٠/ ٢٥٠)، وقد أخرج هذه القصة بألفاظ متقاربة غير البخارى ومسلم جماعة منهم: الترمذى (٧٢)، و(٧٣)، و(١٨٤٥)، و(٢٠٤٢)، وأبو داود (٤٣٦٧)، و(٤٣٦٩)، و«صحيح أبى داود» (٣٦٧٤)، والنسائى فى «السنن» تحريم الدم (٧/ ١٠٠)، وفى «صحيح النسائى» (٣٧٧٢)، وابن جرير الطبرى فى «التفسير» (١٠/ ٢٥٠)، (١١٨١٥)، من طرق منها الصحيح والضعيف والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٦٩ - ٧١).



فى الأحداث والغزوات من غزوة الحديبية إلى فتح مكة

فَصْلٌ

فى غزوة الحديبية

وقتها: كانت فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة[1].

قال ابن إسحاق: واستنفر - رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذى صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت ومعظمًا له وحديث المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم الآتى يوضح ذلك.

عدد المسلمين فى هذه الغزوة:

اختلف فى عدد الصحابة الذين كانوا فى هذه الغزوة. فى ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم كانوا ألفًا وثلاثمائة:

---

(١) هذا هو الصحيح، حكاه ابن القيم فى «الزاد» (٣/ ٢٨٦)، وهو قول الزهرى، وقتادة، وموسى بن عقبة، وابن إسحاق وغيرهم راجع «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣٥٥) ط. دار التراث وحكاه البيهقى فى «السنن» (٤/ ٣٤١)، و«الدلائل» (٤/ ٧٢)، بإسناده، وقال ابن حجر فى «التلخيص» (٤/ ٩٠)، كانت الحديبية فى سنة ست بلا خلاف.

وهو من حديث عبد الله بن بن أبى أوفى: «كنا ألفًا وثلاثمائة»[١].

القول الثانى: أنهم كانوا ألفًا وأربعمائة.

وهو من حديث: جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سأله سالم قال: «كم كنتم؟ قال: ألفًا وأربعمائة»[٢].

القول الثالث: أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة:

وهو من حديث جابر - أيضًا -: عن سعيد بن المسيب: حدثنى جابر كانوا خمس عشرة مائة الذين بايعوا النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية»[٣].

الجمع بين هذه الأقوال:

قال الحافظ فى «الفتح»: و«الجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفًا وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألفًا وأربعمائة ألغاه، ويؤيده فى الرواية الثالثة من حديث البراء: ألفًا وأربعمائة أو أكثر[٤]، واعتمد على هذا الجمع النووى، وأما البيهقى فمال إلى الترجيح، وقال: إن رواية من قال ألف وأربعمائة أصح، ثم ساق من طريق: أبى الزبير، ومن طريق: أبى سفيان كلاهما عن جابر كذلك، ومن رواية معقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع، والبراء، ومن طريق: قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه.

(١) أخرجه البخارى (٤١٥٥)، ومسلم (١٨٥٧).

(٢) أخرجه البخارى (٥٦٣٩)، ومسلم (٧٤/ ١٨٥٦)، وابن حبان (٦٥٣٨)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٩٦-١١٧).

(٣) أخرجه البخارى (٤١٥٣)، وابن حبان (٤٨٧٤)، والبيهقى فى «السنن» (٥/ ٢٣٥)، وفى «الدلائل» (٤/ ٩٧).

(٤) قلت: حديث البراء: «انتهينا إلى الحديبية وهى بئر قد نزحت ونحن أربع عشر مائة» أخرجه البخارى (٣٥٧٧ و ٤١٥٠ و ٤١٥١)، وابن حبان (٤٨٠١) وأحمد (١٨٥٦٣)، والطحاوى فى «شرح المشكل» (٢٥٨٧)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٢٢٣)، وفى «الدلائل» (٤/ ١١٠)، وأبو نعيم فى «الدلائل» (٣١٨)، وفى رواية عند البخارى وغيره بزيادة: «أو أكثر».

قلت: ومعظم هذه الطرق عند مسلم، ووقع عند ابن سعد فى حديث معقل بن يسار زهاء ألف وأربعمائة وهو ظاهر فى عدم التحديد، وأما قول عبد الله بن أبى أوفى ألفًا وثلاثمائة فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه، اطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم، والزيادة من الثقة مقبولة، أو العدد الذى ذكره جملة من ابتدأ الخروج من المدينة، والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك، أو العدد الذى ذكره هو عدد المقاتلة، والزيادة عليها من الاتباع من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم[١]. اهـ.

حديث غزوة الحديبية وما جرى بين رسول الله ﷺ وقريش:

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - يصدق كل منهما حديث صاحبه - قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبى ﷺ إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقَتَرة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبى ﷺ حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلتُه، فقال الناس: حَلْ حَلْ[٢]، فألحت[٣].

فقالوا: خَلأتِ[٤] القَصواء. فقال النبى ﷺ: «**ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذى نفسى بيده، لا يسألوننى خطةً**

(١)«الفتح» ٧/ ٥٠٤-٥٠٥.

(٢)حل حل: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.

(٣)فألحتْ: أي: تمادت على عدم القيام وهو من الإلحاح.

(٤)خلأت القصواء: قال ابن حجر: خلأت القصواء: الخلاء بالمعجمة والمد للإبل كالحران للخيل.
وقال ابن قتيبة: لا يكون الخلاء إلا للنوق خاصة.
والقصواء: اسم ناقة رسول الله ﷺ وقيل: كان طرف أذنيها مقطوعًا، والقصو قطع طرف الأذن، يقال: بعير أقصى وناقة قصوى، وكان القياس أن يكون بالقصر، وقد وقع ذلك فى بعض نسخ أبى ذر، وزعم الداودى أنها كانت لا تسبق، فقيل لها: القصواء؛ لأنها بلغت من السبق أقصاه.

يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها».

ثم زجرها فوثَبَتْ. قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ[1] قليل الماءِ يتبَرَّضُهُ[2] الناسُ تَبَرُّضًا، فلم يلبَثْهُ الناسُ حتى نزحوه، وشُكِيَ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العطشُ، فانتزَعَ سهمًا من كِنانتِهِ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش[3] لهم بالرِّي حتى صدروا عنه. فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيلُ بن وَرْقاء الخزاعي في نفر من قومه من خُزاعة - وكانوا عيبة نصح[4] لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل تِهامة - فقال إني تركتُ كعب بنَ لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العُوذُ المطافيلُ[5]، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنا لم نجيء لقتال أحدٍ، ولكنّا جئنا معتمرين، وإنّ قريشًا قد نَهِكتْهُم الحرب وأضرّت بهم، فإن شاؤوا مادَدْتهم[6] مدةً ويخَلُّوا بيني وبين الناس، فإنْ أظهرْ، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا، وإن هم أبَوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي[7]، ولينفِذَنَّ الله أمرَهُ**».

---

(١) ثمد: أي: حفيرة فيها ماء مثمور أي: قليل الماء الكثير، وقليل الثمر، ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف.

(٢) يتبرضه: هو الأخذ قليلًا قليلًا. والبرض: بالفتح والسكون: اليسير من العطاء.

(٣) يجيش: أي: يفور.

(٤) عيبة نصح: العيبة: بفتح المهملة، وسكون التحتية بعدها موحدة: ما توضع فيه الثياب لحفظها، أي: أنهم موضع النصح له، والأمانة على سره، و(نصح) بضم النون، وحكى ابن القيم فتحها كأنها شبه المصدر الذي هو مستودع السر بالعيبة التي هي مستودع الثياب.

(٥) العوذ المطافيل: العوذ بضم المهملة وسكون الواو بعدها معجمة، جمع عائذ، وهي الناقة ذات اللبن، والمطافيل: الأمهات اللاتي معها أطفالها، يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها، ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال. والمراد: أنهم خرجوا معهم بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام، وليكون أدعى إلى عدم الفرار. ذكره الحافظ في الفتح.

(٦) مادتهم: أي جعلت بيني وبينهم مدة يترك الحرب بيننا وبينهم فيها.

(٧) سالفتي: السالفة: هي صفحة العنق.

فقال بُديل: فسأبلِّغُهم ما تقول.

قال: فانطلق حتى أتى قريشًا، قال: إنّا جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرِضَه عليكم فعَلنا.

فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرونا عنه بشيء، وقال ذوو الرأى منهم: هات ما سمعتَه يقول.

قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقام عروة بن مسعود فقال: أى قومِ! ألستُم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أوَ لستُ بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونى؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أنى استنفرت أهل عكاظ فلما بلّحوا[1] علىَّ جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى؟ قالوا: بلى.

قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشدٍ اقبلوها ودعونى آته، قالوا: ائته، فأتاه فجعل يكلم النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نحواً من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك: أى محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنى والله لا أرى وجوهًا، وإنى لأرى أوشابًا[2] من الناس خليقًا أن يفرُّوا عنك ويدَعوك، فقال له أبو بكر: امصص بَظْرَ اللات[3]، أنحن نفرُّ عنه ونَدَعُهُ؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر.

قال: أما والذى نفسى بيده لولا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكلما تكلم أخذ بلحيته[4]، والمغيرة ابن شعبة قائم على رأس النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة

---

(١) بلحوا: أي: امتنعوا، والتبلح: التمنع من الإجابة.

(٢) أوشابًا: أي: أخلاطًا من أنواع شتى.

(٣) امصص بظر اللات: امصص: بصيغة الأمر، وبظر: بفتح الموحدة وسكون المعجمة: قطعة تبقى بعد الختان فى فرج المرأة، واللات اسم أحد الأصنام التى كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأم فأراد أبو بكر المبالغة فى سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه.

(٤) أخذ بلحيته وهذه كانت عادة عند العرب، أن الرجل يتناول لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة.

بيده إلى لحية النبى ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: أَخِّرْ يدَكَ عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟

قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أى غُدَر، ألستُ أسعى فى غدرتك؟

وكان المغيرة صحب قوماً فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبى ﷺ: «**أمّا الإسلام فأقبلُ، وأما المال فلست منه فى شىء**»، ثم إن عروة جعل يرمُق أصحابَ النبى ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت فى كفِّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحِدُّون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أى قومِ، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إنْ رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابُه ما يعظم أصحابُ محمد ﷺ محمداً. والله إنْ يتنخم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم فدَلَكَ بها وجهَه وجلدَه، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحِدُّون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رُشْد فاقبلوها.

فقال رجل من بنى كنانة: دعونى آتيه، فقالوا: ائته.

فلما أشرف على النبى ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «**هذا فلان، وهو من قوم يعظِّمون البُدْنَ، فابعثوها له**»، فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغى لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدن قد قُلّدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مِكْرَزُ بن حفص، فقال: دعونى آتيه.

فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم قال النبى ﷺ: «**هذا مِكرَز، وهو رجل فاجر**»، فجعل يكلم النبى ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

قال معمر: فأخبرنى أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبى ﷺ: « **قد سهل لكم من أمركم**».

قال معمر: قال الزهرى فى حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هاتِ اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبى ﷺ الكاتب فقال النبى ﷺ:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سهيل: أما «الرحمن» فوالله ما أدرى ما هى، ولكن اكتب: «باسمك اللهم» كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال النبى ﷺ: «**اكتب باسمك اللهم**» ثم قال: «**هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله، ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكنِ اكتب: «محمد بن عبد الله».

فقال النبى ﷺ: «**والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى، اكتب محمد بن عبد الله**».

قال الزهرى: وذلك لقوله: «**لا يسألوننى خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**»، فقال له النبى ﷺ: «**على أن تُخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به**». فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أُخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منّا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددتَه إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلى.

فقال النبى ﷺ: إنا لم نقضِ الكتابَ بعد، قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شىء أبداً، قال النبى ﷺ: فأجزه لى، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل، قال مِكْرَز: بل قد أجزناه لك.

قال أبو جندل: أى معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً فى الله، قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبى الله ﷺ فقلت: ألستَ نبى الله حقاً؟ قال: «**بلى**»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «**بلى**»، قلت: فلِمَ نعطى الدّنِية فى ديننا إذاً؟

قال: «**إنى رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصرى**»، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوفَ به؟

قال: «**بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟**» قال: قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوف به**»، قال: فأتيتُ أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبى الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال: بلى، قلت: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذاً؟

قال: أيها الرجل: إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصى ربه وهو ناصره، فاستمسك بِغَرْزِه[1]، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟

قال: بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام؟

قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، قال الزهرى: قال عمر فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضيةِ الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحروا، ثم احلقوا**»، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبى الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدْنَه، ودعا

---

(١) فاستمسك بغرزه: المراد به: التمسك بأمره وترك المخالفة له.

حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، ثم جاءه نسوةٌ مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: ١٠] فطلق عمر يومئذ امرأتين، كانتا له فى الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا: العهد الذى جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين فخرجا به، حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنى لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرنى أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفرّ الآخر، حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رآه: لقد رأى هذا ذعراً، فلما انتهى إلى النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قتل والله صاحبى وإنى لمقتول، فجاء أبو بصير، فقال: يا نبى الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتنى إليهم، ثم أنجانى الله منهم، قال النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويل امِّهِ مِسْعَرَ حرب**[1] **لو كان له أحد**»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبى بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تناشده الله والرحم لما أرسل، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) ويل أمه: لا يقصدون الذم، والويل يطلق على العذاب والحرب والزجر، ومسعر حرب، أي: يسعرها.

وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٤-٢٦]، وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبى الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت(١).

إرسال عثمان بن عفان إلى قريش:

قال ابن إسحاق: حدثنى الزهرى عن عروة بن الزبير: وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعى إلى مكة، وحمله على جمل له يقال له الثعلب، فلما دخل مكة عقرت به قريش، وأرادوا قتل خراش، فمنعهم

---

(١) أخرجه البخارى (٢٧٣١ و٢٧٣٢) من طريق عبد الرزاق الذى رواه فى «مصنفه» (٩٧٢٠)، وعنه ابن حبان (٤٨٧٢)، وأحمد (١٨٩٢٠)، و(١٨٩٢٨)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ١٣)، والبيهقى فى «السنن» ٧/ ١٧١، وفى «الدلائل» ٤/ ٩٩ عن معمر عن الزهرى به، وفيه: أن المسور بن مخرمة قال: «عن أصحاب النبى ﷺ»، وأخرجه البخارى (٢٧١١) و(٢٧١٢)، من طريق عقيل عن الزهرى به. وأخرجه البخارى (٤١٨٠) و(٤١٨١)، والطبرانى (٢٠) (١٥)، من طريق: ابن أخى الزهرى، عن الزهرى به. وفيه: «عن أصحاب رسول الله ﷺ» وأخرجه أحمد (١٨٩٠٩)، والبخارى (٤١٥٧ و٤١٥٨)، وأبو داود (١٧٥٤)، وابن خزيمة (٢٩٠٧)، والبيهقى فى «الدلائل» ٤/ ٩٣، وفى «الشعب» (٧٣١٨) من طريق: سفيان بن عيينة عن الزهرى بهذا الإسناد، لكنهم قالوا: «خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من أصحابه».
وأخرجه من طريق ابن إسحاق الإمام أحمد فى «المسند» مطولاً (١٨٩١٠)، وأبو داود (٢٧٦٦)، والطبرى فى «التفسير» ٢٦/ ١٠١، وفى «التاريخ» ٢/ ٦٢٠، وابن خزيمة (٢٩٠٦)، والطبرانى (٢٠)، (١٤)، (١٦)، والحاكم ٢/ ٤٥٩، والبيهقى فى «السنن» ٥/ ٢١٥، و٩/ ٢٢١، وفى «الدلائل» ٤/ ١١٢ و١٤٥. كلهم من طريق: ابن إسحاق. وإسناده حسن فقد صرَّح ابن إسحاق فيه بالتحديث.
«والحديبية: هى بئر سمى المكان بها، وقيل: شجرة حدباء صغرت وسمى المكان بها.
قال المحب الطبرى: هى قرية قريبة من مكة أكثرها فى الحرم» «الفتح» ٥/ ٣٩٣.
واعلم أن الإمام البخارى قد حذف صدر هذا الحديث الطويل لإرساله راجع «الفتح» ٥/ ٣٩٣. وقد ساق الحافظ فيه الروايات المختلفة، والزيادات على البخارى، فارجع إليهم غير مأمور.

الأحابيش حتى أتى رسول الله ﷺ، فدعا عمر ليبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله إنى أخاف قريشًا على نفسى، وليس بها من بنى عدى أحد يمنعنى، وقد عرفت قريش عداوتى إياها، وغلظتى عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعز منى، عثمان بن عفان.

قال: فدعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائرًا لهذا البيت معظمًا لحرمته، فخرج عثمان حتى أتى مكة، ولقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته، وحمله بين يديه، وردف خلفه، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل[1].



(١) «السيرة النبوية» (٣/ ٣٦٣ - ٣٦٤)، وأخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٣ - ٣٢٦)، وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٩٦-٩٧)، والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٦٣١) جميعًا من طريق ابن إسحاق بسند صحيح قد صرح فيه بالتحديث.

بيعة الرضوان

سبب البيعة :

قال ابن إسحاق: فَحَدّثَنِى عَبْدُ اللّهِ بْنُ أَبِى بَكْرٍ : أَنّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ بَلَغَهُ أَنّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ: لَا نَبْرَحُ حَتّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النّاسَ إلَى الْبَيْعَةِ . فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرّضْوَانِ تَحْتَ الشّجَرَةِ ، فَكَانَ النّاسُ يَقُولُونَ بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَوْتِ وَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ يَقُولُ إنّ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يبَايِعْنَا عَلَى الْمَوْتِ وَلَكِنْ بَايَعَنَا عَلَى أَنْ لَا نَفِرّ . فَبَايَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النّاسَ وَلَمْ يتَخَلّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ حَضَرَهَا ، إلّا الْجَدّ بْنُ قَيسٍ، أَخُو بَنِى سَلِمَةَ فَكَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ يَقُولُ وَاَللّهِ لَكَأَنّى أَنْظُرُ إلَيهِ لَاصِقًا بِإِبْطِ نَاقَتِهِ . قَدْ ضَبَأَ إلَيهَا ، يسْتَتِرُ بِهَا مِنْ النّاسِ . ثُمّ أَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنّ الّذِى ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ عُثْمَانَ بَاطِلٌ (١) .

علام بايع الصحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية :

عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما سئل: على أى شىء بايعتم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الحديبية؟ قال: على الموت» (٢).

وعن عبد الله بن يزيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**أتاه آتٍ فقال: هذاك بن حنظلة يبايع الناس، فقال: على ماذا؟ قال: على الموت، قال: لا أبايع على هذا أحدًا بعد رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وكان شهد معه الحديبية**» (٣).

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة، فبايعناه وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ٣٦٤)، وراجع: «صحيح مسلم» (١٤٨٣)، والترمذى (١٥٩٤)، والدارمى (٢٤٥٤) والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١٠٣) وإسناده إلى عبد الله بن أبى بكر بن حزم صحيح.

(٢) أخرجه البخارى (٤١٦٩)، ومسلم (١٨٦٠).

(٣) أخرجه البخارى (٤١٦٧)، ومسلم (١٨٦١).

أخذ بيده تحت الشجرة، وهى سمرة، قال: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت[(١)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها كانت رحمة من الله، فسألنا نافعًا على أى شىء بايعهم؟ على الموت؟ قال: لا، بايعهم على الصبر[(٢)]، وقد وفق الحافظ بين هذه الأقوال الثلاثة فقال: إن المبايعة فيها مطلقة، وقد أخبر سلمة بن الأكوع، وهو ممن بايع تحت الشجرة أنه بايع على الموت، فدل ذلك على أنه لا تنافى بين قولهم بايعوه على الموت، وعلى عدم الفرار، لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد، وهو الذى أنكره نافع وعدل إلى قوله: «**بل بايعهم على الصبر**»؛ أى على الثبات وعدم الفرار سواء أفضى بهم ذلك إلى الموت أم لا، والله أعلم»[(٣)]. اهـ.

مبايعة سلمة بن الأكوع ثلاث مرات:

عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو جزء من حديث، قال: ... إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعانا إلى البيعة فى أصل الشجرة فبايعه أول الناس، ثم بايع وبايع، حتى إذا كان فى وسط الناس قال: «**بايعنى يا سلمة**» قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك أول الناس، قال: «**وأيضًا**» قال: ورآنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عزلًا، فأعطانى جحفة أو درقة، ثم بايع حتى إذا كان فى آخر الناس قال: «**ألا تبايع يا سلمة؟**» قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك فى أول الناس وأوسطهم، قال: «**وأيضًا**» فبايعته الثالثة فقال: «**يا سلمة أين جحفتك أو درقتك التى أعطيتك؟**» قال: قلت: يا رسول الله لقينى عامر عزلًا فأعطيتها إياه، فضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «**إنك كالذى قال الأول:**

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧/ ١٨٥٦)، والترمذى (١٥٩٤)، وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخارى (٢٩٥٨).

(٣) «الفتح» (٦/ ١٣٧) ط. السلفية.

اللهم ابغنى حبيبًا هو أحب إلى من نفسى».

ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا الصلح، حتى مشى بعضنا فى بعض فاصطلحنا، قال: وكنت خادمًا لطلحة بن عبيد الله أستقى فرسه وأحسه، وآكل من طعامه، وتركت أهلى ومالى مهاجرًا إلى الله ورسوله، قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا بعضًا أتيتُ شجرة فكسحتُ شوكها، واضطجعتُ فى أصلها فأتانى أربعة من أهل مكة من المشركين، فجعلوا يقعون فى رسول الله ﷺ فأبغضتُهم، ثم تحولتُ إلى شجرة أخرى فعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من أسفل الوادى: يا للمهاجرين قتل ابن زنيم، قال: فاخترطتُ سيفى، فشددتُ على أولئك الأربعة، وهم رقد فأخذت سلاحهم فجعلتُهُ ضغثًا فى يدى، ثم قلت: والذى كرم وجه محمد ﷺ لا يرفع أحدٌ منكم رأسه إلا ضربتُ الذى فى عيناه، قال: ثم جئتُ بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال: وجاء عمى عامر برجل من العبلات يقال له: مكرز، من المشركين يقوده على فرس مجفف حتى وقفنا بهم على رسول الله ﷺ فى سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «**دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثناه، فعفا عنهم رسول الله** ﷺ **فأنزل الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤](١).

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجالًا من أهل مكة هبطوا إلى النبى ﷺ من قبل جبل التنعيم ليقاتلوه، قال: فأخذهم رسول الله ﷺ سلمًا، قال: فأعتقهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢/ ١٨٠٧)، والطبرانى فى «الكبير» (٦٢٤٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١٣٩، ١٤٠) والجحفة والدرقة: شبيهتان بالترس.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٨)، وأبو داود (٢٦٨٨)، والترمذى (٣٢٦٤)، والنسائى فى «التفسير» (٥٣٠)، =

من تخلف عن البيعة:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**كنا أربع عشرة مائة، فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهى سمرة، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصارى، اختبأ تحت بطن بعيره**»(١).

وقد فصَّلت هذا الحديث - فيما يأتى - إن شاء الله - فى «غزوة تبوك» - فى «الكلام عن الجد بن قيس» وهو مهم فراجعه غير مأمور.

مبايعة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن عثمان بن موهب، قال: جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القعود ؟ قالوا: هؤلاء قريش قال: من الشيخ ؟ قالوا: ابن عمر.

فأتاه فقال: إنى سائلك عن شيء أتحدثنى ؟ قال: أنشدك

بحرمة هذا البيت: أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال: نعم.

قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال: نعم.

قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال: نعم. قال: فكبر.

قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتنى عنه.

أما فراره يوم أحد: فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيبه يوم بدر فإنه كان تحته بنت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت مريضة، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه**».

وأما تغيبه عن بيعة الرضوان: فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه، فبعث عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده اليمنى: «**هذه يد عثمان**». فضرب بها على يده. فقال: «**هذه لعثمان**». اذهب بها الآن معك(٢).

= وأحمد فى «المسند» (٣/ ١٢٢ - ١٢٤) وعبد بن حميد فى «مسنده» (١٢٠٨).

(١) أخرجه مسلم (٦٧/ ١٨٥٦)، والترمذى (١٥٩٤)، والحميدى فى «مسنده» (١٢٧٧).

(٢) أخرجه البخارى (٣٦٩٨ و ٤٠٦٦)، والترمذى (٣٧٠٦)، وأحمد فى «المسند» (٨/ ١٠١) (٥٧٧٢).

الشجرة التى بويع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحتها وشأنها:

عن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كان أبى ممن بايع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت الشجرة، قال: فانطلقنا من قابل حاجبين، فخفى علينا مكانها، فإن كان بينت لكم فأنتم أعلم؟!»[1].

فضل من بايع تحت الشجرة:

﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

عن جابر قال: «كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة، فقال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أنتم خير أهل الأرض اليوم»** قال جابر: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة، قال سفيان: إنهم اختلفوا فى موضعها[2].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا: قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»**[3].

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أن عبدًا لحاطب بن أبى بلعته جاء يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله؛ ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كذبت؛ لا يدخلها فإنه قد شهد بدرًا والحديبية»**[4].

۞۞۞

---

(١) أخرجه البخارى (٤١٦٣ و ٤١٦٤ و ٤١٦٥)، ومسلم (١٨٥٩)، من طريق طارق بن عبد الرحمن به.

(٢) أخرجه البخارى (٤١٥٤)، ومسلم (٧١/ ١٨٥٦)، والحميدى فى «مسنده» (١٢٢٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٥٠)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذى (٣٨٦٠)، والنسائى فى «تفسيره» (٥٢٨)، وأخرجه مسلم (٢٤٩٦)، عن جابر عن أم بشر أنها سمعت من النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عند حفصة وأخرجه البيهقى (٤/ ١١١).

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٩٥)، والترمذى (٣٨٦٤)، وأحمد(٢/ ٣٢٥)، والحاكم (٣/ ٣٠١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ١٥٣).

صلح الحديبية

كاتب صلح الحديبية:

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كتب على بن أبى طالب الصلح بين النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين المشركين يوم الحديبية[١].

شروط الصلح وبنوده:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وجرى الصلح بين المسلمين وأهل مكة على وضع الحرب عشر سنين، وأن يأمن الناس بعضهم من بعض، وأن يرجع عنهم عامة ذلك، حتى إذا كان العام المقبل قدمها، وخلوا بينه وبين مكة فأقام بها ثلاثًا، وأن لا يدخلها إلا بسلاح الراكب، والسيوف فى القرب، وأن من آتانا من أصحابك لم نرده عليك، ومن آتاك من أصحابنا رددته علينا، وأن بيننا وبينك عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال، فقالوا: يا رسول الله نعطيهم هذا؟ فقال: «**من آتاهم منا فأبعده ومن آتانا منهم فرددنا إليهم جعل الله له فرجًا ومخرجًا**»[٢].

عن أبى إسحاق قال حدثنا الزهرى عن عروة عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قصة الحديبية قالا: فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالوا اذهب إلى هذا الرجل فصالحه ولا يكونن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة فخرج سهيل من عندهم فلما رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقبلًا قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى إلى رسول الله جرى بينهما القول حتى وقع الصلح على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين وأن يأمن الناس

(١) أخرجه البخارى (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، ومسلم (٩٠/ ١٧٨٣) وأبو داود (١٨٣٢).

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢٩٩)، وكلام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هو معنى حديث رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٥)، وأبو داود (٢٧٤٩)، فى «الجهاد» من حديث ابن إسحاق عن الزهرى عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، وحسنة الشيخ الألبانى - رحمه الله - فى «صحيح أبى داود» (٢٤٠٤).

بعضهم من بعض وأن يرجع عنهم عامهم ذلك حتى إذا كان العام المقبل قدمها خلوا بينه وبين مكة فأقام بها ثلاثا وأنه لا يدخلها إلا بسلاح الراكب والسيوف فى القرب وأنه من أتانا من أصحابك بغير إذن وليه لم نرده عليك وأنه من أتاك منا بغير إذن وليه رددته علينا وأن بيننا وبينك عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال حتى إذا لم يبق إلا أن يكتب الكتاب قام عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فذكر الحديث كما مضى [1].

وعن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما صالح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشركى قريش، كتب بينهم كتابًا: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قالوا: لو علمنا أنك رسول الله لم نقاتلك. قال لعلى: «**امحه**»، فأبى، فمحاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده، وكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. واشترطوا عليه أن يقيموا ثلاثا، ولا يدخلوا مكة بسلاح إلا جلبان السلاح. قال شعبة: قلت لأبى إسحاق: ما جلبان السلاح؟ قال: السيف بقرابه أو بما فيه [2].

وعن أنس أن رسول الله لما صالح قريشا يوم الحديبية قال لعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**» فقال سهيل بن عمرو: لا نعرف الرحمن الرحيم اكتب باسمك اللهم فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اكتب باسمك اللهم**» فقال النبى لعلى: «**أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**» فقال سهيل بن عمرو: لو

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٧٦٦)، وأحمد فى «المسند» (٤/ ٣٢٥)، والبيهقى فى «السنن الكبرى» (١٨٤٢٧)، و«معرفة السنن والآثار» (١٥/ ٤٦) (٥٧٧٤) و«الدلائل» (٤/ ١١٢)، وأصله فى «البخارى فى مواطن كثيرة منها» (٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

وقوله: «وأن بيننا وبينك عيبة مكفوفة» العيبة ها هنا: مثل، والمعنى: أن بيننا صدورًا سليمة فى المحافظة على العهد الذى عقدناه بيننا، وقد يشبه صدر الإنسان الذى هو مستودع سره وموضع مكنون أمره بالعيبة التى يودعها حرَّ متاعه ومصون ثيابه، وقوله: «لا إسلال ولا إغلال» الإسلال من السلة وهى السرقة، والإغلال: الخيانة والمعنى: إن بعضنا يأمن بعضًا فى نفسه وماله، فلا يتعرض لدمه ولا لماله سرًّا ولا جهرًا، ولا يخونه فى شىء من ذلك. «زاد المعاد» (٣/ ٢٩٩ - الحاشية).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخارى (٢٦٩٨)، ومسلم (٩٠/ ١٧٨٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١١٣).

نعلم أنك رسول الله لصدقناك ولم نكذبك اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبى: «**أكتب محمد بن عبد الله**» وكتب من أتانا منكم رددناه عليكم ومن أتاكم منا تركناه عليكم فقالوا: يا رسول الله نعطيهم هذا قال: «**من أتاهم منا فأبعده الله ومن أتانا منهم فرددناه عليهم جعل الله له فرجا ومخرجا**»[(١)].

وعن أبى وائل قال: قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال أيها الناس: اتهموا أنفسكم لقد كنا مع رسول الله يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا وذلك فى الصلح الذى كان بين رسول الله وبين المشركين قال فأتى عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل قال: «**بلى**» قال: أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال: «**بلى**» قال: ففيم نعطى الدنية فى أنفسنا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال: «**يا ابن الخطاب إنى رسول الله ولن يضيعنى الله**» قال: فانطلق ابن الخطاب ولم يصبر متغيظًا فأتى أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على باطل قال: بلى قال: أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال: بلى قال: فعلى ما نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا فنزل القرآن على محمد رسول الله فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه فقال يا رسول الله أو فتح هو قال نعم قال فطابت نفسه ورجع[(٢)].

الفتح هو صلح الحديبية

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية»[(٣)].

---

(١)أخرجه مسلم (٩٣/ ١٧٨٤).

(٢)متفق عليه: أخرجه البخارى (٣١٨١)، ومسلم (٩٤/ ١٧٨٥) وغيرهما.

(٣)أخرجه البخارى (٤١٥٠ و٤١٥١)، وأحمد ٤/ ٢٩٠، ٣٠١ من طريق إسرائيل عن أبى إسحاق، عن البراء به.

معجزات وأحداث فى قصة الحديبية

فمن ذلك:

نزوح بئر الحديبية وبصوق النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها فروى منها الصحابة كلهم حتى ارتحلوا:

عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «... كنا مع النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع عشرة مائة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا[(١)].

ومنها: أنه لم يبق عند الصحابة ماء إلا ركوة بين يديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضع يديه منها فنبع الماء بين أصابعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى توضأوا من عند آخرهم»[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين بيدَيْه ركوة يتوضأ جهش الناس نحوه فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مالكم ؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نشرب ولا ماء نتوضأ إلا ما بين يديك.

فوضع النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. **قال:** فشربنا وتوضأنا.

فقلنا لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة[(٣)].

---

(١) جزء من الحديث السابق، وجاء من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فى البخارى (٤٨٤٠)، ومسلم (٧١/ ١٨٥٦)، ومن حديث سلمة بن الأكوع أخرجه مسلم (١٨٠٧)، والبيهقى فى «الدلائل» ٤/ ١٣٩، ١٤٠.

(٢) من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ السابق وأخرجه البخارى(٤٨٤٠) ومسلم(٧١/ ١٨٥٦)، وأحمد ٣/ ٣٢٩.

(٣) أخرجه البخارى (٤١٥٢)، وأحمد (٣/ ٣٢٩ و ٣٥٣و٣٦٣)، وقوله: (جهش الناس نحوه): أي:

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتنى مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد حضرتْ صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضلة فجعل فى إناء فأُتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به فأدخل يده فيه، وفرّج بين أصابعه ثم قال: «**حى على أهل الوضوء والبركة من الله**»، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه قال: فتوضأ الناس وشربوا قال: فجعلت لا آلوا ما جعلت فى بطنى منه وعلمت أنه بركة». قال: قلت لجابر: «**كم كنتم يومئذ؟**» قال: «**ألف وأربعمائة**»[1].

وقال جابر بن عبد الله غزونا أو سافرنا ونحن مع رسول الله ونحن يومئذ بضع عشرة مائة فحضرت الصلاة فقال رسول الله: «**هل فى القوم من طهور؟**» فجاء رجل يسعى بأداوة فيها شىء من ماء ليس فى القوم ماء غيره فسكبه رسول الله فى قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح قال: فركب الناس ذلك القدح وقال: تمسحوا تمسحوا فقال رسول الله: «**على رسلكم**» حين سمعهم يقولون ذلك قال: فوضع رسول الله كفه فى الماء والقدح وقال: «**سبحان الله**» ثم قال: «**أسبغوا الوضوء**».

قال جابر: فوالذى ابتلانى ببصرى لقد رأيتُ العيون عيون الماء تجرى من بين أصابع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرفعها حتى توضؤوا أجمعون[2].

وعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى غزوة، فأصابنا جهد، حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر نبى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجمعنا مزاودنا، فبسطنا له نطعا، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال: فتطاولت لأحزر كم هو؟ فحزرته كربضة العنز، ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعا، ثم حشونا جربنا، ثم قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هل من وضوء؟**» قال: فجاء رجل بإداوة له فيها نطفة فأفرغها فى قدح، فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة أربع

= أسرعوا لأخذ الماء.

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٦٣٩)، وغيره.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ٣٥٧)، والدارمى فى «السنن» (٢٦)، وابن خزيمة فى «صحيحه» (١٠٧)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٩١).

عشرة مائة، قال: ثم جاء بعد ذلك ثمانية، فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله ﷺ: «فرغ الوضوء»[(١)].

قال الإمام البيهقى رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى «الدلائل»: «ذكر أن خروج الماء من بين أصابع النبى ﷺ كان غير مرة وزيادة ماء البئر ببركة دعائه ﷺ كانت له عادة وكل واحد منها دليل واضح من دلائل النبوة ثم ساق البيهقى رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحاديث المسندة فى ذلك فى كتابه «الدلائل».

شروع فدية الأذى فى الحديبية:

عن كعب بن عجرة[(٢)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ رآه وقمله يسقط على وجهه فقال: «**أيؤذيك هوامك؟**» قال: نعم، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق وهو بالحديبية، ولم يبين لهم أن يحلون بها وهم على طمع أن يدخلوا مكة، فأنزل الله الفدية فأمره رسول الله ﷺ أن يطعم فرقًا بين ستة مساكين، أو يهدى شاة أو يصوم ثلاثة أيام»[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٩/ ١٧٢٩)

(٢) هو كعب بن عجرة الأنصارى السالمى، المدنى، من أهل بيعة الرضوان. مات سنة اثنتين وخمسين. وفيه نزلت آية الفداء. انظر ترجمته فى «التاريخ الكبير» للبخارى ٧ ترجمة رقم (٩٥٤)، و«الجرح والتعديل» ٧/ رقم (٨٩٧)، و«الحلية» ١/ ٦٨، و«الكامل» ٣/ ١٩١ و٤٩٢، و«أسد الغابة» ٤/ ٢٤٣، و«الإصابة» ٣/ رقم (٧٤١٩)، وغيرهم..

(٣) أخرجه البخارى (١٨١٧ و ١٨١٨ و٤١٥٩ و٤١٩١)، والطيالسى (١٠٦٥)، وأحمد ٤/ ٢٤٢، وابن خزيمة (٢٦٧٧ و٢٦٧٨)، وابن جرير الطبرى (٣٣٤٧)، والدارقطنى ٢/ ٢٩٨، والطبرانى فى «الكبير» ١٩/ ٢٢٤-٢٢٧ و٢٢٩، والبيهقى فى «السنن» ٥/ ٨٧، من طرق عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن كعب بن عجرة به. وأخرجه مسلم (١٢٠١)، والترمذى (٩٥٣)، والحميدى (٧٠٩)، وابن خزيمة (٢٦٧٧) وابن جرير الطبرى فى «التفسير» (٣٣٤٦)، والدارقطنى ٢/ ٢٩٨-٢٩٩، والطبرانى فى «الكبير» ١٩/ ٢٣٣-٢٣٧، والبيهقى فى «السنن» ٥/ ٥٥، من طرق عن سفيان قال: حدثنا أيوب السختيانى، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، به.

ما جرى فى إحرامهم وتحللهم حين وقع الحصر:

عن المسور ومروان فى قصة الحديبية قالا: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب قال رسول الله ﷺ : «**يا أيها الناس قوموا فانحروا وحلوا**» . فوالله ما قام أحد من الناس ، فقام رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة فقال : «**يا أم سلمة ، ألا ترين إلى الناس** - أى آمرهم بالأمر لا يفعلونه - فقالت : يا رسول الله ، لا تلمهم ، فإن الناس قد دخلهم أمر عظيم مما رأوك حملت على نفسك فى الصلح ، ورجعتك ولم يفتح عليك، فاخرج يا رسول الله ، ولا تكلم أحدا من الناس ، حتى تأتى هديك فتنحر ، وتحل، فإن الناس إذا رأوك فعلت ذلك، فعلوا كالذى فعلت، فخرج رسول الله ﷺ من عندها، فلم يكلم أحدا، حتى أتى هديه ، فنحر ، وحلق ، فلما رأى الناس رسول الله ﷺ قد فعل ذلك، قاموا ففعلوا ، ونحروا ، وحلق بعضهم ، وقصر بعض ، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم اغفر للمحلقين**» فقيل : يا رسول الله ، والمقصرين ، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم اغفر للمحلقين**»ثلاثا ، قيل : يا رسول الله وللمقصرين ، فقال : «**وللمقصرين**»[(١)] .

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أهدى رسول الله فى عمرة الحديبية جملا لأبى جهل ابن هشام وعليه خشاش من ذهب وهو الزمام قال وذلك أن الزمام يكون فى اللحم والخشاش يكون فى العظم وما فعل ذلك إلا ليغيظ به قريشا[(٢)] .

وعن ابن عمر أن رسول الله خرج معتمرًا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحًا عليها إلا سيوفًا ولا يقيم بها إلا ما أحبوا فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثانى» (٥٥١)، وابن جرير فى «التفسير» (٢/ ٢٢١)، والبيهقى فى «السنن» (١٠٠٧٧)، وفى «الدلائل» (٤/ ١١٦)، وأخرجه البخارى فى «الصحيح» (٢٧٣١) بنحوه.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود فى «المناسك» باب: «فى الهدى...» (٢/ ١٧٤٩)، وأحمد فى «المسند» (٢٣٦٢) و(١/ ٢٣٤)، وأخرجه ابن ماجه (٢١٠٠) بنحوه.

صالحهم فلما أن قام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج[(١)].

وعن جابر بن عبد الله الأنصارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال نحرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة[(٢)].

ومن ذلك: أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهاهم عن الاستسقاء بالأنواء، وأعلمهم أن هذا من الكفر:

عن زيد بن خالد الجهنى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة، فصلى لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصبح، ثم أقبل علينا فقال: «**أتدرون ماذا قال ربكم؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: «**قال الله: أصبح من عبادى مؤمن وكافر بى، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله، فهو مؤمن بى كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنجم كذا، فهو مؤمن بالكوكب كافر بى**»[(٣)].

نزول سورة الفتح عند رجوعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحديبية:

عن زيد بن أسلم، عن أبيه: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسير فى بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلًا، فسأله عمر بن الخطاب عن شىء، فلم يجبه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيرى ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فى قرآن فما نشبت أن سمعت صارخًا يصرخ بى قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فِىَّ قرآن، وجئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلمت عليه فقال: «**لقد أنزلتْ على الليلة سورة أحب إلى مما طلعت عليه الشمس**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١][(٤)].

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٧٠١ و ٤٢٥٢)، وغيره.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٣٥٠/ ١٣١٨).

(٣) أخرجه البخارى (٤١٤٧)، ومسلم (٧١)، وأبو داود (٣٩٠٦)، والنسائى (٣/ ١٥٦)، ومالك (١/ ١٩٢)، وأحمد (٤/ ١١٧).

(٤) أخرجه البخارى (٤١٧٧)، وأطرافه فى (٤٨٣٣ و ٥٠١٢)، والترمذى (٣٢٦٤)، والنسائى فى

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: في هذه الآية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] قال: الحديبية[١].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أيضًا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] قال: فتح الحديبية فقال رجل: هنيئًا مريئًا يا رسول الله هذا لك فما لنا فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: ٥] قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثتهم عن قتادة عن أنس ثم قدمت البصرة فذكرت ذلك لقتادة فقال: أما الأول فعن أنس وأما الثانى ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فعن عكرمة[٢].

وعن أنس قال: ولما نزلت ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ نزل بعدها: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فقالوا: يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك ما يفعل بنا فأنزل الله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٧] قال والفضل الكبير الجنة[٣].

وقد ساق الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحاديث الدالة على نزول سورة الفتح بعد مرجعه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحديبية.

وقال البيهقى: باب نزول سورة الفتح مرجعهم من الحديبية وما ظهر فى وعد الله جل ثناؤه فى تلك السورة من الفتح والمغانم، ودخول المسجد الحرام ودعاء المخلفين من الأعراب إلى قوم أولى بأس شديد فوجد تصديق الفتح والمغانم الكثيرة، ودخول المسجد الحرام فى حياة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووجد تصديق الدعاء إلى قوم أولى بأس شديد بعد وفاته فى أيام أبى بكر الصديق وعمر الفاروق، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من آثار النبوة ودلائل الصدق فى الرسالة ثم ساق البيهقى رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأحاديث المسندة فى ذلك سقنا بعضًا منها كما فى الصحيحين وغيرهما.

= «التفسير» (٥١٩)، وأحمد فى «المسند» (١/ ٣١) (٢٠٩) من طريق مالك به.

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٨٣٤)، وأحمد فى «المسند» (٣/ ٢٧٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٤١٧٢)، ومسلم (١٧٨٦)، والترمذى (٣٢٦٣)، وأحمد (٣/ ١٩٧).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند (٣/ ١٢٢) من طريق همام عن قتادة عن أنس به.

إسلام النساء

وهجرتهن إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فى الهدنة ومبايعة النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهن

عن ابن شهاب ، أنه قال : بلغنا أنه قاضى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشركى قريش على المدة التى جعل بينه وبينهم يوم الحديبية ، أنزل الله عَزَّوَجَلَّ فيما قضى به بينهم، فأخبرنى عروة بن الزبير أنه سمع مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ ، كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، فخليت بيننا وبينه . فكره المؤمنون ذلك ، وأبى سهيل إلا ذلك ، فكاتبه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده فى تلك المدة وإن كان مسلما ، وجاء المؤمنات ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ممن خرج إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ وهى عاتق ، فجاء أهلها يسألون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يرجعها إليهم ، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهم : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ﴾ [الممتحنة: ١٠]. قال عروة : فأخبرتنى عائشة أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمتحنهن بهذه الآية : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢]الآية . قال عروة : قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط منهن، قال لها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد بايعتك كلاما**» يكلمها به ، والله ما مست يده يد امرأة قط فى المبايعة ، ما بايعهن إلا بقوله [١].

---

(١) صحيح:أخرجه البخارى(٢٧١١و٢٧١٢و٢٧١٣)، وأطرافه في (٢٧٣٣و٤١٨٢و٤٨٩١ و٥٢٨٨ و٧٢١٤).

فَصْلٌ

فى غزوة ذى قرد أو غزوة الغابة[١]

وقتها:

قال الإمام البخارى: وهى الغزوة التى أغاروا على لقاح النبى ﷺ قبل خيبر بثلاث[٢].

وقال الإمام ابن القيم: وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية، وقد وهم فيها جماعة من أهل السير فذكروا أنها كانت قبل الحديبية، والدليل على صحة ما قلناه ما رواه الإمام أحمد والحسن بن سفيان عن أبى بكر بن أبى شيبة قال: حدثنا هشام بن القاسم قال: حدثنا عكرمة بن عمار قال: حدثنى إياس بن سلمة عن أبيه قال: «قدمت المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ قال: «**خرجت أنا ورباح بفرس لطلحة أنديه مع الإبل فلما كان بغلس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ فقتل راعيها**» وساق القصة رواها مسلم فى صحيحه بطولها[٣].

والقصة رواها البخارى ومسلم مختصرة، ورواها مسلم كذلك مع قصة مبايعة سلمة بالحديبية وكذلك غزوة خيبر فى خبر واحد، أما القصة مختصرة: فعن يزيد بن أبى عبيد، قال: سمعت سلمة بن الأكوع يقول: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، وكانت

---

(١) قال الحافظ فى «الفتح»: «قرد – بفتح القاف والراء، وحكى الضم فيها، وحكى ضم أوله، وفتح ثانيه، قال الحازمى: الأول ضبط أصحاب الحديث، والضم عن أهل اللغة.

وقرد: ماء على نحو بريد مما يلى بلاد غطفان، وقيل: على مسافة يوم». اهـ.

والغابة: موضع كان ذا أشجار كثيفة من الأثل والطرفاء يقع فى الشمال الغربى لأحد. وبعض المؤرخين يسمى هذه الغزوة بغزوة الغابة.

(٢) كتاب المغازى، باب غزوة ذات قرد. «فتح» ٧/ ٥٢٦.

(٣) «زاد المعاد» ٣/ ٢٧٨-٢٧٩. ومن العجيب أن ابن القيم –رحمه الله– قد ذكرها قبل غزوة الحديبية مع أنه رجح أنها كانت بعد الحديبية.

لقاح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترعى بذى قرد قال: فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أخذ لقاح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقلت: من أخذها ؟ قال: غطفان.

قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه ! قال: فأسمعت ما بين لابتى المدينة.

ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم بذى قرد وقد أخذوا يسقون من الماء، فجعلت أرميهم بنبلى، وكنت راميًا، أقول:

أنـــــا ابـــــن الأكـــــوع والـيـــــوم يـــــوم الرضـــــع

فأرتجز: حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة.

قال: وجاء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس فقلت: يا نبى الله إنى قد حميت القوم الماء وهم عطاش فابعث إليهم الساعة.

فقال: «يا ابن الأكوع، ملكت فأسجح» قال: ثم رجعنا ويردفنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ناقته حتى دخلنا المدينة [1].

---

(١) أخرجه البخارى (٤١٩٤) ومسلم (١٨٠٦)، وأبو داود (٢٧٥٢)، وأحمد ٤/ ٤٨ (١٦٥٣٩)، والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» (٩٧٨)، والبيهقى فى «السنن» ١٠/ ٢٣٦، و«الدلائل» ٤/ ١٨١.
وغيرهم مع الاختلاف فى بعض الألفاظ.
وقوله: (الأولى): المقصود بها صلاة الصبح. و(اللقاح): ذوات الدر من الإبل. واحدها لقحة بالكسر والفتح، واللقوح الحلوب.
وقوله: (يا صباحاه): صورة من صور الاستغاثة بالصباح، وهى فى الحقيقة استغاثة بأهل ذلك الصباح، أى بالناس فى ذلك الوقت، وقد اشتهر هذا اللفظ فى الاستغاثة لاعتيادهم الإغارة فى ذلك الوقت. وتقال عند استنفار من كان غافلاً عن عدوه.
وقوله: (واليوم يوم الرضع): جمع راضع وهو اللئيم، فمعناه: اليوم يوم اللئام، أى اليوم يوم هلاك اللئام، والأصل فيه أن شخصاً كان شديد البخل فكان إذا أراد حلب ناقته ارتضع من ثديها لئلا يحلبها فيسمع جيرانه أو من يمر به صوت الحلب فيطلبون اللبن. وقيل: بل معنى المثل ارتضع اللؤم من بطن أمه، وقوله: (قد حميت القوم الماء): أى منعتهم من الشرب.
وقوله: (يا ابن الأكوع ملكت فأسجح) والمعنى: قدرت فاعف، والسجاحة، السهولة. باختصار وتصرف من «الفتح» ٧/ ٥٢٦-٥٢٩. السلفية..

أما الرواية المطولة: فعن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فى قصة الحديبية وذات قرد وخيبر وسوف نقتصر على الجزء من الحديث الخاص بذى قرد:

قال سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثم قدمنا المدينة فبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بظهره مع رباح غلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا معه وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزارى قد أغار على ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستاقه أجمع وقتل راعيه قال: فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله وأخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المشركين قد أغاروا على سرحه ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة فناديت ثلاثة يا صباحاه ثم خرجت فى آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول:

أنا ابن الأكوع   واليوم يوم الرضع

فألحق رجلاً منهم فأصك سهماً فى رحله حتى خلص نصل السهم إلى كتفه قال: قلت: خذها.

وأنا ابن الأكوع   واليوم يوم الرضع

قال: فوالله مازلت أرميهم وأعقر بهم فإذا رجع إلى فارس أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم رميته فعقرت به ، حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا فى تضايقه علوت الجبل فجعلت أرديهم بالحجارة قال : فمازلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا خلفته وراء ظهرى ، وخلوا بينى وبينه ، ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحاً يستخفون ، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً من الحجارة يعرفها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، حتى أتوا متضايقاً من ثنية فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزارى ، فجلسوا يتضحون – يعنى يتغذون– وجلست على رأس قرن. قال الفزارى : ما هذا الذى أرى؟ قالوا : لقينا من هذا البرح والله ما فارقنا منذ غلس يرمينا حتى انتزع كل شيء فى أيدينا ، قال : فليقم إليه نفر منكم أربعة. قال : فصعد إلى منهم أربعة فى الجبل قال : فلما أمكنونى

من الكلام قال : قلت : هل تعرفونى ؟ قالوا : لا ومن أنت ؟ قال : قلت أنا سلمة ابن الأكوع ، والذى كرم وجه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته ، ولا يطلبنى رجل منكم فيدركنى قال أحدهم : أنا أظن.

قال : فرجعوا فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخللون الشجر قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدى وعلى إثره أبو قتاة الأنصارى وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندى قال: فأخذت بعنان الأخرم قال: فولوا مدبرين قلت: يا أخرم احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، قال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بينى وبين الشهادة قال : فخليته ، فالتقى هو وعبد الرحمن قال : فعقر بعبد الرحمن فرسه ، وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه ، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعبد الرحمن فطعنه ، فوالذى كرم وجه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتبعتهم أعدو على رجلى حتى ما أرى ورائى من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غبارهم شيئًا ، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش. قال : فنظروا إلىّ أعدو وراءهم فخليتهم عنه يعنى أجليتهم عنه فما ذاقوا منه قطرة ويخرجون فيشتدون فى ثنية فأعدوا فألحق رجلاً منهم فأصكه بسهم فى نغص كتفه قال : قلت : خذها.

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال: يا ثكلته أمه أكوعة بكرة. قال: قلت: نعم يا عدو نفسه أكوعك بكرة. قال: وأردوا فرسين على ثنية قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: ولحقنى عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيها ماء فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على الماء الذى خليتهم عنه، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخذ تلك الإبل وكل شيء استنقذته من المشركين وكل رمح وبردة وإذا بلال نحر ناقة من الإبل التى استنقذت من القوم وإذا هو يشوى لرسول الله

ﷺ من كبدها وسنامها، قال: قلت: يا رسول الله خلنى فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه فى ضوء النار فقال: «**يا سلمة أتراك كنت فاعلاً**» قلت: نعم والذى أكرمك. فقال: إنهم الآن ليقرون فى أرض غطفان قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزورًا فلما كشفوا جلدها رأوا غباراً فقالوا: آتاكم القوم فخرجوا هاربين، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «**كان خير فرساننا اليوم: أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة**». قال: ثم أعطانى رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس وسهم الراجل فجمعهما لى جميعًا، ثم أردفنى رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، قال: فبينما نحن نسير قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا قال: فجعل يقول ألا مسابق إلى المدينة فجعل يعيد ذلك. قال : فلما سمعت كلامه قلت : أما تكرم كريمًا ولا تهاب شريفًا ؟ قال : لا. إلا أن يكون رسول الله ﷺ. قال : قلت يا رسول الله بأبى وأمى ذرنى فلأسابق الرجل قال : إن شئت. قال : قلت : اذهب إليك وثنيت رجلى فطفرت فعدوت فربطت عليه شرفًا أو شرفين أستبقى نفسى ثم عدوت فى إثره فربطت عليه شرفًا أو شرفين ثم إنى رفعت حتى ألحقه قال : فأصكه بين كتفيه ، قال: قلت : قد سبقت والله. قال : أنا أظن. قال : فسبقته إلى المدينة. قال : فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٧)، وأبو داود (٢٧٢٥)، وأحمد (٤/ ٥٢، ٥٤) وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٤/ ٥٣٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١٨٢، ١٨٦) وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٨١ - ٨٤)، وابن جرير الطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٥٩٦ - ٦٠٠).

قوله: «أنديه» قال النووى: معناه، أن يورد الماشية الماء فتسقى قليلًا ثم ترسل فى المرعى، ثم ترد الماء فترد قليلًا ثم ترد إلى المرعى.

وقوله: «أعقر بهم»: أى أعقر خيلهم، وقوله: «فجعلت أرديهم بالحجارة) أى: أرميهم بالحجارة التى تسقطهم وتنزلهم قوله: «فجعلت عليها آرامًا من الحجارة»: هى الأعلام، وهى حجارة تجمع وتنصب فى المفازة يهتدى بها والمفرد: أرم.

=

المرأة المسلمة التى أُسرت مع ناقة رسول الله ﷺ العضباء [1] :

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «كانت ثقيف حلفاء لبنى عقيل ، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بنى عقيل ، وأصابوا معه العضباء. فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو فى الوثاق. قال: يا محمد! فأتاه فقال: «**ما شأنك؟**» قال: بم أخذتني، وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال: (إعظاماً لذلك): «**أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف**» ثم انصرف عنه فناداه، فقال: يا محمد! يا محمد! وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فرجع إليه فقال: «**ما شأنك؟**» قال: إنى مسلم. قال: «**لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح**» ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد! يا محمد! فأتاه فقال: «**ما شأنك**» قال: إنى جائع فأطعمني، وظمآن فاسقني قال: «**هذه حاجتك**»، ففدى الرجلين.

قال: وأسرت امرأة من الأنصار، وأصيبت العضباء، فكانت المرأة فى الوثاق. وكان القوم يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم. فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل. فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه. حتى تنتهى إلى العضباء. فلم ترغ. قال: وناقة منوقة فقعدت فى عجزها، ثم زجرتها، فانطلقت ونذروا بها، فطلبوها،

= قوله: «لقينا من هذا البرح»: أى شدة، وقوله: «فخليتهم عنه»: أى طردتهم.
قوله: «فأصكه بسهم فى نقص كتفه» هو العظم الرقيق على طرف الكتف سمى بذلك لكثرة تحركه.
قوله: «يا ثكلته أمه أكوعة بكرة» معنى ثكلته، أى: فقدته والمعنى: أنت الأكوع الذى كنت بكرة هذا النهار. قوله: «وأردوا فرسين» من الردى أى: الهلاك، والمعنى: أهلكوهما وأتعبوهما حتى أسقطوهما، وقوله: «لا يسبق شدًّا» يعنى عدوًا على الرجلين.
قوله: «فظفرت»: أى وثبت وقفزت قوله: «ربطت عليه شرفًا أو شرفين استبقى نفسى»: معنى ربطت: حبست نفسى عن الجرى الشديد، والشرف: ما ارتفع من الأرض.
وقوله: استبقى نفسى بفتح الفاء: أى: لئلا يقطعنى البهر انظر: «شرح النووى» (١٢/ ١٨٢ - ١٨٣).

(١) «العضباء»: ناقة نجيبة كانت لرجل من بنى عقيل، ثم انتقلت إلى النبى ﷺ وستأتى فى الحديث.

فأعجزتهم، وقال: ونذرت لله! إن نجاها الله عليها لتنحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس. فقالوا : العضباء ناقة رسول الله ﷺ. فقالت : إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها. فأتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له فقال: «**سبحان الله! بئسما جزتها ، نذرت لله إن نجاها عليها لتنحرنها. لا وفاء لنذر فى معصية ، ولا فيما لا يملك العبد**»[1].



---

(١) أخرجه مسلم (١٦٤١) ، وأبو داود (٣٣١٦) ، وأحمد (١٩٨٨٣) ، و(١٩٨٩٤) ، وعبد الرزاق (٩٣٩٥) ، والحميدى (٨٢٩) ، والدارمى فى «السنن» (٢٥٠٥) ، والطبرانى فى «الكبير» (١٨) و(٤٥٣) و(٤٥٥) ، والبيهقى فى «السنن» ٩/ ١٠٩ ، وفى «الدلائل» ٤/ ١٨٨-١٨٩ ، والبغوى (٢٧١٤) ، من طرق : عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن أبى طالب ، عن عمران. وإسناده صحيح وأخرجه أحمد (١٩٨٥٦) ، والنسائى ٧/ ٢٩ ، وابن حبان (٤٣٩٢) ، والطبرانى (١٨) ، (٤١٣) وفى «الأوسط» (١١٥٩) ، وابن عدى فى «الكامل» ٣/ ١١٠٣ ، من طرق عن الحسن ، عن عمران. وفيه انقطاع فالحسن البصرى لم يسمع من عمران.

فَصْلٌ
فى غزوة خيبر

وقتها: قال ابن إسحاق: حدثنى الزهرى عن عروة عن مروان بن الحكم والمسور ابن مخرمة أنهما حدثاه جميعًا قالا: انصرف رسول الله ﷺ عام الحديبية فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة فأعطاه الله عَزَّوَجَلَّ فيها خيبر: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ خيبر.

فقدم رسول الله ﷺ المدينة فى ذى الحجة، فأقام بها حتى سار إلى خيبر فى المحرم فنزل رسول الله ﷺ بالرجيع: واد بين خيبر وغطفان فتخوف أن تمدهم غطفان فبات به حتى أصبح، فغدا إليهم، وقد وصل النبى ﷺ إلى خيبر ليلًا، وكان إذا وصل ليلًا لا يقاتل حتى يصبح، ففوجئ يهود خيبر وهم ذاهبون إلى حروثهم بمساحيهم وآلات زروعهم بالنبى ﷺ فقالوا: محمد والخميس أى: الجيش واستبشر النبى ﷺ، برؤية آلات الزراعة والهدم فاستبشر بخراب خيبر(١).

وعلى هذا: كانت غزوة خيبر وفتحها فى السنة السابعة من الهجرة، وهو قول الجمهور وهو الصحيح، ويؤيده ما جاء فى حديث سلمة بن الأكوع أنها كانت بعد غزوة ذى قرد بثلاث ليال كما سبق.

وذهب الإمام مالك، إلى أنها كانت فى السنة السادسة ووافقه ابن حزم فى ذلك، قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى «الفتح» (٧/ ٣٧٣) بعدما ذكر أقوال المؤرخين فى تحديدها: «وهذه الأقوال متقاربة، والراجح منها ما ذكره ابن إسحاق، ويمكن الجمع بأن من

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٣١٧) وأخرجه ابن هشام فى «السيرة» (٣/ ٢٨٢)، ضمن حديث طويل فى المغازى فى أمر الحديبية والصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو وتقدم تخريجه والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١٤٧) ورجاله ثقات، و«خيبر» مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع.

أطلق سنة ست بناه على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقى وهو ربيع الأول، وذهب ابن القيم إلى ذلك كما فى «زاد المعاد».

عامل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قدم المدينة فى رهط من قومه، والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، وقد استخلف سباع بن عرفطة على المدينة قال: فانتهيت إليه، وهو يقرأ فى صلاة الصبح فى الركعة الأولى بـ ﴿كهيعص﴾ ، وفى الثانية: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، قال: فقلت لنفسى: ويل لفان إذا اكتال! اكتال بالوافى، وإذا كال كال بالناقص، قال: فلما صلى زودنا شيئًا حتى أتينا خيبر، قال فكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين، فأشركونا فى سهامهم[١].

حداء عامر بن الأكوع عم سلمة لجيش المسلمين:

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «خرجنا مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خيبر، فسرنا ليلًا، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك[٢]، وكان عامر رجلًا شاعرًا فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما اقتفينا ... وثبت الأقدام إن لقينا

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦) وابن خزيمة (١٠٣٩)، والطيالسى (٢/ ١٠٥)، (٢٣٦٣)، والحاكم (٢/ ٣٢)، والبيهقى فى «السنن» (٢/ ٣٦٣)، وفى «الدلائل» (٤/ ١٩٨)، والطحاوى فى «مشكل» (٣٦١٤)، و«المعانى» (١/ ١٨٣)، وابن حبان (٧١٥٦)، والبخارى فى «التاريخ الصغير» (١/ ١٨)، وقال الحاكم: «صحيح ووافقه الذهبى» وإسناده قوى.
وقال ابن هشام فى «السيرة»: أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى قلت: وما ذكرناه هو الأصح.

(٢) هنيهاتك: المراد بها الأراجيز. كما قال الحافظ فى «الفتح».

وألقيـــن ســـكينة علينـــا   إنـــا إذا صـــيح بنـــا أبينـــا

وبالصبـــاح عولوا علينـــا

فقال رسو ل الله ﷺ: «**من هذا السائق؟**» قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «**يرحمه الله**» قال رجل من القوم: وجبت يا نبى الله، لولا أمتعتنا به...»[1].

وفى رواية أخرى لسلمة بن الأكوع من حديث طويل تضمن غزوة الحديبية، وغزوة ذى قرد، وغزوة خيبر: قال: «... فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم:

تـــالله لـــولا الله مـــا اهتـــدينا   ولا تـــصدقنا ولا صـــلينا

ونحـــن عـــن فـــضلك مـــا استغنينا   فثبـــت الأقـــدام إن لاقينـــا

وأنزلـــن سكينة علينـــا

فقال رسول الله ﷺ «**من هذا؟**» قال: أنا عامر، قال: «**غفر لك ربك**» قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال فنادى عمر، وهو على جمله: يا نبى الله؟ لولا متعتنا بعامر...»[2].

طعام المسلمين فى طريقهم إلى خيبر:

عن سويد بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه خرج مع النبى ﷺ عام خيبر حتى إذا كنا بـ الصهباء[3] وهو من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد، فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فثرى، فأكل وأكلنا، ثم قام إلى المغرب، فمضمض ومضمضنا ثم

(١) أخرجه البخارى (٤١٩٦) ومسلم (١٢٣ و١٢٤/ ١٨٠٢)، وأحمد ٤/ ٤٧-٤٨. وأخرجه البخارى فى «التاريخ الكبير» ٨/ ١٠٠-١٠١، والبزار (٢١١٦) - زوائد، والبيهقى ٤/ ١٦، وأحمد ٣/ ٤٣١ من طريق ابن إسحاق به.

(٢) سبق تخريجه والتعليق عليه، وهو فى صحيح مسلم (١٣٢/ ١٨٠٧). وفى غيره.

(٣) اسم موضع قريب من خيبر.

صلى ولم يتوضأ»[(١)].

مباغتة المسلمين لأهل خيبر:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزا خيبر، قال: فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وركب أبو طلحة وأنا رديف أبى طلحة، فأجرى نبى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى زقاق خيبر، وإن ركبتى لتمس فخذ نبى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما دخل القرية قال: «**الله أكبر! خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**» قالها ثلاث مرات.

قال: وقد خرج القوم إلى أعمالهم فقالوا: محمد - قال عبد العزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس، قال: وأصبناها عنوة» لفظ مسلم.

وأما لفظ البخارى فيقول: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى خيبر ليلًا - وكان إذا أتى قومًا بليل لم يقربهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخارى (٢٠٩) وأطرافه فى (٢٩٨١ و٤١٧٥ و٤١٩٥ و٥٣٨٤ و٥٣٩٠ و٥٤٥٤ و٥٤٥٥) وابن ماجه (٤٩٢)، وعبد الرزاق (٦٩١) والحميدى (٤٣٧)، وابن أبى شيبة ١/ ٤٨ وأحمد ٣/ ٤٦٢، والطبرانى فى «الكبير» (٦٤٥٥ و٦٤٦٣). والسويق: دقيق يتخذ من الشعير أو القمح.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٠٦ من طريق ابن أبى عدى، وأخرجه مالك (٢/ ٤٦٨/ ٤٨)، وعنه البخارى (٢٩٤٥) و(٤١٩٧) والترمذى (١٥٥٠)، والنسائى فى «الكبري» (٨٥٩٨)، وابن حبان (٤٧٤٦)، والبيهقى فى «السنن» ٩/ ٧٩.

وأخرجه أحمد ٣/ ٢٦٣، من طريق عبد الله بن أبى بكر. وأخرجه أبو يعلى (٣٧٩٢)، من طريق: معتمر. وأخرجه البيهقى فى «السنن» ٩/ ٨٠ من طريق: عبد الوهاب الثقفى كلهم عن حميد بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم (١٣٦٥)، من طريق: إسماعيل بن علية، عن عبد العزيز، عن أنس به. وأخرجه أبو يعلى (٢٩٠١) من طريق: شعبة عن قتادة عن أنس مختصراً. وأخرجه أيضًا - (٣٠٣٣) من طريق: معمر عن قتادة عن أنس. قوله: (الخميس): الجيش الكبير.

حامل راية النبى ﷺ يوم خيبر:

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**».

قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على النبى ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين على بن أبى طالب ؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكى عينيه.

قال: فأرسل إليه فأتى، فبصق رسول الله ﷺ فى عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال على: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال ﷺ: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلًا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»[(١)].

شعار المسلمين فى أكثر الغزوات:

عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غزونا مع أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زمن رسول الله ﷺ وكان شعارنا أمت أمت[(٢)].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٧٠١ و٤٢١٠) ومسلم (٢٦٠٤) وأحمد ٥/ ٣٣٣ من حديث سهل.
وأخرجه مسلم (٢٤٠٤) والترمذى (٢٧٢٦) وأحمد ١/ ١٨٥ ، من حديث سعد بن أبى وقاص.
وأخرجه البخارى (٢٩٧٥ و٣٧٠٢ و٤٢٠٩) ومسلم (١٨٠٧ و٢٤٠٧) وأحمد ٤/ ٥١-٥٢ وأبو عوانة ٤/ ٢٥٢ وابن حبان (٦٩٣٥-إحسان) والطبرانى (٦٢٤٣) والحاكم ٣/ ٣٨ والبيهقى فى السنن ٩/ ١٣١ ، من حديث سلمة بن الأكوع ، وأخرجه مسلم (٢٤٠٥) من حديث أبى هريرة.

(٢) قلت : ليس هذا مقيد بغزوة بعينها ، إنما كان شعارهم فى كثير من الغزوات.
والحديث أخرجه أبو داود (٢٥٩٦ و٢٦٣٨) ، وابن ماجه (٢٨٤٠) ، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٥٤١٦) ، والنسائى فى «الكبرى» (٨٦١٢ و٨٨١١) ، وأحمد ٤/ ٤٦ ، وابن سعد فى «الطبقات» ٢/ ١١٨ ، والطبرانى فى «الكبير» (٦٢٣٩) ، وابن عدى فى «الكامل» (٥/ ١٩١٢ و١٩١٢-١٩١٣) ، وابن حبان فى «صحيحه» (٤٧٤٤ و٤٧٤٧ و٤٧٤٨) ، وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى ﷺ» =

وعنه قال: « بارزت رجلًا فقتلته فنفلنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «سلبه فكان شعارنا مع خالد بن الوليد: أمت يعنى أقتل»[1].

قتل على بن أبى طالب مرحب اليهودى:

عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «.... قال: فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمى عامر فقال:

قد علمت خيبر أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب فى ترس عامر، وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه.

قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون: بطل عمل عامر قتل نفسه ! قال:، فأتيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أبكى فقلت: يا رسول الله بطل عمل عامر؟

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قال ذلك؟**» فقلت: ناس من أصحابك.

فقال: «**كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين**».

ثم أرسلنى إلى على وهو أرمد، فقال: «**لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله**

= (١٦٦/ ٤٦٨)، والحاكم ٢/ ١٠٧، والبيهقى فى «السنن» ٦/ ٣٦١ و٩/ ٧٩، والبغوى فى «شرح السنة» (٢٦٩٩)، وغيرهم من طريق عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة عن أبيه به.
وسنده صحيح على شرط مسلم.

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٥٤١٧)، والدارمى فى «مسنده» (٢٦٠٨ – فتح المنان)، من طريق وكيع، عن أبى عميس، عن إياس بن سلمة عن أبيه؛ فذكره. قلت: سنده صحيح.

ويحبه الله ورسوله».

قال: فأتيت عليًّا، فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق رسول الله ﷺ فى عينه فبرأ، فأعطاه الراية، وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال على:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة

قال فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه[1].

عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: كان على يلبس فى الحر والشتاء العباء المخشم التخين وما يبالى الحر فأتانى أصحابى فقالوا: إنا قد رأينا من أمير المؤمنين شيئا فهل رأيته فقلت وما هو قالوا رأيناه يخرج إلينا فى الحر الشديد فى العباء المحشو التخين وما يبالى الحر ويخرج علينا فى البرد الشديد فى الثوبين الخفيفين وما يبالى البرد فهل سمعت فى ذلك شيئا فقلت: لا فقالوا: سل لنا أباك عن ذلك فإنه يسمر معه فأتيته فسألته فقال ما سمعت فى ذلك شيئا فدخل على عليّ رضي الله عنه فسمر معه ثم سأله عن

(١) أخرجه مسلم (١٣٢/ ١٨٠٧) وسبق تخريجه قبل بإسهاب، وقوله: «يخطر بسيفه»: بكسر الطاء، أي: يرفعه مرة ويضعه مرة أخرى، وقوله: (شاكي السلاح): أي: تام السلاح. و(بطل مجرب): أي: مجرب بالشاجعة وقهر الفرسان، وقوله: (مغامر): أي: يركب غمرات الحرب وشدائدها، ويلقي بنفسه فيها. و(حيدرة): اسم للأسد، وكان علي رضي الله عنه يسمى أسدًا في أول ولادته باسم جده لأمه، ومعنى حيدرة: الغليظ القوي، وقوله: (أوفيهم بالصاع كيل السندرة): أي: أقتل الأعداء قتلًا واسعًا ذريعًا، والسندرة مكيال واسع، وقيل: هي العجلة. أي أقتلهم عاجلًا، وقيل: مأخوذ من السدرة، وهي شجرة قوية يعمل منها النبل والقسي. ذكره النووي في «شرح صحيح مسلم».

ذلك فقال أو ما شهدت معنا خيبر فقلت بلى قال فما رأيت رسول الله حين دعا أبا بكر فعقد له وبعثه إلى القوم فانطلق فلقى القوم ثم جاء بالناس وقد هزموا فقال بلى ثم قال: ثم بعث إلى عمر فعقد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقى القوم فقاتلهم ثم رجع وقد هزم فقال رسول الله عند ذلك: «**لأعطين الراية اليوم رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله عليه غير فرار**» فدعانى فأعطانى الراية ثم قال: «**اللهم أكفه الحر والبرد**» فما وجدت بعد ذلك بردًا ولا حرًّا(١).

وعن أم موسى: قالت: سمعتُ عليًّا يقول: لا رَمَدْتُ ولا صُدِّعْتُ مذ رفع إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاية يوم خيبر(٢).

الأعرابى الشهيد:

عن شداد بن الهاد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلا من الأعراب جاء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر (أو حنين) غنم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبيًا فقسم ، وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قال : قسم قسمه لك النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذه فجاء به إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : ما هذا يا محمد ؟ قال : «**قسم قسمته لك**» قال : ما على هذا اتبعتك ولكنى اتبعتك على أن أرمى هاهنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال :

---

(١) إسناده حسن: أخرجه ابن ماجه فى «المقدمة» (١/ ٤٣)، (١١٧)، وأحمد فى «المسند» (١/ ٩٩)، والضياء فى «المختارة» (٢/ ٢٧٤) (٦٥٥)، والطبرانى فى «الأوسط» (٢٢٨٦)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (٣٢٠٨٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١٦٠)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ١٢٢): «رواه الطبرانى فى الأوسط، وإسناده حسن». وقال أيضًا فى (٩/ ١٢٤): «رواه البزار وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وهو سيئ الحفظ، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٢) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (١٨٩)، وأبو يعلى فى «مسنده» (٥٩٣)، والضياء فى «المختارة» (٨١١)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ١٢٢)، و«رواه أبو يعلى وأحمد باختصار ورجالهما رجال الصحيح، وأم موسى حديثها مستقيم».

«**إن تصدق الله يصدقك**» فلبثوا قليلًا، ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتى به النبى ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبى ﷺ : «**أهو هو؟**» قالوا : نعم ، قال : «**صدق الله فصدقه**» ثُمَّ كفنه النبى ﷺ فى جبته، ثم قدمه وصلى عليه ، فكان مما ظهر من صلاته : «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا فى سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك**»[1].

عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة، قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعى بالإسلام: «**أن هذا من أهل النار**» فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثر به الجراح فأثبته، فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل الذى ذكرت أنه من أهل النار قد والله قاتل فى سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح، فقال رسول الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّه من أهلِ النارِ**» فكاد بعض الناس يرتاب، فبينما هو على ذلك وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منهما أسهمًا فانتحر بها، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ﷺ قد صدَّق الله حديثك، قد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بلال قُمْ فَأَذِّنْ لا يدخل الجنة إلا مؤمن وإن الله يُؤَيِّدُ الدِّين بالرجُلِ الفاجر**»[2].

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فى بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم إلى عسكرهم وفى المسلمين رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا أتبعها يضربها بسيفه فقيل يا رسول الله ما أجزأ أحد اليوم ما أجزأ فلان فقال: «**أما إنه من أهل النار**» فأعظم القوم ذلك فقالوا: أينا من أهل الجنة

(١) أخرجه النسائى ٤/ ٦٠ (١٩٥٢)، وفى «الكبرى» (٢٠٨٠)، وعبد الرزاق فى «المصنف» (٩٥٩٧)، والطحاوى فى «شرح المعاني» ١/ ٢٩١، والحاكم ٣/ ٥٩٥-٥٩٦ ، والبيهقى فى «السنن» ٤/ ١٥-١٦، وفى «الدلائل» ٤/ ١٦٨ . وصحح إسناده الشيخ الألبانى فى «أحكام الجنائز» (ص٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٠٦٢ و٤٢٠٣ و٤٢٠٤ و٦٦٠٦)، ومسلم (١٧٨/ ١١١) وجاء فى بعض طرقه: «شهدنا مع رسول الله ﷺ حنينًا»، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ١٩٤).

إن كان فلان من أهل النار فقال رجل: والله لا يموت على هذه الحال أبدا فأتبعه كلما أسرع أسرع وإذا أبطأ أبطأ معه حتى جرح فاشتدت جراحته واستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فجاء رجل إلى النبى فقال أشهد أنك لرسول الله قال: «**وما ذاك**» فأخبره بالذى كان من أمره فقال النبى: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار وأنه ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وأنه لمن أهل الجنة**»[1].

قال البيهقى: وفى آخر هذا الحديث كالدلالة على أن الرجل استحل قتل نفسه، أو علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه نفاقًا نسأل الله حسن العاقبة.

من بركاته ومعجزاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن يزيد بن أبى عبيد قال: «رأيت أثر ضربة فى ساق ابن الأكوع فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة قال: هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنفث فيه ثلاث نفثات، فما اشتكيت حتى الساعة»[2].

إصابة عبد الله بن مغفل جراب الشحم:

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «أَصَبْتُ جِرَابًا مِنْ شَحْمٍ يوْمَ خَيبَرَ، فَالْتَزَمْتُهُ، فَقُلْتُ: لَا أُعْطِي الْيَوْمَ أَحَدًا مِنْ هَذَا شَيئًا. قَالَ: فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبتسمًا.

وفى الرواية المتفق عليها: «رمى إلينا جراب فيه طعام وشحم يوم خيبر، فوثبت لأخذه، قال فالتفت فإذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستحييت منه»[3].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٤٢٠٢ و٤٢٠٧) ومسلم (١٧٩/ ١١٢).

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٠٦) وأبو داود (٣٨٩٤)، والبيهقى فى الدلائل (٤/ ١٩٢) (١٦١٧).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٧٩١)، والطيالسى (٩١٧)، ومسلم (٧٢/ ١٧٧٢)، وأبو داود (٢٧٠٢)، والدارمى (٢٥٠٠)، والنسائى ٧/ ٢٣٦، والبيهقى فى «السنن» ٩/ ٥٩ و١٠/ ٩، وفى «الدلائل» ٤/ ٢٤١ من طريق: سليمان بن المغيرة، قال: حدثنا حميد بن هلال، عن عبد الله بن مغفل به.
وعند الطيالسى قال فى آخره «هو لك».

=

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى «الفتح»: وفيه جواز أكل الشحوم التى توجد عند اليهود، وكانت محرمة على اليهود.

وقال أيضًا: «الجمهور على جواز أخذ الغانمين من القوت وما يصلح به، وكل طعام يعتاد أكله عمومًا، وكذلك علف الدواب سواء كان قبل القسمة أو بعدها بإذن الإمام وبغير إذنه، والمعنى أن الطعام يعز فى دار الحرب فأبيح للضرورة. اهـ.

عاقبة يهود خيبر:

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى مقرهم، فغلب على الأرض والنخل والزرع، فصالحوه على أن يجلوا منها، ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء (والحلقة)، ويخرجون منها فاشترط عليهم أن لا يكتموا شيئًا، ولا يغيبوا شيئًا، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عصمة، فغيبوا مسكًا فيه مال وحليًا لحيى بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير، فقال رسول الله ﷺ لعم حيى (سعية) : «**ما فعل مسك حيى الذى جاء به من النضير ؟**» فقال : أذهبته النفقات والحروب ، فقال رسول الله ﷺ : «**العهد قريب ، والمال أكثر من ذلك**».

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب ، وكان حيى قبل ذلك قد دخل خربة ، فقال : قد رأيت حييًّا يطوف فى خربة ها هنا ، فذهبوا ، فطافوا ، فوجدوا المسك فى الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابنى أبى الحقيق ، وأحدهما زوج صفية بنت حيى بن أخطب ، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم ، وقسم أموالهم للنكث الذى نكثوا ، وأراد أن يجليهم منها ، فقالوا : يا محمد دعنا نكون فى هذه الأرض نصلحها ، ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول الله ﷺ

= وأخرجه أحمد (٢٠٥٥٥) ، و(٢٠٥٦٧) ، والبخارى (٣١٥٣ و٤٢١٤) ، و(٥٥٠٨) ، ومسلم (١٧٧٢/ ٧٣) ، وأبو عوانة ٤/ ١١٠ ، وابن عدى فى «الكامل» ٢/ ٦٩٢ ، والبيهقى فى «الدلائل» ٤/ ٢٤١ ، و«السنن» ٩/ ٥٩ من طريق : شعبة عن حميد بن هلال به.

ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يتفرغون أن يقوموا عليها.

فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل نخل وزرع وشيء ما بدا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم، ويضمنهم الشطر، قالوا فشكوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله أتطعمونى السحت؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلى، ولأنتم أبغض الناس إلى من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملنى بغضى إياكم، وحبى إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض.

قال: ورأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعين صفية خضرة فقال: «**يا صفية ما هذه الخضرة؟**» فقالت: كان رأسى فى حجر ابن أبى الحقيق وأنا نائمة، فرأيت كأن قمرًا وقع فى حجرى، فأخبرته بذلك فلطمنى، وقال تمنين ملك يثرب؟ قالت: وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبغض الناس إلى، قتل زوجى وأبى، فمازال يعتذر إلىَّ ويقول: «**إن أباك ألَّب علىَّ العرب وفعل، وفعل**» حتى ذهب ذلك من نفسى.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطى كل امرأة من نسائه ثمانين وسقًا من تمر كل عام، وعشرين وسقًا من شعير، فلما كان زمان عمر بن الخطاب غشوا المسلمين، وألقوا ابن عمر من فوق بيت، ففدغوا يديه، فقال عمر بن الخطاب: من كان له سهم خيبر، فليحضر حتى نقسمها بينهم، فقسمها بينهم وقال رئيسهم: دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر، فقال عمر: لرئيسهم: أتراه سقط عنى قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كيف بك إذا رقصت بك راحلتك تُخُوم الشام يومًا ثم يومًا ثم يومًا**» وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية[1] .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٢٨)، ومسلم (١٥٥١)، وأبو داود (٣٤٠٨)، والترمذى (١٣٨٣)، وابن ماجه (٢٤٦٧)، كلهم أخرجوه مختصرًا.

وأخرجه أبو داود (٣٠٠٦)، منه الشطر الأول، وابن حبان (١٦٩٧ - موارد) واللفظ له والبيهقى في

شأن كنانة بن الربيع ومقتله:

قال ابن إسحاق: وأُتي رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز بنى النضير، فسأله عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه، فأتى رسول الله ﷺ برجل من يهود، فقال لرسول الله ﷺ: إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك؟ قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقى فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، فقال: **«عد به حتى تستأصل ما عنده»** فكان الزبير يقدح بزند فى صدره، حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة[1].

حصار رسول الله ﷺ أهل خيبر وصلحه معهم:

وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر فى حصنيهم: الوطيح والسلالم حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن [لهم] دماءهم، ففعل، وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق، ونطاة والكتيبة، وجميع حصونهم إلا ما كان ذينك الحصنين، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويُخلوا له الأموال، ففعل، وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم [فى ذلك] مُحيصة بن مسعود أخو بنى حارثة؛ فلما نزل أهْلُ خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النِّصْف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأعمر لها، فصالحهم رسول الله

= «السنن» (٦/ ١١٤) و«الدلائل» (٤/ ٢٢٩ - ٢٣١) مطولًا، وقوله: «غيبوا مسكا»، وهو الجلد، وقوله: «مسّه بعذاب»: مسست الشيء أمسه مسًّا إذ لمسته بيدك ثم استعير للأخذ والضرب لأنهما للين، وقوله: (للنكث الذى نكثوا) النكث: نقض العهد و(الوسعة: هو الحمل وقدره الشيء بشيئين صاعًا، وقوله: (ففدغوا): قال ابن الأثير: الفدغ والشرخ والشق اليسير.

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٣٨٨)، وانظر الآتى.

ﷺ على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئًا بين المسلمين، وكانت فَدَكُ خالصةً لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يُجلبوا عليها بخيلٍ ولا ركاب[(١)].

زينب بنت الحارثة اليهودية زوج سلام بن مشكم تهدى إلى رسول الله ﷺ شاة مسمومة:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول ﷺ: «**اجمعوا لى من كان ها هنا من اليهود**» فجمعوا له، فقال رسول الله ﷺ: «**إنى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقى عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**من أبوكم؟**» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبتم بل أبوكم فلان**» فقالوا: صدقت وبررت. فقال: «**هل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كما عرفته فى أبينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**من أهل النار؟**» فقالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا**». ثم قال لهم: «**هل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه؟**» فقالوا: نعم فقال: «**هل جعلتم فى هذه الشاة سمًا؟**» فقالوا: نعم، فقال: «**ما حملكم على ذلك؟**» فقالوا: أردنا إن كنت كذابًا أن نستريح منك، وإن كنت نبيًّا لم يضرك[(٢)].

---

(١) «السيرة النبوية» (٣/ ٣٨٩)، وذكره ابن إسحاق بغير إسناد، وأخرجه أبو داود (٣٠٠٦)، من طريق: حماد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر بنحوه، وإسناده صحيح قلت: وأورده ابن حبان والبيهقى كاملًا كما سبق.

(٢) أخرجه البخارى (٣١٦٩ و٤٢٤٩ و ٥٧٧٧) والنسائى فى «الكبرى» (١١٣٥٥)، وأحمد (٢/ ٤٥١)، والدارمى (٦٩)، وابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ١١٥ - ١١٦) والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٢٥٦) والبغوى (٣٨٠٧)، من طرق : عن الليث بن سعد، حدثنا سعيد بن أبى سعيد، عن أبى هريرة وأخرجه أبو داود (٤٥٠٩)، والبيهقى فى «السنن» (٨/ ٤٦)، من طريق: سفيان بن حسين، عن الزهرى، عن

تأثره ﷺ بالسم حتى لحوقه بالرفيق الأعلى:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه: **«يا عائشة مازال أجد ألم الطعام الذى أكلت فى خيبر، فهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم»**[(١)].

= سعيد بن المسيب، وأبى سلمة، عن أبى هريرة ولفظه «أن امرأة من اليهود أهدت إلى النبى ﷺ شاة مسمومة» وإسناده فيه ضعف من قبل سفيان بن حسين فى الزهرى.

وأخرجه الدارمى (٦٧)، وأبو داود (٤٥١١)، والبيهقى فى «السنن» (٨/ ٤٦)، وفى «الدلائل» (٤/ ٢٦٢)، من طرق: عن محمد بن عمرو، عن أبى أسامة مرسلًا.

قلت: خبر الشاة المسمومة جاء أيضًا عن جماعة من الصحابة منهم - غير أبى هريرة: عن ابن عباس وأنس وجابر وأم بشر وغيرهم. فأما حديث ابن عباس فأخرجه أحمد (٢٧٨٤) (١/ ٣٠٥ - ٣٠٦) من طريق: عباد، عن هلال، عن عكرمة، عنه، وإسناده حسن، وأما حديث أنس: فأخرجه البخارى (٢٦١٧)، وفى «الأدب المفرد» (٢٤٣)، ، ومسلم (٤٥/ ٢١٩٠)، وأبو داود (٤٥٠٨)، والبيهقى فى «السنن» (٨/ ٤٦)، وفى «الدلائل» (٤/ ٢٥٩)، وأحمد (٣/ ٢١٨) من طرق: عن شعبة قال: سمعت هشام بن زيد، قال: سمعت أنس بن مالك يحدث: «أن يهودية جعلت سمًا فى لحم، ثم أتت به رسول الله ﷺ فأكل منه رسول الله ﷺ فقال: «**إنها جعلت فيها سمًّا**» قالوا: يا رسول الله ألا نقتلها؟ قال: «لا»: قال: فجعلت أعرف ذلك فى لهوات رسول الله ﷺ وهذا لفظ أحمد.

وأما حديث جابر: رواه أبو داود (٤٥١٠)، والدارمى (٦٨)، والبيهقى فى «السنن» (٨/ ٤٦)، وضعفه الشيخ الألبانى رحمه الله - فى «ضعيف أبى داود» (٩٧٣).

(١) أخرجه البخارى (٤٤٢٨)، معلقًا عن يونس الأيلى، عن الزهرى، قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها فذكره، قال الحافظ فى «الفتح» ووصله البزار والحاكم (٣/ ٥٨)، والإسماعيلى من طريق عنبسة بن خالد عن يونس بهذا الإسناد.

وأخرجه أحمد (٦/ ١٨)، وأبو داود (٤٥١٤)، والحاكم (٣/ ٢١٩)، من طريق: معمر، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه: أن أم بشر فذكره... وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

وأخرجه عبد الرزاق (١٩٨١٥)، عن معمر عن الزهرى، عن ابن كعب بن مالك: أن أم بشر - فذكره.

وأخرجه أبو داود (٤٥١٣)، من طريق: عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهرى، عن ابن كعب بن مالك، عن أبيه: أن أم بشر فذكره.

قال ابن إسحاق بعد سياقه القصة: «قال: فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيدًا، مع ما أكرمه الله من النبوة».

ما شرع فى غزوة خيبر

أ - تحريم لحوم الحمر الأهلية:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن فى لحوم الخيل»[(١)].

عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أمرنا النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى غزوة خيبر أن نلقى الحمر الأهلية نيئة ونضيجة، ثم لم يأمرنا بأكله بعد»[(٢)].

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية[(٣)].

عن أنس قال: «لما افتتح رسول اله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيبر أصبنا حُمرًا خارجة من القرية فنحرنا وطبخنا منها، فنادى منادى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله ورسوله

(١) أخرجه عبد الرزاق (٨٧٣٤)، وابن أبى شيبة (٨/ ٢٥٦)، والحميدى (١٢٥٤)، والترمذى (١٧٩٣)، والنسائى (٧/ ٢٠١)، وأبو يعلى (١٨٣٢ و ١٩٧٥)، والطحاوى فى «شرح المعانى» (٤/ ٢٠٤)، وفى «شرح المشكل» (٣٠٥٣)، و(٣٠٥٤) و(٣٠٥٥) و(٣٠٥٨)، وابن حبان (٥٢٦٨ - إحسان) والدارقطنى (٤/ ٢٨٩)، والحازمى فى «الاعتبار» (ص ١٦١)، من طرق عن عمرو بن دينار به.
وأخرجه أبو داود (٣٨٠٨) والطحاوى «مشكل» (٣٠٥٩) عن عمرو بن دينار عن رجل عن جابر به، ويحتمل أن يكون هذا الرجل هو محمد بن على، فأخرجه البخارى (٤٢١٩) (٥٥٢٠)، (٥٥٢٤)، (٣٦) ومسلم (٣٦/ ١٩٤١) وأبو داود (٣٧٨٨)، والنسائى (٧/ ٢٠١)، والدارمى (١٩٩٣)، وابن الجارود (٨٨٥)، وأبو يعلى (١٩٩٨)، والطحاوى «شرح المشكل» (٣٠٦٠)، وفى «شرح المعانى» ٤/ ٢٠٤، وابن حبان (٥٢٧٣)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٣٢٦ - ٣٢٧)، والبغوى (٢٨١٠)، وأحمد (٣/ ٣٦١ و ٣٨٥) من طرق عن حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن على عن جابر.
والحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٢٦) ومسلم (٣١/ ١٩٣٨)، والنسائى (٧/ ٢٠٣) رقم (٤٣٣٨).

(٣) أخرجه البخارى (٥٥٢١) و(٤٢١٧) ومسلم (٢٥/ ٥٦١) والنسائى (٧/ ٢٠٣) رقم (٤٣٣٦) وانظر مزيدا من الأمثلة فى «جامع الأصول» (٧/ ٤٥٦ - ٤٦٢) رقم (٥٥٤٦ - ٥٥٥٤) و«السنن» للبيهقى (٩/ ٦٠٨ - ٦١٣) (١٩٤٥٠ - ١٩٤٦٩).

ينهيانكم عنها وإنها رجس من عمل الشيطان فأكفئت القدور»[١].

ب- تحرى وطء السبايا حتى تستبريء.

جـ- تحريم بيع المغنم حتى يقسم.

د - تحريم الغلول من الغنائم:

قال ابن إسحاق: وحدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن أبى مرزوق مولى تجيب، عن حنش الصنعانى، قال غزونا مع رُويفع بن ثابت الأنصارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة، فقام فينا خطيبًا، فقال: أيها الناس، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوله فينا يوم خيبر، قام فينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماءه زرع غيره يعنى إتيان الحبالى من السبايا حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنمًا حتى يقسم، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبًا من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه»**[٢].

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: خرجنا مع رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خيبر فلم

---

(١) أخرجه البخارى (٤١٩٨)، ومسلم (١٩٤٠)، والنسائى (٧/ ٢٠٤).

(٢) «السيرة النبوية» والحديث صحيح، وإسناده حسن لأجل محمد بن إسحاق، وبقية رجاله ثقات. وأخرجه أحمد ٤/ ١٠٨-١٠٩، وسعيد بن منصور (٢٧٢٢)، وأبو داود (٢١٥٨ و٢١٥٩)، والدارمى (٢٤٨٨)، والطبرانى فى «الكبير» (٤٤٨٢ و٤٤٨٥)، والبيهقى فى «السنن» ٧/ ٤٤٩ و٩/ ١٢٤، من طرق عن محمد بن إسحاق به. وقد تابع يزيد بن أبى حبيب عليه جعفر بن ربيعة؛ فأخرجه ابن الجارود (٧٣١)، والطبرانى (٤٤٨٩)، والطحاوى فى «معاني» ٣/ ٢٥١، عنه عن أبى مرزوق به. وتابع أبا مرزوق عليه ربيعةُ بن سُليم؛ فأخرجه الطحاوى «معاني» ٣/ ٢٥١، وابن حبان (٤٨٥٠) والطبرانى (٤٤٨٣) والبيهقى (٦٢١٩)، من طريق عن ضن الصنعانى به، وللحديث شواهد تقويه وترفعه إلى الصحة - راجع «الإرواء» ١/ ٢٠١-٢٠٢.

نغنم ذهبًا ولا فضةً، إنما غنمنا المتاع والأموال ثم انصرفنا نحو وادى القرى ومع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد أعطاه إياه رفاعة بن بدر رجل من بنى ضبيب، فبينما هو يحط رحل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ أتاه سهم عائر فأصابه فمات، فقال له الناس: هنيئًا له الجنة، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى غلها يوم خيبر من المغانم لم تُصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا»** فجاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشراك أو شراكين فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«شراك من نار أو شراكان من نار»**(١).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان على ثقل النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل يقال له: «كِرْكرة فمات، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«هو فى النار»** فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عليه عباءة قد غلها»(٢). وقال مرّة أو كساء قد غله».

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لما كان يومُ خيبر قُتل من أصحاب النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعنى ناسًا - فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كلا إنى رأيته فى النار فى عباءة غلها أو بردة غلها»** ثم قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يابن الخطاب اذهب فناد فى الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»** فخرجت فناديت فى الناس: إنه لا يدخل الجنة - المؤمنون»(٣).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٧٦٠٧)، ومسلم (١٨٣/ ١١٥)، وأبو داود (٢٧١١)، والنسائى (٧/ ٢٤)، ومالك فى «الموطأ» (٢/ ٤٥٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٢٠٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد فى المسند (٦٤٩٢)، و أخرجه عبد الرزاق (٩٥٠٤)، وابن أبى شيبة (١٢/ ٤٩١)، والبخارى (٣٠٧٤)، وابن ماجه (٢٨٤٩)، والبيهقى (٩/ ١٠٠) من طريق سفيان بن عيينة. وقوله: وعلى ثقل بفتحتين، متاع المسافر.

وقوله: (كركرة) بكسر الكافين، وفتحهما أيضًا، والراء الأولى ساكنة، وهو مولى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٢/ ١١٤)، والترمذى (١٥٧٤)، والدارمى (٢/ ٢٣٠، ٢٣١) وأحمد (١/ ٣٠ و ٤٧) والبيهقى فى «السنن» (١٨٢٠٤).

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره فقال: «لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول: يا رسول الله أغثنى. أقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك لا ألفين يجىء أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى أقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين يجىء أحدكم يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح يقول يا رسول الله أغثنى أقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين يجىء أحدكم يوم القيامة على رقبته صامت يقول: يا رسول الله أغثنى، فأقول لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين يجىء أحدكم يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق يقول: يا رسول الله أغثنى، أقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك»(١).

هـ - تحريم نكاح المتعة:

عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن نكاح المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر» متفق عليه [أخرجه البخارى فى كتاب النكاح، باب النهى عن نكاح المتعة، ومسلم فى النكاح، باب نكاح المتعة] وفى رواية له أيضًا «أنه سمع ابن عباس يلين فى متعة النساء فقال: مهلًا يا ابن عباس، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عنها يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الإنسية»، وفى الباب أحاديث عن ابن عمر وابن مسعود، وثعلبة بن الحكم وزيد بن خالد الجهنى وغيرهم(٢).

ونكاح المتعة: هو أن يتزوج الرجل امرأة إلى أجل، وإنما دعت إلى ذلك ضرورة

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٠٧٣)، ومسلم (٢٤/ ١٨٣١)، وأحمد فى «المسند» (٢/ ٤٢٦) والبيهقى فى «السنن» (١٨٢٠٦).

وقوله: «له رغاء: الرغاء: صوت الإبل، و«ثغاء»: صاح الشاة، و«حمحمة»: يقال: حمحم الفرس: صات صوتًا دون العالى ويكون عند العلف، وهو دون الصهيل. و(الصامت): الذهب والفضة، وقوله: (رقاع تخفق): أى: تتقعقع وتضطرب، والمراد بها الثياب التى غلها.

(٢) انظر فى ذلك السنن الكبرى للبيهقى (ج٧/ ٣٤٤-٣٧٨) (١٤١٤١)(١٤١٨٢).

الخروج للجهاد وشدة العزوبة، ثم حرمت حرمة مؤبدة إلى يوم القيامة.

والشيعة - قبحهم الله - يبيحونها ويضربون بالأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على التحريم عرض الحائط، وكتبهم طافحة بذلك، وأئمتهم يتمتعون؟!

تقسيم الغنائم يوم خيبر:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم خيبر للفرس سهمين، وللراجل سهمًا، قال: فسره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم»[١].

سهم ذوى القربى: عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنه جاء هو وعثمان ابن عفان يكلمان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما قسم الخمس بين بنى هاشم وبنى المطلب، فقلت: يا رسول الله قسمت لإخواننا بنى المطلب ولم تعطنا شيئًا، وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة، فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما بنو هاشم وبنو المطلب واحد**» قال جبير: ولم يقسم لبنى عبد شمس، ولا لبنى نوفل من ذلك الخمس، كما قسم لبنى هاشم وبنى المطلب، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير أنه لم يكن يعطى قربى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطيهم، قال: وكان عمر بن الخطاب يعطيهم منه، وعثمان بعده»[٢].

سبى صفية بنت حيى وزواج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها:

أ - الرؤية التى رأتها قبل فتح خيبر:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان بعينى صفية خضرة فقال لها النبى

---

(١) أخرجه البخارى (٤٢٢٨)، ومسلم (١٧٦٢)، وأبو داود (٢٧٣٣)، والترمذى (١٥٥٤)، وأحمد (٢/ ٢، ٦٢) والبهيقى فى «الدلائل» (٤/ ١٨٢).

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٢٩)، وأبوداود (٢٩٧٨ - ٢٩٨٠)، والنسائى (٧/ ١٣٠)، وابن ماجه (٢٨٨١)، وأحمد (٤/ ٨١)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٤١) وفى الدلائل (٤/ ١٨٣).

ﷺ: «**ما هذه الخضرة بعينيك**» قالت: قلت لزوجى إنى رأيت فيما يرى النائم كأن قمرًا وقع فى حجرى، فلطمنى، وقال: أتريدين ملك يثرب، قالت: وما كان أبغض إلىَّ من رسول الله ﷺ قتل أبى وزوجى، فما زال يعتذر إلىَّ، وقال: «**يا صفية أن أباك ألَّب على العرب، وفعل وفعل**» حتى ذهب ذلك من نفسى. أخرجه البخارى ومسلم وسبق تخريجه.

زواجه منها ﷺ:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قدمنا خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيى بن أخطب وقد قُتل زوجها،وكانت عروسًا، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها، حتى بلغنا سد الصهباء، حلت، فبنى بها رسول الله ﷺ ثم صنع حيسًا فى نطع صغير، ثم قال لى: «**آذن من حولك**»، فكانت تلك وليمته على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة، فرأيت النبى ﷺ يحوى لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب[1].

وفى رواية مسلم: «صارت صفية لدحية فى مقسمه، وجعلوا يمدحونها عند رسول الله ﷺ.

قال: ويقولون: ما رأينا فى السبى مثلها، قال: فبعث إلى دحية، فأعطاه بها ما أراد، ثم دفعها إلى أمى فقال: «**أصلحيها**».

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ من خيبر، حتى إذا جعلها فى ظهره نزل، ثم ضرب عليها القبة، فلما أصبح قال رسول الله ﷺ: «**من كان عنده فضل زاد فليأتنا به**» قال: فجعل الرجل يجىء بفضل التمر، وفضل السويق، حتى جعلوا من ذلك سوادًا حيسًا، فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس ويشربون من حياض إلى جنبهم

---

(١) أخرجه البخارى (٤٢١١).

من ماء السماء، قال: فقال أنس: فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ عليها.

قال: فانطلقنا: حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليها، فرفعنا مطينا ورفع رسول الله ﷺ مطيته، قال: وصفية خلفه قد أردفها رسول الله ﷺ قال: فعثرت مطية رسول الله ﷺ، فصرع وصرعت: قال، فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها، حتى قام رسول الله ﷺ فسترها، قال: فأتيناه فقال: لم تضر، قال: فدخلنا المدينة، فخرج جوارى نسائه يترأينها، ويشمتن بصرعتها[1].

صداقها:

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: «**سبى النبى ﷺ صفية، فأعتقها، وتزوجها، فقال ثابت لأنس: ما أصدقها؟ قال: أصدقها نفسها فأعتقها**»[2].

أمر الحجاج بن علاط السلمى:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله! إن لى بمكة مالًا، وإن لى بها أهلًا، وإنى أريد أن آتيهم، فأنا فى حل إن أنا نلت منك؟ وقلت شيئًا؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء، فأتى امرأته حين قدم، فقال: اجمعى لى ما كان عندك، فإنى أريد أن أشترى من غنائم محمد وأصحابه، فإنهم قد استبيحوا، أو أصيبت أموالهم، قال: ففشا ذلك فى مكة فانقمع المسلمون، وأظهر المشركون فرحًا وسرورًا، قال: وبلغ الخبر العباس رضي الله عنه فعقر، وجعل لا يستطيع أن يقوم.

قال معمر: فأخبرنى عثمان الجزرى عن مقسم قال: فأخذ ابنًا له يشبه رسول الله ﷺ يقال له: قثم، فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول:

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٦٥).

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٠١).

حبـــى قـــثم، حبـــى قـــثم شـــبيه ذى الأنـــف الأشـــم
نبـــــى رب ذى الـــــنعم بـــرغم أنـــف مـــن رغـــم

قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلامًا له إلى الحجاج: ويلك ما جئت به؟ وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به، قال: فقال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبى الفضل السلام، وقال له: فليخل لى فى بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره، فجاءه غلامه، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل، قال: فوثب العباس فرحًا، حتى قبل ما بين عينيه، فأخبره بما قال الحجاج، فأعتقه. قال: ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر، وغنم أموالهم، وجرت سهام الله فى أموالهم، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بن حيى، فأخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته، أو تلحق بأهلها، فاختارت أن يعتقها، وتكون زوجته، ولكنى جئت لما كان لى ههنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله ﷺ. فأذن لى أن أقول ما شئت، فأخف عنى ثلاثًا ثم اذكر ما بدا لك، قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلى ومتاع فجمعه، فدفعته إليه ثم انشمر به.

فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج، فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا، وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل، لقد شق علينا الذى بلغك، قال: أجل، لا يخزينى الله، ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا، فتح الله خيبر على رسول الله ﷺ وجرت فيها سهام الله، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيى لنفسه، فإن كانت لك حاجة فى زوجك فالحقى به، قالت: أظنك والله صادقًا، قال: فإنى صادق الأمر على ما أخبرتك.

فقال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش، وهم يقولون إذا مر بهم: لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصبنى إلا خير بحمد الله، قد أخبرنى الحجاج بن علاط أن خيبر قد فتحها الله على رسول الله ﷺ، وجرت فيها سهام الله، واصطفى

صفية لنفسه، وقد سألنى أن أخفى عليه ثلاثًا، وإنما جاء ليأخذ ماله، وما كان له من شيء ها هنا، ثم يذهب، قال: فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئبًا حتى أتوا العباس، فأخبرهم الخبر وسر المسلمون، ورد الله تبارك وتعالى، ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين[(١)].

نوم النبى وأصحابه عن صلاة الفجر ولم يوقظهم إلا مس الشمس:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قفل من غزوة خيبر، سار ليلة، حتى إذا أدركه الكرى عرَّس، وقال لبلال: «**اكلأ لنا الليل**» فصلى بلال ما قدر له، ونام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر، فغلبته عيناه، وهو مستند إلى راحلته فلم يستقيظ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا بلال، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس.

فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولهم استيقاظًا ففزع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أى بلال؟**» فقال بلال: أخذ بنفسى الذى بأبى أنت وأمى يا رسول الله أخذ بنفسك قال: «اقتادوا» فاقتادوا رواحلهم شيئًا، ثم توضأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمر بلالًا فأقام الصلاة فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: «من نسى الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[طه: ١٤]، قال يونس: وكان ابن شهاب يقرؤها: «**للذكرى**»[(٢)].

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩٧٧١) وعنه: أحمد (٣/ ١٣٨)، وعبد بن حميد (١٢٨٨)، والبزار (١٨١٦ - كشف الأستار) والنسائى فى «الكبرى» (٨٦٤٦) والضياء فى «المختارة» (١٨٠٧) وأبو يعلى (٣٤٧٩)، والطحاوى فى «شرح المشكل» (٣٢١٣)، وابن حبان (٤٥٣٠ - إحسان) والطبرانى فى «الكبير» (٣١٩٦) والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٥٠) وفى «الدلائل» (٤/ ٢٦٨) عن معمر، قال: سمعت ثابتًا، يحدث عن أنس فذكره بنحوه، وإسناده صحيح وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٥٤ - ١٥٥) «رجاله رجال الصحيح»، وذكره ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ٣٩٨ - ٤٠١) ولم يسنده.

(٢) أخرجه مسلم (٣٩/ ٦٨٠)، وأبو عوانة ٢/ ٢٥٣، وأبو داود (٤٣٥)، والنسائى ١/ ٢٩٦، وابن ماجه (٦٩٧)، وابن حبان (٢٠٦٩)، والبيهقى فى «السنن» ٢/ ٢١٧، وفى «الدلائل» ٤/ ٢٧٢، من طرق عن

قدوم جعفر بن أبى طالب وأصحابه وأبى موسى الأشعرى وأصحابه رضي الله عنهم :

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: «بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن ، قال : فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لى أنا أصغرهما أحدهم أبو رهم ، والآخر أبو بردة ، إما قال : بضعا، وإما قال : فى ثلاثة أو اثنين وخمسين رجلا من قومى ، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هاهنا وأمرنا بالإقامة ، فأقيموا معنا ، أى: فى الحبشة فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا ، فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر ، فأسهم لنا ، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئا إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم ، قال : فكان أناس من الناس يقولون لنا - يعنى لأصحاب السفينة - : سبقناكم بالهجرة . قال : فدخلت أسماء بنت عميس ، وهى ممن قدم معنا على حفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشى فيمن هاجر إليه ، فدخل عمر على حفصة ، وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ فقالت : أسماء بنت عميس ، قال عمر : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ فقالت أسماء : نعم ، فقال عمر : سبقناكم بالهجرة ، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم. فغضبت ، وقالت كلمة : كذبت يا عمر ، كلا والله ، كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم

= يونس عن الزهرى موصولاً. وأخرجه أبو عوانة ٢/ ٢٥٣ ، وأبو داود (٤٣٦) والنسائى ١/ ٢٩٦ ، والطحاوى «شرح المشكل» (٣٩٨٨) والبيهقى فى «السنن» ٢/ ٢١٨ من طرق عن معمر عن الزهرى به.
وأخرجه الترمذى (٣١٣٦)، من طريق صالح بن أبى الأخضر عن الزهرى به.
وأرسله مالك فى «الموطأ» (١/ ١٣ - ١٤/ ٢٥) من طريق: ابن شهاب مرسلًا، وعنه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٢٠٩)، (١٦٣٧) وقوله (الكرى عرّس): الكرى النوم، وعرس نزل للنوم والاستراحة، والتعريس: النزول لغير إقامة، وقوله: «اكلأ لنا الليل»: أى ارقبه واحرسه واحفظه.
ورواه ابن إسحاق فى «السيرة» ٣/ ٣٩٢-٣٩٣ قال : حدَّثنى الزهرى ، عن سعيد بن المسيب فذكره قريبا منه.

جائعكم ، ويعظ جاهلكم ، وكنا فى دار أو فى أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك فى الله وفى رسوله ، وايم الله لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا حتى أذكر ما قلت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ونحن كنا نؤذى ونخاف ، وسأذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسأله ، والله لا أكذب ولا أزيغ، ولا أزيد على ذلك ، فلما جاء النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قالت : يا نبى الله ، إن عمر قال كذا وكذا ، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قال : « **ليس بأحق بى منكم ، له ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان**» قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونى أرسالًا يسألونى عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم أفرح، ولا أعظم فى أنفسهم مما قال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال أبو بردة قالت أسماء: لقد رأيت أبا موسى، وإنه يستعيد هذا الحديث منى(١) .

عن سفيان بن عيينة عن الأجلح، عن الشعبى: «أن جعفر بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح خيبر، فقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين عينيه، والتزمه وقال: «**ما أدرى بأيهما أنا أُسرَّ؛ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**»(٢) .

۞۞۞

---

(١) أخرجه البخارى (٤٢٣٠) و (٤٢٣١)، ومسلم (٢٥٠٢ و ٢٥٠٣)، والترمذى (١٥٥٩).
قال الحافظ: «زاد فى فرض الخمس فأسهم لنا ولم يسهم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئًا ولا لمن شهدها معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه فإنه قسم لهم معهم»

(٢) حسن وهذا مرسل إسناده صحيح، أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٤٦٩)، والحاكم (٣/ ٢١١)، والبيهقى فى «٧/ ١٠١)، من طريق: سفيان به، وقال البيهقى مرسل وقال الهيثمى (٩/ ٢٧٢)، مرسل إسناده رجاله رجال الصحيح.
وأخرجه الحاكم (٣/ ٢١١): وعنه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٢٤٦)، من طريق: «الحسين بن الحسين العربى، قال: حدثنا الأجلح عن الشعبى عن جابر به، وإسناده ضعيف.
وله شواهد وطرق يقوى الحديث بها: ساقها الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى «الصحيحة» (٦/ ٣٣٥) وصححه بطرقه وشواهده.

ما صنع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فيما منح الأنصار المهاجرين بعد فتح خيبر

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة قدموا وليس بأيديهم شيء وكان الأنصار أهل أرض وعقار فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤونة وكانت أم أنس بن مالك تدعى أم سليم وكانت أم عبد الله بن أبى طلحة وكان أخا أنس بن مالك لأمه وكانت أعطت أم أنس رسول الله عذاقا لها فأعطاهن رسول الله أم أيمن مولاته أم أسامة بن زيد.

قال ابن شهاب: فأخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف إلى المدينة رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم التى كانوا منحوهم من ثمارهم ، ورد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمى عذاقها وأعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم أيمن مكانهن من حائطه. قال ابن شهاب : وكان من شأن أم أيمن أم أسامة بن زيد أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب ، وكانت من الحبشة فلما ولدت آمنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ما توفى أبوه ، فكانت أم أيمن تحضنه حتى كبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعتقها ثم أنكحها زيد بن حارثة ثم توفيت بعد ما توفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمسة أشهر[(١)].

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ «لكن هذا الذى فعلوه - والله أعلم - ليس على سبيل الوجوب، إلا إن كانوا قد اتفقوا معهم فى الأول، أن هذه المنائح تُردُّ وإلا فالأصل أنها ملك لهم، وأنه لا يلزمهم أن يردُّوها»[(٢)].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٢٦٣٠، ٣١٢٨ و ٤٠٣٠ و ٤١٢٠)، ومسلم (١٧٧١) و(عذاقًا) بكسر العين المهملة: جمع عذق بفتحها، وهى النخلة.

(٢) «شرح مسلم» للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (٦/ ٩٧).

فَصْلٌ

فى غزوة ذات الرقاع وتسمى غزوة نجد

تحديد وقت هذه الغزوة:

هذه الغزوة اختلف فيها اختلافًا شديدًا فأهل المغازى والسير يجعلونها ما بين السنة الرابعة والخامسة من الهجرة كابن إسحاق ومن تبعه.

وهناك من أبعد فجعلها قبل أحد، والصواب ما ذهب إليه المحققون من أنها بعد خيبر، ومنهم الإمام الحجة الثبت العلم البخارى فى «صحيحه» وابن كثير فى البداية والنهاية» والحافظ ابن حجر فى «الفتح» والإمام ابن القيم فى «زاد المعاد» وقد فصل فيها ابن القيم - القول.

قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح»: هذه الغزوة اختلف فيها متى كانت؟ واختلف فى سبب تسميتها بذلك، بل الذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بنى قريظة، لأنه تقدم أن صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف فى غزوة ذات الرقاع، فدل على تأخرها بعد الخندق[1]. اهـ مختصرًا.

وقال الحافظ ابن كثير فى «الفصول»[2]: بعد ما ذكر أنها بعد خيبر: ويؤيد ذلك: أن أبا موسى الأشعرى؛ وأبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شهداها.

أما أبو موسى الأشعرى؛ ففى «الصحيحين» عنه: أنه شهد غزوة ذات الرقاع، وأنهم كانوا يلفون على أرجلهم الخرق، لما نقبت[3]، فسميت بذلك[4].

---

(١) «الفتح» (٧/ ٤٨١ - ٤٨٢)، وانظر: «السيرة النبوية» لابن كثير (٣/ ١٦١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٢٥١) فما بعدها.

(٢) «الفصول»: (ص ١٤٧).

(٣) أى: لما تخرقت لمشيهم حفاة.

(٤) أخرجه البخارى (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦).

وأما أبو هريرة: فعن مروان، أنه سأل أبا هريرة: هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال: نعم، قال: متى؟ قال: عام غزوة نجد ... وذكر صفة من صفات صلاة الخوف(١).

سبب تسميتها بهذا الاسم:

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة، ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه، قال: فنقبت أقدامنا، فنقبت قدماى، وسقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت ذات الرقاع، لما كنا نُعصب على أرجلنا من الخرق(٢).

قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث، ثم كره ذلك، قال: كأنه كره أن يكون شيئًا من عمله أفشاه، قال أبو أسامة: وزادنى غير بريد والله يجزى به أخرجاه واللفظ لمسلم.

قال ابن حبان: «سميت بذات الرقاع لأن الخيل كان فيها سواد وبياض، فسميت الغزوة بتلك الخيل»(٣)، وقال ابن جرير الطبرى: «إنما سميت ذات الرقاع لأن الجبل الذى سميت به ذات الرقاع جبل به سواد وبياض وحمرة، فسميت بذلك الجبل»(٤).

وقال ابن هشام: وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع؛ لأنهم رقعوا فيها راياتهم؛ ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢٠)، وأبو داود (١٢٤٠ و ١٢٤١)، والنسائى فى «المجتبى» (٣/ ١٧٣)، وفى «الكبرى» (١٩٤٤)، وابن خزيمة (١٣٦١ و ١٣٦٢)، وابن حبان (٢٨٧٨ - إحسان) والطحاوى فى شرح المعانى» (١/ ٣١٤)، والحاكم (١/ ٣٣٨ - ٣٣٩) والبيهقى (٣/ ٢٦٤)، وغيرهم من طريق أبى الأسود عن عروة به الزبير، عن مروان به الحكم به، وهذا إسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخارى (٤١٢٨)، ومسلم (١٤٩/ ١٨١٦) واللفظ له.

(٣) «الثقات» (١/ ٢٥٨).

(٤) «التاريخ» (٢/ ٥٥٥) و«الدلائل» للبيهقى (٣/ ٢٩١).

(٥) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٢١٤).

قلت: وأصح هذه الروايات ما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى، وما فى الصحيحين أصح من غيره.

مشروعية صلاة الخوف فى هذه الغزوة، ومحاولة اغتيال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أقبلنا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إذا كنا بذات الرقاع، قال: وكنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاءه رجل من المشركين، وسيف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلق بشجرة، فأخذ سيف رسول الله فاخترطه وقال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تخافنى ؟ قال: «**لا**». قال: فمن يمنعك منى ؟ قال: «**الله يمنعنى منك**».

قال: فهدده أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأغمد السيف وعلقه.

قال: ونودى بالصلاة، فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين. قال: فكانت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع ركعات وللقوم ركعتان.

وقد جاء التصريح باسم هذا الرجل فى رواية أحمد كما يلى: «قاتل رسول الله محارب خصفة فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله بالسيف فقال: من يمنعك منى قال: «**الله عَزَّ وَجَلَّ**» قال: فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**من يمنعك منى**» قال: كن خير آخذ قال: «**أتشهد أن لا إله إلا الله وإنى رسول الله**» قال: لا ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فأتى أصحابه وقال جئتكم من عند خير الناس[1].

---

(١) أخرجه البخارى (٤١٢٦)، معلقًا من طريق: أبان، حدثنا يحيى بن أبى كثير، عن أسامة بن عبد الرحمن، عن جابر وفيه قصة الشجرة.

وأخرج مسلم (٣١١/ ٨٤٣) وأبو عوانة (٢/ ٣٦٥) وابن حبان (٢٨٨٤ - إحسان) والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٢٥٩) وفى «الدلائل» (٣/ ٢٧٥)، والبغوى (١٠٩٥)، وأحمد (٢/ ٢٦٤)، من طريق أبان به، وأخرجه من دون القصة: الطحاوى فى «شرح المعانى» (١/ ٣١٥) وفى «المشكل» (٤٢٢٠) =

بعض الروايات عن النبى ﷺ فى كيفية صلاة الخوف :

عن جابر رضي الله عنه قال : «صفنا رسول الله ﷺ صفين، فركع بنا جميعًا، ثم سجد رسول الله ﷺ وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم، ثم ركع النبى ﷺ بهم جميعًا ، ثم سجد النبى ﷺ وسجد الذين يلونه معه، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم، فركع النبى ﷺ بهم جميعًا، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين»[1].

= عن أبان به، وأخرجه مسلم (٣١٢/ ٨٤٣) وابن خزيمة (١٣٥٢) ،وأبو عوانة (٢/ ٣٦٥)، من طريق: معاوية بن سلام، عن يحيى بن أبى كثير به، وأخرجه الشافعى (١/ ١٧٦ - ١٧٧)، وابن أبى شيبة (٢/ ٤٦٤) والنسائى (٣/ ١٧٨ و ١٧٩)، وابن خزيمة (١٣٥٣) والدارقطنى (٢/ ٦٠ - ٦١)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٢٥٩)، من طرق عن الحسن به، قلت: والحسن البصرى لم يثبت له سماع من جابر بن عبد الله على الصحيح.

(١) إسناده صحيح: أخرجه النسائى (٣/ ١٧٥)، وابن ماجه (١٢٦٠)، وابن خزيمة (١٣٥٠)، وأبو عوانة (٢/ ٣٦٠)، من طرق عن أبى الزبير به، وقد صرح أبو الزبير بالتحديث أو السماع من جابر فى رواية النسائى وأبى عوانة، وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح أبى داود» (١١٢٢)، و«صحيح ابن ماجه (١٤٠٢)» قلت: وجاءت صفة أخرى من صفات وهيئات صلاة الخوف عن ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه مالك (١/ ١٨٤)، وعنه الشافعى (١/ ١٧٨)، والبخارى (٤٥٣٥)، وابن خزيمة (٩٨٠)، و(١٣٦٦)، و(١٣٦٧) ، والطحاوى فى «شرح المعاني» ١/ ٣١٢ ، والبيهقى فى «السنن» ٣/ ٢٥٦ ، والبغوى (١٠٩٣) ، وأحمد (٦١٥٩)، عن نافع عن ابن عمر موقوفًا، قال مالك: «قال نافع: لا أرى عبد الله بن عمر حدثه إلا عن رسول الله ﷺ» وقد أخرجه ابن ماجه (١٢٥٨) وابن حبان (٢٨٨٧) من طريق : عبيد الله بن عمر عن نافع به ، وأخرجه عبد الرزاق (٤٢٤١) ، والبخارى (٤١٣٣) ومسلم (٨٣٩) ، وأبو داود (١٢٤٣) ، والترمذى (٥٦٤)، والنسائى (٣/ ١٧١) وابن خزيمة (١٣٥٥)، والدارقطنى (٢/ ٥٩)، وابن حبان (٢٨٧٩) وأحمد (٩٣٥١) والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٣٦٠) من طرق: عن معمر، عن الزهرى عن سالم، عن ابن عمر مرفوعًا، وأخرجه مسلم (٣٠٥/ ٨٣٩)، والطحاوى فى «شرح المعانى» (١/ ٣١٢) من طريق: خليج ابن سليمان عن الزهرى به، وجاءت صفة أخرى لصلاة الخوف عن أبى هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذى فى «السنن» (٣٠٣٥) والنسائى فى «المجتبى» (٣/ ١٧٤)، و«الكبرى» (١٩٤٥) وأحمد ٢/ ٥٢٢ ، والطبرى فى «التفسير» ٥/ ٢٤٨ ، =

من حوادث هذه الغزوة

قصة جمل جابر وبيعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما ظهر فيها من بركاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ، قَالَ خَرَجْت مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى غَزْوَةِ ذَاتِ الرّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ فَلَمّا قَفَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ جَعَلَتْ الرّفَاقُ تَمْضِي ، وَجَعَلْت أَتَخَلّفُ حَتّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**مَا لَك يا جَابِرُ ؟**» قَالَ قُلْت : يا رَسُولَ اللّهِ أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا ؛ قَالَ «**أَنِخْهُ**»؛ قَالَ فَأَنَخْته ، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمّ قَالَ: «**أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يدِك ، أَوْ اقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ**» ؛ قَالَ فَفَعَلْت . قَالَ فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَخَسَهُ بِهَا نَخَسَاتٍ ثُمّ قَالَ «**ارْكَبْ**»، فَرَكِبْت ، فَخَرَجَ وَاَلّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقّ يوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهَقَةً . قَالَ وَتَحَدّثْت مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي : «**أَتَبِيعُنِي جَمَلَك هَذَا يا جَابِرُ ؟**» قَالَ قُلْت : يا رَسُولَ اللّهِ بَلْ أَهَبُهُ لَك ؛ قَالَ «**لا ، وَلَكِنْ بِعْنِيهِ**» ، قَالَ قُلْت : فَسُمْنِيهِ يا رسول الله قَالَ: «**قَدْ أَخَذْته بِدِرْهَم**»؟ قَالَ قُلْت : لا ، إذَنْ تَغْبِنُنِي يا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «**فَبِدِرْهَمَينِ**»، قَالَ: قُلْت: لا . قَالَ: فَلَمْ يزَلْ يرْفَعُ لِي رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَمَنِهِ حَتّى بَلَغَ الْأُوقِيةَ. قَالَ: فَقُلْت : أَفَقَدْ رَضِيتَ يا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» ؟ قُلْت : فَهُوَ لَك ، قَالَ: ثُمّ قَالَ «**يا جَابِرُ هَلْ تَزَوّجْت بَعْدُ ؟**»قَالَ قُلْت: نَعَمْ يا رَسُولَ اللّهِ قَالَ «**أَثَيبًا أَمْ بِكْرًا؟**» قَالَ قُلْت:

= وابن حبان (٢٨٧٢ – إحسان) من طريق سعيد بن عبيد الهنائى ، عن عبد الله بن شقيق ، عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه أحمد ٢/ ٣٢٠ ، وأبو داود (١٢٤٠ و١٢٤١) ، والنسائى فى «المجتبى» ٣/ ١٧٣ ، و«الكبري» (١٩٤٤) ، وابن خزيمة (١٣٦١ و ١٣٦٢) وابن حبان (٢٨٧٨ – إحسان)، والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (١/ ٣١٤) والحاكم (١/ ٣٣٨ – ٣٣٩)، والبيهقى (٣/ ٢٦٤)، وغيرهم من طريق أبى الأسود، عن عروة بن الزبير عن مروان بن الحكم به، وإسناده صحيح.

وثم هيئات أخر تنظر فى مظانها من كتب السنة والفقه. فانظر مثلًا: «السنن الكبرى» للبيهقى – كتاب صلاة الخوف (٣/ ٦٥٩ – ٦٨٢) وغيره.

لَا ، بَلْ ثَيبًا ؛ قَالَ «**أَفَلَا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُك**» قَالَ قُلْت : يا رَسُولَ اللّهِ إنّ أَبِي أُصِيبَ يوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا ، فَنَكَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً تَجْمَعُ رُءُوسَهُنّ وَتَقُومُ عَلَيهِنّ ؟ قَالَ «**أَصَبْت إنْ شَاءَ اللّهُ أَمَا إنّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صُرّارًا أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيهَا يوْمَنَا ذَاكَ وَسَمِعَتْ بِنَا ، فَنَفَضَتْ نَمَارِقَهَا**» قَالَ قُلْت : وَاَللّهِ يا رَسُولَ اللّهِ مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقَ قَالَ «**إنّهَا سَتَكُونُ فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْت فَاعْمَلْ عَمَلًا كَيِّسًا**» قَالَ فَلَمّا جِئْنَا صُرّارًا أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيهَا ذَلِكَ الْيوْمَ فَلَمّا أَمْسَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ دَخَلَ وَدَخَلْنَا ، قَالَ «فَحَدّثْتُ الْمَرْأَةُ الْحَدِيثَ»، وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَالَتْ فَدُونَك ، فَسَمْعٌ وَطَاعَةٌ . قَالَ فَلَمّا أَصْبَحْت أَخَذْت بِرَأْسِ الْجَمَلِ فَأَقْبَلْت بِهِ حَتّى أَنَخْته عَلَى بَابِ [مسجد] رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ ثُمّ جَلَسْت فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ قَالَ وَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَرَأَى الْجَمَلَ فَقَالَ مَا هَذَا؟ قَالُوا : يا رَسُولَ اللّهِ هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ قَالَ: «**فَأَينَ جَابِرٌ؟**» قَالَ فَدُعِيت لَهُ قَالَ فَقَالَ يا ابْنَ أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِك ، فَهُوَ لَك ، وَدَعَا بِلَالًا ، فَقَالَ لَهُ: «**اذْهَبْ بِجَابِرٍ فَأَعْطِهِ أُوقِيةً**» قَالَ: فَذَهَبْت مَعَهُ فَأَعْطَانِي أُوقِيةً وَزَادَنِي شَيئًا يسِيرًا. قَالَ:فوالله ما زَالَ ينْمِي عِنْدِي، وَيرَى مَكَانُهُ مِنْ بَيتِنَا ، حَتّى أُصِيبَ أَمْسِ فِيمَا أُصِيبَ لَنَا ، يعْنِي يوْمَ الْحَرّةِ[(١)].

---

(١) صحيح: والإسناد حسن لأجل محمد بن إسحاق وقد صرح بالتحديث، أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٥) (١٥٠٢٦) من طريق، ابن إسحاق به، وأخرجه البخارى (٢٠٩٧)، ومسلم (٧٣/ ٧١٥)، وأبو عوانة (١/ ٤١٦ - ٤١٧) وابن حبان (٢٧١٧ و ٦٥١٨ و ٧١٤٣) مطولًا ومختصرًا والبيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣٨٢- ٣٨٣) كلهم من طريق ابن إسحاق عن وهب بن كيسان به، وهو فى «السيرة» (٣/ ٢١٧ - ٢١٩) حدثنى وهب بن كيسان، عن جابر به، وقد جاء فى «الصحيحين» وغيرهما من طرق مجزئ: قصة الجمل فقط، وقصة التزوج، وقوله: فاعمل، عملًا كيسا» له طرق كثيرة وليس فى «الصحيحين» التصريح باسم الغزوة التى حصلت فيها قصة جابر، ولكن جاء من نفس الطريق طريق وهب بن كيسان عن جابر التصريح بأن الغزوة هى غزوة ذات الرقاع، وذلك فى السيرة النبوية لابن هشام عن ابن إسحاق حدثنى وهب بن كيسان عن جابر وهذا سند حسن، لأن ابن إسحاق صرح بالتحديث وهو حجة فى المغازى والسير، فتنبه.

قصة الرجل الذى سبى المسلمون امرأته، وما حدث لعباد بن بشر أثناء حراسته فى الليل:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى غزوة ذات الرقاع فأصيبت امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قافلاً، وجاء زوجها، وكان غائباً، فحلف أن لا ينتهى حتى يهريق دماً فى أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج يتبع أثر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزلاً، فقال: «**من رجل يكلؤنا**» فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «**فكونا بفم الشعب**».

قال: وكانوا نزلوا إلى شعب الوادى، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصارى للمهاجري: أى الليل أحب إليك أن أكفيكه أوله أو آخره؟ قال اكفنى أوله، فاضطجع المهاجرى، فنام، وقام الأنصارى يصلى، وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم، فرماه بسهم، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائماً، ثم رماه بسهم آخر، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائماً ثم عاد له بثالث فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أوتيت، فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذروا به فلما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء قال: سبحان الله ألا أهببتنى قال: كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع الرمى ركعت فأريتك، وايم الله لولا أن أضيع ثغرًا أمرنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها وأنفذها»[1].

(١) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٣ - ٣٤٤ و٣٥٩) وأبو داود (١٩٨)، وابن حبان (١٠٩٦)، وابن خزيمة (٣٦)، والدارقطنى (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤) والحاكم (١/ ١٥٦ - ١٥٧) والبيهقى فى «السنن» (١/ ١٤٠)، و(٩/ ١٥٠)، من طرق عن ابن إسحاق بهذا الإسناد وعلقه البخارى فى «الوضوء» (١/ ٢٨٠) «فتح» مختصرًا بصيغة التمريض، وابن حجر فى «تغليق التعليق» (١/ ١١٤ - ١١٥) وفيه عقيل بن جابر بن عبد الله لم يوثقه إلا ابن حبان، وقال الحافظ: مقبول، ولم يرو عنه إلا صدقة بن يسار، ففيه جهالة فالإسناد ضعيف، وله شاهد عند البيهقى فى «الدلائل» (٣/ ٣٧٨)، من طريق: عبد الله بن عمر



= العمرى، عن أخيه عبيد الله بن عمر عن القاسم بن محمد عن صالح بن خوات عن أبيه خوات بن جبير، وسمى الأنصارى عباد بن بشر، والمهاجرى عمار بن ياسر، والسورة الكهف والحديث صححه الشيخ الألبانى رحمه الله فى «صحيح أبى داود» (١٩٣).

وقوله: (**يكلؤنا**): أي يحرسنا، وقوله: (ربيئة) الطليعة التى تحرس القوم من العدو، وتكون عادة فى مكان بشرف منه على المداخل والمسالك، وقوله: (نذروا به) شعروا به وقوله: (انفذها): أفرغ منها

فَصْلٌ

فى عمرة القضاء(١)

وقتها:

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهرى ربيع وجمادين ورجباء وشعبان ورمضان وشوالًا، يبعث فيما بين ذلك من غزوة وسراياه ﷺ ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدَّه فيه المشركون معتمرًا عمرة القضاء مكان عمرته التى صدُّوه عنها (٢).

قال الحافظ فى «الفتح»: روى يعقوب بن سفيان فى «تاريخه» بسند حسن عن ابن عمر قال: «كانت عمرة القضاء فى ذى القعدة سنة سبع» وعليه قول الجماهير من أهل العلم.

سبب هذه العمرة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج معتمرًا، فحال كُفَّار قريش بينه وبين البيت، فنحر هديه، وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم علىٰ أن يعتمر العام

---

(١) قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٥٧١): «اختلف فى سبب تسميتها عمرة القضاء، فقيل: المراد ما وقع من المقاضاة بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذى كتب بينهم بالحديبية، فالمراد بالقضاء الفصل الذى وقع عليه الصلح، ولذلك يقال لها: عمرة «القضية». قال أهل اللغة: قاضى فلانًا عاهده، وقاضاه عاوضه، فيحتمل تسميتها بذلك الأمرين، قاله القاضى عياض، ويرجح الثانى تسميتها قصاصًا قال تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤]، قال السهيلى: تسميتها عمرة القصاص أولى لأن هذه الآية نزلت فيها.

قال الحافظ: «كذا رواه ابن جرير وعبد بن حميد بإسناد صحيح عن مجاهد، وبه جزم سليمان التيمى فى «مغازيه» وذكر قول ابن إسحاق ثم قال: وقال آخرون: بل كان قضاء عن العمرة الأولى: وعدت عمرة الحديبية فى العمر لثبوت الأجر فيها، لا لأنها كملت، ثم قال الحافظ: فتحصل من أسمائها أربعة، (القضاء، والقضية، والقصاص، والصلح).

(٢) «السيرة النبوية» (٣/ ٣٢٤)، وانظر: «الفتح» (٧/ ٥٧١)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٧٠)، و«دلائل النبوة» للبيهقى (٤/ ٣١٣).

المقبل، ولا يحمل سلاحًا عليهم إلا سيوفًا، ولا يقيم بها إلا ما أحبوا، فاعتمر من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم، فلما أن أقام بها ثلاثًا أمروه أن يخرج فخرج[(١)].

ما قاضى رسول الله ﷺ عليه قريشًا قبل دخوله مكة:

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «لما اعتمر رسول الله ﷺ فى ذى القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ قالوا: لا نقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال: «**أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله**»، ثم قال لعلى: «**امح رسول الله**»، قال على: لا والله لا أمحوك أبدًا. فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب: «**هذا ما** قاضى محمد بن عبد الله، **لا يدخل مكة للسلاح إلا السيف فى القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحدًا إن أراد أن يقيم بها**»[(٢)].

الاضطباع والرمل فى الطواف وسببهما:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد وهنتكم حمى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرموا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم، وزاد ابن سلمة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: «لما قدم النبى ﷺ لعامه الذى استأمن قال: «**ارملوا ليرى المشركون قوتكم**» والمشركون من قبل قعيقعان.

---

(١) أخرجه البخارى (٤٢٥٢).

(٢) أخرجه البخارى (٢٦٩٩ و ٤٢٥١) ومسلم (٩٠/ ١٧٨٣) وأبو داود (٢٢٧٨ و ١٢٧٩)، والدارمى (٢/ ٢٣٧ - ٢٣٨) والبيهقى فى «السنن» (٨/ ٥ - ٦) والترمذى (٣٧٦٩) مختصرًا، وأحمد (١/ ٩٩، ١١٥، ٢٣٠).

وفى لفظ مسلم بعد قوله وأن يمشوا بين الركنين قوله: «ليرى المشركون جلدهم، فقال المشركون، هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا»[(١)].

إنشاد عبد الله بن رواحة بين يدى النبى ﷺ فى أثناء الطواف:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ دخل مكة فى عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة ينشد بين يديه:

خلوا بنى الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن فى تنزيله

بأن خير القتل فى سبيله نحن قتلناكم على تأويله

كما قتلناكم على تنزيله

وقد جاء من وجه آخر بلفظ: «أن النبى ﷺ دخل مكة فى عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشى بين يديه وهو يقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٠٥)، وأبو داود (١٨٨٩)، وابن خزيمة (٢٧٠٧)، وابن حبان (٣٨١٢) والبيهقى فى «السنن» (٥/ ٧٩) من طريق عبد الله بن عثمان عن أبى الفضل عن ابن عباس بنحوه، وأخرجه مسلم (٢٣٧/ ١٢٦٤)، وابن خزيمة (٢٧١٩)، وابن حبان (٣٨٤٥)، والبيهقى فى «السنن» (٥/ ٨١) من طريق الجريرى عن أبى الفل عن ابن عباس وأخرجه أحمد (١/ ٢٤٧) عن الجريرى وعبد الله بن عثمان بن خشيم كلاهما عن أبى الفضل، عن ابن عباس بنحوه وأخرجه أحمد - أيضًا - (١/ ٣١٤) وابن ماجه (٢٩٥٣)، وابن حبان (٣٨١٤)، من طريق عبد الرزاق حدثنا معمر، عن ابن خثيم به، وأخرجه أحمد - أيضًا - (١/ ٢٩٠ - و ٢٩٤ - ٢٩٥) والبخارى (١٦٠٢ و ٤٢٥٦)، ومسلم (٢٤٠/ ١٢٦٦)، وأبو داود (١٨٨٦)، والنسائى (٥/ ٢٣٠ - ٢٣١) والطحاوى (٢/ ١٧٩ - ١٨٠)، والبيهقى فى «السنن» (٥/ ٨٢)، من طريق: حماد بن زيد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ينحوه وأخرجه أحمد (١/ ٣٠٦، ٣٧٣) وابن خزيمة (٢٧٢٠)، من طريق: حماد بن سلمة، عن أيوب به، وعلقه البخارى من هذا الطريق بعد حديث (٤٢٥٦).

ضـربًا يزيـل الهـام عـن مقيلـه ويـذهل الخليـل عـن خليلـه

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدى رسول الله ﷺ وفى حرم الله عز وجل تقول الشعر، قال النبى ﷺ: «خل عنه، فهو أسرع فيهم من نضح النبل»[(١)].

زواجه ﷺ بميمونة فى عمرة القضاء وهل تزوجها وهو محرم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «تزوج النبى ﷺ ميمونة، وهو محرم، وبنى بها وهو حلال، وماتت بسرف»[(٢)].

---

(١) صحيح أخرجه عبد الرزاق من طريقين الأول: من طريق: عبد الرزاق، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، فأخرجه من هذه الطريق: الترمذى (٢٨٤٧)، وفى «الشمائل» (٢٤٥)، والنسائى (٥/ ٢٠٢ - ٢٢١) وفى «الكبرى» (٣٨٧٦)، وابن خزيمة (٢٦٨٠)، وأبو يعلى (٣٣٨١)، و(٣٤٢٧)، وابن حبان (٥٧٨٨)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٢٩٢)، والبيهقى فى «السنن» (١٠/ ٢٢٨)، والبغوى (٣٤٠٤)، والطبرانى فى «الأوسط» (٨١٦١)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٥٧) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن جعفر، عن ثابت به، وربما يكون الإسناد هكذا، عن معمر وجعفر ولعله الصواب ويدل عليه الطريق الثانى.

الطريق الثانى: عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهرى، عن أنس، أخرجه من هذه الطريق، أبو يعلى (٣٥٥٩)، والبزار (٢٠٩٩)، وابن حبان (٤٥٢١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٢٢)، و«السنن» (١٠/ ٥٢٨)، والبغوى (٣٤٠٥)، وإسناده صحيح وصححه الحافظ فى «الفتح» من الطريقين.

وصححه الشيخ الألبانى رحمه الله فى «صحيح الترمذى» (٢٢٨٣)، و«مختصر الشمائل» (٢١٠)، وصحيح النسائى كتاب المناسك.

وذهب الترمذى إلى أن الذى أنشد بين يدى النبى ﷺ هو كعب بن مالك رضي الله عنه وذلك لأن عمرة القضاء عنده كانت بعد مؤتة، وتعقبه الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٥٧٣) السلفية. فقال: «وهو ذهول شديد وغلط مردود وما أدرى كيف وقع الترمذى فى ذلك مع وفور معرفته ومع أن قصة عمرة القضاء اختصام جعفر وأخيه على وزيد بن حارثة فى بنت حمزة، وجعفر قُتل هو وزيد وابن رواحة فى موطن واحد، وكيف يخفى عليه أعنى الترمذى مثل هذا ثم وجدتُ عن بعضهم أن الذى عند الترمذى من حديث أنس أن ذلك كان فى فتح مكة، فإن كان كذلك اتجه اعتراضه لكن الموجود بخط الكروخى راوى الترمذى ما تقدم، والله أعلم».

(٢) أخرجه البخارى (١٨٣٧)، والنسائى (٥/ ١٩٢)، والبيهقى فى «السنن» (٧/ ٢١٢)، والبغوى (١٩٨١) من طريق: الأوزاعى، عن عطاء عن ابن عباس وأخرجه أحمد (١/ ٢٢١ و ٢٢٨ و ٢٧٠)، =

وعن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجها وهى حلال»[1].

قال الحافظ الذهبى رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هذا الخبر قد تواتر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قول ابن عباس: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج ميمونة وهو محرم ... إلخ»... فمما استدرك عليه، وعُد من وهمه، قال سعيد ابن المسيب: ووهم ابن عباس وإن كانت خالته ما تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بعد ما حل». اهـ.

قلت: وقول سعيد بن المسيب هو فى «صحيح البخارى» فى «كتاب الصيد»، باب تزويج المحرم».

= والبخارى (٥١١٤)، ومسلم (٤٦ و٤٧/ ١٤١٠)، والترمذى (٨٤٤)، والنسائى (٥/ ١٩١)، والدارمى وابن ماجه (١٩٦٥)، والطحاوى (٢/ ٢٦٩)، وابن حبان (٤١٣١)، وأبو يعلى (٢٣٩٣)، والبيهقى (٧/ ٢١٠) من طريق عمرو بن دينار، عن أبى الشعثاء، عن ابن عباس، وأخرجه النسائى (٥/ ١٩١) من طريق حماد بن سلمة، عن حميد، عن مجاهد، عن ابن عباس.

وأخرجه أحمد (١/ ٢٥٢)، والبخارى (١٥٢٤)، و(١٥٣٠)، و(١٨٤٥)،، ومسلم (١١٨١)، والنسائى (٥/ ١٢٣)، والدارمى (١٧٩٢)، والطحاوى (٢/ ١١٧)، والطبرانى (١٠٩١١)، والبيهقى (٥/ ٢٩)، من طريق: عبد الله بن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس، وأخرجه أحمد (١/ ٢٤٥ و٢٨٤) وعبد بن حميد (٥٨٤)، والنسائى (٥/ ١٩١)، والطحاوى (٢/ ٢٦٩)، ، والطبرانى (١١٩١٩) ، وابن حبان (٤١٢٩) ، من طرق : عن عكرمة ، عن ابن عباس. وأخرجه أحمد ١/ ٢٦٦ ، وابن حبان (٤١٣٣) ، والطحاوى ٢/ ٢٦٩ من طريق ابن إسحاق به وحدثنى أبان بن صالح وعبد الله ابن أبى نجيح، عن عطاء بن أبى رباح ومجاهد عن ابن عباس: وأخرجه النسائى فى «الكبرى» (٣٢٠٢)، من طريق ابن إسحاق عن أبان وحده، وعلقه البخارى (٤٢٥٩) عن ابن إسحاق، وأخرجه ابن سعد (٨/ ١٣٥)، والطحاوى (٢/ ٣٦٩) من طريق رباح بن أبى معروف، وأخرجه ابن سعد (٨/ ١٣٥)، والطبرانى فى «الكبير» (١١٣٠٣)، من طريق ليث بن أبى سليم ، وأخرجه ابن سعد ٨/ ١٣٥، والنسائى ٦/ ٨٨ عن ابن جريج. ثلاثتهم عن عطاء به.

وتفرد ابن إسحاق بزيادة: وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب.

(١) أخرجه مسلم (١٤١١)، وأبو داود (١٨٤٣)، والترمذى (٨٤٥)، وابن ماجه (١٩٦٤)، وأحمد (٦/ ٣٣٣)، والبيهقى فى «السنن» (٥/ ٦٦).

ثم قال ابن القيم: «وقد حمل قول ابن عباس أنه تزوجها وهو محرم على أنه تزوجها فى الشهر الحرام لا فى حال الإحرام قالوا: ويقال: أحرم الرجل: إذا عقد الإحرام، وأحرم إذا دخل فى الشهر الحرام وإن كان حلالًا بدليل قول الشاعر:

قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا ورِعًا فلم أر مثله مقتولًا

وإنما قتلوه فى المدينة حلالًا وهو فى الشهر الحرام».اهـ[1].

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ فى «الفتح»: وقد اختلف فى تزويج ميمونة، فالمشهور عن ابن عباس أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجها وهو محرم، وصحَّ نحوه عن عائشة وأبى هريرة، وجاء عن ميمونة نفسها أنه كان حلالًا، وعن أبى رافع مثله، وأنه كان الرسول إليها، واختلف العلماء فى هذه المسألة؛ فالجمهور على المنع لحديث عثمان: «**لا ينكح المحرم ولا ينكح**»[أخرجه مسلم (٤١/ ١٤٠٩)]، وأجابوا عن حديث ميمونة بأنه اختلف فى الواقعة كيف كانت، ولا تقوم بها الحجة، ولأنها تحتمل الخصوصية، فكان الحديث فى النهى عن ذلك أولى بأن يؤخذ به، وقال عطاء وعكرمة وأهل الكوفة: يجوز للمحرم أن يتزوج كما يجوز له أن يشترى الجارية للوطأ، وتُعقب بأنه قياس فى معارضة السنة فلا يعتبر به، وأما تأويلهم حديث عثمان بأن المراد به الوطأ فمتعقب بالتصريح فيه بقوله: «ولا ينكح» بضم أوله، ويقوله فيه: «ولا يخطب»[2]. اهـ.

طلب المشركين من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخروج من مكة:

من حديث البراء بن عازب وقد سبق ذكر جزء منه: «... فلما دخلها أى مكة ومضى الأجل أتوا عليا فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[3].

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٣٧٣، ٣٧٤).

(٢) «الفتح» (٤/ ٦٢)، وانظر: «تنقيح التحقيق» (٢/ ٤٣٧ و ٤٤٠)، و«إرواء الغليل» (٤/ ٢٢٦ - ٢٢٨).

(٣) سبق تخريجه فيما مضى تحت عنوان: ما قاضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريشًا قبل دخول مكة.

خروج ابنة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه خلف النبى صلى الله عليه وسلم من مكة :

ومن حديث البراء السابق: قال: «اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة...» وفيه: «... فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تتبعهم ابنة حمزة، فنادت: يا عم ياعم، فتناولها على رضي الله عنه فأخذ بيدها، وقال لفاطمة رضي الله عنها دونك، فحملتها، فاختصم فيها على وزيد وجعفر فقال علي: أنا أخذتها وهى ابنة عمي، وقال جعفر ابنة عمى وخالتها تحتى، وقال زيد: هى ابنة أخى، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالتها، وقال: «**الخالة بمنزلة الأم**»، وقال لعلى: «**أنت منى وأنا منك**» وقال لجعفر: «**أشبهت خَلقى وخُلقِى**»، وقال لزيد: «**أنت أخونا ومولانا**»[(١)].

فصل فى رسائله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء :

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية: «يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربى والعجمي، ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾[الأنعام:١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ ﴾[هود:١٧] وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾[آل عمران:٢٠] والآيات فى

(١) أخرجه البخارى (٢٥٥٢)، والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٧/ ٤٢)، و«الدلائل» (٤/ ٢٥٨)، وقد خرجته مفصلًا فيما مضى.

هذا كثيرة، كما أن الأحاديث فى هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه، صلوات الله وسلامه عليه، رسول الله إلى الناس كلهم»اهـ.

ثم ساق رَحِمَهُ اللَّهُ جملة من الأحاديث الصحيحة الدالة على عموم رسالته وعالمية دعوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا شك أن مكاتبة الملوك والأمراء خارج جزيرة العرب تعبير عملى عن عالمية الرسالة الإسلامية، مما يوضح خطأ النظرة القائلة بالتدرج فى نظام الدعوة من الأقليمية إلى العالمية، تبعا لاتساع النفوذ السياسى للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن صفة العالمية تقررت والمسلمون مستضعفون بمكة يخافون أن يتخطفهم الناس. والآيات التى سبقت معنا من سورة الأنبياء والأعراف؛ إنما هى آيات نزلت والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مكة لم يهاجر بعد.

ولقد كاتب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملوك والأمراء للمرة الأولى سنة ستٍّ من الهجرة يدعوهم إلى الإسلام والتوحيد والإقرار بنبوته[(١)].

ثم كاتبهم للمرة الثانية من تبوك سنة تسع من الهجرة، يدعوهم إلى الإسلام قبل القتال، ويُخيِّرُهم بين الإسلام أو الجزية أو القتال[(٢)].

(١) انظر فى ذلك: «صحيح البخاري» كتاب بدء الوحى «فتح» ١/ ٣٥-٥٠، وكتاب أعلام النبوة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مات كسرى فلا كسرى بعده، وإذا مات قيصر فلا قيصر بعده**»، وكتاب التفسير باب ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وانظر: صحيح مسلم كتاب المغازي، باب كتاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، وانظر: سنن أبى داود كتاب الأدب وجامع الترمذى كتاب الاستئذان وسنن النسائى كتاب التفسير، ومسند الإمام أحمد (٢١٨٤)، (٢٣٦٩)، (٢٣٧٠)، (٢٣٧١)، (٢٣٧٢)، (٢٧٨١).

(٢) انظر: صحيح البخارى كتاب الجهاد باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب أو يعلمهم الكتاب، وباب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه. ومكاتبة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال. وكتاب الجهاد أيضًا باب: دعاء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وكتاب المغازى باب كتاب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى وقيصر، وانظر: صحيح مسلم كتاب المغازي، باب كتب النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل.

وانظر أيضًا: المسند للإمام أحمد (٢١٨٤)، (٢٣٦٩)، و(٢٣٧٠)، (٢٣٧١)، (٢٣٧٢)، (٢٧٨١).

وبعض الكتب المعنية بالسيرة النبوية للمتأخرين، أدمجت بين خبرى مكاتبة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لملوك الأرض للمرة الأولى سنة ٦ هـ، وللمرة الثانية سنة ٩هـ فى سياق واحد؛ فمنها من نبَّه على ذلك وبيَّنهُ، ومنهم من لم ينبه على ذلك ولم يبيِّنه.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كتب النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كل جَبَّارٍ يدعوهم إلى الله، وسمى منهم كسرى وقيصر والنجاشي، قال: وليس بالنجاشى الذى أسلم»[١].

رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل عظيم الروم:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال: انطلقت فى المدة[٢] التى كانت بينى وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل -يعني: عظيم الروم- قال: وكان دحية الكلبى جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى[٣] فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل قال: هرقل

---

(١) أخرجه مسلم فى الصحيح (٧٥/ ١٧٧٤)، وهذه الرواية تميز بين النجاشى المسلم أصحمة الذى أمَّن الصحابة المهاجرين إلى أرضه فى فجر الدعوة فى العهد المكى فى العام الخامس من البعثة إلى عام خيبر، واستمر وفاؤه وولاؤه لدعوة الإسلام إلى أن مات -رحمه الله ورضى عنه- وأتى الوحى إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بموته، فنعاه النبى إلى المسلمين، وصلى عليه هو والصحابة صلاة الغائب، وكان يكتم إسلامه عن قومه خوفا منهم. انظر: جوامع السيرة (ص٣٠-٣١)، و«الفتح» ٨/ ١٩٠-١٩١ كتاب المناقب، باب موت النجاشي، وكتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازة أربعة، وكتاب المناقب، باب هجرة الحبشة. وراجع ما كتبناه من قبل فى الهجرة إلى الحبشة. ويذكر ابن الأثير فى أسد الغابة، فى ترجمة النجاشى (أصحمة): أن النجاشى لما أسلم أعلن الإسلام دينًا رسميًّا لمملكة الحبشة وقطع الجزية السنوية التى كان يدفعها لقيصر ملك الروم المتنصرة رمزًا للولاء والتبعية الدينية. وانظر ترجمته فى الإصابة (١/ ١١٢)، والسير (١/ ٣٠٦-٣١٨، رقم ٩٤) وفيها جمع الذهبى أخبار النجاشى و«تاريخ الإسلام» له (١/ ١١٠-١١٦). وبين النجاشى الجديد الذى ارتدَّ عن الإسلام وتولى الملك بعد وفاة النجاشى أصحمة، وكاتبه النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أى من تبوك سنة ٩هـ.

(٢) هى المدة التى أبرمت فى الحديبية.

(٣) بصرى هى المعروفة الآن بحوران، وهى منطقة جنوب سورية وجزء من شمال الأردن، وشمال فلسطين، وكانت منطقة ذات قلاع وأعمال قريبة من طرف البرية التى بين الشام والحجاز. وتبعد عن دمشق شرقا مائة كم.

هل هنا أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى؟ فقالوا: نعم. قال: فدعيت فى نفر من قريش فدخلنا على هرقل فاجلسنا بين يديه فقال: أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا فأجلسونى بين يديه وأجلسوا أصحابى خلفى ثم دعا بترجمانه فقال: قل لهم: إنى سائل هذا عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى فإن كذبنى فكذبوه قال أبو سفيان: وايم الله لولا مخافة أن يؤثروا على الكذب لكذبت ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قال: قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم قال: يزيدون أو ينقصون؟ قال: قلت: لا بل يزيدون. قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بينا وبينه سجالًا يصيب منا ونصيب منه. قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا ونحن منه فى هذه المدة لا ندرى ما هو صانع فيها. قال: والله ما أمكننى من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه. قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا. ثم قال: لترجمانه قل له إنى سألتك عن حسبه فيكم فزعمت أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث فى أحساب قومها، وسألتك هل كان فى آبائه ملك فزعمت أن لا فقلت لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم قلت: بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له فزعمت أن لا وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل قاتلتموه فزعمت أنكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالًا ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرسل تبتلى ثم

تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال أحد هذا القول قبله فزعمت أن لا فقلت لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله، قال: ثم قال: بم يأمركم ؟ قال: قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف. قال: إن يك ما تقول فيه حقًّا فإنه نبى؟ وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أك أظنه منكم ولو أنى أعلم أنى أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمى قال ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فان عليك اثم الأريسيين و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ - إلى قوله:- ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا قال: فقلت لأصحابى حين خرجنا: لقد أمر ابن أبى كبشة إنه ليخافه ملك بنى الأصفر فما زلت موقنا بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام .

وكان ابن الناطور صاحب إيليا وهرقل -أسقفًا على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيليا أصبح يومًا خبيث النفس، فقال له بعض بطارقته: لقد أنكرنا هيئتك، فقال ابن الناطور: وكان هرقل رجلًا حزاء ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان، قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة، فقالوا: ليس يختتن غير اليهود فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينا هم على أمرهم ذلك، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبره عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل، قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟، فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، فسأله عن العرب أيختتنون، فقال له: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر،

وكتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق هرقل على خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه نبي.

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال بينهم: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم فتتبعوا هذا النبي؟، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من إيمانهم، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت الذي أحب منكم فسجدوا له، ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل »[1].

رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى الفرس:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحريْن، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه.

قال الراوي: فحسبتُ أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري فى كتاب بدء الوحي، باب حديث أبى سفيان عند هرقل (٧) وانظر أطرافه ثمت، وأخرجه مسلم (٧٤/ ١٧٧٣)، والترمذى (٢٧١٨)، وأبو داود (٥١٣٦)، وأحمد (١/ ٦٣)، وعبد الرزاق (٩٧٢٤). وغيرهم. وقوله: (دعاية الإسلام) أى دعوى الإسلام، وهى كلمة التوحيد وقوله: (الأريسيين): جمع أريسي، وهو منسوب إلى أريس بوزن فعيل، والأريس: الأكّار، أى الفلاح. وقوله: (لقد أخر): أى عَظُم، وقوله: (ابن أبى كبشة) أراد به النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصتْ نسبتْ إلى جد غامضٍ. و(بنى الأصفر): هم الروم وقوله: (خبيث النفس): أى رديء النفس غير طيبها، أي: مهمومًا. و(البطارقة): جمع بطريق بكر أوله: وهم خواص دولة الروم. وقوله: (حزَّاءً): أى كاهنا. وقوله: (دسكرة): بسكون السين، القصر الذى حوله بيوت. وقوله: (حاصوا حيصة حمر الوحش): أى نفروا، وشبَّههم بالوحوش؛ لأن نفرتها أشد من نفرة البهائم الإنسية، وشبَّههم بالحمر دون غيرها من الوحوش المناسبة الجهل وعموم الفطنة بل هم أضل.

«أن يُمزَّقوا كل ممزَّقٍ»[1].

وعن سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى وقيصر والنجاشى كتابًا واحدًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى وقيصر والنجاشى أما بعد: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

فأما كسرى فمزق كتابه، ولم ينظر فيه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مزق ومزقت أمته».

أخرجه أبو عبيد فى «الأموال» (٢٣/ ٥٩) مرسلًا، وأخرج ابن سعد فى الطبقات عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود وسنده مرسل صحيح، وقال الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى تعليقه مع الرواية:

حديث حسن أخرجه ابن جرير (٢/ ٢٦٦-٢٦٧)، عن يزيد بن أبى حبيب مرسلًا وابن سعد فى الطبقات (١/ ق٢صـ ١٤٧) عن عبيد الله بن عبد الله مرسلًا أيضًا وسنده صحيح. ووصله ابن بشران فى «الأمالي» من حديث أبى هريرة بسندٍ واهٍ [فقه السيرة للغزالي- تحقيق الألبانى صـ ٣٨٩].

عن يزيد بن أبى حبيب قال: ثم كتب كسرى إلى باذان وهو على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتيانى به فبعث باذان قهرمانه وهو بابويه وكان كاتبا حاسبا بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس يقال له خرخسرة وكتب معهما إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال لبابويه ائت بلد هذا الرجل وكلمه وأتنى بخبره فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجالا من قريش بنخب من أرض الطائف فسألاهم عنه فقالوا هو

(١) أخرجه البخارى (٤٤٢٤)، وأحمد (١/ ٢٤٣، ٣٠٥).

بالمدينة واستبشروا بهما وفرحوا وقال بعضهم لبعض أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلمه بابويه فقال إن شاهانشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثنى إليك لتنطلق معى فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما ثم أقبل عليهما فقال: «**ويلكما من أمركما بهذا**» قالا أمرنا بهذا ربنا يعنيان كسرى فقال رسول الله: «**لكن ربى قد أمرنى باعفاء لحيتى وقص شاربى**» ثم قال لهما: «**ارجعا حتى تأتيانى غدًا**» وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء «**إن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فى شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل بعدما مضى من الليل سلط عليه ابنه شيرويه فقتله**».

(رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق) عن يزيد بن أبى حبيب فدعاهما فأخبرهما فقالا هل تدرى ما تقول إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا أفنكتب هذا عنك ونخبره الملك قال نعم أخبراه ذلك عنى وقولا له: «**إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهى إلى منتهى الخف والحافر وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء**» ثم أعطى خرخسره منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وإنى لأرى الرجل نبيا كما يقول ولننظرن ما قد قال فلئن كان هذا حقا ما فيه كلام إنه لنبى مرسل وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه أما بعد فإنى قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتجميرهم فى ثغورهم فإذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذى كان كسرى كتب فيه إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى فيه فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إن هذا الرجل لرسول

فأسلم وأسلمت الأبناء معه من فارس من كان منهم باليمن فكانت حمير تقول لخرخسره ذو المعجزة للمنطقة التى أعطاه إياها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمنطقة بلسان حمير المعجزة فبنوه اليوم ينسبون إليها خرخسره ذو المعجزة وقد قال بابويه لباذان ما كلمت رجلا قط أهيب عندى منه فقال له باذان هل معه شرط قال لا»[1].

وعن عبد الرحمن بن عبد القارئ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المقوقس فقبل الكتاب، وأكرم حاطبا، وأحسن نزله، وسرحه إلى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهدى له مع حاطب كسوة، وبغلة بسرجها، وخادمتين، إحداهما أم إبراهيم، وأما الأخرى فوهبها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجهم بن قيس العبدى، فهى أم زكريا بن جهم الذى كان خليفة عمرو بن العاص على مصر»[2].

❁❁❁

(١) أخرجه الطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٦٥٥ فما بعدها)، وابن سعد فى الطبقات (١/ ٢/ ١٤٧)، من حديث عبيد الله بن عبد الله بن مسعود مرسلًا، وأخرجه أيضًا الإمام أبو عبيد فى «الأموال» (٢٣/ ٥٩) مرسلًا. وقال الشيخ الألبانى فى «فقه السنة» فى تعليقه على هذه الآية: حديث حسن أخرجه ابن جرير عن يزيد ابن أبى حبيب مرسلًا وابن سعد فى الطبقات عن عبيد الله بن عبد الله مرسلًا أيضًا وسنده صحيح، ووصلها ابن بشران فى «الأمالي» عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسند واهٍ».

(٢) أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٩٥)، عن ابن إسحاقٍ وإسناده ثقات، فقد صرَّح ابن إسحاق التحديث، وأخرجه البيهقى له شاهدًا من حديث حاطب فى «الدلائل» (٤/ ٢٩٥-٢٩٦)، وقال الحافظ فى الإصابة (١/ ٣٠٠)، فى ترجمة حاطب (١٥٣٨)، أخرجه ابن شاهين من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده، وفى سنده عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم، ضعيف كما فى التقريب، فيرتقى الحديث إلى درجة الحسن.

فَصْلٌ

فى إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما

عن عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: لَمّا انْصرَفْنَا مَعَ الْأَحْزَابِ عَنْ الْخَنْدَقِ جَمَعْتُ رِجَالًا مِنْ قُرَيشٍ ، كَانُوا يرَوْنَ رَأْيى ، وَيَسْمَعُونَ مِنّى ، فَقُلْت لَهُمْ تَعْلَمُونَ وَاَللّهِ أَنّى أَرَى أَمْرَ مُحَمّدٍ يعْلُو الْأُمُورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا ، وَإِنّى قَدْ رَأَيت أَمْرًا ، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ ؟ قَالُوا : وَمَاذَا رَأَيت ؟ قَالَ: رَأَيت أَنْ نَلْحَقَ بِالنّجَاشِى فَنكُونَ عِنْدَهُ فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنّا عِنْدَ النّجَاشِى ، فَإِنّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يدَيهِ أَحَبّ إلَينَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْت يدَى مُحَمّدٍ وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا ، فَلَنْ يأْتِينَا مِنْهُمْ إلّا خَيرٌ قَالُوا : إنّ هَذَا الرّأْى قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وَكَانَ أَحَبّ مَا يهْدَى إلَيهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمَ . فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا ، ثُمّ خَرَجْنَا حَتّى قَدِمْنَا عَلَيهِ . فَوَاَللّهِ إنّا لَعِنْدَهُ إذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيةَ الضّمْرِى ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَعَثَهُ إلَيهِ فِى شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ فَدَخَلَ عَلَيهِ ثُمّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ . قَالَ فَقُلْت لِأَصْحَابِى : هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيةَ الضّمْرِى ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النّجَاشِى وَسَأَلْته إياهُ فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْت عُنُقَهُ فَإِذَا فَعَلْت ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيشٌ أَنّى قَدْ أَجْزَأْت عَنْهَا حِينَ قَتَلْت رَسُولَ مُحَمّدٍ . قَالَ فَدَخَلْت عَلَيهِ فَسَجَدْت لَهُ كَمَا كُنْت أَصْنَعُ فَقَالَ مَرْحَبًا بِصَدِيقِى ، أَهْدَيتَ إلَى مِنْ بِلَادِك شَيئًا ؟ قَالَ قُلْت : نَعَمْ أَيهَا الْمَلِكُ قَدْ أَهْدَيت إلَيك أَدَمًا كَثِيرًا ؛ قَالَ ثُمّ قَرّبْته إلَيهِ فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ ثُمّ قُلْت لَهُ أَيهَا الْمَلِكُ إنّى قَدْ رَأَيتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِك ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوّ لَنَا ، فَأَعْطِنِيهِ لِأَقْتُلَهُ فَإِنّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيارِنَا ؛ قَالَ فَغَضِبَ ثُمّ مَدّ يدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنّهُ قَدْ كَسَرَهُ فَلَوْ انْشَقّتْ لِى الْأَرْضُ لَدَخَلْت فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ ثُمّ قُلْت لَهُ أَيهَا الْمَلِكُ وَاَللّهِ لَوْ ظَنَنْت أَنّك تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ قَالَ أَتَسْأَلُنِى أَنْ أُعْطِيك رَسُولَ رَجُلٍ يأْتِيهِ النّامُوسُ الْأَكْبَرُ الّذِى كَانَ يأْتِى مُوسَى لِتَقْتُلَهُ قَالَ قُلْت : أَيهَا الْمَلِكُ أَكَذَاك هُوَ ؟

قَالَ وَيحَكَ يا عَمْرُو أَطِعْنِى وَاتّبِعْهُ فَإِنّهُ وَاَللّهِ لَعَلَى الْحَقّ وَلَيظْهَرَنّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ قَالَ قُلْت : أَفَتُبَايِعُنِى لَهُ عَلَى الإِسْلَامِ ؟ قَالَ نَعَمْ فَبَسَطَ يدَهُ فَبَايعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ثُمّ خَرَجْت إلَى أَصْحَابِى وَقَدْ حَالَ رَأْيِى عَمّا كَانَ عَلَيهِ وَكَتَمْتُ أَصْحَابِى إسْلَامِى .

ثُمّ خَرَجْت عَامِدًا إلَى رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُسْلِمَ فَلَقِيتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَذَلِكَ قُبَيلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكّةَ ، فَقُلْت : أَينَ يا أَبَا سُلَيمَانَ؟ قَالَ وَاَللّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَنْسِمُ وَإِنّ الرّجُلَ لَنَبِى ، أَذْهَبُ وَاَللّهِ فَأُسْلِمَ فَحَتّى مَتَى ؛ قَالَ قُلْت : وَاَللّهِ مَا جِئْتُ إلّا لِأُسْلِمَ . قَالَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَقَدّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايعَ ثُمّ دَنَوْتُ فَقُلْت : يا رَسُولَ اللّهِ إنّى أُبَايعُك عَلَى أَنْ يغْفَرَ لِى مَا تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِى ، وَلَا أَذْكُرُ مَا تَأَخّرَ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا عَمْرُو ، بَايعْ فَإِنّ الْإِسْلَامَ يجُبّ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَإِنّ الْهِجْرَةَ تَجُبّ مَا كَانَ قَبْلَهَا قَالَ فَبَايعْته، ثم انصرفت.

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَقد حَدّثَنِى مَنْ لَا أَتّهِمُ أَنّ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِى طَلْحَةَ ، كَانَ مَعَهُمَا أسلم ، حِينَ أَسْلَمَا(١) .

---

(١) أخرجه البخارى فى «تاريخه» (٢/ ٣١٢)، وأحمد (١٧٧٧٧)، وابن عبد الحكم فى «فتوح مصر» (ص ٢٥٢ و ٢٥٣)، والطحاوى «شرح المشكل» (٥٠٧)، وابن أبى أسامة فى «مسنده (١٠٢٩)، والحاكم (٣/ ٢٩١ - ٢٩٨ - ٤٥٤) والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٤٦) وفى «السنن» (٩/ ١٢٣) من طرق عن ابن إسحاق قال: حدثنى يزيد بن أبى حبيب، عن راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى، عن حبيب ابن أبى أوس وابن عبد الحكم فى «فتوح مصر» (ص ٢٥١) من طريق: الليث بن سعد، عن يزيد بن أبى حبيب عن ابن شماسة عن عمرو به مختصرًا وإسناده صحيح وللمرفوع طريق أخرى أخرجه أحمد (١٧٨١٣) وابن عبد الحكم فى «فتوح مصر» (ص ٢٥٢) من طريق ابن لهيعة حدثنا يزيد، أخبرنا سويد ابن قيس، عن قيس بن شفى عن عمرو به، وإسناده فيه ضعف لأجل ابن لهيعة وحديث الباب حسنه الشيخ الألبانى فى «الإرواء» (٥/ ١٢٢)، وقوله: (الأدم): الجلد، وقوله: (استقام المنسم): أى الطريق.

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فلما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدى، قال: **«ما لك يا عمرو؟»** قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: **«تشترط بماذا؟»** قلت: أن يغفر لى، قال: **«أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟»**(١).



(١) أخرجه مسلم (١٩٢/ ١٢١) من طريق: يزيد بن أبى حبيب، عن ابن شماسة المهرى، عن عمرو بن العاص به فى حديث طويل، وأخرجه أبو عوانة (١/ ٧٠).

فَصْلٌ

فى غزوة مؤتة[١]

وقتها: كانت فى جمادى الأولى سنة ثمان، وهذا قول الجماهير من أهل السير والمغازى، ولم يختلف على هذا أحد، إلا ما ورد عن خليفة بن خياط فى «تاريخه» أنها كانت سنة سبع.

والصواب ما عليه الجماهير وأئمة هذا الفن[٢]:

سببها:

قال ابن القيم: «وكان سببها: أن رسول الله ﷺ بعث الحارث ابن عمير الأزدى أحد بنى لهب بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بصرى فعرض له شرحبيل ابن عمرو الغسَّانى، فأوثقه رباطًا ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يُقْتَل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر، فبعث البعوث واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: «**إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة**»[٣].

قلت: انفرد الواقدى بذكر هذا السبب المباشر لهذه الغزوة والواقدى متروك، كما ذكر علماء الجرح والتعديل منهم الأجلة: ابن المبارك وأحمد والبخارى وأبو زرعة،

---

(١) قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٥٨٣): «مؤتة: بضم الميم وسكون الواو بغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد، ومنهم من همزها، وبه جزم ثعلب والجوهرى وابن فارس، وحكى صاحب «الواعى» الوجهين، قال ابن إسحاق: هى بالقرب من البلقاء، وقال غيره: هى على مرحلتين من بيت المقدس». اهـ.

(٢) انظر فى ذلك: «الفتح» (٧/ ٥٨٣) و«السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٢٣٧)، و«زاد المعاد» (٣/ ٣٨١).

(٣) «زاد المعاد» (٣/ ٣٨١)، وانظر: «الفصول» (ص ٢٠١)، والحديث أخرجه البخارى من حديث ابن عمر (٤٢٦١) وأخرجه أحمد فى «المسند» (١/ ٢٠٤) بأطول منه وسيأتى.

وأبو حاتم وغيرهم كما فى «تهذيب التهذيب» وقال عنه الحافظ فى الفتح: لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف».

تعيين القادة على جيش مؤتة

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أمّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة**» قال عبد الله: كنت فيهم فى تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى، ووجدنا فى جسده بضّعا وتسعين من طعنة ورمية»[1].

خروج المسلمين إلى القتال ووداع أهل المدينة لهم، وبعض أحداث المعركة:

عن عروة بن الزبير قال: «بعث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثًا إلى مؤتة فى جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة فقال لهم: «**إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس**»،

---

(١) أخرجه البخارى فى «غزوة مؤتة» قال: «**إن قتل جعفر**» وفى الباب عن عبد الله بن جعفر نحوه مطولًا، أخرجه أحمد (١/ ٢٠٤) وإسناده صحيح، وأخرجه ابن سعد (٤/ ٣٦ - ٣٧) والنسائى فى «الكبرى» (٨٦٠٤)، من هذا الطريق، وأخرجه أبو داود (٤١٩٢)، والنسائى (٨/ ١٨٢)، وفى «الكبرى» (٩٢٩٥) وفى الباب، أيضًا: حديث أبى قتادة وفيه الحديث عن الأمراء الثلاثة، وإمرة خالد، والدعاء له، وتلقيبه بسيف الله إلخ... أخرجه أحمد (٥/ ٢٩٩ - ٣٠٠) وابن سعد (٣/ ٤٦) والدارمى (٣٢٤٤٨) والنسائى فى «الكبرى» (٨١٥٩ و٨٢٨٢) والطحاوى فى «مشكل» (٥١٧٠) وابن حبان (٧٠٤٨) والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٦٧)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٨٨١٢)، وغيرهم من طرق: عن الأسود بن شيبان، عن خالد بن سمير، عن أبى قتادة وإسناده صحيح.
وفى الباب أيضًا: حديث أنس بن مالك أخرجه البخارى (٤٢٦٢)، وأحمد (٣/ ١١٣).
وفى الباب أيضًا: حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخرجه الترمذى (١٦٤٩)، والطيالسى (٢٨٨٢)، وابن أبى شيبة (١٨٨١١)، وأحمد (١/ ٢٥٦)، وعبد بن حميد (١/ ٥٥٨/ ٦٥٣)، منتخب، وعبد الله بن أحمد فى «زوائد المسند» (١/ ٢٥٦)، وأبو يعلى فى «المسند» (٢٥٠٦)، وغيرهم من طريق الحجاج بن أرطأة، عن الحكم، عن مقسم الضبي، عن ابن عباس به، وهذا سند حسن فى الشواهد.

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع بكى فقيل له: ما يبكيك يا ابن رواحة فقال: والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة إليها ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود، قال لهم المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين، فقال عبد الله بن رواحة.

لكنني أسأل الرحمن مغفرة　　وضربة ذات فَرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدى حران مجهزة　　بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثى　　أرشده الله من غاز وقد رشدا

ثم إن القوم تهيأوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ يودعه فقال:

يثبت الله ما أتاك من حسن　　تثبيت موسى ونصرًا كالذى نصروا

إنى تفرست فيك الخير نافلة　　فراسة خالفتهم فى الذى نظروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله　　والوجه منه فقد أزرى به القدر

ثم خرج القوم وخرج رسول الله ﷺ يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرئ ودعته　　فى النخل غير مودع وكليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم، وقد اجتمعت إليهم المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهرام وبلى فى مائة ألف، عليهم رجل يلى أخذ رايتهم يقال له مالك بن زافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا بمعان ليلتين ينظرون فى أمرهم، وقالوا: نكتب إلى

رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له، فشجع عبد الله بن رواحة الناس وقال: يا قوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة إنما نقاتلهم بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة قال وليست بشر المنزلين، قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فانشمروا الناس وهم ثلاثة آلاف حتى لقوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء يقال لها: شراف ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة قرية فوق أحساء.

قال ابن إسحاق: كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد ابن أرقم قال: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة فى حجره فخرج فى سفرته تلك مردفى على حقيبة راحلته، ووالله إنا لنسير ليلة إذ سمعته يتمثل ببيته هذا:

إذا أدنيتنى وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء

فلما سمعته منه بكيت فخفقنى بالدرة وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقنى الله الشهادة وترجع من شعبتى الرحل ومضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية قال لها: مؤتة، فالتقى الناس عندها، وتعبأ المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلًا من بنى عذرة يقال له: قطبة بن قتادة وعلى مسيرتهم رجلًا من الأنصار يقال له عباية بن مالك ثم التقى الناس، واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط فى رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها فقاتل القوم حتى قتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام[1].

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الطبرى فى «التاريخ» (٣/ ٣٩)، والطبرانى فى «الكبير» (١٤٦٢)، وأبو داود (٢٥٨٣)، والحاكم (٣/ ٢٠٩)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١١٨)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٦٣)، وحسن إسناده الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٥٨٤)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٠٧ - ١٠٩)، «رواه الطبراني

قتال جعفر بن أبى طالب وعقره ناقته واستشهاده:

قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: «حدثنى أبى الذى أرضعنى، وكان أحد بنى مرة بن عوف، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة، قال: والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم من فرس له شقراء، ثم عقرها ثم قاتل حتى قُتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردًا شرابها

والروم روم قددنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

على إذ لاقيتها ضرابها[(١)]

قتال عبد الله بن رواحة وإنشاده واستشهاده:

بنفس الإسناد السابق: «فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه وتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفسى لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه

مالى أراك تكرهين الجنة إن أجلب الناس وشدوا الرنة

لطالما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة فى شنة

وقال أيضًا:

يا نفس إلا تقتلى تموتى هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيتى إن تفعلى فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

= ورجاله ثقات إلى عروة»، وقوله: «نزلوا معان»: وهى بالفتح وآخرها نون، وقيل بالضم، وهى مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء، وقوله: «تخوم البلقاء»: أرض بالشام فى جند الأردن.

(١) انظر السابق، وحسنه الشيخ الإمام - رحمه الله - فى «صحيح أبى داود» (٢٢٤٣)، والحافظ فى «الفتح» وأخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١١٨) وقال الهيثمى: رواه الطبرى ورجاله ثقات.

ثم نزل فلما نزل آتاه ابن عم له بعظم من لحم فقال: اشدد بهذا صلبك فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما قد لقيت، فأخذه من يده فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة فى ناحية الناس فقال: وأنت فى الدنيا، ثم ألقاه من يده ثم أخذ بسيفه فقاتل حتى قتل، فأخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى عجلان وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت؟ قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز حتى انصرف[1].

النبى ﷺ ينعى الأمراء للناس قبل مجيئهم الخبر:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم: فقال: «**أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تزرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**»[2].

تولى خالد بن الوليد القيادة وشدة بأسه:

عن عروة بن الزبير: «... ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية، دافع القوم وحاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس»[3].

عن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقد انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى فى يدى إلا صفيحة يمانية»[4].

ومن حديث أبى قتادة وقد سبق مرارًا: ...«ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣/ ٣٩)، عن ابن إسحاق بالإسناد السابق، وإسناده حسن كما سبق.

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٦٢) وأحمد (٣/ ١١٣)، وفى الباب من حديث عبد الله بن جعفر، وحديث أبى قتادة وقد سبق تخريجهم، والكلام عليهم فى رقم (٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخارى (٤٢٦٥ و ٤٢٦٦)، وأحمد فى «فضائل الصحابة» (١٤٧٥)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٧٣)، والطبرانى فى «الكبير» (٣٨٠٢) وابن سعد (٤/ ٢٥٣) و(٧/ ٣٩٥)، والحاكم (٣/ ٤٢).

من الأمراء هو أمر نفسه» فرفع رسول الله ﷺ إصبعيه، وقال: «**اللهم هو سيف من سيوفك فانصره**» وقال عبد الرحمن بن مهدى مرة: «**فانتصر به**».

فيومئذ سمى خالد سيف الله، ثم قال النبى ﷺ: «**انفروا فأمدوا إخوانكم، ولا يتخلفن أحدًا**» فنفر الناس فى حر شديد مشاة وركبانًا[١].

نصر المسلمين مع قلة عددهم وعتادهم:

عن أنس رضي الله عنه: «أن النبى ﷺ نعى زيدًا وجعفر وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم... ثم قال: «**حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم**»[٢].

والشاهد هنا: قوله ﷺ: «**حتى فتح الله عليهم**»، وفيه دلالة على أن النصر كان حليفًا للمسلمين حينما تولى خالد القيادة، وتسلم الراية.

وعن عوف بن مالك الأشجعى رضي الله عنه قال: «خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين فى غزوة مؤتة، ووافقنى مددى من اليمن ليس معه غير سيفه، فنحر رجل من المسلمين جزورًا، فسأله المددى طابقة من جلده، فأعطاه إياه فاتخذه كهيئة الدرقة، ومضينا، فلقينا جموع الروم، وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب، فجعل الرومى يغرى بالمسلمين، وقعد له المددى خلف صخرة، فمر به الرومى، فعرقب فرسه فخر وعلاه فقتله، وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه السلب، قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى ولكنى استكثرته فقلت: لتردَّنه إليه، ولأعرَّفنكها عند رسول الله ﷺ فأبى أن يرد عليه.

قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة المددى، وما فعل خالد، فقال رسول الله ﷺ: «**يا خالد رُدَّ عليه ما أخذت منه**» قال

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه وجاء أيضًا من حديث عبد الله بن جعفر وقد ذكرناه فى أحاديث الباب.

عوف: فقلت: دونك يا خالد ألم أف لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك؟**» فأخبرته، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «**يا خالد لا ترد عليه، هل أنتم تاركوا أمرائى؟ لكم صفوة أمرهم، وعليهم كدره**»[1].

وموطن الشاهد فى هذا الحديث أن جيش المسلمين قد غنم من الروم غنائم عدة، وكان هذا السلب من بينها، ولا يغنم جيش من آخر إلا إذا كان منتصرًا، والله أعلم[2].

قال الحافظ ابن كثير: «ومع كثرة هذا العدو، وقلة عدد المسلمين بالنسبة إليهم، لم يقتل من المسلمين خلق كثير على ما ذكره أهل السير؛ فإنهم لم يذكروا فيما سموا إلا نحو العشرة»[3] .اهـ.

قلت: ذكر ابن هشام أسماء من استشهدوا يوم مؤتة.

قال ابن هشام: «فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه: أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ففتح الله عليهم»[4].



(١) أخرجه مسلم (٤٣/ ١٧٥٣) وأبو داود (٢٧١٩و ٢٧٢٠)، وأحمد فى «المسند» (٦/ ٢٦، ٢٧، ٢٨).

(٢) «صحيح السيرة» إبراهيم العلى ص (٥٠٣).

(٣) «الفصول» (ص ٢٠٥).

(٤) على أن هناك من أصحاب السير والمغازى من ذهب إلى أن استشهاد الأمراء الثلاثة يعدُّ هزيمة للمسلمين وإلى هذا القول ذهب ابن سعد (٢/ ١٣٠) وذكر بعضهم معللًا ذلك بإنفاذ بعث أسامة رضي الله عنه

فضيلة القادة الشهداء

زيد بن حارثة رضي الله عنه:

عن بريد رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**دخلت الجنة فاستقبلتنى جارية شابة، فقلت: لمن أنت؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة**»[(١)].

جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه:

عن عامر الشعبى، قال: «كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: «**السلام عليك يا ابن ذى الجناحين**»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**رأيت جعفر بن أبى طالب ملكًا فى الجنة مضرجة قوادمه بالدماء يطير فى الجنة**»[(٣)].

---

(١) حسن الذهبى إسناده فى «السير» (٢/ ٩٠) و (٣/ ١٤٥) ط. دار الحديث، ونسبه إلى الرويانى فى «مسنده» وقال: رواه حماد بن سلمة عن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد، يرفعه، وذكره المتقى الهندى فى «كنز العمال» (٣٣٢٩٩ و ٣٣٣٠٢) ونسبه - أيضًا - إلى الرويانى، والضياء فى «المختارة» وابن عساكر فى «تاريخه» وصححه الشيخ العلامة الألبانى فى «الصحيحة» (١٨٥٩).

(٢) أخرجه البخارى (٣٧٠٩)، و(٤٢٦٤)، وأحمد فى «الفضائل» (١٦٨٤)، والطبرانى فى «الكبير» (٢/ ١٠٨)، (٣٧٠٩).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٩)، وفى طريق آخر عنه: «أن جعفر يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه» قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٩٦) «إسناده جيد» وله شاهد من حديث أبى هريرة: من طريق: حماد بن سلمة، عن عبد الله بن المختار، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة - مرفوعًا: «**مر بى جعفر الليلة فى ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم، أبيض القوادم**» أخرجه الحاكم (٣/ ٢١٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى وأخرجه أيضًا الترمذى (٣٧٦٧)، ورواه ابن سعد (٤/ ٣٩)، عن ابن المختار منقطعًا قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٩٦)، «وفى إسناده ضعف» قلت: فيه: عبد الله بن جعفر المدينى، وهو ضعيف وصححه الحاكم على شرط الشيخين، وهذا من أوهامه رحمه الله. وللحديث طريق أخرى: عند الترمذى والحاكم وهند عند الحاكم على شرط مسلم قال عنه الحافظ: «قوى إسناده على شرط مسلم» وله شاهد أيضًا من حديث على مرفوعًا: «**أن لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة مع الملائكة**» وأخرجه ابن سعد (٤/ ٣٩)، بإسناد حسن.

قال الحافظ رحمه الله فى «الفتح» (٧/ ٩٦): «وقد ادعى السهيلى أن الذى يتبادر من ذكر الجناحين والطيران أنها كجناحى الطائر لها ريش، وليس كذلك».

فضيلة عبد الله بن رواحة مع صاحبيه رضي الله عنهم:

عن أبى أمامة الباهلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«بينما أنا نائم إذا أتانى رجلان، فأخذا بضبعى، فأتيا بى جبلًا وعرًا، فقالا: اصعد، فقلت: لا أطيقه فقالا: أنا سنسهله لك، قال: فصعدت حتى إذا كنت فى سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة، فقلت: ما هؤلاء الأصوات؟ فقالا: عواء أهل النار ثم انطلقا بى، فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، فقلت: ما هؤلاء؟ فقالا: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم. فقال: خابت اليهود والنصارى»** قال سليم: «يعنى ابن عامر الراوى عن أبى أمامة» ما أدرى أسمعه أبو أمامة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم شيء من رأيه.

«ثم انطلقا بى، فإذا قوم أشد شيء انتفاخًا، وأنتن شيء ريحًا كأن ريحهم المراحيض، قلت: من هؤلاء؟ قالا: هؤلاء قتلى الكفار، ثم انطلقا بى، فإذا بقوم أشد انتفاخًا وأنتن شيئًا ريحًا كأن ريحهم المراحيض، قلت: من هؤلاء؟ قالا: هؤلاء الزانون والزواني. ثم انطلقا بى ، فإذا بنساء ينهشن ثُديهن الحيات، فقلت: ما بال هؤلاء؟ قالا : قالا: هؤلاء اللاتى يمنعن أولادهن ألبانهن، ثم انطلقا بى، فإذا بغلمان يلعبون بين بحرين قلت: من هؤلاء؟ قالا: هؤلاء ذرارى المؤمنين. ثم أشرفا بى شرفًا، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت: من هؤلاء؟ قالا: جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، ثم أشرفا شرفًا آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة، فقلت من هؤلاء؟ قالا: هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك»[1].

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه الطبرانى (٧٦٦٦ و ٧٦٦٧) والنسائى فى «الكبرى» (٣٢٨٦)، وابن خزيمة (١٩٨٦) وأخرجه الحاكم مختصرًا (١/ ٤٣٠)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٢١٦)، وابن حبان (١٨٠٠)، والهيثمى فى «المجمع» (١/ ٧٦ - ٧٧) وقال: «رواه الطبرانى فى «الكبير» ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه أبو زرعة الرازى فى كتاب: «دلائل النبوة» بإسنادين عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: سمعت سليم ابن عامر يقول: أخبرنى أبو أمامة الباهلى، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: قلت: وأحد الإسنادين رجاله ثقات، بل وإسناده صحيح» وعزاه السيوطى للضياء في

جيش المسلمين يوم مؤتة ليسوا بالفرار؛ والخبر لا يصح:

عن عروة بن الزبير قال: بعد عودة جيش المسلمين لما دنوا من حول المدينة: «جعل الناس يحثُّون على الجيش التراب ويقولون: «يا فُرار، فررتم فى سبيل الله!»، قال: فيقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى**»[1].

رعاية النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لآل جعفر:

عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وذكر فيه بعث رسول الله للأمراء الثلاثة، ونعيه لهم ثم قال: «**ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ففتح الله عليه**» فأمهل ثم أمهل آل جعفر ثلاثًا أن يأتيهم، ثم آتاهم فقال: «**لا تبكوا على أخى بعد اليوم، ادعوا إلى بنى أخى**» قال: فجىء بنا كأنا أفرخ، فقال: «**ادعوا إلىَّ الحلاق**» فجىء بالحلاق، فحلق رءوسنا ثم قال: «**أما محمد فشبيه عمنا أبى طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقى**

= «المختارة» وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه وقد احتج البخارى بجميع رواته غير سليم بن عامر، وقد احتج به مسلم ووافق الذهبى الحاكم على تصحيحه.

(١) مرسل: أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٧٤) من طريق: ابن إسحاق، وأخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٣/ ٢٤٤ - ابن هشام) قال: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير فذكره، وأخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ١٢٩)، والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ١٥٢) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى «البداية والنهاية» (٤/ ٢٤٨): «وهذا مرسل من هذا الوجه» وفيه غرابة، وعندى أن ابن إسحاق قد وهم فى هذا السياق فظن أن هذا الجمهور الجيش، وإنما كان للذين فروا حين التقى الجمعان، وأما بقيتهم فلم يفروا بل نُصروا، كما أخبر بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين وهو على المنبر فى قوله: «**ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه**»، فما كان المسلمون ليسمونهم فرارًا بعد ذلك، وإنما تلقوهم إكرامًا وإعظامًا، وأورده فى موضع (٤/ ٢٥٣)، وقال: «هذا مرسل».

وقال الشيخ العلامة المحدث الألبانى - رحمه الله - فى «دفاع الحديث النبوى والسيرة» (ص ٣١): فهذا منكر؛ بل باطل، ظاهر البطلان - إذ كيف يعقل أن يقابل الجيش المنتصر مع قلة عدده وعُدده، على جيش الروم المتفوق عليهم فى هذا العدد والعُدد أضعافًا مضاعفة، كيف يعقل أن يقابل هؤلاء من الناس المؤمنين بحثو التراب». اهـ. قلت: ولذا جعلته فى قسم الضعيف: «ضعيف السيرة النبوية».

وخلقى» ثم أخذ بيدى فأشالها رفعها فقال: «**اللهم اخلف جعفرًا فى أهله، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينة**» قالها ثلاثًا، قال: فجاءت أمنا تفرح له.

فقال: «**العيلة تخافين عليهم؛ وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة؟!**»[1].

نهيه ﷺ عن النياحة وحزنه على جعفر:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما جاء قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة رضي الله عنهم جلس رسول الله ﷺ يعرف فيه الحزن، قالت عائشة: وأنا أطلع من صائر الباب، تعنى من شق الباب فأتاه رجل فقال: أى رسول الله، إن نساء جعفر وذكر بكاءهن فأمره أن ينهاهن. قالت: فذهب الرجل، ثم أتى فقال: قد نهيتهن، وذكر أنه لم يطعنه، قالت: فأمر أيضًا. فذهب، ثم أتى فقال: والله لقد غلبننا، فزعمت أن رسول الله ﷺ قال: «**فاحث فى أفواههن من التراب**»، قالت عائشة: فقلت: أرغم الله أنفك، فوالله ما أنت تفعل، وما تركت رسول الله ﷺ من العناء[2].

أمر النبى ﷺ أن يُصنَع طعام لآل جعفر:

عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما جاء نعى جعفر قُتل قال النبى ﷺ: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقال آتاهم أمر يشغلهم**» أو «**آتاهم ما يشغلهم**»[3].

---

(١) أخرجه النسائى فى «الكبرى» (٨٥٥٠)، و(٨٦٠٤)، و (٩٢٩٥)، وفى «المجتبى» (٨/ ١٨٢)، مطولًا ومختصرًا، وأخرجه أحمد (١/ ٢٠٤)، وابن سعد(٤/ ٣٦، ٣٧) وأبو داود (٤١٩٢)، والطحاوى فى «المشكل» (٥١٦٩)، والضياء فى «المختارة» (٩/ ١٦١ - ١٦٢)، بسند صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه البخارى (١٢٩٩ و ١٣٠٥ و ٤٢٦٣) ومسلم (٩٣٥) وأبو داود (٣١٢٢)، والنسائى (٤/ ١٤)، وفى الكبرى (١٩٧٤)، وأحمد (٦/ ٥٩)، وابن حبان (٣١٤٧)، و(٣١٥٥)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٥٩)، من طريق: يحيى بن سعيد، عن عمر، عن عائشة به، وأخرجه أحمد (٦/ ٢٧٦ - ٢٧٧)، وابن سعد (٤/ ٤٠)، وابن أبى شيبة (٣/ ٣٩٢)، والحاكم (٣/ ٢٠٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٧٢)، من طريق ابن إسحاق به وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٤٧١) مختصرًا.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٠٥)، والشافعى فى «الأم» (١/ ٢٤٧) وعبد الرزاق (٦٦٦٥)، والحميدى (٥٣٧)، وأبو داود (٣١٣٢)، والترمذى (٩٩٨)، وابن ماجه (١٦١٠)، والطبرانى =

عن أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد عجنت عجينى، وغسلتُ بنى ودهنتهم ونظفتهم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ائتنى ببنى جعفر**» فأتيته بهم فشمهم فدمعت عيناه، فقلت: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأبى أنت وأمى، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه؟ فقال: «**نعم، أصيبوا هذا اليوم**» فقمت أصيح، واجتمع النساء فرجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهله فقال: «**لا تغفلوا آل جعفر أن تصنعوا لهم طعامًا، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم**»[1].



= (١٤٧٢)، وأبو يعلى (٦٨٠١)، والحاكم (١/ ٣٧٢)، والبيهقى (٤/ ٦١)، والبغوى (١٥٥٢)، من طريق: سفيان بن عيينة، عن جعفر بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر به. وإسناده قوى، وحسنه الشيخ الألبانى - رحمه الله - فى «أحكام الجنائز» (ص ٢١١).

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦١١)، و(أحمد ٣/ ٣٧٠) (٢٧١٣١)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ١٤٣) جميعًا من حديث أسماء بنت عميس وفيه ابن إسحاق وقد صرَّح فيه بالتحديث والسماع، والحديث إسناده حسن، وحسنه الألبانى فى «صحيح سنن ابن ماجه» وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٦١) «رواه أحمد وفيه امرأتان لم أجد من وثقهما ولا جرحهما وبقية رجاله ثقات».اهـ.

فَصْلٌ

فى غزوة ذات السلاسل[١]

وقتها: ذهب الجمهور إلى أنها كانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة، وذكر ابن عساكر اتفاق أهل العلم على ذلك، إلا ابن إسحاق فقد شذ وقال: إنها قبلها.

سبب تسميتها: وسميت ذات السلاسل: لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا وقيل لأن بها ماء يقال له: السلسل.

وقال ابن إسحاق عن يزيد عن عروة: «هى بلاد بلى وعذرة وبنى القين» وهذه القبائل التى ذكرها.

فالثلاثة بطون من قضاعة، أما بلى، بفتح الموحدة وكسر اللام الخفيفة بعدها ياء النسب، فهى قبيلة كبيرة ينسبون إلى بلى بن عمر بن الحاف بن قضاعة، وأما عذرة فبضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة، فهى قبيلة كبيرة ينسبون إلى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وأما بنو القين: فقبيلة كبيرة أيضًا ينسبون إلى القين بن جسر[٢].

سببها: ذكر ابن سعد أن جمعًا من قضاعة تجمعوا وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة، فدعا النبى ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض، وبعثه فى ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار.

وذكر ابن إسحاق أن أم عمرو بن العاص كانت من بلى فبعث النبى ﷺ عمرًا يستنفر الناس إلى الإسلام، ويستألفهم بذلك»[٣].

---

(١) ذات السلاسل: بضم السين الأولى وفتحها لغتان، وهى وراء وادى القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، انظر «الطبقات» لابن سعد، و«الفتح» (٧/ ٦٧٤).

(٢) «الفتح» ٧/ ٦٧٤، وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٨٦)..

(٣) «الفتح» (٧/ ٦٧٤)، و«السيرة النبوية» (٤/ ٤٨١).

إمرة عمرو بن العاص على هذه الغزوة وفيها الشيخان أبو بكر وعمر:

عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بعث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتنى**»، فأتيته، وهو يتوضأ، فصعد فى النظر، ثم طأطأ فقال: «**إنى أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة**»، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكنى أسلمت رغبة فى الإسلام، وأن أكون مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح**»[1].

حرص عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على سلامة قواته:

عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه فى ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا نارًا فمنعهم، فكلموا أبا بكر، فكلمه فى ذلك، فقال: لا يوقد أحد منهم نارًا إلا قذفته فيها، قال: فلقوا العدو فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم.

فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسأله فقال: كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا نارًا فيرى عدوهم قلتهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد، فحمد أمره فقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**» قلت: من الرجال: قال: «**أبوها**»: قلت: ثم من؟ قال: «**عمر**» فعد رجالًا، فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٩٧ و ٢٠٢)، وأخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ١٧ - ١٨)، وعنه أبو يعلى (٧٣٣٦)، وابن حبان (٣٢١٠و ٣٢١١ - إحسان) والطحاوى فى «المشكل» (٦٠٥٦ و ٦٠٥٧)، والحاكم (٢/ ٢ و ٢٣٦)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (٢٩٩)، والطبرانى فى «الأوسط» (٣٢١٣)، وابن عبد الحكم فى «فتوح مصر» (ص ٢٥٠)، والقضاعى فى «مسند الشهاب» (١٣١٥)، والبغوى (٢٤٩٥)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى، وهو كما قالا، بإسناد صحيح وقال الهيثمى فى «المجمع»: (٨/ ٣٥٢)، رواه أحمد والطبرانى فى «الكبير» و «الأوسط» وأبو يعلى، ورجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الترمذى (٣٨٨٦)، وابن حبان (٤٥٢٣ - إحسان)، وأخرجه البخارى (٣٦٦٢)، و(٤٣٥٨)، =

قال ابن إسحاق: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى، عن غزوة ذات السلاسل من أرض بلى وعُذرة، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ليستنفر العرب إلى الإسلام وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلى فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم بذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جُزَام يقال لها السلاسل، وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، وبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبى عبيدة حين وجهه: «**لا تَخْتلفا**» فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه، قال له عمرو: إنما جئت مددًا إلى، فقال أبو عبيدة، لا، ولكن على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عبيدة رجلًا لينًا سهلًا هينًا عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مدد لى، فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تختلفا**» وإنك إن عصيتنى أطعتك، فقال له عمرو: فإنى أمير عليك، وإنما أنت مدد لى، قال: فدونك، فصلى عمرو بالناس[(١)].

من فقه عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «احتلمت فى ليلة باردة فى غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابى الصبح، فذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: «**يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟**» فأخبرته بالذى منعنى

= مختصرًا، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذى (٣٨٨٥) وأحمد فى «الفضائل» (١٦٣٧)، وفى «المسند» (٤/ ٢٠٣)، والحاكم (٣/ ٤٢ - ٤٣)، والبيهقى فى «السنن» (١٠/ ٢٣٣)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى.

(١) إسناده حسن مرسل: ذكره ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ٩٩)، وابن هشام فى «السيرة» (٢/ ٤٢٢)، والذهبى فى «تاريخه» (١/ ٤٦٣)، وابن جرير فى «التاريخ» (٣/ ٣٢)، من طريق ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر به مرسلًا، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٠٨)، : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى، ورواه أيضًا من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة به مرسلًا وأخرجه أيضًا من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة مرسلًا وأمر الغزوة ثابت فى الصحيحين - كما سبق معنا، وذكره الحافظ ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٦٧٤).

من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٣٠]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا».

وفى لفظ آخر: عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص: «أن عمرًا كان على سرية فأصابهم برد شديد لم يروا مثله، فخرج لصلاة الصبح، فقال: احتلمت البارحة، ولكنى والله ما رأيت بردًا مثل هذا، فغسل مغابنه، وتوضأ للصلاة، ثم صلى بهم، فلما قدم على رسول الله ﷺ سأل رسول الله ﷺ أصحابه «**كيف وجدتم عمرًا وصحابته؟**» فأثنوا عليه خيرًا، وقالوا: يا رسول الله صلى بنا وهو جنب، فأرسل إلى عمرو فسأله: فأخبره بذلك وبالذى لقى من البرد، وقال: إن الله قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩]، ولو اغتسلت مت، فضحك رسول الله ﷺ»[1].

والذى يستوقفنا فى السيرة: تلك السرعة فى أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادرًا على فقه الأمور من خلال الآيات ولم يمض على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه فى دين الله[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٣، ٢٠٤)، وابن أبى حاتم فى «التفسير» (٣/ ٥١٨٧)، من طريق: معاذ بن فضالة ثنا ابن لهيعة مختصرًا، وأخرجه أبو داود (٣٣٤)، ومن طريقه: البيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٤٠٢، ٤٠٣)، والدارقطنى فى «السنن» (١/ ١٧٨)، ومن طريق ابن حجر فى «تغليق التعليق» (٢/ ١٨٩)، والحاكم فى «المستدرك» (١/ ١٧٧، ١٧٨)، وعنه البيهقى فى «السنن» (١/ ٢٢٥)، وفى «الخلافيات» (٨٢٤)، كلهم من طريق وهب بن جرير بن حازم حدثنا أبى قال سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب به. وقال البيهقى فى «الخلافيات» : «هذا مرسل لم يسمعه عبد الرحمن بن جبير من عمرو بن العاص ، والذى روى عن عمرو بن العاص فى هذه القصة متصل، ليس فيه ذكر التيمم» ثم أخرج هذا المتصل (٨٢٥)، وفى «الكبرى» (١/ ٢٢٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، وأخرجه الطبرانى فى «الكبير (١١٥٩٣) عن عكرمة عن ابن عباس عن عمرو به، قوله (المغابن): أى بواطن الأفخاذ عند الحوالب. والحديث أخرجه أيضًا البخارى تعليقًا (١/ ٣٨٥) ووصله الحاكم وصححه، ووافقه البيهقى (١/ ١٧٧).

(٢) انظر: «معين السيرة» لصالح أحمد الشامى (ص ٣٨١).

عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أى الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» فقلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**» قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**» فعدَّ رجالًا[1].

عن أبى عثمان النهدى قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جيش ذى السلاسل وفى القوم أبو بكر وعمر فحدَّثت نفسى أنه لم يبعثنى على أبى بكر وعمر إلا لمنزلة عنده، فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**» قلت: إنى لست أسألك عن أهلك قال: «**فأبوها**» قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر**» قلت: ثم من؟ حتى عد رهطًا. قال: قلت فى نفسى لا أعود أسأل عن هذا[2].



(١) أخرجه البخارى (٣٦٦٢ و ٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذى (٣٨٨٥).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٤٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٤/ ٣٠٩).

باب

في الأحداث من فتح مكة إلى غزوة تبوك

فصل

في فتح مكة

وقتها: كانت غزوة الفتح في سنة ثمان للهجرة، والمتفق عليه عند أهل السير أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج في عاشر رمضان، ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه، وهذا إجماع ولا يعلم في ذلك مخالف.

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم، ويصومون، حتى بلغ الكديد، وهو بين عسفان وقديد أفطر وأفطروا»[1].

---

(1) أخرجه البخاري (٤٢٧٦)، وانظر أطرافه ثم، ومسلم (١١١٣)، والنسائي (٤/ ١٨٩)، وأبو داود ومالك (١/ ٢٩٤)، وأحمد (١/ ٢٥٩، ٢٩١، ٣٢٥)، وعبد الرزاق (٧٧٦٢)، والحميدي (٥١٤)، والطيالسي (٩١٥)، والدارمي (٢/ ٩)، وابن خزيمة (٢٠٣٦) وصححه، وابن حبان (٣٥٦٠)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٢٤٣)، والطحاوي (٢/ ٦٤، ٦٥)، وجاء من وجه آخر عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حتى إذا بلغ عسفان» بدل الكديد، وعنه - أيضًا - «حتى إذا أتى قديدًا» وجاء من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «وصام حتى بلغ كراع الغميم» قال القاضي عياض: «وهذا كله في سفر واحد في غزاة الفتح، وسميت هذه المواضع في هذه الأحاديث لتقاربها، وإن كانت عسفان متباعدة شيئًا عن هذه المواضع، لكنها مضافة إليها من عملها فاشتمل اسم عسفان عليها.

قال: وقد يكون علم حال الناس ومشقتهم في بعضها فأفطر، وأمرهم بالفطر في بعضها» ا.هـ «شرح مسلم للنووي» (٧/ ٣٢٥ - ٣٢٦).

سببها: هو ثمرة الدعوة التى بدأها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى ربوع مكة ثلاث سنوات سرًّا لا يستطيع أن يجهر بها ما بين نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ [المدثر: ١ – ٧] وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، ثم جهر بالدعوة إلى الله، وسب آلهة القوم، وبين ضلالهم فى عبادتها، وتعرض صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وصحبه الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للإيذاء والاستهزاء، والتعذيب والتكذيب، ثم هاجر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وصاحبه ثانى اثنين إذ هما فى الغار خفية من قومه وعشيرته التى اجتمعت على قتله، انتصارًا للآلهة الباطلة وحمية وعصبية للباطل، ثم تأسست دولة الإسلام بالمدينة المنورة، وبدأ النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى إقامة المجتمع المسلم على المحبة والإخاء والتناصر والتناصح، وحالف يهود المدينة وكثيرًا من القبائل المحيطة، ثم أذن له فى الجهاد والجلاد بنزول قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، فما كان يكاد يمر شهر إلا وفيه غزوة أو سرية من سرايا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت الحرب بينه وبين أعداء الله سجالاً تارة ينصره الله نصرًا مؤزرًا كما حدث فى بدر فيغنمون ويسلمون وتقوى شوكتهم ويهابهم أعداؤهم، وتارة يدال عليهم فيمتحنون بالشدة والبلاء، ويتخذ الله الشهداء، ويمحص قلوبهم ويربيهم ويمحق أعدائهم كما حدث فى أحد، ولكن الإيمان له قوة ساحرة إذا خالطت بشاشته القلوب ووجد العبد حلاوته فإنه يشغل به عن الجسد وما يتعرض له من شدة وبلاء، فإن سعادة المؤمنين فى قلوبهم، فبعد هذه المرحلة الطويلة الشاقة التى سقط فيها من صفوف المسلمين من سقط، وأعز الله وأكرم من شاء من الذين كانوا حربًا على الإسلام وأهله بالإسلام حتى صار من جنده المخلصين، وكان النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فى هدنة مع قريش بحسب صلح الحديبية الذى كان سببًا فى الفتح العظيم بل كان فى نفسه فتحًا مبينًا ، وقد دخل فى حلف قريش بنو بكر ، ودخلت خزاعة فى حلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعدت بنو بكر على خزاعة فبيتوهم وقتلوا منهم ، وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل ، فنقضوا العهد الذى بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكان هذا هو السبب المباشر فى الفتح العظيم ، الذى وصفه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: الفتح الأعظم الذى أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذى جعله هدى للعالمين من أيدى الكفار والمشركين، وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجًا[1] .

---

(١) «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» د/ أحمد فريد (ص ٣٤٥ - ٣٤٦) وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٣٩٤)، وهذا السبب ذكره ابن إسحاق فى «السيرة النبوية» (٤/ ٣٠٤)، بلاغًا ووصله الطبرانى فى «الكبير» (٢٣/ ٤٣٣)، و«الصغير» (٩٦٨)، من طريق يحيى بن سليمان بن فضلة الخزاعى، حدثنا عمى محمد بن فضلة عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده على بن الحسين، حدثتنى ميمونة بنت الحارث زوج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر السبب.

وقال الهيثمى (٦/ ١٦٤): «وفيه يحيى بن فضلة وهو ضعيف» قال الحافظ فى «الفتح» ٧/ ٥٩٣): «وقد روى البزار من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة بعض الأبيات فى هذه القصة، وهو إسناد حسن موصول، ولكن رواه ابن أبى شيبة (٨/ ٥٢٧/ ٢) من طريق يزيد بن هارون: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبى سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قالا: فذكره مرسلًا، قال فيه: «لما وادع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل مكة» وكانت خزاعة فى صلحه، وبنو بكر فى صلح قريش، فكان بينهم قتال، فأمدتهم قريش بسلاح وطعام، فظهروا على خزاعة وقتلوا منهم قال: وجاء وفد خزاعة إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعاه إلى النصر».اهـ.

وأخرجه ابن أبى شيبة من طريق: حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة مرسلًا «مصنف ابن أبى شيبة» (٨/ ٣٥١/ ٤)، وأخرجه عبد الرزاق (٩٧٣٩) من طريق مقسم عن ابن عباس مطولًا وليس فيه الشعر.

قال الحافظ: «وعند موسى بن عقبة فى هذه القصة قال: ويذكرون أن ممن أعانهم من قريش صفوان بن أمية، وشيبة بن عثمان، وسهل بن عمرو».

وأخرج القصة أيضًا - ابن جرير الطبرى فى «التاريخ» (٣/ ٤٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٦ - ٧).

حاطب بن أبى بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحذر أهل مكة:

أحب النبى ﷺ أن يباغت قريشًا ويفاجئهم بمقدمه فى هذه الألوف المؤمنة حتى يستسلموا ويسلموا فلا يكون هناك قتال ومقاومة فأرسل أحد الصحابة الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وتشرف بشهود بدر كتابًا إلى أهل مكة يخبرهم بخبر رسول الله ﷺ ونترك كلامنا لما رواه البخارى عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجى الكتاب. فقالت: ما معى كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال: **«يا حاطب ما هذا؟»** فقال: يا رسول الله لا تعجل على، إنى كنت امرءًا ملصقًا فى قريش، يقول: كنت حليفًا ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون قرابتى، ولم أفعله ارتدادًا عن دينى ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: **«أما إنه قد صدقكم»** فقال عمر: يا رسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق! فقال: **«إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[(١)].

---

(١) هذا الحديث له أكثر من طريق الأول: أخرجه البخارى (٣٠٠٧ و ٤٢٧٤ و ٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤)، وأبو داود (٢٦٥٠)، والترمذى (٣٣٠٥) والنسائى فى «الكبرى» (١١٥٨٥)، وفى «التفسير» (٦٠٥)، والحميدى (٤٩)، وأحمد (١/ ٧٩ - ٨٠)، والطحاوى فى «شرح المشكل» (٤٤٣٧)، وأبو يعلى (٣٩٤ - ٣٩٨) وابن حبان (٦٤٩٩ - إحسان) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٧)، و«السنن» (٩/ ١٤٦) والواحدى فى «أسباب النزول» (٨٦٤) والبغوى فى «التفسير» (٨/ ٩١ - ٩٢)، وابن جرير فى «التفسير» (٣٣٩٣٣)، من طرق: عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن حسن بن محمد بن على، أخبرنى عبيد الله بن أبى =

فأنزل الله سورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١][(١)]. فشفع لهذا الصحابى الجليل شهوده بدرًا وكانت هذه السيئة مغمورة بالحسنة العظيمة التى نالها يوم بدر.

سير كتائب الصحابة وإسلام أبى سفيان:

اقتربت جحافل الإسلام من مكة، وخرج أبو سفيان عظيم قريش وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الأخبار فوقعوا أسرى للجيش المبارك فكان ما كان من شأنهم مما قصه عروة بن الزبير.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «لما سار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفتح فبلغ ذلك قريشا خرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران

= رافع عن على به، الثانى: أخرجه البخارى (٣٠٨١) و (٣٩٨٣) (٦٢٥٩) وفى «الأدب المفرد» (٤٣٨)، ومسلم (٢٤٩٤)؟، وأبو داود (٢٦٥١)، وعبد بن حميد (٨٣)، وأحمد ١/ ١٠٥ و١٣٠ و١٣١، والطحاوى «شرح المشكل» (٤٤٣٨)، وأبو يعلى (٣٩٦)، وابن حبان (٧١١٩)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ١٥٢ - ١٥٣) من طرق عن أبى عوانة، حدثنا حصين، حدثنى سعد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن على به، وحاطب بن أبى بلتعة هو حاطب بن عمرو اللخمى، كان حليفًا لبنى أسد، وكان صاحب تجارة واسعة بمكة، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من الرماة الماهرين، بعثه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكتابه إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، توفى فى المدينة سنة (٣٠ هـ)، و(روضة خاخ): موضع على بعد بريد من المدينة فى اتجاه مكة.

والظعينة: المرأة.

وعقاصها: ذوائبها المضفورة.

وملصقًا: أى حليفًا ولم أكن من أنفاسها.

وعند أحمد فى «المسند»: وكنت غريبًا.

(١) أخرجه البخارى (٣٧٦٢) ومسلم (٢٤٩٤)، عن على رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سفيان بن عيينة: «فلا أدرى أذاك فى الحديث أم قول من عمرو بن دينار».

فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه ؟ كأنها نيران عرفة ؟ فقال بديل بن ورقاء: نيران بنى عمرو. فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك.

فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان.

فلما سار قال للعباس: «**احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين**» فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع رسول الله ﷺ، تمر كتيبة كتيبة على أبى سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه ؟ قال: هذه غفار.

قال: مالي ولغفار.

ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك، ومرت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال: من هذه ؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية.

فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة. اليوم تستحل الكعبة.

فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار.

ثم جاءت كتيبة وهى أقل الكتائب، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية رسول الله ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبى سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ فقال: ما قال ؟ قال: كذا وكذا.

فقال: «**كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة**» وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون[1].

قصة إسلام أبى سفيان بن حرب، وعرض الجيش عليه، ومرور كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء، وتحذير أبى سفيان لأهل مكة:

قال ابن إسحاق: فَلَمّا نَزَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَرّ الظّهْرَانِ[2] قَالَ الْعَبّاسُ

---

(١) أخرجه البخارى (٤٢٨٠)، وهو من مرسل عروة بن الزبير، وله شاهد من حديث ابن عباس وسيأتى تخريجه قريبًا.

(٢) مر الظهران: المسمى اليوم بوادى فاطمة.

ابْنُ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، فَقُلْت : وَاصباحَ قُرَيشٍ ، وَاللّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَكّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يأتُوهُ فَيسْتَأْمِنُوهُ إنّهُ لَهَلاكُ قُرَيشٍ إلَى آخِرِ الدّهْرِ . قَالَ فَجَلَسْت عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ الْبَيضَاءِ فَخَرَجْت عَلَيهَا . قَالَ حَتّى جِئْت الْأَرَاكَ ، فَقُلْت : لَعَلّى أَجِدُ بَعْضَ الْحَطّابَةِ أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ أَوْ ذَا حاجة يأتى مَكّةَ ، فَيخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ لِيخْرُجُوا إلَيهِ فَيسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يدْخُلَهَا عَلَيهِمْ عَنْوَةً. قَالَ فَوَاَللّهِ إنّى لَأَسِيرُ عَلَيهَا ، وَأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْت لَهُ إذْ سَمِعْت كَلَامَ أَبِى سُفْيانَ وَبُدَيلِ ابْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يتَرَاجَعَانِ وَأَبُو سُفْيانَ يقُولُ مَا رَأَيت كَاللّيلَةِ نِيرَانًا قَطّ وَلَا عَسْكَرًا قَالَ يقُولُ بُدَيلٌ هَذِهِ وَاَللّهِ خُزَاعَةُ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ . قَالَ يقُولُ أَبُو سُفْيانَ خُزَاعَةُ أَذَلّ وَأَقَلّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانَهَا وَعَسْكَرَهَا ، قَالَ فَعَرَفْت صَوْتَهُ فَقُلْت : يا أَبَا حَنْظَلَةَ فَعَرَفَ صَوْتِى ، فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ ؟ قَالَ قُلْت : نَعَمْ قَالَ مَا لَك ؟ فِدَاك أَبِى وَأُمّى قَالَ قُلْت : وَيحَك يا أَبَا سُفْيانَ هَذَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِى النّاسِ وَاصَباحَ قُرَيشٍ وَاَللّهِ . قَالَ فَمَا الْحِيلَةُ ؟ فِدَاك أَبِى وَأُمّى ؟ قَالَ قُلْت وَاَللّهِ لَئِنْ ظَفِرَ بِك لَيضْرِبَن عُنُقَك ، فَارْكَبْ فِى عَجُزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتّى آتِى بِك رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَأَسْتَأْمَنَهُ لَك ؛ قَالَ فَرَكِبَ خَلْفِى وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ قَالَ فَجِئْت بِهِ كُلّمَا مَرَرْت بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَأَنَا عَلَيهَا ، قَالُوا : عَمّ رَسُولِ اللّهِ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتّى مَرَرْت بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ رضي الله عنه فَقَالَ مَنْ هَذَا؟ وَقَامَ إلَى فَلَمّا رَأَى أَبَا سُفْيانَ عَلَى عَجُزِ الدّابّةِ قَالَ أَبُو سُفْيانَ عَدُوّ اللّهِ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِى أَمْكَنَ مِنْك بِغَيرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ فدعنى فلأضرب عنقه ثُمّ خَرَجَ يشْتَدّ نَحْوَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَرَكَضْت الْبَغْلَةَ فَسَبَقْته بِمَا تَسْبِقُ الدّابّةُ الْبَطِيئَةُ الرّجُلَ الْبَطِيءَ قَالَ فَاقْتَحَمْت عَنْ الْبَغْلَةِ فَدَخَلْت عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَدَخَلَ عَلَيهِ عُمَرُ فَقَالَ يا رَسُولَ اللّهِ هَذَا أَبُو سُفْيانَ قَدْ أَمْكَنَ اللّهُ مِنْهُ بِغَيرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ فدعني فلأضرب عنقه، قَالَ قُلْت : يا رَسُولَ اللّهِ إنّى قَدْ أَجَرْته ، ثُمّ جَلَسْت إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَأَخَذْت بِرَأْسِهِ فَقُلْت : وَاَللّهِ لَا يناجِيهِ اللّيلَةَ دُونِى رَجُلٌ فَلَمّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِى شَأْنِهِ قَالَ

قُلْت : مَهْلًا يا عُمَرُ فَوَاللّهِ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ بَنِى عَدِى بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْت هَذَا ، وَلَكِنّك قَدْ عَرَفْت أَنّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ فَقَالَ مَهْلًا يا عَبّاسُ فَوَاَللّهِ لَإِسْلَامُك يَوْمَ أَسْلَمْت كَانَ أَحَبّ إلَى مِنْ إسْلَام الْخَطّابِ لَوْ أَسْلَمَ ، وَمَا بِى إلّا أَنّى قَدْ عَرَفْت أَنّ إسْلَامَك كَانَ أَحَبّ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ إسْلَام الْخَطّاب لَوْ أَسْلَمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «اذْهَبْ بِهِ يا عَبّاسُ إلَى رَحْلِك ، فَإِذَا أَصْبَحْت فَأْتِنِى بِهِ»، قَالَ فَذَهَبْت بِهِ إلَى رَحْلِى ، فَبَاتَ عِنْدِى ، فَلَمّا أَصْبَحت غَدَوْت بِهِ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**وَيحَك يا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يأْنِ لَك أَنْ تَعْلَمَ أَنّهُ لا إلَهَ إلا اللّهُ** ؟» قَالَ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمّى مَا أَحْلَمَك وَأَكْرَمَك وَأَوْصَلَك ، وَاَللّهِ لَقَدْ ظَنَنْت أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللّهِ إلَهٌ غَيرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنّى شَيئًا بَعْدُ قَالَ: «**وَيحَك يا أَبَا سُفْيانَ أَلَمْ يأْنِ لَك أَنْ تَعْلَمَ أَنّى رَسُولُ اللّهِ**؟» قَالَ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمّى ، مَا أَحْلَمَك وَأَكْرَمَك وَأَوْصَلَك أَمّا هَذِهِ وَاَللّهِ فَإِنّ فِى النّفْسِ مِنْهَا حَتّى الْآنَ شَيئًا . فَقَالَ لَهُ الْعَبّاسُ وَيحَك أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُك . قَالَ فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقّ فَأَسْلَمَ قَالَ الْعَبّاسُ قُلْت : يا رَسُولَ اللّهِ إنّ أَبَا سُفْيانَ رَجُلٌ يحِبّ هَذَا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيئًا ، قَالَ: «**نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِى سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ**» فَلَمّا ذَهَبَ لِينْصَرِفَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : «**يا عَبّاسُ احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِى عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ حَتّى تَمُرّ بِهِ جُنُودُ اللّهِ فيرَاهَا**». قَالَ فَخَرَجْت حَتّى حَبَسْته بِمَضِيقِ الْوَادِى ، حَيثُ أَمَرَنِى رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ أَحْبِسَهُ .

عرض الجيش على أبى سفيان :

قال: ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت على قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لى ولسليم، ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: مالى ولمزينة، حتى نفذت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا يسألنى عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: مالى ولبنى فلان، حتى مر رسول الله ﷺ فى

كتيبته الخضراء.

قال ابن إسحاق: فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، رضي الله عنهم لَا يرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ مِنْ الْحَدِيدِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ يا عَبَّاسُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ قُلْت: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ قَالَ مَا لِأَحَدٍ بِهَؤُلَاءِ قِبَلٌ وَلَا طَاقَةٌ وَاللَّهِ يا أَبَا الْفَضْلِ لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيك الْغَدَاةَ عَظِيمًا، قَالَ قُلْت: يا أَبَا سُفْيَانَ إنَّهَا النُّبُوَّةُ. قَالَ فَنَعَمْ إذَنْ.

قال: قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته، يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبا سفينا فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه، فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قبح من طليعة قوم! قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن؛ قالوا: قاتلك الله! وما تغنى عنا دارك؛ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد»[1].

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه فى «مسنده» كما فى «المطالب العالية» ص (٤٣٠١) و«إتحاف الخيرة المهرة» (٤٦٠٣)، وأبو داود (٣٠٢١) ومن طريقه ابن عبد البر فى «الاستذكار» (٢٠٥٨٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٣١)، و«السنن» (٩/ ١١٨)، ومن طريقه ابن عساكر فى «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٣٠٣ - ٣٠٤)، وابن أبى شيبة (١٨٧٦٩) والطبرانى فى «الكبير» (٧٢٦٤)، والطحاوى فى «شرح المعانى» (٣/ ٣١٩ - ٣٢٢)، والطبرى فى «التاريخ» (٢/ ٣/ ١١٥، ١١٧) وغيرهم من طريق ابن إسحاق، وهذا فى «السيرة» له (٤/ ٣١٠ - ٣١٢) حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس به.

وهذا سند حسن: وابن إسحاق صرح فيه بالتحديث كما ترى، فزالت شبهة التدليس.

قال الطحاوى: «هذا حديث متصل الإسناد صحيح».

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هذا حديث صحيح» ... ولم يسقه أحد من الأئمة الستة، وأحمد بتمامه ... والسياق الذى هنا حسن جدًّا».

وقال البوصيرى: رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح.

=

تصدى بعض المشركين لخيل خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنهُ وقتلهم فى المسلمين:

عن عروة: أخبرنى نافع بن جبير بن مطعم قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبد الله هاهنا أمرك رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ أن تركز الراية ؟ قال: نعم. قال: وأمر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء، ودخل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ من كدى [بالقصر]، فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهرى[1] .

قال الحافظ فى تحقيق من أين دخل النبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ وخالد والزبير: «أن خالدًا دخل من أسفل مكة والنبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ من أعلاها، وكذا جزم ابن إسحاق أن خالدًا دخل من أسفل، ودخل النبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ من أعلاها وضربت له هناك قبة، وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقًا واضحًا فقال:

وبعث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ الزبير على المهاجرين وخيلهم، وأمره أن يدخل

= وتابع ابن إسحاق: جعفر بن برقان - وهو ضعيف فى الزهرى - عن الزهرى به؛ أخرجه الطبرانى (٧٢٦٥)، والطبرى فى «تاريخه» (٣/ ١١٥ - ١١٧)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٣٢ - ٣٥)، ومن طريقه ابن عساكر (٢٥/ ٣٠٤ - ٣٠٥)، من طريق: ابن إسحاق، حدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وهذا سند ضعيف؛ علته حسين فهو ضعيف؛ كما ذكره الحافظ فى «التقريب» وبه أعله الشيخ العلامة المحدث الألبانى رَحِمَهُٱللَّهُ فى تعليقه على «فقه السيرة» (ص ٣٩١).

وأخرجه أبو داود (٣٠٢٢)، ومن طريقه البيهقى فى «السنن» (٩/ ١١٨ - ١١٩) وابن عبد البر فى «الاستذكار» (٢٠٥٨٤) من طريق ابن إسحاق عن العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس به، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن، وبعض أهل ابن معبد لم يسموا؛ فالسند ضعيف وله شاهد من مرسل عروة بن الزبير به، أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٧٢٦٣) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٣٦ - ٣٨)، بسند حسن، والراوى عن ابن لهيعة عندهما هو عمرو بن خالد الحرانى، وهو من قدماء أصحابه وروايته عنه قبل احتراق كتبه، كما قال ابن سيد الناس.

وشاهد آخر - لكنه مختصرًا جدًّا - من حديث أبى هريرة صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ عند مسلم فى «صحيحه» (١٧٨٠)، وبالجملة؛ فالحديث صحيح والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه البخارى (٤٢٨٠).

من كداء بالمد من أعلى مكة، وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه، وبعث خالد بن الوليد فى قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت، وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الأنصار فى مقدمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم، وعند البيهقى بإسناد حسن من حديث ابن عمر: قال: «لما دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر، فتبسم إلى أبى بكر فقال: «يا أبا بكر كيف قال حسان؟ » فأنشده قوله:

عدمت بنيتى إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء

ينازعنى الأسنة مسرجات ... يلطمهن بالخمر النساء

فقال: «ادخلوها من حيث قال حسان»[1].

وأما ما دار من قتال بين المسلمين والمشركين فهو عند موسى بن عقبة وابن إسحاق والصحيح قتل الاثنين من المسلمين، وجاء بسند ضعيف عند ابن إسحاق فى «السيرة» أن المشركين قتلوا من خيل خالد ثالثًا هو سلمة بن الميلاء الجهنى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتل من المشركين ثلاثة عشر رجلًا وفر بقيتهم[2].

قصة دخول كتائب المسلمين مكة ظافرين:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح، فجعل خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى وجعل الزبير على المجنبة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البياذقة وبطن الوادى فقال: يا أبا هريرة ادع لى الأنصار فدعوتهم، فجاءوا يهرولون فقال: يا معشر الأنصار هل ترون أوباش قريش قالوا: نعم، قال: انظروا إذا

---

(١) «الفتح» (٧/ ٦٠٣) - وأخرجه البيهقى بإسناد حسن كما ذكر الحافظ، وانظر: «دلائل النبوة» للبيهقى (٥/ ٦٦).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٤٠٤، ٤٠٥).

لقيتموهم غدًا أن تحصدوهم حصدًا، وأخفى بيده ووضع يمينه على شماله وقال موعدكم الصفا، قال: فما أشرف يومئذ لهم أحد إلا أناموه، وصعد رسول الله ﷺ الصفا، وجاءت الأنصار فأطافوا بالصفا فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله أبيدت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، قال أبو سفيان: قال رسول الله ﷺ: «**من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن**»[(١)].

لباس النبى ﷺ أثناء دخوله مكة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[(٢)] وعن عمرو بن حريث: «أن النبى ﷺ كان يوم فتح مكة يلبس عمامة حرقانية سوداء»[(٣)] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ دخل يوم فتح مكة، وعلى رأسه المغفر[(٤)].

دخول النبى ﷺ مكة متواضعًا:

عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم: لما نزل رسول الله ﷺ بذى طوى ورأى ما أكرمه الله به من الفتح، جعل يتواضع لله، حتى إنك لتقول قد كاد عثنونه أن يصيب واسطة الرحل»، وعن أنس: «دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح وذقنه

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠)، وأبو داود (٣٠٢٤)، وأحمد فى «المسند» (٢/ ٥٣٨)، وفى «الفضائل» (١٤٢٥)، وابن أبى شيبة (١٨٧٤٥)، وأبو عوانة (٤/ ٢١٧ - ٢١٩)، وسبق تخريجه من طريق ابن إسحاق ببسط واستفاضة.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٨)، والترمذى (١٦٧٩ و ١٧٣٥)، وأبو داود (٤٠٧٦)، والنسائى (٥/ ٢٠١)، و(٨/ ٢١١)، وابن ماجه (٢٨٢٢)، وأحمد (٣/ ٣٦٣، ٣٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٥٩)، وأبو داود (٤٠٧٧)، والنسائى (٨/ ٢١١)، وابن ماجه (١١٠٤)، وأحمد (٤/ ٣٠٧) والحرقانية: أى سوداء على لون ما أحرقته النار.

(٤) أخرجه البخارى (٤٢٨٦)، ومسلم (١٣٥٧)، وأبو داود (٢٦٨٥)، والترمذى (١٦٩٣)، والنسائى (٥/ ٢٠١)، وابن ماجه (٢٨٠٥)، والدارمى (٢/ ٢٢١).

على رحله متخشعًا»[١].

من أمَّنه النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن لم يقبل أمانه وقتل بعض المشركين وإن تعلقوا بأستار الكعبة:

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل مكة وعلى رأسه المغفر، فلما وضعه على رأسه قيل: هذا ابن خطل متعلق بأستار الكعبة قال: «**اقتلوه**»[٢].

عن أبى برزة الأسلمى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح مكة: «**الناس آمنون غير عبد العزى بن خطل**»[٣].

عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبى وقاص قال: «لما كان يوم فتح مكة أمن

---

(١) أخرجه أبو يعلى فى «مسنده» (٣٣٩٣)، وعنه ابن عدى فى «الكامل» (١٥٧١)، والحاكم (٣/ ٤٧)، و(٤/ ٣١٧) وفى «الإكليل» كما فى «الفتح» وعنه البيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٦٨ - ٦٩)، عن عبد الله ابن أبى بكر المقدمى، عن جعفر ابن سليمان، عن ثابت، عن أنس به.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه!» ووافقه الذهبى: وهذا وهم من الحاكم رحمه الله فإن المقدمى ليس من رجال مسلم فلم يرو له ألبتة، ثم هو مع ذلك ضعيف؛ ضعفه أبو يعلى وابن عدى والذهبى وغيرهم ولعله - والله أعلم - اشتبه بأخيه محمد بن أبى بكر المقدمى، وهو ثقة قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٦٩)، «رواه أبو يعلى؛ وفيه عبد الله بن أبى بكر المقدمى وهو ضعيف» وأخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٤/ ٣١٣) وعن طريقه البيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٦٨)، «حدثنى عبد الله بن أبى بكر: «أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكره ... وهذا سند ضعيف لإرساله؛ وبالجملة فالحديث بمجموعهما حسن لغيره - إن شاء الله والحديث صححه الحافظ الذهبى فى «السيرة» (٢/ ١١٩) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فى «البداية والنهاية» (٤/ ٧٤٧)، «وهذا التواضع فى هذا الموطن عند دخوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة فى مثل هذا الجيش الكثيف العرمرم: بخلاف ما اعتمده سفهاء بنى إسرائيل، حين أمروا أن يدخلوا باب بيت المقدس وهم سجود، أى ركع، يقولون: حطة، فدخلوا يزحفون على استاهم وهم يقولون: حنطة فى شعيرة». اهـ. وانظر له - رحمه الله - «التفسير» [سورة البقرة: ٥٨].

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٨٦)، ومسلم (١٣٥٧)، وأبو داود (٢٦٨٥)، والترمذى (١٦٩٣)، والنسائى (٥/ ٢٠١)، وابن ماجه (٢٨٠٥)، والدارمى (٢/ ٢٢١).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٣) وقال الهيثمى (٦/ ١٧٥) «رواه أحمد والطبرانى ورجال أحمد ثقات».

رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: **«اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، عكرمة بن أبى جهل، وعبد الله ابن خطل، ومقيس ابن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبى السرح»**.

فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عمارًا، وكان أشب الرجلين، فقتله، وأما مقيس ابن صبابة، فأدركه الناس فى السوق فقتلوه، وأما عكرمة، فركب البحر، فأصابتهم عاصف، فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن آلهتكم لا تغنى عنكم شيئًا ههنا. فقال عكرمة: والله لئن لم ينجنى من البحر إلا الإخلاص لا ينجينى فى البر غيره، اللهم إن لك علىَّ عهدًا إن أنت عافيتنى مما أنا فيه أن آتى محمدًا ﷺ حتى أضع يدى فى يده، فلأجدنه عفوًا كريمًا فجاء فأسلم وأما عبد الله بن أبى السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبى ﷺ قال: يا رسول الله بايع عبد الله قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: **«أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآنى كففت يدى عن بيعته، فيقتله»** فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما فى نفسك هلا أومأت إلينا بعينك، قال: **«إنه لا ينبغى لنبى أن يكون له خائنة أعين»**[(١)].

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٥٩)، والنسائى فى «المجتبى» (٧/ ١٠٥ - ١٠٦)، و«الكبرى» (٣٥١٦)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٨٧٥٩)، و«المسند» كما فى «إتحاف الخيرة المهرة» (٤٦١٢)، وأبو يعلى (٧٥٧)، والبزار (١١٥١ - البحر الزخار)، والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (٣/ ٣٣٠ و ٣٣١) و«مشكل» (١٥٠٦ و ٤٥٢١ و ٤٥٢٢) والدارقطنى فى «السنن» (٣/ ٥٩)، والحاكم (٣/ ٤٥)، والبيهقى فى «السنن» (٧/ ٤٠)، و«الدلائل» (٥/ ٥٩)، وابن عساكر ٣١/ ٢٢-٢٣ و٤٣/ ١٨٧-١٨٨ والضياء المقدسى (١٠٥٤ و١٠٥٥) وغيرهم من طريق أسباط بن نصر، عن السدى، عن مصعب بن سعد عن أبيه به. وهذا إسناد ضعيف، أسباط بن نصر صدوق كثير الخطأ يغرب، كما فى «التقريب»، أما البوصيرى فقال: «رجاله ثقات»، وأغرب منه قول الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه!»، وله شاهد من حديث بن يربوع المخزومى به، أخرجه أبو داود (٢٦٨٤)، والطبرانى فى «الكبير» (٥٥٢٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٦٢ - ٦٣)، والدارقطنى (٢/ ٣٠١)، وابن قانع فى «معجم

إجارة أم هانئ رضي الله عنها لرجل أهدر دمه والنبى صلى الله عليه وسلم يجير من تجيره:

عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: «ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره، قالت: فسلمت عليه فقال: «**من هذه؟**» فقلت: أنا أم هانئ، بنت أبى طالب، فقال: «**مرحبًا بأم هانئ**» فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمانى ركعات ملتحفًا فى ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله زعم ابن أمى على أن قاتل رجلًا قد أجرته فلان بن هبيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**» قالت: أم هانئ وذاك ضحى[1].

= الصحابة» (١/ ٢٦٢)، وابن عساكر (٣١/ ٢٢) والمزى فى «تهذيب الكمال» (١١/ ١١٤)، وغيرهم من طريق عمرو بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، عن جده، عن أبيه به.
وهذا سند ضعيف؛ عمرو - ويقال: عمر - مجهول كما فى «التقريب».
وشاهد آخر من حديث أنس رضي الله عنه به: أخرجه ابن أبى شيبة فى «مسنده» كما فى «المطالب العالية» ١٧/ ٤٥٣ (٤٢٩٩)، و«إتحاف الخيرة المهرة» (٤٦١٣)، و«المصنف» (١٨٧٨٢)، والطبرانى فى «الأوسط» (٦٥٧٧)، والبيهقى فى «الدلائل» ٥/ ٦٠-٦١ وأحمد ٣/ ١٥١، وأبو داود (٣١٩٤)، وابن سعد (٢/ ٣٨٠)، بسند حسن فى الشواهد؛ فيه الحكم بن عبد الله وهو ضعيف.
قال الهيثمى ٦/ ١٦٧: «رواه الطبرانى فى الأوسط» وفيه الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف.
وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (١٧٢٣): وثالث من مرسل سعيد بن المسيب عن ابن سعد (٢/ ١٤١)، بسند حسن فى الشواهد وبالجملة فالحديث ثابت بمجموع ذلك إن شاء الله.
وأما قتل ابن خطل: فرواه البخارى (٤٢٨٦)، ومسلم (١٣٥٧)، وأبو داود (٢٦٨٥) عن أنس.
وأما القينتين اللتين كانتا لابن خطل: فقد أخرج أبو داود (٢٦٨٤)، من طريق زيد بن حباب، وقال: أخبرنا عمرو بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومى قال: حدثنى جدى، عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح: «**أربعة لا أؤمنهم فى حل ولا حرم**» فسماهم قال: «وقينتين كانتا لمقيس فقتلت إحداهما وأفلتت الأخرى فأسلمت» قلت: إسناده ضعيف، فيه جهالة عمر بن عثمان ابن عبد الرحمن، قال الحافظ فى «التقريب» مجهول وضعف الشيخ الألبانى رحمه الله إسناده فى «ضعيف سنن أبى داود» (٥٧٥).

(١) أخرجه مسلم (٧١/ ٣٣٦) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٨٠)، من طريق الليث، عن يزيد بن أبى حبيب، عن سعيد بن أبى هند به، وأخرجه مسلم (٧٢/ ٣٣٦)، عن الوليد بن كثير، عن سعيد بهذا الإسناد.
وقد رواه عن أبى مرة جماعة منهم: «أبو النضر» أخرجه مالك (١/ ١٥٢)، وعنه البخارى (٢٨٠ و ٣٥٧ =

إذن الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقتال فى مكة ساعة من نهار ثم عادت حرمتها إلى قيام الساعة:

عن أبى شريح العدوى أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: «ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولًا، قام به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناى، ووعاه قلبى، وأبصرته عيناى حين تكلم به: إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يعضد بها شجرًا، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسول الله ولم يأذن لكم، وإنما أذن له فيه ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب**».

= و ٣١٧١و ٦١٥٨)، وفى «الأدب المفرد» (١٠٤٥)، ومسلم (٧٠/ ٣٣٦)، وأبو عوانة (٢/ ٢٦٩)، والترمذى (٢٧٣٤)، والدارمى (١٤٥٣)، و(٢٥٠٢)، والطحاوى فى «شرح المعانى» (١/ ٣٨٠)، وابن حبان (١١٨٨ - إحسان) والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ١١٧)، وأحمد (٦/ ٣٤٣)، والبيهقى فى «السنن» (١/ ١٩٨) و(٩/ ٩٤)، وفى «الشعب» (٨٨٨٨) والبغوى (٢٧١٦).

ومنهم «المقبرى»: أخرجه أحمد (٦/ ٣٤١ و ٣٤٣) والطيالسى (١٦١٥)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٦٨٤)، والطحاوى (١/ ٣٨٠) و(٣/ ٣٢٣) والطبرانى (٢٤/ ١٠١٣)، والحاكم (٤/ ٥٢)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٩٥)، من طريق: ابن أبى ذئب عنه، وأخرجه الحميدى (٣٣١)، وأحمد (٦/ ٤٢٣ و ٤٢٤) وابن الجارود (١٠٥٥) والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ١٠١٢) والبيهقى فى «السنن» (١/ ٨)، وابن عبد البر فى «التمهيد» (٢١/ ١٨٩)، من طريق محمد بن عجلان عنه بهذا الإسناد ومنهم «إبراهيم بن حنين» أخرجه ابن أبى شيبة (١/ ٣١٢) وابن حبان (٢٥٣٧)، والطبرانى (٢٤/ ١٠٠٩ و١٠١٠ و١٠١١)، والطحاوى ١/ ٣٨٠ من طريق: محمد بن عمرو عنه بهذا الإسناد.

وعند ابن إسحاق فى «السيرة» ٤/ ٣١٨: أنهما رجلان من أحمائها أجارتهم فأجرهم النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة.

فائدة: اختلف فى هذه الصلاة التى صلاها النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل هى صلاة الفتح أم صلاة الضحى؟ والثابت من حديث أم هانئ الذى معنا: أنها صلاة الضحى، وهى الذى نرجح للفظ الحديث نفسه.

وذهب الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فى «الزاد» (٣/ ٤١٠) إلى أنها: «صلاة الفتح» وبه قال السهيلى فى «الروض» (٧/ ١٠٨).

فقيل لأبى شريح، ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصيا، ولا فارًّا بدم، ولا فارًّا بخربة»[١].

وعن أبى هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لما فتح الله عَزَّوَجَلَّ على رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مكة قام فى الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلى، وإنها لن تحل لأحد بعدى، فلا ينفر صيدها، ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها، إلا لمنشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يفدى وإما أن يقتل**».

فقال العباس: إلا الأذخر يا رسول الله! فإنا نجعله فى قبورنا وبيوتنا، فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إلا الأذخر**» فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال: اكتبوا لى يا رسول الله! فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اكتبوا لأبى شاة**».

قال: فقلت للأوزاعى: ما قوله: اكتبوا لى يا رسول الله؟ قال: هذه الخطبة التى سمعها من رسول الله لفظ مسلم[٢].

---

(١) أخرجه البخارى (١٠٤ و ١٨٣٢ و ٤٢٩٥)، ومسلم (١٣٥٤)، والترمذى (٨٠٩)، والنسائى فى «المجتبى» (٥/ ٢٠٥) و«الكبرى» (٥٨٤٦)، وأحمد (٤/ ٣١) والطحاوى فى «المشكل» (٤٧٩١)، وفى «الآثار» (٢/ ٢٦١)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٤٨٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٨٢ - ٨٣) حدثنا سعيد بن شرحبيل، حدثنا الليث بن سعد عن المقبرى به.

وأخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» (٤/ ٣٢٢): قال: حدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى شريح الخزاعى فذكره وهذا إسناد حسن لأجل ابن إسحاق وقد صرَّح فيه بالتحديث وأخرجه أحمد (٤/ ٣٢)، والطبرى فى «التفسير» (٢٠٢٧)، والطحاوى «شرح الآثار» (٢/ ٢٦٠)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٤٨٥)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٨٣ - ٨٤)، من طرق عن ابن إسحاق بهذا الإسناد.

وقوله: (يعيذ عاصيا): لا يجيره ولا يعصمه، وقوله: (ولا فارًا بدم): من التجأ إليه هاربًا من سبب من الأسباب الموجبة للقتل، وقوله: (ولا فارًا بخربة) اللص المفسد فى الأرض.

قال الإمام البخارى: «الخربة»: البلية.

(٢) أخرجه البخارى (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥) واللفظ له، وأبو داود (١٤٠٥)، والنسائى (٨/ ٣٨)، وابن ماجه (٢٦٢٤)، وأصحاب السنن الأربعة قد أخرجوه مختصرًا، والمطول عند الشيخين.

وعن الحارث بن مالك بن برصاء الليثى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «سمعت النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم فتح مكة يقول: «**لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة**»[(١)].

إزالة الأصنام من حول البيت الحرام:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخل النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول: «**جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعيد**»[(٢)].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل فى أيديهم من الأزلام، فقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قاتلهم الله، لقد علموا ما استقسما بهما قط**»، ثم دخل البيت فكبر فى نواحى البيت وخرج ولم يصل فيه»[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذى (١٦١١)، وأحمد (٣/ ٤١٢)، (٤/ ٣٤٣) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٧٥)، وإسناده صحيح، وقال الترمذى: «حسن صحيح» وعند أحمد بلفظ: «**أنه لا تغزى الكعبة بعد اليوم، ولا يقتل قرشى صبرًا ....**» وانظر: «صحيح مسلم» فى الجهاد والسير، باب: لا يقتل قرشى صبراً بعد الفتح (١٧٨٢) من حديث عبد الله بن مطيع، عن أبيه.

(٢) أخرجه البخارى (٢٤٧٨ و ٤٢٨٧ و ٤٧٢٠)، ومسلم (٨٧/ ١٧٨١)، والترمذى (٣١٣٨) والنسائى فى «الكبرى» (١٢٩٧ و ١١٤٢٨)، وأبو يعلى (٤٩٦٧) وابن حبان (٥٨٦٢)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ١٠١)، والبغوى (٣٨١٣)، وأحمد (١/ ٣٧٧)، من طرق: عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، عن أبى معمر، عن ابن مسعود به.

(٣) أخرجه البخارى (٣٣٥٢)، وعبد الرزاق (١٩٤٨٥)، وأحمد (١/ ٣٦٥)، وابن حبان (٥٨٦٧١)، والطبرانى فى «الكبير» (١١٨٤٥)، والحاكم (٢/ ٥٥٠) والبغوى (٣٢١٤)، من طريق: معمر، عن أيوب عن عكرمة، عن ابن عباس به، وأخرجه البخارى (١٦٠١، ٤٢٨٨)، وأبو داود (٢٠٢٧)، وأحمد (١/ ٣٣٤)، والبيهقى (٥/ ١٥٨)، والبغوى (٣٨١٥)، من طريق: عبد الوارث بن سعيد، عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به.

وجاء من طريق كريب عن ابن عباس: فأخرجه البخارى (٣٣٥١)، والنسائى فى «الكبرى» (٩٧٧٢)، وأحمد (١/ ٢٧٦)، وأبو يعلى (٢٤٢٩)، وابن حبان (٥٨٥٨) والطبرانى (١٢١٧١)، والطحاوى (٤/ ٢٨٢)، والبيهقى فى «السنن» (٥/ ١٥٨)، من طرق عن ابن وهب، أخبرنى عمرو بن الحارث، أن

طوافه ﷺ بالبيت ولم يكن معتمرا:

عن أبى هريرة رضي الله عنه من حديث طويل وفيه:«... وأقبل رسول الله ﷺ حتى أقبل إلى الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت، قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه.

قال:وفى يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ بسية القوس، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه فى عينه وهو يقول: «**جاء الحق وزهق الباطل**» فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، فجعل يحمد الله، ويدعو بما شاء أن يدعو» (١).

وعن صفية بنت شيبة:«أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمئن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعًا، على راحلته، يستلم الركن بمحجن فى يده» (٢).

قصة مفتاح الكعبة وأخذ النبى ﷺ له، ثم رده إلى عثمان بن طلحة وجعل السدانة فيهم:

وبالإسناد السابق:«... فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده، ثم وقف على باب الكعبة، وقد استكف له الناس فى المسجد (٣).

= بكرًا حدثه، عن كريب مولى ابن عباس، عن ابن عباس بنحوه.

(١)جزء من حديث أخرجه مسلم (٨٤/ ١٧٨٠)، وأحمد (٢/ ٥٣٨)، والطيالسى (٢٤٤٢)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٩٨) وابن حبان (٤٧٦٠)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١١٧)، و«الدلائل» (٥/ ٥٥ - ٥٦) من طريق: سليمان بن المغيرة، وأخرجه أبو داود (١٨٧١)، و(٣٠٢٤)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٩٨)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١١٨)، و«الدلائل» (٥/ ٥٧)، من طريق: سلام بن مسكين كلاهما عن ثابت البنانى، حدثنا عبد الله بن رباح فذكره وفيه قصة.

(٢)إسناده حسن وانظر التالى.

(٣)ذكره ابن إسحاق فى «السيرة» (٤/ ٣١٨)، قال: حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور، عن صفية بنت شيبة فذكره، وإسناده حسن وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث وهو =

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: «أين عثمان بن طلحة؟» فدعى له، فقال: «**هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء**»[1].

صلاة النبى ﷺ داخل الكعبة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أقبل من أعلى مكة على راحلته مردفًا أسامة بن زيد، ومعه بلال، ومعه عثمان ابن طلحة من الحجبة حتى أناخ فى المسجد، فأمره أن يأتى بمفتاح البيت، فدخل رسول الله ﷺ، ومعه أسامة ابن زيد وبلال وعثمان ابن طلحة، فمكث فيه نهاراً طويلاً، ثم خرج فاستبق الناس، فكان عبد الله ابن عمر أول من دخل، فوجد بلالاً وراء الباب قائمًا

= جزء من الحديث السابق، وأخرجه أبو داود (١٨٧٨)، وابن ماجه (٢٩٤٧)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٤/ ٣٢٢/ ٨١٠ و٨١٢)، والحاكم (٤/ ٩٤)، والأزرقى فى «تاريخ مكة» (١/ ١٩٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٧٤)، وابن الأثير (٦/ ١٧٤)، من طريق ابن إسحاق به، والحديث صححه الشيخ الألبانى رحمه الله فى «صحيح سنن أبى داود». وقوله: (استكف له الناس): أى استشرف، وقال الفراء: استكف القوم حول الشيء أى أحاطوا به ينظرون إليه.

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩٠٧٣)، من طريق معمر، عن الزهرى: «أن رسول الله ﷺ قال لعثمان بن طلحة يوم الفتح «**ائتنى بمفتاح الكعبة، فأبطأ عليه**» الحديث ... وإسناده مرسل صحيح وقال الهيثمى (٦/ ١٧٧): «رواه الطبرانى مرسلًا، ورجاله رجال الصحيح»، وأخرجه عبد الرزاق (٩٠٧٦) عن بعض أصحابنا عن ابن جريج، حدثنى ابن مليكة، فذكر نحوه، وللحديث شاهد من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه ابن أبى شيبة (١٨٧٥١) من طريق شبابة بن سوار، عن المغيرة بن مسلم، عن ابن الزبير، عن جابر بنحوه، وقال البوصيرى فى «الإتحاف» (٤٦٠٤)، هذا إسناد حسن قلت: فيه عنعنة أبى الزبير، وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه أبو داود (٤٥٤٩)، والنسائى فى «المجتبى» (٨/ ٤٢)، وفى «الكبرى» (٧٠٠٣)، وابن ماجة (٢٦٢٨)، والحميدى (٧٠٢)، وأحمد (٢/ ١١ و٣٦ و١٠٣)، وأبو يعلى (٥٦٧٥)، والدارقطنى (٣/ ١٠٥)، وغيرهم كثير من طريق على بن زيد بن جدعان عن القاسم بن ربيعة، عن ابن عمر مرفوعًا: «**ألا إن كل مأثرة كانت فى الجاهلية ودم ودعوى**»-وقال مرة: «**ودم ومال ... تحت قدمى هاتين؛ إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت فإنى أمضيتهما لأهلهما على ما كانت**»، وهذا سند ضعيف؛ ابن جدعان ضعيف؛ كما فى التقريب» لكنه شاهد قوى لما سبق، وله شاهد من حديث صفية بنت شيبة وقد خرجته قبل، وإسناده حسن، وله شاهد أيضًا - فى «الصحيحين» والبخارى (٢٩٨٨ و٤٢٨٩)، ومسلم (١٣٢٩)، من حديث ابن عمر، وقد سبق تخريجه أيضًا، وانظر الهامش السابق.

فسأله، أين صلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فأشار له إلى المكان الذى صلى فيه، قال عبد الله: فنسيت أن أسأله، كم صلى سجدة»[(١)].

أذان بلال يوم الفتح على ظهر الكعبة :

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَحَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْكَعْبَةَ عَامَ الْفَتْحِ وَمَعَهُ بِلَالٌ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَعَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ جُلُوسٌ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ عَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ : لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أَسِيدًا أَلَا يَكُونُ سَمِعَ هَذَا ، فَيَسْمَعُ مِنْهُ مَا يَغِيظُهُ . فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ مُحِقٌّ لَاتَّبَعْتُه ،

---

(١) أخرجه البخارى (٤٩٨) ومسلم (٣٨٩ و ٣٩٠/ ١٣٢٩)، والحميدى (٦٩٢)، والدارمى (١٨٦٦)، والطحاوى (١/ ٣٨٩)، عن أيوب، وأخرجه البخارى (٥٠٤)، عن جويرية، و(٢٩٨٨)، عن يونس، والبيهقى فى «السنن» (٢/ ٣٢٦)، عن فليح، وابن ماجه (٣٠٦٣)، وابن حبان (٣٢٠٢ - إحسان)، عن حسان بن عطية، كلهم عن نافع عن ابن عمر به، وأخرجه البخارى (١٥٩٨)، ومسلم (٣٩٣ و ٣٩٤/ ١٣٢٩)، والنسائى (٢/ ٣٣)، والدارمى (١٨٦٧)، والطحاوى (١/ ٣٨٩)، والبيهقى فى «السنن» (٢/ ٣٢٨)، من طريق ابن شهاب، عن سالم، عن ابن عمر به، وأخرجه البخارى (٣٩٧ و ١١٦٧)، من طريق: سيف بن سليمان، سمعت مجاهدًا: أتى ابن عمر فقيل له، هذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل الكعبة، فذكره بنحوه، وأخرجه الدارقطنى (٢/ ٥١/ ١)، من طريق: ابن أبى ليلى، عن عكرمة بن خالد، عن يحيى بن جعدة، عن ابن عمر بنحوه، وأخرجه أيضًا (٢/ ٥١/ ٢)، من طريق الحسن بن بشر البجلى، ثنا زهير، عن أبى الزبير، عن ابن أبى مليكة، عن ابن عمر بنحوه، وأخرج مالك (١/ ٣٩٨)، والبخارى (٥٠٥)، وأبو داود (٢٠٢٣ و ٢٠٢٤)، والنسائى (٢/ ٦٣)، والطحاوى (١/ ٣٨٩)، والبيهقى فى «السنن» (٢/ ٣٢٦)، والبغوى (٤٤٧)، وغيرهم: عن نافع، عن ابن عمر: «أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل الكعبة، وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فأغلقها عليه، ومكث فيها، فسألت بلالًا حين خرج: ما صنع النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: جعل عمودًا عن يساره وعمودًا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى وهذه رواية البخارى، ثم روى البخارى (٥٠٦)، عقبه من طريق موسى بن عقبة، عن نافع: أن عبد الله كان إذا دخل الكعبة مشى قبل وجهه حين يدخل، وجعل الباب قبل ظهره فمشى حتى يكون بينه وبين الجدار الذى قبل وجهه قريبًا من ثلاثة أذرع صلى، يتوخى المكان الذى أخبره به بلال أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى فيه. قال: وليس على أحدنا بأس إن صلى فى أى نواح البيت شاء» وأخرجه أيضًا برقم (١٥٩٩) بنفس السند، والبيهقى فى «السنن» (٢/ ٣٢٧)، عن الفضيل بن سليمان، عن موسى به.

فَقَالَ أَبُو سُفْيانَ لا أَقُولُ شَيئًا : لَوْ تَكَلّمْت لأَخْبَرَتْ عَنّى هَذِهِ الْحَصَى ، فَخَرَجَ عَلَيهِمْ النّبِى ﷺ فقَالَ قَدْ عَلِمْت الّذِى قُلْتُمْ ثُمّ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ فقَالَ الْحَارِثُ وَعَتّابٌ نَشْهَدُ أَنّك رَسُولُ اللّهِ وَاَللّهِ مَا اطّلَعَ عَلَى هَذَا أَحَدٌ كَانَ مَعَنَا، فَنَقُولُ أَخْبَرَكَ[1] .

---

(١) ذكره ابن هشام بدون إسناد، وأخرجه أبو داود فى «المراسيل» (٨٣/ ٢٣)، وابن أبى شيبة (١٨٧٧٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٧٨ و ٧٩) وابن عساكر فى «التاريخ» (١٠/ ٣٥٨)، من طريق أبى معاوية وأبى خالد الأحمر ويونس بن بكير وجعفر بن عون، كلهم عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلًا.

وهذا مرسل صحيح الإسناد: وقد روى موصولًا؛ فأخرجه الحارث بن أبى أسامة فى «مسنده» (٢/ ٧١٠/ ٦٩٩)، «بغية الباحث»: حدثنا يحيى بن هانئ السمسار: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة به موصولًا لكن يحيى هذا كذاب؛ كما قال ابن معين وابن عدى وصالح جزرة فالمعروف هو المرسل، وله شاهد من مرسل ابن أبى مليكة به، أخرجه عبد الرزاق (١٩٤٦٤)، ومن طريقه البيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٧٩) وابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ٢٣٤) وابن أبى شيبة (١٨٧٧١) من طرق عن أيوب السختيانى عن ابن أبى مليكة به.

وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وله شاهد ثان: أخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٧٨)، من طريق: أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثنى والدى إسحاق: حدثنى بعض آل جبير به مطعم به.

وهذا سند ضعيف؛ فيه علل: الأولى: الإرسال. الثانى: جهالة (بعض آل جبير) الثالثة: أحمد بن عبد الجبار؛ ضعيف كما فى «التقريب».

وشاهد ثالث: أخرجه ابن أبى شيبة (١٨٧٤٦)، من طريق محمد بن عمرو، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ويحى بن عبد الرحمن بن حاطب به مرسلًا. قلت: وسنده ضعيف لإرساله.

وشاهد رابع: أخرجه الفاكهى فى «أخبار مكة» كما فى «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» لتقى الدين الفاسى (١/ ٢٥٥)، حدثنى محمد بن على المروزى: حدثنا عبيد الله بن موسى: حدثنا موسى بن عبيدة، عن عبد الله ابن دينار، عن ابن عمر به.

وهذا سند حسن فى الشواهد: موسى بن عبيدة ضعيف.

وشاهد خامس: أخرجه الفاكهى - أيضًا - كما فى «شفاء الغرام» (٣/ ١٥٧)، حدثنا عبد الله بن أبى سلمة: ثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه، عن ابن شهاب؛ عن على بن عبد الله بن عباس، عن أبيه به.

وهذا سند ضعيف، محمد بن عبد العزيز ضعيف - كما قال الدارقطنى وأبو حاتم وغيرهما، وشيخ الفاكهى لم أقف له على ترجمة، وكذا أحمد بن محمد، وبالجملة؛ فالحديث بمجموع ذلك حسن لغيره، على أقل أحواله - والله أعلم.

إسلام أبى قحافة والد أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي طُوًى قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لِابْنَةٍ لَهُ مِنْ أَصْغَرِ وَلَدِهِ أَيْ بُنَيَّةُ اظْهَرِي بِي عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ قَالَتْ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ قَالَتْ فَأَشْرَفَتْ بِهِ عَلَيهِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ مَاذَا تَرَيْنَ؟ قَالَتْ: أَرَى سَوَادًا مُجْتَمِعًا، قَالَ: تِلْكَ الْخَيلُ. قَالَتْ: وَأَرَى رَجُلًا يَسْعَى بَيْنَ ذَلِكَ مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا، قَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ ذَلِكَ الوازع - يعني: الذي يأمر الخيل، ويتقدم إليها- ثم قَالَتْ: قَدْ وَاللَّهِ انْتَشَرَ السَّوَادُ فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ إِذَنْ دُفِعَتْ الْخَيْلُ فَأَسْرِعِي بِي إِلَى بَيْتِي، فأغطَّت بِهِ وَتَلَقَّاهُ الْخَيْلُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَيْتِهِ قَالَتْ وَفِي عُنُقِ الْجَارِيَةِ طَوْقٌ لَهَا مِنْ وَرِقٍ فَتَلَقَّاهَا رَجُلٌ فَاقْتَطَعَهُ مِنْ عُنُقِهَا، قَالَتْ فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ أَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ يَقُودُهُ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ؟**» «قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيهِ أَنْتَ قَالَ: فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**» فَأَسْلَمَ وَدَخَلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَأَنَّ رَأْسَهُ ثَغَامَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ**» ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِيَدِ أُخْتِهِ فَقَالَ: أُنْشِدُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ طَوْقَ أُخْتِي، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: أَيْ أُخَيَّةُ، احْتَسِبِي طَوْقَكِ[1].

خطبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح وقوله لقريش: اذهبوا فأنتم الطلقاء:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب يوم

---

(١) **إسناده حسن**: أخرجه ابن سعد (٥/ ٤٥١)، وأحمد (٦/ ٣٤٩)، والطحاوى «شرح المشكل» (٣٦٨٤)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٤ و ٢٣٦ و ٢٣٧) وابن حبان (٧٢٠٨ - إحسان) والحاكم (٣/ ٤٦)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٢١)، وفى «الدلائل» (٥/ ٩٥)، وابن الأثير (٣/ ٥٨٢) من طرق ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عباد عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدته أسماء بنت أبى بكر به.

قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٧٣): «رواه أحمد والطبرانى ورجالهما ثقات» وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبى. والحديث إسناده حسن.

وقولها: (ذى طوى): موضع قريب من مكة، وقولها: (ثغامة): نبت أبيض الزهر والثمر يشبه الشيب.

الفتح بمكة، فكبر ثلاثًا، ثم قال: «**لا إله إلا الله وحده، وصدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة كانت فى الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمى إلا ما كان من سقاية الحاج، وسدانة البيت**، ثم قال: **ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل، منها أربعون فى بطنها أولادها**».

وزاد ابن إسحاق: «**يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب**» ثم تلا هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ثم قال: «**يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعل فيكم؟**» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١١ و ٣٦)، والحميدى (٧٠٢)، وأبو داود (٤٥٤٩)، والنسائى فى «المجتبى» (٨/ ٤٢)، و«الكبرى» (٧٠٠٢)، وابن ماجه (٢٦٢٨)، والدارقطنى (٣/ ١٠٥)، والبيهقى فى «السنن» (٨/ ٤٤)، والبغوى (٢٥٣٦)، وأبو يعلى (٥٦٤٩) من طريق سفيان عن على بن زيد بن جدعان، عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر بنحوه إلى قوله: «**يا معشر ..**» وإسناده ضعيف لضعف على بن زيد.

وأخرجه أحمد (٢/ ١٠٣)، والدارقطنى (٣/ ١٠٤)، والبيهقى (٨/ ٦٨)، من طريق: على بن زيد، عن يعقوب السدوسى عن ابن عمر وإسناده أيضًا ضعيف.

وأما قوله: «**ألا إن كل مأثرة كانت فى الجاهلية**» فقد سبق تخريجه فارجع إليه ... غير مأمور، وأما قوله: «**ألا إن دية الخطأ شبه العمد...**» فأخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٧٨)، وأبو داود (٤٥٤١) والنسائى (٨/ ٤٢ - ٤٣)، وابن ماجه (٢٦٣٠)، والدارقطنى (٣/ ١٧٦)، والبيهقى فى «السنن» (٨/ ٧٤)، من طريق: محمد بن راشد، عن سليمان بن موسى عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده: «أن النبى ﷺ قضى أن من قتل خطأ فديته مائة من الإبل من طريق: محمد بن راشد، عن سليمان بن موسى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: «أن النبى ﷺ قضى أن من قتل خطأ فديته مائة من الإبل: ثلاثون بنت مخاض، وثلاثون بنت لبون، وثلاثون حقة، وعشرة بنو لبون ذكور» وإسناده حسن.

وقد أخرجه أحمد (٢/ ٢١٧): من طريق ابن إسحاق، عن عمرو بن شعيب به مطولًا، وإسناده حسن، ولبعضه شواهد أخرى كثيرة.

وأما زيادة ابن إسحاق قوله ﷺ: «**يا معشر قريش: إن الله قد أذهب عنكم...**» إلخ.

له شاهد من حديث أبى هريرة أخرجه أحمد ٢/ ٣٦١ - البيهقى فى «الشعب» (٥١٢٧ و ٥١٢٨) من

قراءة الرسول ﷺ (سورة الفتح) يوم الفتح :

عن معاوية بن قرة قال: سمعت عبد الله بن مغفل يقول: «رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع، وقال: معاوية : لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع»(١).

مقولة الأنصار رضي الله عنهم : أن النبى ﷺ أدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته :

عن أبى هريرة رضي الله عنه فى حديث له طويل سبقت أجزاء منه: «... قال: ثم أتى الصفا، فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره، ويدعوه، قال: والأنصار تحته، قال: يقول بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته ورأفه بعشيرته.

= طريق: هشام بن سعد، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقى، وفاجر شقى، والناس بنو آدم، وآدم من تراب، لينتهين أقوام فخرهم برجال، أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التى تدفع بأنفها النتن**» وإسناده حسن، رجاله رجال مسلم وأخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذى (٣٩٥٦)، والطحاوى «المشكل» (٣٤٥٨)، من طريق: عن هشام بن سعد بهذا الإسناد.

قلت: وله شاهد من حديث ابن عمر أخرجه عبد بن حميد فى «مسنده» (٧٩٥ - منتخب) عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد، عن موسى بن عبيد، وكلاهما حسنه الألبانى فى «الترغيب والترهيب» و«صحيح السنن» و«صحيح الجامع» (١٧٨٧).

وأما قوله: «**يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم**»، فقد رواه ابن إسحاق معضلًا كما فى «السيرة» (٤/ ٣١٩)، وقال العراقى فى «تخريج الإحياء»: «رواه ابن الجوزى فى «الوفاء» من طريق ابن أبى الدنيا وفيه ضعف، وذكره الغزالى من حديث سهيل بن عمرو، وقال العراقي: لم أجده. قال الزبيدى فى «الإتحاف»: (٨/ ٤١)، «بل رواه أحمد بن زنجويه فى كتاب: «الأقوال» من طريق ابن أبى حسين» وضعفه الشيخ الألبانى فى تخريج «فقه السيرة» (ص ٣٩٥)، وأخرجه أبو عبيد فى «الأموال» (١٤٣)، بإسناد حسن لكنه مرسل، وانظر تفسير الحافظ ابن كثير لسورة النحل آية: (١٢٦). وقد جعلته فى كتابنا الآخر: «ضعيف السيرة».

(١) أخرجه البخارى (٤٢٨١ و ٤٨٣٥ و٥٠٣٤ و ٥٠٤٧ و ٧٥٤٠) ومسلم (٧٩٤)، وأبو داود (١٤٧٦)، والترمذى فى «الشمائل» (٣١٢)، وأحمد (٤/ ٥٥و ٥٦ و٨٥ و ٥/ ٥٤) وأخرجه وأبو داود الطيالسى (٩١٥) من طريق شعبة به.

قال أبو هريرة: وجاء الوحى، وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول ﷺ حتى يقضى قال: فلما قضى الوحى رفع رأسه ثم قال: «**يا معشر الأنصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة فى قريته، ورأفة بعشيرته؟**» قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: «**فما أسمى إذًا؟ كلا، إنى عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم، والممات مماتكم**» قال: فأقبلوا إليه يبيكون، ويقولون: والله ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله ورسوله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**فإن الله ورسوله ليصدقانكم ويعذرانكم**»[(١)].

مدة إقامته ﷺ فى مكة عام الفتح:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أقام رسول الله ﷺ بمكة تسعة عشر يومًا يصلى ركعتين:

وعنه رضي الله عنه أيضًا: «أقمنا مع النبى ﷺ فى سفر تسع عشرة نقصر الصلاة، وقال: ونحن نقصر ما بيننا تسع عشرة، فإذا زدنا أتممنا»[(٢)].

وعن عبد الله بن عدى بن حمراء الزهرى أنه سمع النبى ﷺ وهو

---

(١) أخرجه مسلم (٨٤/ ١٧٨٠)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٩٨)، وأحمد (٢/ ٥٣٨)، والطيالسى (٢٤٤٢)، وابن حبان (٤٧٦٠)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١١٧)، و«الدلائل» (٥/ ٥٥ - ٥٦)، من طريق: سليمان بن المغيرة، وأخرجه أبو داود (١٨٧١ و ٣٠٢٤)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٩٨)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١١٨)، و«الدلائل» (٥/ ٥٧)، من طريق: سلام بن مسكين كلاهما عن ثابت البنانى حدثنا عبد الله بن رباح، عن أبى هريرة به.

(٢) أخرجه البخارى (٤٢٩٨) و(٤٢٩٩) وأبو داود (١٢٣٠)، وابن ماجه (١٠٧٥)، والترمذى (٥٤٩)، وأحمد (١/ ٢٢٣)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ١٥٠)، والطحاوى فى «مشكل» (١/ ٢٤٢)، وعبد الرزاق (٤٣٢٧)، وعبد بن حميد (٥٨٢)، وابن خزيمة (٩٥٥)، وابن حبان (٢٧٥٠)، والدارقطنى (١/ ٣٨٨) من طرق: عن عاصم الأحول، عن عكرمة عن ابن عباس.

وبعضهم قال: «سبع عشرة» فقال من قال: إن رواية «سبع عشرة» شاذة، وقال آخرون: يجمع بينهما، فمن جمع قال: باحتمال أن يكون بعض الرواة لم يعد يومى الدخول والخروج وهى «سبعة عشرة» وعدها بعضهم فقال: «تسعة عشرة» قال الحافظ فى «التلخيص» (٢/ ٤٦): «وهو جمع متين».

واقف بالجزورة فى سوق مكة يقول: «**إنه لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أُخرجت منك ما خرجتُ**»(١).

لا هجرة بعد الفتح

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح «فتح مكة»: «**لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**»(٢).

وعن أبى عثمان النهدى قال: حدثنا مجاشع بن مسعود السلمى قال: أتيتُ النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأخى معبد بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله جئتك بأخى لتبايعه على الهجرة قال: «**ذهبت الهجرة بما فيها**» قال: قلت: فعلى أى شىء تبايعه يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: «**أبايعه على الإسلام أو الإيمان والجهاد**» قال: فلقيتُ معبدًا بعد ذلك وكان أكبرهما فسألتُه فقال: صدق مجاشع(٣).

دخول الناس فى دين الله أفواجًا بعد الفتح:

عن عمرو بن سلمة قال: كنا مما يمر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم: ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل، فيقولون: يزعم أن الله أرسله، أُوحى إليه، أو أوحى الله بكذا، فكنت أحفظ ذاك فكأنما يقرُّ فى صدرى، وكانت العرب تلوَّم بإسلامهم الفتح، فيقولون اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبى صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح، بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبى قومى بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقًّا، فقال: «**صلُّوا صلاة كذا فى حين كذا وصلوا**

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، والحاكم (٣/ ٤٨٩)، وابن قانع فى «معجم الصحابة» (٥٤٥) جميعًا من طريق عن ابن سلمة به، والحزورة بالحاء المهملة والزاء الساكنة موضع بمكة.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخارى (١٨٣٤ و ٢٧٨٣ و ٢٨٢٥) ومسلم (٨٥/ ١٨٥٣) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٨٤) وأخرجه مسلم (٨٦/ ١٨٦٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بلفظ: «**لا هجرة بعد الفتح**».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (٢٩٦٢)، ومسلم (٨٤/ ١٨٦٣) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٨٤).

صلاة كذا فى حين كذا، **فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمَّكم أكثركم قرآنًا**»، فنظروا، فلم يكن أحدٌ أكثر قرآنًا منى لما كنت أتلقَّى من الركبان، فقدَّمونى بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علىَّ بردة كنتُ إذا سجدتُ تقلصَتْ عنى، فقالت امرأة من الحرة ألا تغطون عنا اسْتَّ قارئكم، فاشتروا، فقطعوا لى قميصًا، فما فرحتُ بشىءٍ فرحى بذلك القميص»[1].



(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤٣٠٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٨٦).

بعث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بعث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا ان يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيرى ولا يقتل رجلٌ من أصحابى أسيره، حتى قدمنا على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكرناه، فرفع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده فقال: «**اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد**»[1] مرتين.



(١) أخرجه البخارى (٤٣٣٩ و ٧١٨٩) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٨٧)، وجذيمة - كما قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٦٥٤): هى بفتح الجيم وكسر المعجمة ثم تحتانية ساكنة، أى ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة.

ثم قال الحافظ: وهذا البعث كان عقب فتح مكة فى شوال قبل الخروج إلى حنين عند جميع أهل المغازى وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم، قال ابن سعد: بعث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم خالد بن الوليد فى ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا». اهـ.

فَصْلٌ

فى غزوة حنين[1]

وقتها: كانت لخمس من شوال، وبه قال ابن إسحاق، وعروة بن الزبير، واختاره أحمد وابن جرير فى «التاريخ» وهو مروى عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقيل لليلتين بقيتا من رمضان.

قال الحافظ: «وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج فى أواخر رمضان، وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها فى عاشره»[2].

سببها: قال ابن إسحاق: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله بن شعيب والزهرى وعبد الله بن أبى بكر ابن حزم وعبد الله بن المكرم بن عبد الرحمن الثقفى عن حديث حنين سار إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وساروا إليه فبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض، وقد اجتمع حديثهم: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فرغ من فتح مكة، جمع مالك بن عوف النصرى: بنى نصر، وبنى جشم، وبنى سعد بن بكر، وأوزاعًا من بنى هلال، وهم قليل، وناسًا من بنى عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، وأوعبت معه ثقيف الأحلاف، وبنو مالك، ثم سار بهم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وساق معه الأموال والنساء والأبناء.

فلما سمع بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعث عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى،

---

(١) قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٦٢١)، «حنين - بمهملة ونون مصغر - وادٍ إلى جنب ذى المجاز، قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا من جهة عرفات، قال أبو عبيد البكرى: سميت باسم حنين ابن قابثة بن مهلائيل».

وتسمى أيضًا: باسم مكانها: غزوة أوطاس، لأنها بدأت بحنين، وانتهت بأوطاس، وتسمى كذلك: غزوة هوازن؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٢) «الفتح» (٧/ ٦٢١).

فقال: اذهب، فادخل فى القوم حتى تعلم لنا ما علمهم، فدخل فيهم، فمكث فيهم يومًا أو اثنين، ثم أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره خبرهم.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب: «**ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد**» فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كذب، فقال: ابن أبى حدرد والله لئن كذبتنى يا عمر لربما كذبت بالحق، فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبى حدرد فقال: «**قد كنت يا عمر ضالًا فهداك الله**».

ثم بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صفوان بن أمية، فسأله أدراعًا عنده مائة درع، وما يصلحها من عدتها، فقال: أغصبًا يا محمد، فقال: «**بل عارية مضمونة حتى نؤديها عليك**» ثم خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سائرًا.

وزاد ابن إسحاق بالإسناد الأول: أن مالك بن عوف أقبل فيمن معه ممن جمع من قبائل قيس وثقيف، ومعه دريد بن الصمة شيخ كبير فى شجار[1] له يعاد به حتى نزل الناس بأوطاس[2] فقال دريد حين نزلوا بأوطاس فسمع رغاء البعير، ونهيق الحمير ويعار الشاء[3]، وبكاء الصغير بأى واد أنتم؟ فقالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل، لا حزن[4] ضرس[5]، ولا سهل[6] دهس[7]، ما لى أسمع رغاء البعير، ونهيق الحمار، ويعار الشاء؟ فقالوا: ساق مالك مع الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم.

قال: فأين مالك؟ فدعى مالك، فقال: يا مالك! إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، فما دعاك إلى أن تسوق مع الناس أموالهم

---

(١) شجار: شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.

(٢) أوطاس: بفتح أوله وبالطاء والسين المهملتين واد فى ديار هوازن.

(٣) صوت الشاة.

(٤) لا حزن: الحزن ما غلظ من الأرض وفيها حزونة.

(٥) ضرس: هى الآكام الخشنة ذوات الحجارة أى كأنه جبل من حديد.

(٦) سهل: السهل ضد الجبل، والسهولة ضد الحزونة.

(٧) دهس: لين.

وأبناءهم ونساءهم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وأمواله ليقاتل عنهم، قال: فانقض به دريد، وقال: يا راعي ضأن والله، وهل يرد وجه المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك، فارفع الأموال والنساء، والذرارى إلى علياء قومهم، وممتنع بلادهم.

ثم قال دريد: وما فعلت كعب وكلاب، فقالوا: لم يحضرها منهم أحد، فقال: غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب، ولوددت لو فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن حضرها؟ فقالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، فقالوا: ذانك الجذعان لا يضران ولا ينفعان، فكره مالك أن يكون لدريد فيها رأى، فقال: إنك قد كبرت، وكبر علمك والله لتطيعن يا معشر هوازن، أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى، فقالوا: أطعناك. ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم، فاكسروا جفان سيوفكم، ثم شدو شدة رجل واحد[1].

---

(١) «السيرة النبوية» (٤/ ٣٣٩ - ٣٤١)، وأخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» بغير إسناد، وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٢٠ - ١٢٣)، من طريق ابن إسحاق حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن ابن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله، وعمرو بن شعيب إلخ ما ذكره فى صدر الخبر، قلت: وهذا الإسناد فيه إسناد متصل بسند حسن، وهو إسناد عبد الرحمن بن جابر والثانى: مرسل، أرسله ابن إسحاق، عن جماعة، وهو مرسل يشهد للموصول، وأخرجه الحاكم (٣/ ٤٨)، من طريق: ابن إسحاق بالسند الموصول، عن جابر مختصرًا، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى قلت: وليس بصحيح؛ بل هو حسن فقط، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٧٩)، «رواه أحمد، وأبو يعلى ورواه البزار باختصار، وفيه ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فى رواية أبى يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح».

قلت: وقد أخرج منه قدرًا: أبو داود (٢٥٠١)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٨١٩)، والطبرانى فى «الكبير» (٥٦١٩)، وفى «الأوسط» (٤٠٧)، و«مسند الشاميين» (٢٨٦٦)، وأبو القاسم البغوى فى «معجم الصحابة» (١٩)، وابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثانى» (١٤٩)، والحاكم (١/ ٢٣٧)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٢٥ - ١٢٦)، وأبو نعيم فى «معرفة الصحابة» (٨٣١)، وابن الأثير (١/ ١٥٣ - ١٥٤)، وغيرهم من طريق معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام، عن أبى سلام، عن أبى كبشة السلولى، عن سهل بن الحنظلية به.

وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رجال الصحيح - وحسنه الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٦٦٢)، وصححه

بعث الرسول ﷺ لابن أبى حدرد عينًا على المشركين:

قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم نبى الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد[1] الأسلمى وأمره أن يدخل فى الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبى حدرد، فدخل فيهم، فأقام فيهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره، [فدعا] رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبى حدرد، فقال ابن أبى حدرد، إن كذبتنى فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير منى، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**قد كنت ضالًا، فهداك الله يا عمر**»[2].

استعارة الدروع من صفوان بن أمية وهو يومئذ مشرك:

قال ابن إسحاق: فلما أجمع رسول الله ﷺ السير على هوازن ليلقاهم ذكر أن عند صفوان ابن أمية أدراعًا له وسلاحًا، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك، فقال: «**يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدًا**»، فقال صفوان: أغصبًا يا محمد؟ قال: «**بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك**»، قال: ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل[3].

= الشيخ الألبانى فى «صحيح أبى داود» (٢١٨٣) و«تخريج فقه السيرة» (ص ٤٠٠).

ويشهد له حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أخرجه ابن أبى شيبة (١٨٨٤٥)، وأحمد (٣/ ٢٧٩)، والبزار فى «مسنده» (١٨٣٥ – كشف) بسند صحيح على شرط مسلم، وهو فى البخارى (٤٣٣٧)، ومسلم (١٣٥/ ١٠٥٩)، من طريق آخر عن أنس.

(١) هو عبد الله بن أبى حدرد بن عمير بن هواز بن أسلم، شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ وخيبر وما بعدها، توفى سنة (٧١ هـ).

(٢) «السيرة النبوية» (٤/ ٣٤١)، وهو جزء من الخبر المخرج سابقًا.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٤٨)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٨٩)، من طريق: ابن إسحاق بالإسناد الأول، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى! قلت: هو حسن فقط لأجل ابن إسحاق وقد صرح فيه بالتحديث. =

عدد المسلمين فى غزوة حنين:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما كان يوم حُنين أقبلت هوازن، وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم، ومع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرة آلاف والطلقاء...»(١).

قصة السدرة التى يعلق بها المشركون أسيافهم ويتعبدون فيها، وفتنة بعض حدثاء الإسلام بها:

عن أبى واقد الليثى قال: «خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حُنين، ونحن

= وله شاهد من حديث صفوان بن أمية نفسه: أخرجه أحمد (٣/ ٤٠١)، وأبو داود (٣٥٦٢)، والنسائى فى «الكبرى» (٥٧٧٩)، والطحاوى فى «المشكل» (٤٤٥٥)، والدارقطنى (٣/ ٣٩)، والحاكم (٢/ ٤٧)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٨٩)، والبغوى (٢١٦١)، من طريق: شريك، عن عبد العزيز بن رفيع عن أمية بن صفوان بن أمية، عن أبيه بنحوه، وإسناده ضعيف لضعف شريك بن عبد الله النخعى.

وأخرجه أحمد (٤/ ٢٢٢)، وأبو داود (٣٥٦٦)، والنسائى فى «الكبرى» (٥٧٧٦ و ٥٧٧٧) وابن حبان (٤٧٢٠)، والدارقطنى (٣/ ٣٩)، من طريق حبان بن هلال، عن همام بن يحيى، عن قتادة، عن عطاء، عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه به.

وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وصححه الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «الصحيحة» (٦٣٠): وذكر ابن إسحاق أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعار مائة درع، قلت: الصواب أنه استعار منه ثلاثين درعًا، كما فى حديث يعلى بن أمية، أما ما ذكره ابن إسحاق فقد أورده من غير إسناد.

(١) أخرجه البخارى فى (٤٣٣٧)، و (٤٣٣٣) ومسلم (١٣٥/ ١٠٥٩)، قلت وورد أن عدد الطلقاء ألفين وذلك من حديث عياض بن عبد الله الثقفى عن أبيه، وأخرجه البخارى فى «التاريخ الكبير» ٧/ ١٩، وابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثاني» (١٥٨٨)، ومن طريقه أبو نعيم فى «معرفة الصحابة» (٥٤٣٥)، والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٣١٣ - ٣١٤) (١٠٠٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٤٢) من طريق أبى عاصم، الضحاك بن مخلد، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفى الثقفى: أخبرنى عبد الله ابن عياض بن الحارث الأنصارى.

ويقال: عياض بن عبد الله الثقفى - عن أبيه به، وذكره ابن إسحاق فى «السيرة» (٤/ ٣٤٢) ولم يسنده.

قال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٨٢): «فيه عبد الله بن عياض» ذكره ابن أبى حاتم ولم يجرحه، وبقية رجاله ثقات»، فهو مجهول العين والحال؛ لتفرد عبد الله بن عبد الرحمن عنه، ولأنه لم يوثقه أحد حتى ابن حبان المتساهل فى توثيق المجروحين والمجاهيل!

وله شاهد من حديث أنس السابق وهو حديث الباب.

حديثو عهد بالجاهلية قال: فسرنا معه إلى حنين، قال: وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء، يقال لها، ذات أنواط، يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يومًا، قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سدة خضراء عظيمة، قال: فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الله أكبر، قلتم، والذى نفسى محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: ١٣٨] . إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم»**(١) .

---

(١) صحيح: وإسناده حسن لأجل ابن إسحاق، وقد صرح فيه بالتحديث، وأخرجه الطبرى فى «التفسير» (١٥٠٦٧)، والطبرانى فى «الكبير» (٣٢٩٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٢٤)، من طريق: ابن إسحاق به، وقد تابع ابن إسحاق عليه غير واحد، منهم «سفيان بن عيينة»، فأخرجه الحميدى (٨٤٨)، وابن أبى شيبة (٨/ ٦٣٤/ ٢٦٧)، والترمذى (٢١٨٠)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (٧٦)، وأبو يعلى (١٤٣٧)، وابن أبى حاتم فى «التفسير» (٨٩٠٦)، والطبرانى (٣٢٩٢)، وابن قانع فى «معجم الصحابة» (١/ ١٧٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٢٥)، من طرق: عن سفيان، عن الزهرى به، ومنهم «إبراهيم بن سعد»، فأخرجه ابن أبى عاصم فى «السنة» (٧٦)، والطيالسى (١٣٤٦)، والطبرانى (٣٢٩٤)، من طريقه: عن الزهرى به.

ومنهم: «عقيل بن خالد» فأخرجه أحمد (٥/ ٢١٨)، والطبرى فى «التفسير» (١٥٠٦٨)، من طريقه: عن الزهرى به، ومنهم: «يونس» أخرجه عنه ابن حبان (٦٧٠٢)، عن الزهرى به، ومنهم: «مالك»: أخرجه أحمد (٢١٩٠٢)، والطبرانى (٣٢٩١)، ومحمد بن نصر المروزى فى «السنة» (٣٩)، عن مالك عن الزهرى به. ومنهم: «معمر»، فأخرجه عبد الرزاق (٢٠٧٦٣)، وعنه أحمد (٥/ ٢١٨) (٢١٩٠٠)، والنسائى فى «الكبرى» (١١١٨٥)، والطبرانى (٣٢٩٠)، من غير القصة، انظر: البخارى (٣٤٥٦ و ٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، والحديث صححه الشيخ العلامة الألبانى - رحمه الله - فى «صحيح موارد الظمآن» (١٥٠٤).

تنبيه: وقع فى «سنن الترمذى» و«معجم الصحابة» لابن قانع، أن الحديث كان عند خروجهم «لخيبر» وهذا ليس بصحيح، والصواب يوم «حنين» وأبو واقد الليثى: هو الحارث بن مالك، وقيل: ابن عوف، وقيل: اسمه عوف بن الحارث.

وقوله: «ذات أنواط»: جمع نوط وهو معلق كل شيء، وكان المشركون يأتونها يعلقون عليها =

قصة الجاسوس الذى جاء يتجسس على المسلمين:

عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «غزونا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هوازن، فبينما نحن نتضحى مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاء رجل على جمل أحمر، فأناخه، ثم انتزع طلقًا من حقبه، فقيد به الجمل، ثم تقدم يتغدى مع القوم، وجعل ينظر، وفينا ضعفة ورقة فى الظهر، وبعضنا مشاة، إذ خرج يشتد، فأتى جمله فأطلق قيده، ثم أناخه وقعد عليه، فأثاره، فاشتد به الجمل، فاتبعه رجل على ناقة ورقاء.

قال سلمة: وخرجت أشتد فكنت عند ورك الناقة، ثم تقدمت، حتى كنت عند ورك الجمل، ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل، فأنخته، فلما وضع ركبته فى الأرض اخترطت سيفى، فضربت رأس الرجل فندر ثم جئت بالجمل أقوده. عليه رحله وسلاحه، فاستقبلنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس معه، فقال: من «**قتل الرجل؟**» قالوا: ابن الأكوع، قال: «**له سلبه أجمع**»[1].

تبشير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين بغنيمة حنين:

عن سهيل بن الحنظلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... أنهم ساروا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين، فأطنبوا السير، حتى كانت عشية، فحضرت الصلاة عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء رجل فارس، فقال: يا رسول الله إنى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم ونعمهم وشائهم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: «**تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله**».

ثم قال: «**من يحرسنا الليلة؟**» فقال أنس بن أبى مرثد الغنوى: أنا يا رسول الله؟ قال: «**فاركب**» فركب فرسًا له فجاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له رسول الله

= أسلحتهم، ويتقربون إليها، ويعكفون عندها.

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٤)، وأبو داود (٢٦٥٤)، وأحمد (٤/ ٤٩ - ٥١)، والطحاوى (٢/ ١٣٠ - ١٣١).

ﷺ: «**استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه، ولا نغرن من قبلك الليلة**».

فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه، فركع ركعتين ثم قال: «هل أحسستم فارسكم؟» قالوا: يا رسول الله، ما أحسسناه فثوب بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ يصلى، وهو يلتفت إلى الشعب حتى إذا قضى صلاته، وسلم قال: «**أبشروا فقد جاءكم فارسكم**».

فجعلنا ننظر إلى الشجرة فى الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ فسلم فقال: إنى انطلقت حتى كنت فى أعلى هذا الشعب حيث أمرنى رسول الله ﷺ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أر أحدًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل نزلت الليلة**» قال: لا إلا مصليًا أو قاضى حاجة. فقال له رسول الله ﷺ: «**فقد أوجب فلا عليك ألا تعمل بعدها**»[1].

جمع هوازن على المسلمين، وهروب كثير من المسلمين وثبات الرسول ومعه بعض الصحابة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف حطوط إنما ننحدر فيه انحدارًا قال: وفى عماية الصبح، وقد كان القوم كمنوا لنا فى شعابه، وفى أجنابه، ومضايقه، قدم جمعوا وتهيأوا، وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد، وانهزم الناس راجعين، فاستمروا لا يلوى أحد منهم على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين قال: «**إلىَّ أيها الناس، هلم إلى، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله**» قال: فلا شىء.

احتملت الإبل بعضها بعضًا فانطلق الناس إلا أن مع رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٠١)، والبيهقى فى «الدلائل» وفى إسناده حسن كما قال الحافظ فى «الفتح» (٨/ ٢٧)، وقد خرجته مفصلًا بشواهده فيما سبق.

رهطًا من المهاجرين والأنصار وأهل بيته غير كثير، وفيمن ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر ومن أهل بيته على بن أبى طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنه الفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وأيمن بن عبيد، وهو ابن أم أيمن، وأسامة بن زيد، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر وفى يده راية له سوداء فى رأس رمح طويل أمام الناس، وهوازن خلفه، فإذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه، فاتبعوه»[١].

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما وقد جاءه رجل فقال: يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين؟! فقال: «أما أنا فأشهد على النبى ﷺ أنه لم يول، ولكنه عجل سرعان القوم، فرشقتهم هوازن وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء يقول: **«أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»**»[٢].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لقد رأيتنا يوم حنين وإن الفئتين لموليتين، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل»[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «افتتحنا مكة، ثم إننا غزونا حنينًا، فجلى المشركون بأحسن صفوف رأيت، قال: فصفت الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم، ثم صفت النعم، قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا

---

(١) صحيح وإسناده حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وأخرجه فى «السيرة» (٤/ ٣٤٣)، ومن طريقه: أحمد فى «المسند» (٣/ ٣٧٦ - ٣٧٧) وأبو يعلى (١٨٦٢)، و (١٨٦٣)، والبزار فى «مسنده» (١٨٣٤ - كشف) والطبرى فى «التاريخ» (٣/ ٧٤ - ٧٥)، وابن حبان (٤٧٧٤ - إحسان) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٢٦ - ١٢٨و ١٢٩)، قال: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله، عن أبيه به.

وهذا سند صحيح كما قال الشيخ الألبانى - رحمه الله - فى تخريج «فقه السيرة» (ص ٤٠٢).

(٢) أخرجه البخارى (٢٨٦٤ و ٤٣١٥ و ٤٣١٦ و ٤٣١٧)، ومسلم (١٧٧٦)، والترمذى (١٦٨٨).

(٣) أخرجه الترمذى (١٦٨٩)، وقال: حسن غريب، وحسن إسناده الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٦٢٤)، وصححه الشيخ المحدث الألبانى فى «صحيح الترمذى».

ستة آلاف، وعلى مجنبة خيلنا خالد بن الوليد، فجعلت خيلنا تلوى خلف ظهورنا فلم نلبث أن انكشف خيلنا، وفرت الأعراب، ومن نعلم من الناس.

قال: فنادى رسول الله ﷺ «**يا للمهاجرين**» ثم قال: «**يا للأنصار**» قال: قال أنس، هذا حديث عمية، قال: قلنا لبيك يا رسول الله، قال: فتقدم رسول الله ﷺ قال: فأيم الله! ما أتيناهم حتى هزمهم الله، قال: فقبضنا ذلك المال(١).

نداء العباس فى المسلمين ورجوعهم من جديد «واشتداد الحرب» وإلقاء الرعب فى قلوب هوازن:

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له، بيضاء، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى، فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار.

قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ. أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**أى عباس! ناد أصحاب السمرة**» فقال العباس: «وكان رجلًا صيتًا» فقلت: بأعلى صوتى: أين أصحاب السمرة؟

قال: فوالله! لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك؟ يا لبيك؟ قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة فى الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بنى الحارث بن الخزرج! يا بنى الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٦/ ١٠٥٩)، وقوله: «قد بلغنا ستة آلاف» قال القاضى: هذا وهم من الراوى عن أنس، والصحيح ما جاء به فى الرواية الأولى عشرة آلاف ومعه الطلقاء (البخارى - ٤٣٣٧)، ومسلم (١٣٥/ ١٠٥٩)، وقوله: (هذا حديث عمية)، أى: الحديث الذى حدثنى به أعمامى.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو على بغلته، كالمتطاول عليها، إلى قتالهم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هذا حين حمى الوطيس**».

قال: ثم أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصيات، فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «**انهزموا، ورب محمد!**» قال: فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلًا وأمرهم مدبرًا»[(١)].

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم حنين: «**الآن حمى الوطيس**» ثم قال: «**هزموا ورب الكعبة**»[(٢)].

رمية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحصى فى وجوه الأعداء:

من حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق قوله: «ثم أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حصيات، فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «**انهزموا ورب محمد!**» قال: فذهبت انظر: فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فمازلت أرى حدهم كليلًا، وأمرهم مدبرًا».

وعن أبى عبد الرحمن الفهرى واسمه يزيد بن أسيد قال من حديث له: «...فتشامت الخيلان فقاتلناهم فولى المسلمون مدبرين، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٦٧٤١)، وعنه: أحمد (١/ ٢٠٧)، ومسلم (٧٧/ ١٧٧٥)، وابن حبان (٧٠٤٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٣٩)، عن معمر، عن الزهرى قال: حدثنى كثير بن عباس بن عبد المطلب به، وأخرجه النسائى فى «الكبرى» (٨٦٤٧)، وأبو يعلى (٦٧٠٨)، والطبرى (١٦٥٩١) عن معمر به، وأخرجه الحميدى (٤٥٩)، وأحمد (١/ ٢٠٧) ومسلم (١٧٧٥)، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى به، وأخرجه مسلم (٧٦/ ١٧٧٥)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٦٥٣)، والحاكم (٣/ ٣٢٧)، عن يونس عن الزهرى به، وأصحاب السمرة: هى الشجرة التى بايعوا تحتها بيعة الرضوان ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية.

(٢) سبق تخريجه وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٨٢): «رواه الطبرانى فى الأوسط، ورجاله رجال الصحيح».

﴿مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله**» ثم قال: «**يا معشر المهاجرين أنا عبد الله ورسوله**» ثم اقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه، فأخذ كفًّا من تراب، فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني أنه ضرب به وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه!» فهزمهم الله تعالى.

قال يعلى بن عطاء: فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابًا، وسمعنا صلصلة بين السماء والأرض كإمرار الحديد على الطست الحديد[1].

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ حنينًا ... فلما غشوا رسول الله ﷺ، نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «**شاهت الوجوه!**» فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة فولوا مدبرين»[2].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «... فلما التقوا؛ التحم القتال، فقال ﷺ «**الآن حمي الوطيس**» وأخذ ﷺ كفًّا من حصى أبيض فرمى بها وقال: «**هزموا ورب الكعبة**»[3].

عن سعيد بن السائب الطائفي، عن السائب بن يسار، عن يزيد، قال: «... فأخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض، ثم أقبل بها على المشركين، فرمى بها من

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٤١) وفيه عبد الله بن يسار: مجهول. ذكره الحافظ في «التقريب» (٣٧٤٢) وأخرجه أبو داود (٥٢٣٣) من طريق موسى بن إسماعيل، عن حماد ابن سلمة به، وأخرجه أيضًا - البزار (١٨٣٣ - كشف) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٢٨٨)، (٧٤٠، ٧٤١) وذكره الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٨١، ١٨٢)، وقال: «روى أبو داود فيه إلى قوله: ليس فيه أشر ولا بطر، ورواه البزار والطبراني ورجالهما ثقات» والحديث حسنه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٣٦٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٣٦٠٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٧٩٥ - «مجمع البحرين») من طريق عمرو بن عاصم، حدثنا عمران القطان أبو العوام، عن معمر، عن الزهري، عن أنس به، وهذا سند حسن.

وجوههم، فقال: «ارجعوا شاهت الوجوه»، قال: فما من أحدٍ يلقى أخاه؛ إلا وهو يشكو القذى فى عينيه»[(١)].

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... كنت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين قال: فولى عنه الناس ... فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ناولنى كفًا من تراب» فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابًا»[(٢)].

قذف الرعب فى قلوب المشركين يوم حنين:

عن يزيد بن عامر السسوائى؛ وكان ممن شهد حنينًا مع المشركين، ثم أسلم قال أبو السائب: سألناه عن الرعب الذى ألقاه الله فى قلوبهم يوم حنين، كيف كان، فأخذ حصاة، فرمى بها طستًا فطن، قال: كنا نجد فى أجوافنا مثل هذا[(٣)].

حث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه على مقاتلة المشركين وحصدهم:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم حنين: «جزوهم جزًّا»، وأومأ بيده إلى الحلق»[(٤)].

---

(١) أخرجه عبد بن حميد (٤٣٩)، والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٤/ ١٥٥ - ١٥٦) و (٨/ ٣١٦)، وابن أبى عاصم فى «الآحاد والمثانى» (١٣٦٤)، وابن قانع فى «معجم الصحابة» (٣/ ٢٢٥)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٢٣٧/ ٦٢٢)، والطبرى فى «التفسير» (١٠/ ١٠٣)، وأبو نعيم فى «معرفة الصحابة» (٦٥٩٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٤٣ - ١٤٤) وغيرهم من طريقين عن سعيد بن السائب الطائفى، عن السائب بن يسار، عن يزيد به، وهذا سند حسن فى الشواهد، سعيد بن السائب، روى عنه اثنان ابن حيان المتساهل، والسائب والده؛ لم يرو عنه إلا ابنه سعيد ولم يوثقه أحد.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٣ - ٤٥٤)، والبزار فى «مسنده» (١٨٢٩ - كشف)، والطبرانى فى «الكبير» (٩/ رقم ١٠٣٥١)، والحاكم (٢/ ١١٧)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٤٢)، بسند وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٨٠)، «رواه أحمد والبزار والطبرانى ورجال أحمد رجال الصحيح، والحارث بن حصيرة ثقة.

(٣) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٢٣٧) (٦٢٢)، والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٤/ ٢/ ٣١٦)، وعزاه ابن حجر فى «المطالب العالية» (٤٣٧٢)، إلى عبد بن حميد، وقال: الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٨٣): «رواه الطبرانى، ورجاله ثقات» قلت: وإسناده حسن فى الشواهد وقد سبق تخريجه مفصلًا.

(٤) أخرجه البزار (١٨٣٠ - كشف)، وقال الهيثمى (٦/ ١٨١): «رواه البزار ورجاله ثقات».

من قتل قتيلاً فله سلبه :

عن أبى قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام حُنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة[1] قال: فرأيت رجلًا من المشركين قد علا رجلًا من المسلمين، فاستدرت إليه حتى أتيته من ورائه، فضربته على حبل عاتقه، وأقبل علىَّ فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت، فأرسلنى، فلحقت عمر بن الخطاب، فقال: ما للناس؟ فقلت: أمر الله.

ثم إن الناس رجعوا، وجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**من قتل قتيلًا، له عليه بينة، فله سلبه**» قال: فقمت فقلت: من يشهد لى؟، ثم جلست ثم قال مثل ذلك، فقال فقمت قلت: من يشهد لى؟ ثم جلست ثم قال مثل ذلك، الثالثة فقمت.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مالك؟ يا أبا قتادة!**»فقصصت عليه القصة فقال رجل من القوم: صدق. يا رسول الله! سلب ذلك القتيل عندى، فأرضه من حقه، وقال أبو بكر الصديق، لاها الله إذًا لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله، فيعطيك سلبه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**صدق، فأعطه إياه**» فأعطانى قال: فبعت الدرع، فابتعت به مخرفًا فى بنى سلمة، فإنه لأول مال تأثلته فى الإسلام.

وفى حديث الليث: فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أضيبع فى قريش ويدع أسدًا من أسد الله»[2].

---

(١) جولة: أى انهزام وخيفة ذهبوا وفروا فيها، وهذا إنما كان فى بعض الجيش، وأما الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطائفة معه فلم يولوا، وقد سبق ذكر بعض الأحاديث الصحيحة فى ذلك.

(٢) أخرجه البخارى (٢١٠٠ و ٣١٤٢ و ٤٣٢١ و ٤٣٢٢)، ومسلم (١٧٥١)، وأبو داود (٢٧١٧)، والترمذى (١٥٦٢)، والترمذى (١٥٦٢)، ومالك (٢/ ٤٥٤)، والشافعى (٢/ ١١٧)، وسعيد بن منصور (٢٦٩٦) وابن الجارود (١٠٧٦)، والطحاوى (٣/ ٢٢٦)، وفى «المشكل» (٤٥٨٥)، وابن حبان (٤٨٠٥ و ٤٨٣٧)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٠٦ و ٩/ ١٥٠-)، وفى «الدلائل» (٥/ ١٤٨)، والبغوى (٢٧٢٤)، والدارمى (٢/ ٢٢٩)، وأخرجه ابن ماجه (٢٨٣٧) مختصرًا.

وقوله: «على حبل عاتقه» هامة بين العنق والكتف، وقوله: «فله سلبه» أى ما على القتيل وما معه من =

وقد سبق معنا حديث سلمة بن الأكوع: وأن النبى ﷺ قال: «**له سلبه أجمع**» فارجع إليه.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال يومئذ: «**من قتل كافرًا فله سلبه**» فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلًا وأخذ أسلابهم[(١)].

دفاع أم سليم وجهادها عن النبى ﷺ وشجاعتها:

عن أنس رضي الله عنه قال: «إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما هذا الخنجر؟**» قالت: اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ﷺ يضحك قالت: يا رسول الله! اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن**»[(٢)].

ملاحقة المسلمين للفارين بأوطاس:

عن أبى موسى الأشعرى قال: «لما فرغ النبى ﷺ من حنين، بعث أبا

= ثياب وسلاح ومركب يقاد بين يديه، وقوله: «من يشهد لى» أى: يأتى بأنى قتلت رجلًا من المشركين فيكون سلبه لى، وقول أبى بكر رضي الله عنه «لاها الله» هو قسم ويمين بمعنى (لا والله) وراجع كلام الحافظ فى «الفتح» قوله: «لا يعمد» الضمير عائد إلى النبى ﷺ أى أنه لا يقصد عليه السلام إلى إبطال حق أسد من أسود الله يقاتل فى سبيله وهو أبو قتادة، بإعطاءه سلبه إياك.

و(مخرفا): أى بستانًا، و(تأثلته): اقتنيته.

(١) أخرجه أبو داود (٢٧١٨)، والدارمى (٢/ ٢٢٩)، وابن سعد (٣/ ٥٠٥)، والحاكم (٣/ ٣٥٣)، وصححه ووافقه الذهبى، وأخرجه أحمد (٣/ ١١٤، ١٢٣، ١٩٠) والطيالسى (٢٠٧٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٠٩)، وأبو داود (٢٧١٨)، وأحمد (٣/ ١٠٨ و ١١٢ و ١٩٠) وابن أبى شيبة (١٤/ ٥٢٣)، والطيالسى (٢٠٧٩)، وعبد بن حميد (١٢٠٢)، وابن سعد (٨/ ٤٢٥)، والطحاوى فى «المشكل» (٤٧٨٦)، وأبو يعلى (٣٤١١ و ٣٥١٠)، وابن حبان (٤٨٣٦ و ٤٨٣٨)، والطبرانى فى «٢٥/ ٢٩١» وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٦٠)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٠٦) و«الدلائل» (٥/ ١٥٠) وعند بعضهم مختصر.

عامر على جيش أوطاس، فلقى دريد بن الصمة، فقتل دريد، وهزم الله أصحابه قال أبو موسى: وبعثنى مع أبى عامر، فرمى أبو عامر فى ركبته، رماه جشمى بسهم فأثبته فى ركبته، فانتهيت إليه فقلت: يا عم! من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبى موسى، فقال: إن ذلك قاتلى، تراه ذلك الذى رمانى.

قال أبو موسى فقصدت له، فاعتمدته، فلحقته، فلما رآنى ولى عنى ذاهبًا، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحى؟ ألست عربيًّا؟ فكف فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين أنا وهو فقتلته، ثم رجعت إلى أبى عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك، قال: فانتزع هذا السهم، فنزعته، فنزا منه الماء فقال: يا ابن أخى، انطلق إلى رسول الله ﷺ، فأقرئه منى السلام، ثم قل له إنه يقول لك استغفر لى.

قال: واستخلفنى أبو عامر على الناس يسيرًا، ثم مات، فلما رجعت إلى النبى ﷺ، دخلت عليه، وهو فى بيت على سرير مرمل وعليه فراش، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه، فأخبرته بخبرنا، وخبر أبى عامر، وقلت له: قال: قل له يستغفر لى.

فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ، ثم رفع يديه، فقال: «**اللهم اغفر لأبى عامر عبدك**» حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس**»، فقلت: يا رسول الله ! ولى فاستغفر، فقال: «**اللهم اغفر لعبد الله ابن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا**»، قال أبو بردة: إحداهما لأبى عامر، والأخرى لأبى موسى»[1].

رحمة النبى ﷺ بالنساء والصبيان من المشركين:

عن المرقع بن صيفى، عن جده رباح بن الربيع أخى حنظلة الكاتب: «أنه خرج مع رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها، وعلى مقدمته خالد بن الوليد فمرَّ رباح

(١) أخرجه البخارى (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨)، وابن جرير الطبرى فى «التاريخ» (٣/ ٨٠ - ٨١).

وأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«ما هذا؟»** فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبعض من معه: **«أدرك خالدًا، فقل له: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفًا»**[1].

وذكر ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ أن ذلك كان فى غزوة حنين.

حصار الطائف

وكان ذلك فى شوال سنة ثمان بعد حنين[2].

مدة حصار الطائف:

سبق من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فحاصرناهم أربعين ليلة ثم رجعنا إلى مكة فنزلنا...»[3].

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٤٨٨)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٦٢٨)، وابن ماجه (٢٨٤٢)، والطحاوى (٣/ ٢٢٢)، وأبو يعلى (١٥٤٦)، وابن حبان (٤٧٨٩)، والطبرانى فى «الكبير» (٤٦١٩)، (٤٦٢٠)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٩١)، من طرق عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبى الزناد، حدثنى المرقع ابن صيفى، عن جده رباح بن الربيع أخى حنظلة الكاتب به، وإسناده حسن، وأخرجه البخارى فى «التاريخ الكبير» (٣/ ٣١٤)، وأبو داود (٢٦٦٩)، والنسائى فى «الكبرى» (٨٦٢٥)، والطبرانى (٤٦٢١، ٤٦٢٢) والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٨٢)، من طرق: عن موقع بن صيفى بهذا الإسناد، وذكره ابن إسحاق فى «السيرة» (٤/ ٩٠)، معلقًا..

(٢) انظر: «السيرة النبوية» (٤/ ١٢٦)، وغيره من كتب السيرة وصححه الشيخ الألبانى فى «الصحيحة» (٢/ ٣١٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٦/ ١٠٥٩)، وله شاهد من مرسل مكحول عند ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ١٢١)، وقد أورد ابن إسحاق غير ذلك فقال: «حاصرهم بضعًا وعشرين ليلة، وقال ابن هشام: ويقال: سبع عشرة ليلة» ورواه عن ابن إسحاق ابن جرير فى «التاريخ» (٣/ ٨٤ - ٨٥)، وذكره ابن سعد إلا أنه قال: «ثمانية عشر يومًا» قلت: لم يثبت ذلك بسند موصول إلا حديث أنس فعليه يعول والله أعلم.
تنبيه: ذكر ابن هشام فى «السيرة» (٤/ ٣١٩ - ٣٢٠)، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رمى أهل الطائف بالمنجنيق، قلت: وهذا لا يصح فقد أخرجه الترمذى معضلًا، كما قال الزيلعى فى «نصب الراية» (٣/ =

حث النبى ﷺ الصحابة على القتال على مشركى الطائف:

عن أبى نجيح عمرو بن عبسة السلمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف، فسمعت رسول الله ﷺ **«من بلغ بسهم فله درجة فى الجنة»**.

فبلغت يومئذ بستة عشر سهمًا، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رمى بسهم فى سبيل الله فهو عدل محرر، ومن شاب شيبة فى سبيل الله كانت له نورًا يوم القيامة، وأيما رجل أعتق رجلًا مسلمًا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ جاعل كل عظم من عظامه، وفاء كل عظم بعظم، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ جاعل كل عظم من عظامها وفاء كل عظم من عظام محررها من النار»**[1].

إعتاق النبى ﷺ لعبيد الطائف الذين نزلوا إليه مسلمين:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أعتق رسول الله ﷺ يوم الطائف كل من خرج إليه من رقيق المشركين»[2].

عن الشعبى، عن رجل من ثقيف قال: «سألنا رسول الله ﷺ ثلاثًا،

= ٣٨٢)، وأخرجه أبو داود فى «المراسيل» انظر قول الحافظ فى «التلخيص الحبير» (٤/ ١١٦)، وللإمام البيهقى فى «السنن» (٩/ ١٥٩)، تعليق جيد، ورواية الصحيح عن أنس التى معنا: ليس فيها رميهم بالمنجنيق . فليتنبه لذلك. ولذا جعلته فى قسم «الضعيف».

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١١٣)، واللفظ له، وأخرجه أبو داود (٣٩٦٥)، والترمذى (١٦٣٨)، مختصرًا، والنسائى (٦/ ٢٦ و ٢٨)، وابن ماجه (٢٨١٢)، والحاكم (٣/ ٤٩ - ٥٠)، وقال الترمذى: حديث صحيح، صححه الحاكم وقال: «صحيح عادل، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى..

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٤) (١٩٥٩)، وأبو يعلى (٢٥٦٤)، والطبرانى (١٢٠٧٩)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٢٢٩) من طريق أبى معاوية حدثنا حجاج عن الحكم، عن مقسم عنه وإسناده ضعيف، الحجاج هو ابن أرطأة وهو مدلس، وأخرجه ابن أبى شيبة (١٢/ ٥١١)، والدارمى (٢٥٠٨)، والطحاوى (٣/ ٢٧٨)، والطبرانى (١٢٠٩٢)، ، والبيهقى (٩/ ٢٢٩ - ٢٣٠)، من طرق عن الحجاج به، وأخرجه أحمد عن الحجاج بهذه الأرقام (٢١١١ و ٢١٧٦ و ٢٢٢٩) و(٣٢٦٧ و ٣٤١٥) بالإسناد السابق قلت وللحديث شاهد من حديث رجل من ثقيف انظر الآتى.

وسألناه أن يرد علينا أبا بكرة، وقال: «هو طليق الله، وطليق رسول الله» وكان أبو بكرة خرج إلى النبى ﷺ حين حاصر الطائف فأسلم»[(١)].

وعن أبى عثمان النهدى، قال: «سمعت سعدًا وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله، وأبا بكرة، وكان تسور حصن الطائف فى أناس، فجاء إلى النبى ﷺ، فقالا: سمعنا النبى ﷺ يقول: «**من دعى إلى غير أبيه، وهو يعلم فالجنة عليه حرام**». [متفق عليه]

وقال هشام: وأخبرنا معمر عن عاصم عن أبى العالية، أو أبى عثمان النهدى قال: سمعت سعدًا وأبا بكرة عن النبى ﷺ، قال: عاصم: قلت: لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما، قال: أجل، أما أحدهما فأول من رمى بسهم فى سبيل الله، وأما الآخر فنزل إلى النبى ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف[(٢)].

وعن أبى بكرة: «أنه تدلى من حصن الطائف ببكرة فكنى أبا بكرة»[(٣)].

إذن الرسول ﷺ للصحابة بالقفول من الطائف:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما **قال:** «حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف، فلم ينل منهم شيئًا، قال: «**إنا قافلون غدًا إن شاء الله**» فقال المسلمون: أنرجع ولم نفتحه؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «**اغدوا على القتال غدًا**» فأصابهم جراح فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنا قافلون غدًا إن شاء الله**»، فأعجبهم ذلك

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٦٨)، من طريق مفضل بن مهلهل عن مغيرة بن مقسم الضبى، عن شباك الضبى، عن الشعبى، عن رجل من ثقيف به، وإسناده قوى ورجاله ثقات، وأخرج الجزء الأخير منه: الطحاوى فى «المشكل» (٤٢٧٣)، و«معانى» (٣/ ٢٧٨)، بهذا الإسناد، ويشهد له ما ذكره الحافظ فى «الفتح» قال: «أخرج الطبرانى بسند لا بأس به من حديث أبى بكرة: «وكان ممن نزل من حصن الطائف من عبيدهم فأسلم» وبه يقوى الحديث إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٢٦ و ٤٣٢٧) وابن سعد (٢/ ١٥٩، ١٦٠) (٧/ ١٥).

(٣) ذكره الطبرانى بسند لا بأس به. قاله الحافظ فى «الفتح».

فضحك النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

دعاء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثقيف:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قالوا يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم، قال: «اللهم اهد ثقيفًا»(٢).

جمع الغنائم والسبايا إلى الجعرانة:

قال ابن إسحاق: «... ثم جُمعت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبايا حنين وأموالها، وكان مع الغنائم مسعود بن عمرو الغفارى، وأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة، فحبست بها»(٣).

مجىء وفد هوازن مسلمين وتخيير النبى لهم بين أموالهم وأحسابهم:

عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«معى من ترون، وأحب الحديث إلىَّ أصدقه، فاختاروا إحدى**

---

(١) أخرجه البخارى (٤٣٢٥ و ٦٠٨٦ و ٧٤٨٠) ومسلم (١٧٧٨)، وأحمد (٢/ ١١).

(٢) أخرجه الترمذى (٣٩٤٢)، وأحمد (٣/ ٣٤٣)، وقال الترمذى: «حسن صحيح غريب» وقال ابن عدى فى «الكامل» (١/ ٥١٨)، «ليس يرويه غير إسماعيل بن زكريا، وهو حسن الحديث» وقال ابن القيصرانى فى «ذخيرة الحفاظ» (١/ ٤٦٢) «فيه إسماعيل بن زكريا ضعيف» وقال الذهبى فى «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٢٩) تفرد به إسماعيل بن زكريا وهو صدوق شيعى، وضعفه الألبانى فى «ضعيف الترمذى» (٣٩٤٢)، وفى «فقه السيرة» ص (٣٩٨)، وقال فى «دفاعه عن الحديث» (ص٣٤): إسناده لا يصح. وقوَّى إسناده على شرط مسلم الشيخ شعيب فى تحقيقه للمسند (١٤٧٠٢) وذلك مطرقه.

(٣) أخرجه البزار (٢/ ٣٥٣) «كشف الأستار» والطبرانى فى «الكبير» (١١٨٩)، وفى «الأوسط» (٧٢٥٢) من طريق ابن إسحاق، عن ابن أبى عيلة، عن ابن بديل بن ورقاء عن أبيه به.
وقال الهيثمى (٦/ ١٨٦): ولم يسم ابن بديل، وبقية رجاله ثقات.
والجعرانة: ماء بين الطائف ومكة وهى إلى مكة أقرب، وفيها - كما سبق - قسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنائم حنين ومنها أحرم معتمرًا - كما سيأتى.

الطائفتين: إما السبى وإما المال، وقد كنت استأنيت بكم» وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبينا.

فقام رسول الله ﷺ فى المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: **«أما بعد فإن إخوانك من قد جاءونا تائبين، وإنى قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفىء الله علينا فليفعل»**. فقال الناس: قد طبنا بذلك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: **«إنا لا ندرى من أذن منكم فى ذلك ممن لم يأذن. فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم»** فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، فأخبروهم أنهم قد طيبوا وأذنوا، هذا الذى بلغنى عن سبى هوازن»[1].

عن نافع: أن ابن عمر حدَّثه أن عمر بن الخطاب، كان رسول الله ﷺ قد أعطاه جارية من الخمس فلما أعتق رسول الله ﷺ سبايا الناس، فقال عمر: يا عبد الله: اذهب إلى تلك الجارية فخل سبيلها»[2].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٣١٨ و ٤٣١٩)، وأبو داود (٢٦٩٣)، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٢٦، ٣٢٧) والبيهقى فى «السنن» (٩/ ٦٤) من حديث المسور بن مخرمة وأخرجه البخارى أيضًا من حديث جبير بن مطعم برقم (٢٨٢١ و ٣١٤٨)، وأخرجه ابن إسحاق فى «السيرة» من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده، وإسناده حسن وصرح ابن إسحاق بالتحديث، وأخرجه أحمد (٢/ ١٨٤ (٢١٨) والنسائى (٦/ ٢٦٢ - ٢٦٤)، والطبرى فى «التاريخ» (٣/ ٨٦ - ٨٧) والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٣٦) وفى «الدلائل» (٥/ ١٩٤ - ١٩٦)، من طريق: ابن إسحاق بهذا الإسناد، ورواه عنه أبو داود (٢٦٩٤) مختصرًا.
وقال الهيثمى (٦/ ١٨٧ - ١٨٨): رواه أبو داود باختصار كثير، ورواه أحمد، ورجال أحمد أسانيده ثقات» قلت: وجاء أيضًا، من حديث عبادة بن الصامت عند الحاكم (٣/ ٤٩) جزء منه، ومن حديث عمرو بن عبسة عند البيهقى (٦/ ٣٣٩) وسبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٢٠)، ومسلم (٢٨/ ١٦٥٦) وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٩٧) من طريق أيوب، عن نافع به.

قسم فىء هوازن

جود رسول الله ﷺ وكرمه:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده: أن النبى ﷺ لما فرغ من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب، وأتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، أقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم، حتى ألجؤه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه فقال: «**ردوا على ردائى أيها النس فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعمًا لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلًا ولا جبانًا ولا كذوبًا**» ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وبرة من سنامه بين أصبعيه ثم رفعها، ثم قال: «**أيها الناس والله ما لى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم؛ فأدوا الخياط والمخيط فإن الغلول يكون على أهله عارًا ونارًا وشنارًا يوم القيامة**» قال: فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الكبة أعمل به برذعة بعير لى دبر، فقال: «**أما نصيبى منها فلك**» قال: أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لى بها، ثم طرحها من يده[1].

المؤلفة قلوبهم وأعطياتهم:

عن ابن شهاب قال: «غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح، فتح مكة، ثم

---

(١) إسناده حسن: ورواه ابن إسحاق عن: عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، وأخرجه عن ابن إسحاق: أحمد (٦٧٢٩)، والنسائى (٦/ ٢٦٢ - ٢٦٣)، والطبرى فى «التاريخ» (٣/ ٨٦ - ٨٧) والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٦٦)، وله شاهد من حديث جبير بن مطعم، أخرجه عبد الرزاق (٩٤٩٧)، وعنه ابن حبان (٤٨٢٠)، وأحمد (١٦٧٧٥)، والطبرانى (١٥٥١)، والبغوى (٣٦٨٩)، عن معمر، عن الزهرى، عن عمر بن محمد بن عمرو بن مطعم، عن محمد بن جبير عن أبيه بنحوه مختصرًا، وأخرجه أحمد (١٦٧٥٦)، و(١٦٧٧٧)، (١٦٧٧٨)، والبخارى (٢٨٢١ و ٣١٤٨)، والطبرانى (١٥٥٢ و ١٥٥٣ و ١٥٥٤ و ١٥٥٥) وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى ﷺ» (ص ٥٣ - ٥٤) من طرق عن ابن شهاب به.

خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة، قال ابن شهاب حدثنى سعيد بن المسيب؛ أن صفوان قال: والله لقد أعطانى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أعطانى وإنه لأبغض الناس إلى فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلى[1].

عن رافع بن خديج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أعطى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبى ونهب العُبَيد بين عيينة والأقرع؟

فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس فى المجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩/ ٢٣١٣) وغيره.

وأما ما ورد من أن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أعطى صفوان بن أمية شعبًا ملأى نعمًا وشاء ورعاء فهذا لا يصح؛ لأنه من رواية الواقدى كما فى «مغازيه» (٣/ ٩٤٦) والواقدى - كما سبق مرارًا متروك، ويغنى عن هذه الرواية ما سقناه من صحيح مسلم وغيره، على أنه ينبغى أن يذكر هنا: أن سخاء النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يدرك، كما جاء فى «صحيح مسلم» وغيره عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «ما سئل النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: «يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يعطى عطاء لا يخشى الفاقة».

ومما لا يصح أيضًا - من رواية الواقدى أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطى معاوية بن أبى سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مائة من الإبل، وأربعين أوقية، أى من غنائم حنين، قال الإمام الذهبى رحمه الله - لما أورد ذلك فى «السير» (٣/ ١٢٢):

قلت: الواقدى لا يعى ما يقول: فإن كان معاوية كما نقل قديم الإسلام، فلم يتألفه النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ولو كان أعطاه، لما قال عندما خطب فاطمة بنت قيس: «**أما معاوية فصعلوك لا مال له**» وانظر: ما شاع ولم يثبت ص (٢٠١). وكتابنا الآخر: «ضعيف السيرة».

قال: فأتم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مائة»[1].

وفى رواية: «وأعطى علقمة بن علاثة مائة».

عن أبى ذر الغفارى: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: **«كيف ترى جعيلًا؟»** قال: قلت مسكينًا كشكلة من الناس قال: **«كيف ترى فلانًا؟»** قلت: سيدًا من سادات قريش. قال: **«فجعيل خير من ملء الأرض أو ألف أو نحو ذلك من فلان»** قال: قلت يا رسول الله ففلان هكذا وأنت تصنع به ما تصنع؟ قال: **«إنه رأس قومه فأنا أتألفهم به»**[2].

عن عمرو بن تغلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومًا ومنع آخرين، فكأنهم عتبوا عليه، فقال: **«إنى أعطى قومًا أخاف ظلمهم وجزعهم، وأكل أقوامًا إلى ما جعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى، منهم عمرو بن تغلب**، فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لى بكلمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمر النعم»[3].

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنى أعطى قريشًا أتألفهم، لأنهم حديث عهد بجاهلية»**[4].

طعن ذو الخويصرة بقسمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحلمه عليه وطلب الصحابة لقتله:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أتى رجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧/ ١٠٦٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٧٨).

(٢) إسناده صحيح، أخرجه ابن عبد الحكم فى «فتوح مصر» (ص ٣١٦)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣٥٣) من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن بكر بن سوادة، أن أبا سالم الجيشانى، حدثه عن أبى ذر الغفارى به، ورجاله ثقات على شرط مسلم، وأخرجه ابن جرير فى «التاريخ» (٣/ ٩١)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣٥٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٨٣) من طريق ابن إسحاق وهو مرسل إسناده حسن.

(٣) أخرجه البخارى (٣١٤٥).

(٤) أخرجه البخارى (٣١٤٦) وانظر أطرافه ثمت.

بالجعرانة، منصرفه من حنين، وفى ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها، يعطى الناس، فقال: يا محمد اعدل قال: «**ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟! لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله! فأقتل هذا المنافق. فقال: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية**»(١).

مقالة الأنصار وخطبة رسول الله فيهم:

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أناسًا من الأنصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسول الله ﷺ من أموال هوازن ما أفاء، فطفق رسول الله ﷺ يعطى رجالًا من قريش المائة من الإبل فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطى قريشًا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم! قال أنس: فحدِّث ذلك لرسول الله ﷺ من قولهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم فى قبة من أدم، فلما اجتمعوا، جاءهم رسول الله ﷺ فقال: «**ما حديث بلغنى عنكم؟**» فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله! فلم يقولوا شيئًا، وأما أناس منا حديثة أسنانهم،

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢/ ١٠٦٣)، وأحمد (٣/ ٣٥٤ و ٣٥٥) وأحاديث الخوارج واعتراض هذا الجلف على قسم النبى ﷺ متواترة، منها حديث أبى سعيد الخدرى أخرجه البخارى (٣٣٤٤)، و(٦٩٣٣) ومسلم (١٠٦٤)، وحديث أبى برزة، وأبى بكرة وغيرهم.
وقول عمر رضي الله عنه: «دعنى يا رسول الله! فأقتل هذا المنافق» ثبت عن على، وأبى سعيد الخدرى رضي الله عنهما فى «الصحيحين» وقوله فى هذه الرواية: «دعنى ...» لا ينافى قوله فى تلك الرواية: فقال خالد؛ لاحتمال أن يكون كل منهما سأل فى ذلك انظر: «الفتح» للحافظ ابن حجر.
وقال رحمه الله: «شبه مروقهم من الدين بالسهم الذى يصيب الصيد، فيدخل فيه، ويخرج منه، ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرمى؛ لا يعلق من جسد الصيد شىء».
وانظر كتابنا: «شحذ السيوف والأسنة على منكرى السنة» ففيه موقف الخوارج من حجية السنة النبوية، وأما كنيته ذو الخويصرة، فقد وردت عن ابن عباس بإسناد حسن وأخرجه أحمد (٢/ ٢١٩) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٩٢٩) من طريقه، وقال الشيخ الألبانى - رحمه الله -: «هذا إسناد جيد».

قالوا: يغفر الله لرسولهُ يعطى قريشًا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم! فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإنى أعطى رجالًا حديثى عهد بكفر، أتألفهم، أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**» فقالوا: بلى يا رسول الله! قد رضينا قال: «**فإنكم ستجدون أثرةً شديدةً، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإنى على الحوض**» قالوا: سنصبر[1].

عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **لما أعطى** رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وفى قبائل العرب، ولم يكن فى الأنصار منها شىء وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقى والله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه، فدخل عليه سعد ابن عبادة، فقا: يا رسول الله، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى أصبت، قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظامًا فى قبائل العرب، ولم يك فى هذا الحى من الأنصار منها شىء، قال: «**فأين أنت من ذلك يا سعد**»؟ قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومى، قال: «**فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة**» قال: فخرج سعد فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار، فأتاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «**يا معشر الأنصار ما قالة بلغتنى عنكم؟ وجدة وجدتموها على فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالًا فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداء فألف الله بين قلوبكم**» قالوا: بلى، والله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال: «**ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار**»؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣١٤٧)، ومسلم (١٣٢/ ١٠٥٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٣٠ - ١٣١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ٧٦)، وابن أبى شيبة، (١٢/ ١٥٦ - ١٥٧) و(١٤/ ٥٢٨)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٣٢) من طريق ابن إسحاق قال: حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبى سعيد الخدرى وإسناده حسن لأجل ابن إسحاق وقد صرَّح بالتحديث.

والفضل، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم أتيتنا مكذَّبا فصدقناك ومخذولًا فنصرناك وطريدًا فأويناك، وعائلًا فآسيناك أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحاكم؟ فوالذى نفسى محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًا، ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتفرقوا»[(١)].

عمرة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجعرانة:

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «اعتمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع عمر كلهن فى ذى القعدة إلا التى كانت مع حجته عمرة الحديبية فى ذى القعدة، وعمرة من العام المقبل من ذى القعدة، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة، وعمرة مع حجته»[(٢)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «اعتمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع عمر، عمرة الحديبية، والثانية حين تواطؤ على عمرة من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التى

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٧٦ - ٧٧)، وفى «الفضائل (١٤٣٩)، مختصرا، وابن أبى شيبة (١٢٤٠٢)، و(١٨٨٤٣)، وأبو يعلى (١٠٩٢) مختصرًا جدًّا، والطبرى فى «التاريخ (٣/ ١٨٣)، وابن إسحاق فى «السيرة» (٤/ ١٤٦ - ١٤٨) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٧٦ - ١٧٨)، من طرق عن محمد بن إسحاق، حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبى سعيد به، وهذا سند صحيح صححه الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللهُ فى تخريج «فقه السيرة» وثبت هذا الحديث عن بعض الصحابة: منها: حديث عبد الله بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه البخارى (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، وحديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أخرجه البخارى (٤٣٣١ - ٤٣٣٧) ومسلم (١٠٥٩).

(٢) أخرجه البخارى (٤١٤٨)، ومسلم (٢١٧/ ١٢٥٣)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٠٣).

قرن مع حجته»[١].

عن يعلى بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء رجل إلى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بالجعرانة، وعليه جبة، وعليها خلوق، أو قال: أثر صفرة، فقال: كيف تأمرنى أصنع فى عمرتى؟ قال: وأنزل على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحى، فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أنى أرى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أنزل الوحى عليه، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه، فنظرت إليه، فإذا له غطيط «قال» وأحسبه كغطيط البكر، فلما سرى عنه قال: **«أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك الصفرة، أو قال أثر الخلوق، واخلع عنك جبتك، واصنع فى عمرتك ما أنت صانع فى حجتك»**[٢].

وعن محرش الكعبى: «أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج من الجعرانة ليلًا، فاعتمر، ثم رجع، فأصبح بها كبائت، فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة».

وفى رواية: «فلما زالت الشمس أخذ فى بطن سرف، حتى جاء مع الطريق طريق المدينة قال: فلذلك خفيت عمرته»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢١١ و ٢٩٥٤)، والترمذى (٨١٦)، وأبو داود (١٩٩٣)، وابن ماجه (٣٠٠٣)، والدارمى (١٨٥٨)، والطحاوى (٢/ ١٤٩)، وابن حبان (٣٩٤٦)، والطبرانى (١١٦٢٩)، والبيهقى فى «السنن» (٥/ ١٢)، من طرق: عن داود بن عبد الرحمن عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس به» وسنده صحيح على شرط البخارى.

(٢) أخرجه البخارى (٤٩٨٥)، ومسلم (١١٨٠).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٦)، والحميدى (٨٦٣)، والنسائى (٥/ ٢٠٠)، وفى «الكبرى» (٤٢٣٤)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ٧٧٢)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٢٥٧)، والترمذى (٩٣٥)، والدارمى (٢/ ٥٢) من طرق: عن مزاحم بن أبى مزاحم، عن عبد العزيز بن عبد الله، عن محرش الكعبى به، وإسناده حسن، ومن الأحاديث المثبتة لعمرة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجعرانة، أيضًا حديث جابر عند البزار والطبرانى فى «الأوسط» وغيرهم، أما من أنكر عمرة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجعرانة وهو ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فروى البخارى، عن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير فى المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة، وإذا ناسٌ يصلون فى المسجد صلاة الضحى، قال: فسألناه عن صلاتهم فقال: بدعة، ثم قال له: كم اعتمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال: أربع إحداهن فى رجب فكرهنا أن نرد

ما أنزل الله فى شأن غزوة حنين:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٧) ﴾

[التوبة: ٢٥ - ٢٧]



= عليه قال: وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين فى الحجرة، فقال عروة: يا أماه يا أم المؤمنين ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: ما يقول؟ قال: يقول: إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات إحداهن فى رجب، قالت: «يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده، وما اعتمر فى رجب قط» وقد اعتذر الحافظ فى «الفتح» عن ابن عمر؛ لأنها خفيت عليه كما خفيت عن غيره، كما جاء مصرحًا من حديث محرش، والعمرة ثابتة ذكرها ابن إسحاق فى «السيرة» (٤/ ١٤٨)، وعنه الطبرى فى «التاريخ» (٣/ ٩٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٠٣)، وفى «السنن» (٥/ ٢٠١)، عن موسى بن عقبة، والحاكم (٣/ ٣٧٠)، والبيهقى (٥/ ٢٠١)، من طريق ابن لهيعة، عن الأسود، عن عروة، وأثبتها الواقدى كما فى «المغازى» (٣/ ٩٥٨)، وابن حبان كما فى «الثقات» (٢/ ٨٢)، والذهبى فى «تاريخ الإسلام» (١/ ٥٠٨)، والمثبت مقدم على النافى.

فَصْلٌ

فى غزوة تبوك[1]

وقتها: كانت فى رجب سنة تسع من الهجرة قبل حجة الوداع بلا خلاف.

سببها: ذكر الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن سبب هذه الغزوة ما ذكره ابن سعد وشيخه وغيرهم قالوا:

بلغ المسلمين من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعًا وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من متنصرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء، فندب النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إلى الخروج، وأعلمهم بجهة غزوهم كما سيأتى فى الكلام على حديث كعب بن مالك، وروى الطبرانى من حديث عمران بن حصين قال: «كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: أن هذا الرجل الذى خرج يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم، فبعث رجلًا من عظمائهم يقال له: قباذ وجهز معه أربعين ألفًا، فبلغ النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكن للناس قوة، وكان عثمان قد جهز عيرًا إلى الشام فقال: يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية، قال: فسمعته يقول: «**لا يضر عثمان ما عمل بعدها**»[2].

---

(١) قال الحافظ فى «الفتح» (٧/ ٧١٤): «وتبوك: مكان معروف، هو نصف طريق المدينة إلى دمشق، ويقال: بين المدينة وبينه أربع عشرة مرحلة.
ثم قال: «والعسرة: بمهملتين الأولى مضمومة وبعدها سكون مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ وهى غزوة تبوك، وفى حديث ابن عباس: «قيل لعمر: حدثنا عن شأن ساعة العسرة، قال: خرجنا إلى تبوك فى قيظ شديد فأصابنا عطش» وفى تفسير عبد الرزاق: «خرجوا فى قلة من الظهر وفى حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما فى كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة من الماء وفى الظهر وفى النفقة، فسميت غزوة العسرة».

(٢) «الفتح» (٧/ ٥١٧) وسيأتى تخريج الحديث.

قال الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة: ٢٩]، «هذه الآية الكريمة نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب، بعدما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس فى دين الله أفواجًا، فلما استقرت جزيرة العرب، أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين؛ اليهود والنصارى، وكان ذلك فى سنة تسع، ولهذا تجهز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقتال الروم، ودعا الناس إلى ذلك وأظهره لهم، وبعث إلى أحياء العرب حول المدينة فندبهم، فأوعبوا معه، واجتمع من المقاتلة نحو من ثلاثين ألفًا».

ندب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين إلى جهاد الروم وتصريحه بجهة الغزوة وذلك حين طابت الثمار وفى سنة مجدبة:

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلما يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حر شديد، استقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا استقبل غزو عدد كثير، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم، أخبرهم بوجهه الذى يريد»(١).

حث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه على الإنفاق وتجهيز الجيش، وإنفاق عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه على التصدق وهو ما يسمى بلغة العصر التبرع لتجهيز الجيش الإسلامى الضخم الذى احتشد للخروج مع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإكمال تموينه، لأن بيت مال المسلمين بالمدينة ليس فيه ما يكفى لتموين وتجهيز هذا الجيش الكبير.

وما كاد الأغنياء وميسوروا الحال من الصحابة يتبلغون نداء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحث على التصدق والتبرع لإكمال تجهيز الجيش الغازى هذا حتى

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) وسيأتى تخريجه مفصلًا.

تسابقوا إلى ميدان التبرع والتصدق طمعًا فيما عند الله تعالى من ثواب، وكان التبرع من هؤلاء الكرام على أعلى مستويات السخاء، فتم للرسول ﷺ جمع أموال عظيمة من المتصدقين فى وقت قليل جدًّا تمكن بهذه الأموال من تموين الجيش وإكمال تجهيزه حيث وفر للجيش وسائل النقل، والأسلحة، والأكل لأفراده الذين لا يقدرون على أن يوفروها لأنفسهم من مالهم الخاص.

وكان من أعظم هؤلاء جميعًا سخاء عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد ضرب الرقم القياسى فى البذل والسخاء حين جاء بالمال الكثير لتجهيز المقاتلين وتموينهم جعلت رسول الله ﷺ يسَّر جدًّا به ويرضى عنه ويدعو له[1] فقد جاء:

من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: «جاء عثمان بن عفان إلى النبى ﷺ بألف دينار فى ثوبه حين جهز النبى ﷺ جيش العسرة قال: فصبها فى حجر النبى ﷺ فجعل النبى ﷺ يقلبها بيده ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارًا»[2].

عن أبى عبد الرحمن السلمى: أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبى ﷺ قال: «**من حفر رومة فله الجنة**» فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة؟**»،

---

(١) انظر: «صحيح السيرة» (ص ٥٨٥).

(٢) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٦٣)، و«فضائل الصحابة» (٨٤٦، ٨٤٧)، والترمذى (٣٧٠١)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٢٧٩)، و«الجهاد» (٨٢)، وعبد الله بن أحمد فى «زوائد المسند» (٥/ ٦٣) و«زوائد الفضائل» (٧٣٨)، والفسوى فى «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٨٣) والقطيعى فى «فضائل الصحابة - زوائد» (٨٣٩ و٨٤٦) ، والحاكم (٣/ ١٠٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢١٥)، وابن عساكر (٤١/ ٤٣ و ٤٣ - ٤٤) وغيرهم من طريق ضمرة بن عبد الله بن شوذب عن عبد الله بن القاسم، عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة، عن عبدالرحمن بن سمرة به.

وهذا بإسناد حسن، كثير بن أبى كثير، صدوق حسن الحديث، إن شاء الله، فقد روى عنه جمع ووثقه العجلى وابن حبان وهو من التابعين الكبار وحسنه الألبانى فى «صحيح الترمذى (٢٩٢٥).

فجهزته؟ قال: فصدقوه بما قال»[١].

نفقة الصديق والفاروق رضي الله عنهما:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، ووافق ذلك عندى مالًا فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، قال: فجئت بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلت: مثله، وإن أبا بكر أتى بكل ما عنده فقال: «**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله فقلت: لا أسابقه إلى شىء أبدًا[٢].

قصة أصحاب أبى موسى الأشعرى:

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: «أرسلنى أصحابى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الحملان لهم إذا هم معه فى جيش العسرة وهى غزوة تبوك، فقلت: يا نبى الله: إن أصحابى أرسلونى إليك لتحملهم، فقال: «**والله لا أحملكم على شىء**»، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينًا من منع النبى صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم وجد فى نفسه على، فرجعت إلى أصحابى فأخبرتهم الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالًا ينادى: أى عبد الله بن قيس، فأجبته فقال: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك.

فلما أتيته قال: «**خذ هذين القرنين لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله** أو قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم **يحملكم على هؤلاء فاركبوهن**». فانطلقت إليهم بهن فقلت: إن النبى صلى الله عليه وسلم يحملكم على هؤلاء، ولكنى والله لا أدعكم حتى ينطلق معى بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله

---

(١) أخرجه البخارى (٢٧٧٨).

(٢) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذى (٣٦٧٥)، وقال: «حسن صحيح»، والحاكم (١/ ٤١٤)، وصححه ووافقه الذهبى، والدارمى (١٦٦٠)، والبزار فى «المسند» (١٥٩)، والبيهقى فى «السنن» (٤/ ١٨٠ - ١٨١)، وحسنه الألبانى رحمه الله.

ﷺ لا تظنوا أنى حدثتكم شيئًا لم يقله رسول الله ﷺ.

فقالوا لى: إنك عندنا لمصدق، ولنفعلن ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ منعه إياهم ثم إعطائهم بعد، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى»(١).

البكاءون:

قال ابن إسحاق: ثم إن رجالًا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم: من بنى عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد أخو بنى حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كعب أخو بنى مازن ابن النجار، وعمرو بن حُمام بن الجموح أخو بنى سلمة، وعبد الله بن المغفل المزنى، وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله ابن عمرو المزنى، وهرمى بن عبد الله أخو بنى واقف، وعرباض بن سارية الفزارى، فاستحملوا رسول الله ﷺ، وكانوا أهل حاجة، فقال: **لا أجد ما أحملكم عليه**» فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون»(٢).

---

(١) أخرجه البخارى (٤٤١٥)، ومسلم (١٦٤٩)، وغيرهما..

(٢) أخرجه ابن جرير فى «التاريخ» (٣/ ١٠٢)، وفى «التفسير» (١٧١٠٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢١٨)، عن ابن إسحاق بلاغًا، وله أصل فى «الصحيحين» وأخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ فى «تفسيرهما» كما فى «الدر المنثور» (٤/ ٢٦٤)، عن الزهرى ويزيد بن يسار، وعبد الله بن أبى بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة به مرسلًا، وهو مرسل صحيح الإسناد.

أما العرباض بن سارية فقد ثبت ذلك عنه: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦ - ١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والطبرى فى «التفسير» (١٠/ ٢٣٩)، وابن حبان (٥ - إحسان) و«الثقات» (١/ ٤)، و«المجروحين» (١/ ١٨)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (٣٢ و٥٧ و١٠٤٠)، والآجرى فى «الشريعة» (٩٢ و٩٣)، و«الأربعين» (٨)، وابن أبى حاتم فى «التفسير» (٦/ ١٨٦٢)، وابن بطة فى «الإبانة» (١٤٢)، والحاكم (١/ ٩٧)، وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم: ثنا ثور بن يزيد: حدثنى خالد بن معدان؛ ثنى عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر؛ قالا: آتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢].

=

أجر البكائين وأصحاب الأعذار:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديا، ولا سرتم سيرًا إلا وهم معكم**» قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: «**نعم حبسهم العذر**»[(1)].

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد خلفتم بالمدينة رجالًا، ما قطعتم واديا، ولا سلكتم طريقًا إلا شركوكم فى الأجر، حبسهم المرض**»[(2)].

لمز المنافقين للمتصدقين:

عن أبى مسعود الأنصارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغنى عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاء فنزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [التوبة: ٧٩][(3)].

تخلف المنافقين وبعض الأعراب عن الجهاد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأعذار كاذبة:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما أراد النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخرج إلى غزوة تبوك، قال لجد بن قيس: «ما تقول فى مجاهدة بنى الأصفر؟» فقال: إنى أخشى إن

= وهذا سند صحيح: والوليد بن مسلم قد صرح بالتحديث فى جميع طبقات السند وصححه ابن حبان والحافظ فى «موافقة الخبر الخبر» (١/ ١٣٧)، والشيخ العلامة المحدث الألبانى فى «الصحيحة» (٩٣٧)، وغيرهم كثير.

وانظر: «الصحيحة» (٢/ ٧١٧ - ٧١٩) و(٧/ ١٨ - ٢٠).

(١) أخرجه البخارى (٢٨٣٩)، و(٤٤٦٣)، وأبو داود (٢٥٠٨)، وابن ماجه (٢٧٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩/ ١٩١١)، وابن ماجه (٢٧٦٥)، وأحمد (١٤٢٤٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٦٧).

(٣) أخرجه البخارى (١٤١٥ و ٤٦٦٨)، ومسلم (١٠١٨)، وابن جرير الطبرى فى «التفسير» ١٠/ ١٩٦).

رأيت نساء بنى الأصفر أن أفتتن، فأئذن لى ولا تفتنى» فأنزل الله الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩](١).

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبرانى (٢١٥٤)، وفى إسناده يحيى بن عبد الحميد الحمانى، وهو ضعيف، قاله الهيثمى (٧/ ٣٠)، وقال السيوطى فى «الدر» (٣/ ٤٤٣): «رواه بنحوه ابن أبى حاتم، وابن مردويه عن جابر»، وأخرجه ابن جرير الطبرى فى «التفسير» (١٦٨٠٣)، وفى «التاريخ» (٣/ ١٠٠ - ١٠١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢١٣)، من طريق ابن إسحاق به، وهو مرسل لم يصرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، فالحديث ضعيف، وضعفه الشيخ الألبانى فى «فقه السيرة» (ص ٤٠٦)، وأخرجه البيهقى من طريق ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة، وفيه علتان: ضعف ابن لهيعة، والإرسال.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فى «الإصابة» (١/ ٢٣٠): ويقال إن الجد بن قيس كان منافقًا، وروى أبو نُعيم وابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾.

ورواه ابن مردويه من حديث عائشة رضي الله عنها بسندٍ ضعيف أيضًا، ومن حديث جابر بسند فيه مبهم.

قال ابن عبد البر رحمه الله فى «الاستيعاب»: «وقد قيل إنه تاب فحسنت توبته، فالله أعلم».

ولا ريب أن من المنافقين من اعتذر بهذا العذر، كما ذكر الله تبارك وتعالى فى الآية السابقة، لكن الجزم بنزولها فى الجد بن قيس صعب، نعم لو صح السند بذلك فلا كلام، أما وهو لم يصح فلا ينبغى ذكره إلا مع بيان ضعفه، بل قد ذكر الحافظ فى ترجمة الجد فى «الإصابة» (١/ ٢٣٠)، ما يدل على شهوده بيعة العقبة الثانية، فقال: «روى الطبرانى وابن منده من طريق معاوية بن عمار الدهنى عن أبيه عن أبى الزبير عن جابر قال: حملنى خالى جد بن قيس، وما أقدر أن أرمى بحجر فى السبعين راكبًا من الأنصار الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فى بيعة العقبة، وإسناده قوى، قال ابن منده: غريب من حديث معاوية بن عمار، تفرد به محمد بن عمران بن أبى ليلى».اهـ.

ومعاوية وأبوه عمار روى لهما مسلم، ومحمد بن عبد الله روى له البخارى فى «الأدب المفرد»، والترمذى فى «سننه» ووصف ابن حجر كل واحدٍ منهما فى «التقريب» أنه صدوق.

وذكر الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٤٨ - ٤٩) حديث جابر، وقال: «رواه الطبرانى فى الثلاثة ورجاله ثقات».

وأعقبه بلفظ آخر: «قال جابر: وأخرجنى خالاى...» وقال: «رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح» وأصل الحديث فى البخارى عن عمرو بن دينار قال: «سمعت جابر بن عبد الله يقول: «شهد بى خالاى العقبة» قال أبو عبد الله - البخارى - قال ابن عيينة: «أحدهما البراء بن معرور» ثم ساقه من طريق آخر

تخلف على بن أبى طالب بأمر النبى ﷺ:

عن سعد بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خلف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فى غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله! أتخلفنى فى النساء والصبيان؟ فقال: **«أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبى بعدى»**(١).

= عن عطاء قال: قال جابر: «أنا وأبى وخالاى من أصحاب العقبة». قال ابن حجر فى «الفتح» (٧/ ٢٢٢)، «وأقارب الأم يسمون أخوالًا مجازًا، وقد روى ابن عساكر بإسناد حسن عن جابر قال: حملنى خالى الحر - كذا - «بن قيس فى السبعين راكبًا الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من الأنصار، ثم قال الحافظ: «ولكن لم يذكر أحد من أهل السير الحر بن قيس فى أصحاب العقبة.

فكأنه لم يكن أسلم. كذا ورد اسمه هنا: الحر، ولعله مصحف من الجد: والله أعلم.

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**من سيدكم يا بنى سلمة؟** » قالوا: جد بن قيس، على أنا نُبَخِّله، قال: «**وأى داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح**» رواه البخارى فى «الأدب المفرد» وصححه العراقى والمناوى فى «فيض القدير» (٦/ ٣٦٠)، والألبانى فى «صحيح الأدب» (٢٢٧) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وله شواهد كثيرة.

فبنو سلمة لم يتهموا الجد بالنفاق، بل بالبخل، فلم يكونوا ليسّودوا عليهم رجالًا من المنافقين وحاشاهم من ذلك، ورسول الله ﷺ يقول: «**لا تقولوا للمنافق: سيدنا، فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عَزَّوَجَلَّ**»، أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» وأبو داود فى «السنن» وصححه الألبانى فى «الصحيحة» (٣٧١).

نعم، أخرج مسلم فى «صحيحه» (١٣/ ٣ - نووى)، فى بيعة الرضوان يوم الحديبية عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنا أربع عشرة مائة، فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهى سمرة، فبايعناه، غير جد بن قيس الأنصارى، اختبأ تحت بطن بعيره».

ولا ريب أن هذه منقصة له وحرمان، فإن كان قد تاب - كما ذكر ذلك ابن عبد البر بصيغة التضعيف، وسبق قوله - فالتوبة تجب ما كان قبلها، وإن لم يكن فهى دلالة على ضعف إيمانه، أو نفاقه، وأخرج مسلم فى موضع آخر (١٧/ ١٢٦ - نووى) بلفظ: «فقال رسول الله ﷺ **وكلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر، فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال: والله لأن أجد ضالتى أحب إلى من أن يستغفر لى صاحبكم**، قال: وكان رجل ينشد ضالة له»، وليس فى هذه الرواية التصريح باسمه [ما شاع ولم يثبت] ص (٢١٥ - ٢١٦) للأستاذ محمد العوشن. وكتابنا الآخر: «ضعيف السيرة».

(١) أخرجه البخارى (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤)، والبزار (١١٧٠)، والنسائى فى «الكبرى» (٨١٤١)، =

عامل النبى ﷺ على المدينة :

قال ابن سعد: أسلم محمد بن سلمة على يد مصعب بن عمير، قبل إسلام سعد ابن معاذ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبى عبيدة، واستخلفه على المدينة عام تبوك[١].

تخلف العصاة :

وتخلف قوم مسلمون أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عنه، عن غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال ابن أمية، وكانوا نفر صدق، لا يتهمون فى إسلامهم... وسيأتى الحديث عنهم مبسوطًا مفصلًا.

تأخر أبى ذر وتباطؤه فى الخروج غير صحيح :

روى ابن إسحاق: «... وتلوَّم[٢] أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه، فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيا، ونزل رسول الله ﷺ فى بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول! إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: «**كن أبا ذر**»، فلما تأمَّله القوم قالوا: هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «**رحم الله أبا ذر، يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**» ثم أعقبها ابن إسحاق بقوله: «فحدثنى

= والخصائص (٥٦)، والطحاوى فى «المشكل» (٢/ ٣٠٩)، وابن حبان (٦٩٢٧ - إحسان)، والطيالسى (٢٠٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٢٠)، وفى «السنن» (٩/ ٤٠)، وأحمد (١/ ١٨٢)، من طرق عن شعبة، عن الحكم، عن مصعب بن سعد، عن أبيه بنحوه.
وأخرجه النسائى فى «الخصائص» (٥١): وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٣٣٢)، وأبو يعلى (٨٠٥)، وغيرهم من طريق ابن إسحاق به.

(١) أخرجه ابن سعد فى «الطبقات» (٣/ ٤٤٣)، والحاكم (٣/ ٤٣٣)، ورجحه الذهبى فى «السير» فى أكثر من موضع منها (٢/ ٣٧١)، وابن القيم فى «الزاد» (٣/ ٥٢٩).
(٢) تلوم: تلبث ومكث.

بريدة بن سفيان الأسلمى، عن محمد بن كعب القرظى، عن عبد الله بن مسعود قال: «... وذكر كقصة وفاة أبى ذر بالربذة، وقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تمشى وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك»[1]. اهـ.

قلت: بريدة بن سفيان: ضعفه البخارى، والنسائى، وأبو داود، وأحمد، والدارقطنى. فالإسناد ضعيف.

وقد ضَّعف هذه القصة الحافظ فى «الإصابة» بعد أن عزاها لابن إسحاق، وقال فى «المطالب العالية» (١٦/ ٤٨٤): «القرظى ما عرفته، فإن كان محمد بن كعب فالحديث منقطع» وأعله الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ ببريدة بن سفيان الأسلمى[2].

وأما الانقطاع بين محمد بن كعب القرظى وابن مسعود فقد أثبت الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ سماع القرظى من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «قد روى البخارى فى «التاريخ» (١/ ٢١٦) بإسناد قوى سماع القرظى منه، فالأولى إعلاله ببريدة».

والحديث أخرجه الحاكم من طريق ابن إسحاق ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» وتعقبه الذهبى بقوله: «فيه إرسال»[3]، ولعله يقصد أن رواية محمد بن كعب القرظى عن ابن مسعود منقطعة لكن علة الحديث الكبرى: بريدة بن سفيان الأسلمى[4] والله أعلم.

مسير النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومروره بديار ثمود وما وقع فى ذلك الموطن:

نهيه عن شرب ماء ثمود:

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إن الناس نزلوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرض

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٣٤٨).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٥٥٣١)، وانظر: «تهذيب التهذيب» (١/ ٤٣٣).

(٣) «المستدرك» (٣/ ٥٠ - ٥١).

(٤) انظر: «ما شاع ولم يثبت» للشيخ محمد العوشن ص (٢١٨) و«المجمع» للهيثمى (٩/ ٣٣١، ٣٣٢). وكتابنا الآخر: «ضعيف السيرة النبوية» يسر الله نشره.

ثمود، الحجر، واستقوا من بئرها، واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يهريقوا ما استقوا من آبارها وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة»[1].

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه قال: «مررنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحجر، فقال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين حذرًا أن يصيبكم مثل ما أصابهم**» ثم زجر فأسرع حتى خلفها»[2].

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: «لما مر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجر قال: «**لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يومًا، ويشربون لبنها يومًا، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحتى أديم السماء منهم إلا رجلًا واحدًا كان فى حرم الله**» قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «**هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه**»[3].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٣٣ و ٤٤٢٠ و ٤٧٠٢) ومسلم (٤٠/ ٢٩٨٠)، والنسائى فى «الكبرى» (١١٢٧٤)، وابن حبان (٦٢٠٠)، و(٦٢٠١)، وعبد بن حميد (٧٩٨)، وأحمد (٤٥٦١ و ٥٣٤٢ و ٥٤٠٤ و ٥٤٤١ و ٥٦٤٥ و٥٧٠٥ و٥٩٣١ و٦٢١١) وأبو نعيم (٥/ ١٠٧)، والبيهقى فى «السنن» (٢/ ٤١٥)، والبغوى (٤١٦٦)، من طرق عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر.

(٢) أخرجه البخارى (٣٣٨٠ و ٣٣٨١ و ٤٤١٩)، ومسلم (٣٩/ ٢٩٨٠)، وعبد الرزاق (١٦٢٤)، وأبو يعلى (٥٥٧٥)، وأحمد (٥٧٠٥) من طرق: عن الزهرى، عن سالم، عن أبيه، وأخرجه أحمد (٢/ ١١٧)، وابن حبان (٦٢٠٣) من طريق: صخر بن جويرية، عن نافع، عن ابن عمر بنحوه، وإسناده صحيح و(الحجر): بكسر المهملة وسكون الجيم، وهى منازل ثمود المعروفة الآن باسم مدائن صالح.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٦)، وذكره ابن كثير فى «البداية والنهاية» (١/ ١٥٧)، وقال هو على شرط مسلم والحديث عند عبد الرزاق فى «التفسير» (٢/ ٢٣١، ٢٣٢) ومن طريقه أخرجه ابن جرير فى «التفسير» (١٤٨١٧)، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٣٢٠)، وأخرجه البزار (١٨٤٤ - كشف)، وابن حبان (١٤/ ٦١٩٧)، والحاكم (٢/ ٣٤٠، ٣٤١)، من طريق: مسلم بن خالد عن ابن خشيم به، وأخرجه ابن أبى حاتم (٥/ ٨٦٨٦)، من طريق ابن عياش عن ابن خشيم به، والطبرانى فى «الأوسط» (٩/ ٩٠٩٦)، من طريق: ابن لهيعة عن أبى الزبير، به، وقدصحح إسناده الحاكم ووافقه الذهبى، وحسن إسناده الحافظ فى «الفتح» (٦/ ٢٧٠)، وأبو الزبير هو محمد بن مسلم - مدلس وقد عنعن، لكنه صرَّح

ذكر بعض معجزات النبى ﷺ

وكرمات المؤمنين برفقتهم النبى ﷺ

قصة عين تبوك وفيضان الماء فيها :

عن أبى الطفيل عامر بن واثلة أن معاذ بن جبل أخبره: «أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك، فكان رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، قال فأخر الصلاة يومًا، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعًا، ثم دخل، ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعًا، ثم قال: «**إنكم ستأتون غدًا إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتى**».

قال: فجئنا وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشىء من ماء فسألهما رسول الله ﷺ: «**هل مسستما من مائها شيئًا**»، قالا: نعم، فسبهما، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين قليلًا قليلًا، حتى اجتمع فى شىء، ثم غسل رسول الله فيه وجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال رسول الله ﷺ: «**يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جنانًا**»(١).

= بالسماع فى رواية عند الحاكم (٢/ ٥٦٧)، مختصرًا، وصرح بالتحديث أيضًا فى رواية مطولة عند ابن أبى الدنيا فى «العقوبات» (١٤٨)، لكن فى إسناده يحيى بن سليم، وهو «صدوق سيئ الحفظ» والحديث ذكره الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٩٧) وقال: «رواه البزار والطبرانى فى «الأوسط» وأحمد بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح» وبنحوه قاله فى موضع آخر من «المجمع» (٧/ ٤٠، ٤١) والحديث زاد نسبته السيوطى فى «الدر المنثور» (٣/ ١٨٣) إلى ابن المنذر وأبى الشيخ وابن مردويه.

(١) أخرجه مسلم (١٠/ ٧٠٦) فى الفضائل، باب فى معجزاته ﷺ ومالك فى «الموطأ» (١/ ١٤٣) وأحمد (٥/ ٢٣٧ - ٢٣٨) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٧٩) وقوله: «تبض»: أى تسيل، و«الشراك» سير النعل ومعناه: ماء قليل جدًا.

دعاء النبى ﷺ بإنزال المطر وامتلاء أوعية الصحابة منه:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك فى قيظ شديد، فنزلنا منزلًا أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى أن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقى على كبده، فقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله! إن الله عَزَّوَجَلَّ قد عودك فى الدعاء خيرًا فادع الله لنا، قال: «**أتحب ذلك؟**» قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلت ثم سكبت، فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر، فلم نجدها جاوزت العسكر»(١).

دعاؤه ﷺ بتكثير الطعام:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو أبى سعيد الخدرى شك الأعمش، قال: «لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله ﷺ: «**افعلوا**»، فجاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله! إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل فى ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**».

---

(١) أخرجه البزار (١٨٤١ -كشف) وابن حبان (١٧٠٧ - موارد)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٣١) والحاكم (١/ ١٥٩)، وصححه، على شرطهما ووافقه الذهبى قلت: هو صحيح على شرط مسلم فحسب.

وقال الهيثمى فى «المجمع (٦/ ١٩٤ - ١٩٥): رواه البزار والطبرانى فى «الأوسط» ورجال البزار ثقات، وقال الحافظ ابن كثير فى «البداية» (٥/ ٩)، «إسناده جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه».

وقال الذهبى فى «التاريخ (١/ ٥١٩): «حديث حسن قوى»، وأخرجه الضياء فى «المختارة» (١/ ٢٧٨) (١٦٨)، والطبرانى فى «الأوسط» (٣٢٩٢)، وابن خزيمة فى «صحيحه» (١٠١)، وقال الحاكم بعد تصحيحه: «وقد ضمنه سنة غريبة وهو أن الماء إذا خالطه فرث ما يؤكل لحمه لم ينجسه، فإنه لو كان ينجس الماء فما أجاز رسول الله ﷺ لمسلم أن يجعله على كبده حتى ينجس يديه.

فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يأتى بكف ذرة ويجىء الآخر بكف تمر، ويجىء الآخر بكسرة، حتى اجتمعوا على النطع من ذلك شىء يسير، فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبركة، ثم قال لهم: «**خذوا فى أوعيتكم**» فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملأوه، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضالة، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فحجب عن الجنة**»[(١)].

مسالك المنافقين فى هذه الغزوة

لمز المنافقين للمتصدقين:

وقد سبق من حديث أبى مسعود الأنصارى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اعتذارهم قبل الخروج وتعللهم بالعلل الباطلة قال تعالى حاكيا عنهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

فكانوا يظهرون خلاف ما يبطنون، وفضح الله عَزَّوَجَلَّ بواطنهم فقال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

فكان الدافع الحقيقى للتخلف هو أنهم بخلوا بالبذل فى سبيل الله عَزَّوَجَلَّ وذلك لفقدهم الإيمان الصادق والرغبة فيما عند الله عَزَّوَجَلَّ من الثواب العظيم والمقام الكريم، والدافع إلى البذل والجهاد هو الإيمان والاحتساب قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٥/ ٢٧)، وأحمد (٢/ ٤٢١ و٣/ ١١) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٢٩) وهو عند البخارى (٢٩٨٢) من حديث سلمة بن الأكوع مختصرًا؛ وليس فيه التصريح بالغزوة، وقوله: «نواضحنا» الإبل التى تركب ويجلب عليها الماء، وقوله: (ادهنا): أى اتخذنا دهنًا من شحومها، وليس مقصورة ما هو المعروف من الإدهان.

مبالغتهم فى الإيذاء والاستهزاء برسول الله ﷺ وخيار الصحابة:

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس يومًا ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء: أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل فى المسجد، كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن.

قال ابن عمر: وأنا رأيته متعلقًا بحقب[1] ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦][2].

هم جماعة منهم بأن ينفروا برسول الله ﷺ ويطرحوه:

عن أبى الطفيل رضي الله عنه قال: «لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر مناديا فنادى: «إن رسول الله آخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد» فبينما رسول الله

---

(١) الحقب: الحزام الذى يلى حقو البعير.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى فى «التفسير» (١٤/ ٣٣٣، ٣٣٤) (١٦٩١٢)، من طريق الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا، وذكر الحافظ ابن كثير رواية أبى معشر المدنى، عن محمد بن كعب القرظى.
وأخرجه ابن أبى حاتم فى «التفسير» (٤/ ٦٣) من طريق: هشام بن سعد، ورجاله رجال الصحيح إلا هشام فلم يخرج له مسلم إلا فى الشواهد، وعزاه السيوطى فى «الدر المنثور» (٣/ ٢٥٤)، إلى ابن أبى حاتم وابن جرير وأبى الشيخ وابن مردويه، وله شاهد من حديث كعب بن مالك، الذى أخرجه ابن أبى حاتم (٤/ ٦٤)، وسنده حسن وعزاه السيوطى فى «الدر» (٣/ ٢٥٤)، إلى ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبى حاتم، ورواه ابن إسحاق فى «السيرة» (٤/ ١٨٠)، ولم يسنده، وأخرجه ابن جرير فى «التفسير» (١٦٩٢٦)، وفى «التاريخ» (٣/ ١٠٨)، بغير إسناد، وذكره ابن كثير فى «التفسير»، عن ابن إسحاق، وعزاه الحافظ فى «الإصابة» (٦/ ٧٥)، لتفسير الكلبى.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوده حذيفة ويسوقه عمار، إذا أقبل رهط متلثمون على الرواحل، فغشوا عمارًا، وهو يسوق برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحذيفة: «**قد قد**».

حتى هبط رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوادى، فلما هبط ورجع عمار قال: «**يا عمار هل عرفت القوم؟**» قال: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم متلثمون، فقال: «**هل تدرى ما أرادوا؟**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه**».

قال: فسأل عمار رجلًا من أصحاب النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ قال: أربعة عشر رجلًا فقال: «إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر».

قال: فعذر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أن الاثنى عشر الباقين حرب لله ولرسوله فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»[1].

وعنه أيضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان بين رجل من أهل العقبة، وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم أَخْبِرْهُ إِذْ سألك، فقال كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم، فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة، قالوا: ما سمعنا منادى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا علمنا بما أراد القوم، وقد كان فى حرة فمشى، فقال: «**إن الماء قليل، فلا يسبقنى إليه أحد**» فوجد قومًا قد سبقوه، فلعنهم يومئذ»[2].

---

(١) إسناده قوى على شرط مسلم: أخرجه أحمد (٥/ ٤٥٣)، (٢٣٧٩٢)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ١٩٥)، «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٦٠)، و(٥/ ٢٥٦)، وذكر الطبرانى فى «الكبير» (٣/ ١٦٥)، أسماء أصحاب العقبة، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٥٧)، ويونس بن بكير عن ابن إسحاق ويشهد لهذه القصة ما رواه مسلم - الآتى.

(٢) أخرجه مسلم (١١/ ٢٧٧٩).

ومن ذلك أيضًا إنكارهم لمعجزات النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومقولة المنافق عند نزول المطر:

عن محمود بن لبيد عن رجال من بنى عبد الأشهل: «قال: قلت: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه، ومن عمه وفى عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضًا على ذلك، ثم قال محمود: لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله حين سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين دعا، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويحك هل بعد هذا شىء! قال: سحابة مارة»[1].

ومن ذلك أيضًا استهزاؤهم بالنبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ضاعت ناقته:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج أصحابه فى طلبها، وعند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل من أصحابه، يقال له عمارة بن حزم وكان عقبيًا بدريًا، وهو عم بنى عمرو بن حزم، وكان فى رحله زيد بن اللصيت القينقاعى، وكان منافقًا.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود ابن لبيد، عن رجال من بنى عبد الأشهل قالوا: «فقال زيد بن اللصيت، وهو فى رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أليس محمد يزعم أنه نبى، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدرى أين ناقته؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمارة عنده: «**إن رجلًا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبى، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدرى**

---

(١) أخرجه ابن جرير فى «التاريخ» (٣/ ١٠٥ - ١٠٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٣٢)، وابن إسحاق فى «السيرة» (٤/ ١٧٧)، وإسناده رجال ثقات، ولا يضر جهالة الصحابة ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة وجلّ أحاديثه عن الصحابة، وصرَّح فيه ابن إسحاق بالتحديث فإسناده حسن، ولبعضه شواهد.

أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها» فذهبوا فجاءوا بها.

فرجع عمارة بن حزم إلى رحلة، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفًا، عن مقالة قائل: أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذى قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: «زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد يجأ فى عنقه ويقول: إلى عباد الله، إن فى رحلى لداهية، وما أشعر، أخرج أى عدو الله من رحلى فلا تصحبنى»[1].

ومن ذلك أيضًا أنهم لعنهم الله يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ويقدمون رغبتهم على أمره:

وقد سبقنا حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه تحت عنوان: قصة عين تبوك وفيضان الماء فيها. فارجع إليه لترى كيف أنهم عمدوا إلى معصية أوامر رسول الله ﷺ وأنهم يرغبون بأنفسهم عن نفسه، ويقدمون أنفسهم عليه، على خلاف المؤمنين الذين مدحهم الله وأثنى عليهم فقال فى شأنهم: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

إخباره ﷺ بهبوب ريح شديدة وتحذير الصحابة من القيام:

عن أبي حميد الساعدى رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك، فأتينا وادى القرى، على حديقة لامرأة فقال رسول الله ﷺ:

(١) إسناده حسن بنفس الإسناد السابق.

«**اخرصوها**» فخرصناها، وخرصها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرة أوسق، وقال للمرأة: «**أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ**» فانطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله**» فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلى طىء، وجاء رسول الله ابن العلماء صاحب إيليا...»[1].

بعث خالد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل[2]:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة، وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة كان ملكًا عليها،وكان عليها، وكان نصرانيا، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لخالد: «**إنك ستجده يصيد البقر**» فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين وفى ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له ومعه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان: فركب وخرجوا معه بمطاردهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذته، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل قدومه به عليه.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعل المسلمون يلمسونه

---

(١) أخرجه البخارى (١٤٨١)، وانظر أطرافه ثمت، وأخرجه مسلم (١٣٩٢)، وأبو داود (٣٠٧٩)، وابن أبى شيبة (١٨٨٥٢)، وأحمد (٥/ ٤٢٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٢٢)، وقوله: (اخرصوها): من خرص النخلة والكرمة عرصها إذا خرزنا عليه من الرطب تمرًا ومن العنب زبيبًا فهو من الخرص الظن وهو تقدير بظن، (النهاية)، وقوله: (أوسق) جمع وسق بالفتح، ستون صاعًا.

(٢) دومة الجندل: قرية فى الجوف، منطقة شمال تيماء - يشرف عليها حصن أكيدر الكندى انظر: «معجم المعالم الجغرافية» (١٢٧).

بأيديهم ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ «**أتعجبون من هذا فو الذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا**».

قال ابن إسحاق: ثم إن خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ، فحقن له دمه وصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته، فقال رجل من طيئ يقال له بُجير بن بجرة يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد «**إنك ستجده يصيد البقر**»: ما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته؟ لتصديق قول رسول الله ﷺ

تبارك سائق البقرات إنى ... رأيت الله يهدى كل هاد

فمن يكن حائدًا عن ذى تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهاد[1]

---

(١) ذكره ابن سعد فى «الطبقات» (٢/ ١٢٥ - ١٢٦) وابن جرير فى «التاريخ» (٣/ ١٠٨ - ١٠٩)، وأخرجه البيهقى فى «السنن» (٩/ ١٨٧) وفى «الدلائل» (٥/ ٢٥٠)، من طريق: ابن إسحاق، حدثنا يزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر مرسلًا، وإسناده حسن، وأخرجه البيهقى (٥/ ٢٥١)، من طريق: ابن لهيعة، عن أبى الأسود، عن عروة، وهذا مرسل إسناده ضعيف، وأخرجه أيضًا (٥/ ٢٥٣) من طريق يونس بن بكير، عن سعد بن أوس، عن بلال بن يحيى، وهذا أيضًا مرسل، وأخرجه البيهقى فى «السنن» (٩/ ١٨٦) من طريق محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر، عن أنس وعن عثمان بن أبى سليمان: «أن النبى ﷺ بعث خالد إلى أكيدر دومة فأتوا به فحقن له دمه وصالحه على الجزية» وهذا إسناد حسن لولا عنعنة ابن إسحاق، ولكن يشهد له المراسيل السابقة وقوله: «**أتعجبون من هذا؟ فوالذى نفس بيده لمناديل سعد...**» الحديث، صحيح وإسناده حسن أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٨)، وابن جرير فى «التاريخ» (٣/ ١٠٩) من طريق: ابن إسحاق به، وقد تابع ابن إسحاق عليه غير واحد، وتابع عليه عاصم أيضًا غير واحد، فأخرجه أحمد (٣/ ٢٢٩)، وعبد بن حميد (١٢٠٠)، والبخارى (٢٦١٥ و٣٢٤٨) ومسلم (٢٤٦٩) وأبو يعلى (٣١١٢) من طريق شيبان عن قتادة به.

وأخرجه أحمد (٣/ ٢٠٩ و٢٧٧)، والطيالسى (١٩٩٠)، ومسلم (٢٤٦٨)، وأبو يعلى (٣٢٢٦)، والطبرانى (٥٣٤٨) ، من طريق شعبة به. وأخرجه مسلم (١٢٧/ ٢٤٦٩) عن عمر بن عامر عنه.

وأخرجه أحمد (٣/ ٢٠٧)، والطحاوى (٤/ ٢٤٧)، وابن حبان (٧٠٣٨)، من طريق: روح، عن سعيد، عن قتادة به، وأخرجه أحمد (٣/ ١٢١ - ١٢٢)، و«الفضائل» (١٤٩٥)، وابن سعد (٣/ ٤٣٥)، والترمذى (٣/ ١٧٣) والنسائى (٨/ ١٩٩)، وابن حبان (٧٠٣٧)، من طريق: محمد بن

وفود ملك أيلة على رسول الله ﷺ فى تبوك ومصالحته النبى ﷺ[١]:

عن أبى حميد الساعدى رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام تبوك حتى جئنا وادى القرى، فإذا امرأة فى حديقة لها فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «اخرصوا» فخرص القوم، وخرص رسول الله ﷺ عشرة أوسق، وقال رسول الله ﷺ للمرأة: «أحصى ما يخرج منها حتى أرجع إليك إن شاء الله».

قال فخرج حتى قدم تبوك فقال رسول الله ﷺ: «إنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقومن فيها رجل، فمن كان له بعير فليوثق عقاله».

قال أبو حميد: فعلقناها، فلما كان من الليل هبت علينا ريح شديدة، فقام فيها رجل فألقته فى جبل طىء.

ثم جاء رسول الله ﷺ ملك أيلة فأهدى لرسول الله بغلة بيضاء، وكساه رسول اله ﷺ بردًا، وكتب له يجيرهم.

ثم أقبل وأقبلنا معه، حتى جئنا وادى القرى فقال للمرأة: «كم جاءت حديقتك» قالت: عشرة أوسق خرص رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: «**إنى متعجل، فمن أحب منكم أن يتعجل فليفعل**» قال: فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، حتى إذا أوفى على المدينة قال: «**هذه طابة**» فلما رأى أحدًا قال: «**هذا أحد يحبنا ونحبه، ألا أخبركم بخبر دور**

= عمرو، أخبرنى واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن أنس به.

وأما مصالحة النبى ﷺ مع أكيدر دومة فقد جاء عند أبى يعلى فى «مسنده» كما فى «المطالب العالية» (٤٣١٧)، وابن قانع فى «معجم الصحابة» (٢/ ٣٥١) عن جعفر بن حميد، حدثنا عبيد الله بن إياد بن لقيط، عن أبيه، عن قيس بن النعمان رضي الله عنه به.

وهذا سند صحيح؛ رجاله ثقات، وقواه الحافظ فى «الفتح».

(١) أيلة: بفتح الهمزة، وإسكان التحتانية، مدينة بالشام على النصف ما بين مصر ومكة على ساحل البحر.

الأنصار؟» قلنا: بلى يا رسول الله قال: **«خير دور الأنصار بنو النجار، ثم دار بنى عبد الأشهل، ثم دار بنى ساعدة، ثم فى كل دور الأنصار خير»**(١).

مدة إقامته ﷺ فى تبوك:

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة»(٢).

عن أبى حميد الساعدى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك حتية إذا أشرفنا على المدينة قال: **«هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه»**(٣).

استقباله ﷺ عند ثنية الوداع:

عن السائب بن يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قدم النبى ﷺ المدينة من غزوة تبوك تلقاه الناس مع الصبيان على ثنية الوداع»(٤).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ لما رجع من غزوة تبوك حتى دنا من المدينة قال: **«إن بالمدينة لأقوامًا ما سرتم من مسير ولا قطعتم من وادٍ إلا**

---

(١) أخرجه البخارى (١٤٨١) ومسلم (١٣٩٢)، وأبو داود (٣٠٧٩) وأحمد (٥/ ٤٢٤)، وابن أبى شيبة (١٨٨٥٢)..

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (١٢٣٥)، وأحمد (٣/ ٢٩٥، وعبد الرزاق (٤٣٣٥)، وابن حبان (٢٧٣٨)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ١٥٢)، وصححه النووى على شرطهما، وابن حزم وابن حبان انظر: «نصب الراية» (٢/ ١٨٦)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٤٥).

(٣) أخرجه البخارى (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٩٢) وغيرهما.

(٤) أخرجه البخارى (٣٠٨٢) وأبو داود (٢٧٥٩)، والترمذى (١٧١٨) وأحمد (٣/ ٤٤٩)، والبيهقى فى «السنن» (٩/ ١٧٥)، وصححه الترمذي. قال ابن القيم فى «الزاد» (٣/ ٥٥١).
وبعض الرواة يهم فى هذا ويقول: إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة، وهو وهم ظاهر، لأن ثنيات الوداع إنما هى من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام. وانظر كتابنا الآخر: «ضعيف السيرة النبوية».

كانوا معكم فيه» قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة، قال: «**نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر**»[١].

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك:

وجاءه خبر مسجد الضرار، وكان الذين بنوه قد طلبوا من النبى ﷺ أن يصلى فيه، فنزلت آيات سورة التوبة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٧ - ١١٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلما نزل بذى أوان جاءه خبر المسجد من السماء، فدعا مالك بن الخشم أخا بنى سلمة بن عوف، ومعن بن عدى العجلانى فحرقاه وهدماه»[٢].

قلت: أما أمره ﷺ بتحريق مسجد الضرار فلا يصح.

فقد جاء من رواية ابن إسحاق: وفيه: «فلما نزل بذى أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف، ومعن بن عدى، أو أخاه عاصم بن عدى، أخا بنى العجلان، فقال: «**انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرِّقاه**»، فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى، فدخل

---

(١) أخرجه البخارى (٤١٦١)، وفى مواضع أخر، وأخرجه ابن ماجه (٢٧٦٤)، وأحمد (٣/ ١٠٣) من طرق عن حميد الطويل، عن أنس.

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٥٤٩).

إلى أهله، فأخذ سعفًا من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه، وفيه أهله، فحرقاه وهدماه، وتفرقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٧][1] إلى آخر القصة.

قال الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعيف رواه ابن هشام عن ابن إسحاق بدون إسناد، لكن ذكره ابن كثير فى «التفسير» عن ابن إسحاق عن الزهرى ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم مرسلًا»[2].

وقال فى «الإرواء»: «مشهور فى كتب السيرة، وما أرى إسناده يصح.

وأما إسناد الطبرى فى «التفسير»: «حدثنى المثنى، قال حدثنا عبد الله أى: ابن صالح، قال حدثنى معاوية، عن على عن ابن عباس».

أما عبد الله بن صالح فصدوق كثير الغلط، ومعاوية صدوق له أوهام، وعلى بن طلحة لم يدرك ابن عباس.

لكن أخرج الحاكم عن جابر بن عبد الله قال: «رأيت الدخان من مسجد الضرار حين انهار»[3].

وصححه، ووافقه الذهبى، فلعل المسجد انهار بأمر الله دون حرق»[4].

۞۞۞

---

(١)أخرجه ابن هشام فى «السيرة» (٤/ ٣٥٤)، وذكره ابن جرير فى «تاريخه» (٣/ ١١٠)، ورواه فى «التفسير» (١٧٢٠٠) من طريق ابن إسحاق، عن الزهرى، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة به، وإسناده ضعيف مع إرساله، ورواه ابن جرير (٢٧٢٠١)، من طريق: المثنى قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنى معاوية، عن ابن عباس بنحوه وأخرجه البيهقى فى «الدلائل» (٥/ ١٩٤ - ١٩٦) وفى «السنن الكبرى» (٩/ ٣٢) من طريق ابن إسحاق.

(٢)«فقه السيرة» للغزالى - تخريج الألبانى ص (٤١٥).

(٣)«مستدرك الحاكم» (٤/ ٦٣٨).

(٤)ما شاع ولم يثبت للشيخ العويشن ص (٢١٩ - ٢٢٠). وانظر كتابى الآخر: «ضعيف السيرة النبوية».

قصة الثلاثة الذين خلفوا

عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لم أتخلف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى غزوة غزاها إلّا فى غزوة تبوك، غير أنّى كنت تخلّفت فى غزوة بدر، ولم يعاتب أحدا تخلّف عنها، إنّما خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أنّ لى بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر فى الناس منها.

وكان من خبرى ، حين تخلفت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى غزوة تبوك ، أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط ، حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً ، واستقبل عدوا كثيراً ، فجلا للمسلمين أمرهم ، ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجههم الذى يريد. والمسلمون مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد ، بذلك الديوان).

قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفى له ، مالم ينزل فيه وحى من الله ﷻ. وغزا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال. فأنا إليها أصعر ، فتجهز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكى أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئًا ، وأقول فى نفسى : أنا قادر على ذلك إذا أردت.

فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى استمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غاديـًا والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئًا ثم غدوت ، فرجعت ، ولم أقض شيئًا. فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتفارط الغزو. فهممت أن أرتحل فأدركهم ، فيا ليتنى فعلت ، ثم لم يُقدَّر ذلك لي.

فطفقت ، إذا خرجت فى الناس ، بعد خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يحزننى أنى لا أرى أسوة ، إلا رجلاً مغموصـًا عليه فى النفاق. أو رجلاً ممن عذر الله من

الضعفاء. ولم يذكرنى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بلغ تبوكًا ، فقال ، وهو جالس فى القوم بتبوك «**ما فعل كعب بن مالك؟**» قال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله حبسه برداه ، والنظر فى عطفيه.

فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت. والله يا رسول الله ! ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضًا يزول به السراب فقال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**كن أبا خيثمة**»، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون.

فقال كعب بن مالك: فلما بلغنى أن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد توجه قافلاً من تبوك، حضرنى بثي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غدًا؟ وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلي. فلما قيل لي: إن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أظل قادمًا زاح عنى الباطل. حتى عرفت أنى لن أنجو منه بشيء أبداً ، فأجمعت صدقه.

وصبح رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادمًا ، وكان إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون. فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً. فقبل منهم رسول الله علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت.

فلما سلمت ، تَبَسَّم تَبَسُّم المغضب ثم قال : «**تعال**» فجئت أمشى حتى جلست بين يديه. فقال لي: «**ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**» قال: قلت : يا رسول الله! إنى والله ! لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً ولكنى ، والله ! لقد علمت ، لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ، ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليَّ فيه إنى لأرجو فيه عقبى الله. والله ! ما كان لى عذر ، والله! ما كنت قط أقوى ، ولا أيسر منى حين تخلفت عنك. قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضى الله فيك**» فقمت ، وثار رجال من بنى سلمة فاتبعوني. فقالوا لى: والله!

ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا. لقد عجزت فى أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما اعتذر به إليه المخلفون. فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لك.

قال: فوالله ! ما زالوا يؤنبوننى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأكذب نفسي.

قال: ثم قلت لهم: هل لقى هذا معى من أحد ؟ قالوا: نعم. لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت: من هما ؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامرى، وهلال بن أمية الواقفى قال: فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي.

قال: فاجتنبنا الناس، وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الأرض. فما هى بالأرض التى أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم. فكنت أخرج، فأشهد الصلاة، وأطوف فى الأسواق، ولا يكلمنى أحد. وآتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلم عليه، وهو فى مجلسه بعد الصلاة، فأقول فى نفسى ! هل حرك شفتيه برد السلام، أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني.

حتى إذا طال ذلك عليَّ من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة، وهو ابن عمى، وأحب الناس إليَّ. فسلمت عليه. فوالله ! ما رد عليَّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ قال: فسكت. فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته. فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناى، وتوليت، حتى تسورت الجدار.

فبينما أنا أمشى فى سوق المدينة، إذا نبطى من نبط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك قال: فطفق الناس يشيرون له إليّ. حتى

جاءنى فدفع إلى كتاباً من ملك غسان. وكنت كاتباً ، فقرأته فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك. قال : فقلت : حين قرأتها وهذه أيضاً من البلاء. فتيممت بها التنور ، فسجرتها بها.

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين ، واستلبث الوحى ، إذ رسول رسول الله ﷺ يأتينى فقال : (إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك) ، قال : فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : (لا ، بل اعتزلها فلا تقربنها).

قال : فأرسل إلى صاحبيَّ بمثل هذا. قال : فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر.

قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : «لا ، **ولكن لا يقربنك**» فقالت : إنه والله ! ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله ﷺ فى امرأتك ؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال: فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ . وما يدرينى ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب. قال فلبثت بذلك عشر ليال. فكمل لنا خمسون ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله ﷻ منا ، قد ضاقت على نفسى ، وضاقت على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر. قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج.

قال : فآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا فذهب قِبَل صاحبى مبشرون ، وركض رجل إلى فرساً ، وسعى ساع من أسلم قبلي. وأوفى الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، فنزعت له ثوبى فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ! ما أملك غيرهما يومئذ ،

واستعرت ثوبين فلبستهما ، فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ ، يتلقانى الناس فوجًا فوجًا ، يهنئونى بالتوبة ويقولون : لتهنئك توبة الله عليك.

حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس فى المسجد ، وحوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأني. والله ! ما قام رجل من المهاجرين غيره.

قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال : وهو يبرق وجهه من السرو ، ويقول: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**» قال : قلت : أمن عندك؟ يا رسول الله! أم من عند الله؟ فقال: «**لا بل من عند الله**» وكان رسول الله ﷺ إذا استنار وجهه ، كأن وجهه قطعة قمر. قال : وكنا نعرف ذلك.

قال: فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ! إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «**أمسك بعض مالك ، فهو خير لك**» قال : فقلت : فإنى أمسك سهمى الذى بخيبر. قال: وقلت: يا رسول الله ! إن الله إنما أنجانى بالصدق ، وإن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت. قال: فوالله ! ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث ، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا ، أحسن مما أبلانى الله به. والله ما تعمدت كذبة منذ قلت لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقي.

قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾[التوبة : ١١٧ ، ١١٨] حتى بلغ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة : ١١٩] .

قال كعب : والله ما أنعم الله على من نعمة قط ، بعد إذ هدانى للإسلام ، أعظم فى نفسى ، من صدقى رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى ، شر ما قال لأحد ، وقال الله : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة : ٩٥ ، ٩٦].

قال كعب : كنا خلفنا أيها الثلاثة. عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله ﷻ : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة : ١١٨] ، وليس الذى ذكر الله مما خلفنا ، تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا ، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه»[1].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٨٨٩ و٤٦٧٦ و٤٦٧٧ و٦٦٩٠) ومسلم (٥٣/ ٢٧٦٩) وأحمد ٣/ ٤٥٦-٤٥٧ وأبو داود (٢٢٠٢) و(٢٧٧٣) و(٢٣١٧) و(٣٣٢١) و(٤٦٠٠) والنسائى ٢/ ٥٣-٥٤ ، و٦/ ١٥٢-١٥٣ ، و٧/ ٢٢-٢٣ وفى «الكبري» (٨١٠ و٨٧٧٦ و٨٧٧٩) ، والطبرى فى «التفسير» (١٧٤٤٧) و(١٧٤٥٠) ، والطبرانى فى «الكبير» ١٩/ ٩١-٩٥-٩٧ ، من طرق عن الزهرى به.

وأخرجه مسلم (٥٤/ ٢٧٦٩) ، عن يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن أخى الزهرى ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن كعب بن عبيد الله بن كعب ، عن كعب به. وأخرجه مسلم (٥٥/ ٢٧٦٩) ، والنسائى فى «المجتبي» ٦/ ١٥٣ ، وفى «الكبري» (٨٧٧٨) ، عن معقل بن عبيد الله ، والطبرانى ١٩/ ٩٨ ، من طريق : صالح بن أبى الأخضر ، كلاهما عن الزهرى ، عن عبد الرحمن ، عن عمه ، عبيد الله بن كعب، عن كعب به. وأخرجه ابن أبى شيبة (١٨٨٥٣) وعبد الرزاق (٩٧٤٤) ، وابن أبى حاتم ٤/ ١٠٥ ، والبيهقى فى «الدلائل» ٥/ ٢٧٣-٢٧٩ ، والسيوطى فى «الدر المنثور» ٣/ ٢٨٧.

وقوله : (ومفازاً) : أى برية طويلة قليلة الماء يخاف فيها من الهلاك. وقوله : (فجلا للمسلمين أوهم) : كشفه وبينه وقوله : (أصعر) أميل. وقوله : (تفارط الغزو) : فات وقته وتقدم. وقوله : (مغموصاً) أى مطعون فى دينه ، متهم بالنفاق ، وقوله : (النظر فى عطفيه) : أى جانبيه ، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه وقوله : (لقد أعطيت جدلاً) : أى فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلى بما يُقْبل ولا يرد.

حج أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالناس

وقتها: قال ابن إسحاق: «ثم أقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقية شهر رمضان وشوال وذو القعدة، ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم، والناس أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ومن معه من المسلمين»[١].

ثم بعث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليبلغ الناس صدر سورة براءة فقد نزلت بعد صدور الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذهابه إلى الحج.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى «الفتح» أن خروج الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحج بالناس كان فى ذى الحجة».

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعثه فى الحجة التى أمره النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها قبل حجة الوداع يوم النحر فى رهط يؤذن فى الناس أن **لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان**»[٢].

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بعث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر وأمره عليها النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قبل حجة الوداع يوم النحر فى رهط يؤذن فى الناس: **لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف فى البيت عريانًا**»[٣].

وأخرج الترمذى فى سننه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بعث النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر وأمره أن ينادى بهؤلاء الكلمات ثم أتبعه عليا فبينا أبو بكر فى بعض الطريق إذا سمع رغاء ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القصواء فخرج أبو بكر فزعا فظن أن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٤٢٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٤٣٦٣)، ومسلم (١٣٤٧)، وأبو داود (١٩٤٦)، والنسائى (٥/ ٢٣٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٨٩).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩)، والترمذى (٣٠٩١)، وقال «حديث حسن غريب»، وله شاهد من حديث أبى هريرة السابق وغيره.

رسول الله ﷺ فإذا هو على فدفع إليه كتاب رسول الله ﷺ وأمر عليًّا أن ينادى بهؤلاء الكلمات فانطلقا فحجا فقام على أيام التشريق فنادى «**ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مؤمن**» وكان على ينادى فإذا عيى قام أبو بكر فنادى بها».

قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس[1].

وأخرج الترمذى من حديث زيد بن يثيع قال: سألنا عليًّا بأى شيء بعثت فى الحجة ؟ قال : بعثت بأربع : «**أن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبى ﷺ عهد فهو إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا**». قال أبو عيسى : هذا حديث حسن[2](سنن الترمذيس ٥/ ح ٣٠٩٢).

وقد جمع العلماء بين هذه الروايات بأن أبا بكر أرسل أبا هريرة يؤذن فى الناس ليعين عليًّا على إبلاغ ما أمره به رسول الله ﷺ فى التأذين فى الناس»[3].

قلنا: ويؤيد هذا الجمع ما أخرجه أحمد (٣/ ٧٩٨٢) عن محرر بن أبى هريرة عن أبيه: كنت مع على بن أبى طالب حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءة فقال ما كنتم تنادون قال: كنا ننادى أنه **لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فإن أجله أو أمده إلى**

---

(١) صحيح:أخرجه الترمذى (٣٠٩٠). وغيره.

(٢) إسناده صحيح:أخرجه الحميدى «المسند» (٤٨)، وأحمد فى «المسند» (١/ ٧٩)، والترمذى (٨٧١-٣٠٩٢)، والدارمى [المناسك] باب: لا يطوف بالبيت عريان (٢/ ٦٨) (١٩١٩)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وأخرجه أبو يعلى فى «مسنده» (٤٥٢)، والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٩/ ٢٠٧)، وزيد بن يثيع وثقة ابن حبان والعجلي، وتبعهما الحافظ ابن حجر.

(٣)راجع: «الفتح» (٨/ ٣١٨).

أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن الله بريء من المشركين ورسوله ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك» [١].

وجود الحافظ ابن كثير إسناده إلاّ أنه قال: لكن فيه نكارة من جهة قول الراوي: إن من كان له عهد فأجله إلى أربعة أشهر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون ولكن الصحيح أن من كان له عهد فأجله إلى أمده بالغًا ما بلغ ولو زاد على أربعة أشهر ومن ليس له أمد بالكلية فله تأجيل أربعة أشهر.

قلنا: ولعل رواية الحاكم توضح الأمر أكثر إذ أخرج من طريق حقهم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأمره أن ينادى بهؤلاء الكلمات» فاتبعه عليًّا، فبينا أبو بكر ببعض الطريق إذ سمع رغاء ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج أبو بكر فزعا، فظن أنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا على فدفع إليه كتاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمره على الموسم، وأمر عليًّا أن ينادىَ بهؤلاء الكلمات، فقام على أيام التشريق فنادى: «**إن الله بريء من المشركين ورسوله فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر، لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا مؤمن** » فكان على ينادى بها ، فإذا بح قام أبو هريرة فنادى [٢].

۞۞۞

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩)، والنسائى (٥/ ٢٣٤)، وفى الكبرى (١١٢١٤)، والدارمى (١٤٣٠)، و(٢٠٠٦)، وابن حبان (٣٨٢٠- إحسان)، والحاكم (٢/ ٣٣١)، كلهم عن شعبة إلا ابن حبان عن جرير، كلاهما عن مغيرة، عن الشعبي، عن محرز بن أبى هريرة عن أبيه به.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الترمذى (٣٠٩١)، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث عياش، وأخرجه الحاكم (٣/ ٥٣ رقم ٤٣٧٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وانظر: «صحيح تاريخ الطبري» (٢/ ٣٣١).



من عام الوفود إلى لحوق النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفيق الأعلى

فصل

فى الوفود

قال ابن إسحاق: «فلما افتتح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف، وبايعت ضربت إليه وفود العرب من كل وجه، فدخلوا فى دين الله أفواجًا، كما قال الله جل ذكره، يضربون إليه من كل وجه».

قدوم وفد ثقيف وتاريخه:

ذكر ابن إسحاق أن قدومهم كان فى رمضان فى الشهر الذى قدم فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة وأن هذا العام سمى عام الوفود، وذكر موسى بن عقبة، أن قدومهم كان بعد حجة أبى بكر الصديق بالمسلمين، وتبعه على ذلك البيهقى، ورجح الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية» قول ابن إسحاق، والحمد لله رب العالمين.

شرطهم الذى طلبوه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن النبى لم يجبهم إلى ذلك:

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ثقيفًا اشترطت على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا صدقة عليه ولا جهاد، وأنه سمع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك يقول: «**سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا**»[1].

وأما ما ورد من أنهم اشترطوا على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يصلوا فهذا غير

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٢٥) وأحمد (٤/ ٢١٨) (١٤٦٧٣) وغيرهما، وسنده حسن.

صحيح.

فقد روى الإمام أحمد بسنده قال: حدثنا عفان، قال حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أى: البصرى عن عثمان بن أبى العاص: أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يحشروا ولا يعشروا ولا يجبوا، ولا يستعمل عليهم غيرهم، قال: فقال: «**إن لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم**»، وقال النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا خير فى دين لا ركوع فيه**».

قلت: فالحديث أخرجه الإمام أحمد فى «المسند» (٤/ ٢١٨)، وأبو داود فى «السنن» (٣٠٢٦)، والطيالسى فى «مسنده» (٩٣٩)، وابن خزيمة فى «صحيحه» (١٣٢٨) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٣٠) من طرق:

قال المنذرى: «وقد قيل: إن الحسن البصرى لم يسمع من عثمان بن أبى العاص»[١].

وضعف إسناده الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ: فى «ضعيف سنن أبى داود» (٦٥٢)، و«السلسلة الضعيفة (٤٣١٩)، وفى «تخريجه لأحاديث فقه السيرة» (ص ٤١٧)، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ عن سند الإمام أحمد وأبى داود: «رجاله ثقات غير أن الحسن مدلس، وقد عنعنه»[٢]، وقال فى رده على البوطى: «إسناده منقطع»[٣].

قال الحافظ فى «تهذيب التهذيب»: «أن الحسن لم يسمع من عثمان بن أبى العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[٤].

وذكره ابن إسحاق فى السيرة ولم يسنده[٥]:

وأما قوله: (أن لا يحشروا) قال الخطابى معناه: الحشر فى الجهاد والنفير له (ولا

---

(١) «عون المعبود» (٨/ ٢٦٧).

(٢) «الضعيفة» (٤٣١٩)، و«تخريج فقه السيرة» (ص ٤١٧).

(٣) «دفاع عن الحديث النبوى والسيرة» (ص ٣٧).

(٤) «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٦٤).

(٥) «السيرة النبوية» (٤/ ٣٦١).

يعشروا): أى لا يؤخذ عشر أموالهم، وقيل أرادوا الصدقة الواجبة، وقوله: (لا يجبُّوا): أى لا يصلوا، وأصل التجبية، أن يكب الإنسان على مقدمه ويرفع مؤخره»[1]. اهـ.

طلب عثمان بن أبى العاص من الرسول ﷺ أن يجعله إمام قومه:

عن عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه: «قلت يا رسول الله: اجعلنى إمام قومى فقال: «أنت إمامهم، واقتد بأضعفهم، واتخذ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا»[2].

وفد عبد القيس:

عن أبى جمرة قال: «كنت أقعد مع ابن عباس يجلسنى على سريره، فقال: أقم عندى حتى أجعل لك سهمًا من مالى فأقمت معه شهرين ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبى ﷺ قال: «**من القوم أو الوفد ؟**» قالوا: ربيعة. قال: «**مرحبًا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى**» فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نأتيك إلا فى الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة، فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع:

أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء**

---

(١) «عون المعبود» (٨/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢١) وأبو داود (٥٣١)، والنسائى فى «المجتبى» (٢/ ٢٣) و«الكبرى» (١٦٤٨)، وابن ماجه (٩٨٧)، والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (٤/ ١٢٨)، وابن خزيمة (٤٢٣)، والطبرانى فى «الكبير» (٨٣٦٥)، والحاكم (١/ ١٩٩ و ٢٠١) والبغوى فى «شرح السنة» (٤١٧)، وغيرهم كلهم من طريق أبى العلاء، عن مطرف بن عبد الله، عن عثمان به.

قلت: وهذا إسنادٌ صحيح وصححه الشيخ العلامة الألبانى رحمه الله.

والحديث أخرجه مسلم (٤٦٨): من حديث عثمان - نفسه - دون ذكر المؤذن.

وعثمان بن أبى العاص: هو الصحابى الجليل أبو عبد الله الثقفى الطائفى استعمله النبى ﷺ على الطائف، ومات فى خلافة معاوية بالبصرة. وعن حكم اتخاذ المؤذن أجرًا: «بذل الجمهور» (٤/ ٩٨-١٠٠).

الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس».

ونهاهم عن أربع: عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت وربما قال: المقير وقال: احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم[1].

قدوم وفد بنى حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعل يقول: إن جعل لى محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها فى بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفى يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال: «**لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدوا أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإنى لأراك الذى رأيت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عنى**» ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنك الذى أريت فيه ما رأيتُ**» فأخبرنى أبو هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بينا أنا نائم رأيت فى يدى سوارين من ذهب، فأهمنى شأنهما فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا**

---

(١) أخرجه البخارى (٥٣ و٨٧ و ٥٢٣ و ١٣٩٨ و ٣٠٩٥ و٣٥١٠ و٤٣٦٩ و٦١٧٦ و٧٢٦٦ و ٧٥٥٦) ومسلم (١٧)، وأبو داود (٣٦٩٢)، والترمذى (٢٦١٤)، والنسائى (٨/ ١٢٠) وعبد الرزاق (١٦٩٢٧) وأحمد (١/ ٢٢٨، ٢٢٩)، والطيالسى (٧١٤) والطحاوى فى «شرح معانى الآثار» (٤/ ٢٢٣) وابن خزيمة (٢٢٤٦) والبيهقى فى «السنن» (٨/ ٣٠٠).

وقوله: (غير خزايا ولا ندامى): معناه أنه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام، ولا عناد ولا أصابكم أثار ولا سباء، ولا ما أشبه ذلك مما تستحون بسببه أو تذلون أو تهانون أو تندمون.

و(الدباء): القرع اليابس أو الوعاء منه، و(الحنتم): جرار كان يحمل فيها الخمر، (والمزفت): الأوعية التى فيها الزفت، (والنقير): جذع ينقر وسطه ثم ينبذ فيها الرطب والبسر، ثم يدعونه حتى يهدر، ثم يموت، (المقير): الزفت المطلى بالقار، ومعنى النهى عن هذه الأربع: فهو أنه نهى عن الانتباذ فيها، وهو أن يجعل الماء فى حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب، وإنما خصت هذه الأربع بالنهى لأنه يسرع إليها الإسكار فيها فيصير حرامًا نجسًا، ثم نسخ ذلك وبقيت القاعدة فى تحريم كل مسكر، وما أسكر كثيره فقليله حرام.

فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى: أحدهما العنسى، والآخر مسيلمة»[١].

قدوم وفد الأشعريين وأهل اليمن:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يقدم عليكم أقوامًا هم أرق منكم قلوبًا» قال: فقدم الأشعريون وفيهم: أبو موسى الأشعرى فلما دنوا من المدينةكانوا يرتجزون يقولون:

غدًا نلق الأحبة محمدًا وحزبه[٢]

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوبًا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء فى أصحاب الإبل، والسكينة والوقار فى أهل الغنم»[٣].

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدًا عن قومه بنى سعد بن بكر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما نحن جلوس من النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب، فقال له النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد أجبتك».

---

(١) أخرجه البخارى (٤٣٧٣ و ٤٣٧٤) ومسلم (٢٢٧٣ و ٢٢٧٤) والترمذى (٢٢٩٢)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٣٣٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٥، ١٥٥، ١٨٢) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٣٥١)، وأبو يعلى (٣٨٤٥) وابن أبى شيبة (١٢/ ١٢٢)، وابن حبان (٧١٩٢ - إحسان) وإسناده صحيح، وقال البيهقى: «وقد مضى قبل هذا ما يدل على أن قدوم أبى موسى الأشعرى مع أصحابه كان مع جعفر بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الحبشة زمن خيبر، ويحتمل أن يكون رجع إلى من بقى من قومه فقدم بهم، والله أعلم».اهـ.

(٣) أخرجه البخارى (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢)، والترمذى (٣٩٣٥)، والبخارى فى «التاريخ الكبير» (١/ ١٥٨) وأحمد (٢/ ٢٣٥، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٧).

فقال الرجل للنبى ﷺ: إنى سائلك فمشدد عليك فى المسألة، فلا تجد على فى نفسك.

فقال: «**سل عما بدا لك**»، فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «**اللهم نعم**». قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة، قال: «**اللهم نعم**».

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «**اللهم نعم**».

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبى ﷺ: «**اللهم نعم**». فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر»[(١)].

قدوم وفد مزينة:

عن النعمان بن مقرن قال: «قدمنا على رسول الله ﷺ فى أربعمائة من مزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله ما لنا طعام نتزوده، فقال النبى ﷺ لعمر: «**زودهم**»، فقال: ما عندى إلا فاضلة من تمر وما أرها تغنى عنهم شيئًا، فقال: «**انطلق فزودهم**»، فانطلق بنا إلى علية له، فإذا فيها ثمر مثل البكر الأورق، فقال: خذوا فأخذوا القوم حاجتهم، قال: وكنت أنا فى آخر القوم، قال: فالتفت وما أفقد موضع تمرة، وقد احتمل منه أربعمائة رجل»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخارى (٦٣)، ومسلم (١٢)، والنسائى (٤/ ١٢٢ - ١٢٣)، وأبو داود (٤٨٦)، مختصرًا، وابن ماجه (١٤٠٢)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخرجه أحمد (١/ ٢٦٤ - ٢٦٥)، (٢٢٥٤ و ٢٣٨١)، مختصرًا ومطولًا، والدارمى (٦٢٥) وابن شبة فى «تاريخ المدينة» (٩٠٢)، وأبو داود (٤٨٧)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٣٧٤)، وابن سعد (١/ ٢٩٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الحاكم (٣/ ٥٤ - ٥٥) ووافقه الذهبى، قلت: سنده حسن فقط لأنه من طريق ابن إسحاق، وصرَّح فيه بالتحديث.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٤)، ورجاله ثقات، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٨/ ٣٠٤): «رواه أحمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح» وضعفه الحافظ ابن حجر فى «الإصابة» (٦/ ٤٥٣) فقال: «رواه =

قدوم وفد نجران[(١)]، وشهادة الأساقفة منهم لنبينا ﷺ بأنه النبى الذى ينتظرونه:

عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًّا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا. فقال: «**لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين**» فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «**قم يا أبا عبيدة بن الجراح**»، فلما قام قال رسول الله ﷺ: «**هذا أمين هذه الأمة**» قال تعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)﴾ [آل عمران: ٦١][(٢)].

عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا: فيم؟ قالوا: أرأيت ما تقرءون يا أخت هارون، وقد كان بين عيسى وموسى ما قد علمتم، قال: فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فقال: «**أفلا أخبرتهم أنهم كانوا**

= أحمد من طريق سالم بن أبى الجعد عن النعمان ... فذكره ثم قال: «ورجاله ثقات لكنه منقطع فإن النعمان اشتهر فى خلافة عمر فلم يدرك سالمًا»، وصحح إسناده محققو المسند (٢٣٧٤٦) ط الرسالة: فقالوا: بأنه صحيح لغيره وذلك تتعدد طرقه.

(١) قال الحافظ ما ملخصه: «نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن يشتمل على ثلاث وسبعين قرية مسيرة يوم للراكب السريع.

(٢) أخرجه البخارى (٣٧٤٥ و٤٣٨٠) وطرقه حديث (٤٣٨١ و ٧٢٥٤)، ومسلم (٢٤٢٠)، والترمذى (٣٧٥٩)، والنسائى فى «الكبرى» (٨١٩٧)، وابن ماجه (١٣٥)، عن حذيفة بن اليمان، وأخرجه أحمد ١/ ٤١٤) والنسائى فى «الكبرى» (٨١٩٦)، وابن ماجه (١٣٦) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرج البيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٣٨٢ - ٣٩٣)، قصة وفد نجران مطولة جدًّا، وأخرج الحاكم (٢/ ٥٩٣ - ٥٩٤) وأبو نعيم فى «الدلائل» (ص ٢٩٧ - ٢٩٨) عن جابر هذه القصة والملاعنة هنا: هى المباهلة، قال الحافظ: «ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلًا لا تمضى عليه سنة من يوم المباهلة».

يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين الذين كانوا قبلهم»[١].

وفد بنى عامر ودعاء النبى ﷺ على عامر بن الطفيل وكفاية الله تعالى شره:

عن أنس بن مالك فى قصة حزام بن ملحان قال وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل وكان أتى رسول الله ﷺ فقال أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ويكون لى أهل المدر وأكون خليفتك من بعدك أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألفا شقراء قال: فطعن فى بيت امرأة فقال: أغدة كغدة البكر فى بيت امرأة من بنى فلان أئتونى بفرسى فركب فمات على ظهر فرسه[٢].

قدوم طارق بن عبد الله وأصحابه على النبى ﷺ:

عن طارق بن عبد الله المحاربى قال إنى لقائم بسوق المجاز إذا أقبل رجل عليه جبة له وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا؟ قال هذا غلام من بنى هاشم يزعم أنه رسول الله قال فقلت من هذا الذى يفعل به هذا؟ قال هذا عمه عبد العزى قال: فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابًا غير هذه إذ رجل فى طمرين له فسلم فقال: «**من أين أقبل القوم؟**» قلنا نمتار من تمرها قال ومعنا ظعينة لنا ومعها جمل أحمر مخطوم فقال: «**أتبيعون جملكم هذا**» قالوا: نعم بكذا وكذا صاعًا من تمر قال: فما استوضعنا مما قلنا شيئًا فأخذ بخطام الجمل فانطلق فلما توارى عنه بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنًا قال: تقول المرأة التى معنا والله لقد رأيت رجلًا كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر أنا

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٣٥)، والترمذى (٣١٥٥)، والنسائى فى «الكبرى» (٦/ ٣٩٣) (١١٣١٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٩١)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٣٢٠).

ضامنه لثمن جملكم إذا أقبل رجل فقال: أنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فدخلنا المسجد فإذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول: «**تصدقوا فإن الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك**» إذ أقبل رجل فى نفر من بنى يربوع أو قال رجل من الأنصار فقال يا رسول الله لنا فى هؤلاء دماء فى الجاهلية فقال: «**إنا لا نجنى على ولد**» ثلاث مرات[1].

وفد طيء منهم عدى بن حاتم:

عن عدى بن حاتم قال: جاءت خيل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قال رسله وأنا بعقرب فأخذوا عمتى وناسًا قال: فلما أتوا بهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصفوا له قالت يا رسول الله غاب الوفد وانقطع الولد وأنا عجوز كبيرة ما بى من خدمة فمُن علىَّ من الله عليك قال: «**من وافدك**» قال عدى بن حاتم قال: «**الذى فر من الله ورسوله**» قالت: فمن علىَّ قالت: فلما رجع ورجل إلى جنبه ترى أنه على قال سليه حملانًا قال فسألته فأمر لها به قال فأتتنى فقالت لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها ائته راغبًا أو راهبًا فقد أتاه فلان فأصاب منه قال فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبى فذكر قربهم من النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر فقال لى.

«**يا عدى ابن حاتم ما أفرك أن يقال لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله ما أفرك أن يقال الله أكبر فهل من شيء هو أكبر من الله؟**» فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال: «**إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى**» ثم سألوه فحمد الله وأثنى عليه ثم

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٨/ ١٢٨)، والدارقطنى فى «السنن» (٣/ ٤٤)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٨٨) واللالكائى فى «الاعتقاد» (١٤١٣)، مختصرًا إلا الدارقطنى فإنه ساقه مطولًا.

قال: «أما بعد فلكم أيها الناس أن ترضخوا من الفضل ارتضخ امرؤ بصاع ببعض صاع بقبضه ببعض قبضه» قال شعبة: وأكثر علمي أنه قال: «بتمرة بشق تمرة وأن أحدكم لاقى الله عَزَّوَجَلَّ فقائل ما أقول ألم أجعلك سميعًا بصيرًا؟ ألم أجعل لك مالًا وولدًا؟ فماذا قدمت؟ فينظر من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يجد شيئًا فما يتقى النار إلا بوجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجده فبكلمة لينة إنى لا أخشى عليكم الفاقة لينصرنكم الله عَزَّوَجَلَّ أو ليعطينكم أو ليفتح لكم حتى تسير الظعينة بين الحيرة ويثرب أو أكثر ما تخاف السرقة على ظعينتها»[(١)].

إخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عديًا ببعض ما يكون بعده وما ظهر منه من آثار النبوة:

قال أبو عبيدة بن حذيفة: قال رجل كنت أسأل الناس عن حديث عدى بن حاتم وهو إلى جنبى لا أسأله فأتيته فقال: بعث الله محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكرهته أشد ما كرهت شيئًا قط، فخرجت حتى أقصى أرض العرب مما يلى الروم ثم كرهت مكانى أشد مما كرهت مكانى الأول فقلت لو أتيته فسمعت منه فأتيته فقدمت المدينة فاستشرفنى الناس وقالوا: جاء عدى بن حاتم الطائى جاء عدى بن حاتم فقال: «يا

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/ ٣٧٨)، والطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٩٩)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٥٦ - ٢٥٧)، وأورده الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٢٠٨)، وقال: رجاله رجال الصحيح، غير عباد بن حبيش وهو ثقة.

قلت: وروى بعضه أو نحوه مع اختلاف فيه: الترمذى (٢٩٥٤)، وابن حبان (٧٢٠٦).

وأخرجه مطولًا ومختصرًا: ابن أبى حاتم فى «التفسير» (٤٠) وابن حبان (٦٢٤٦)، والطبرانى فى الموضع السابق، وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ١٧٠)، والبيهقى فى الدلائل. وقصة إسلام عدى فى المسند للإمام أحمد برقم (١٩٣٧٨)، وقوله: «**فلكم أيها الناس أن ترتضخوا**» جاء بنحوه عند البخارى (٣٥٩٥).

وقوله: «**ألم أجعلك سميعًا بصيرًا؟**»؛ جاء أيضًا من حديث أبى هريرة عند أحمد برقم (١٠٣٧٨) بلفظ: «**يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك؟**» ورواه الترمذى (٣٣٥٨)، وابن حبان (٧٣٦٤) بنحوه.

وقولها: (نأى الوافد): أى بعد، وقوله: «**أن ترتضخوا**»: أى تعطوا شيئًا.

عدى بن حاتم أسلم تسلم» فقلت: إنى على دين قال: «**أنا أعلم بدينك منك**» قلت: أنت أعلم بدينى منى قال: «**نعم**»، قال: هذا ثلاث قال: «**ألست ركوسى**» قلت: بلى قال: «**ألست ترأس قومك**» قلت: بلى قال: «**ألست تأخذ المرباع؟**» قلت: بلى قال: «**فإن ذلك لا يحل لك فى دينك**»، قال: فوجدت بها على غضاضة.

ثم قال: «إنه لعله إن يمنعك أن تسلم أن ترى بمن عندنا خصاصة وترى الناس علينا إلبًا واحدًا، هل رأيت الحيرة» قلت: لم أرها وقد علمت مكانها قال: «فإن الظعينة سترحل من الحيرة تطوف بالبيت بغير جوار ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز» قلت كنوز كسرى بن هرمز قال: «كنوز كسرى بن هرمز وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل ماله منه صدقة» قال فقد رأيت الظعينة ترحل من الحيرة بغير جوار وكنت فى أول خيل أغارت على المدائن والله لتكونن الثالثة إنه لحديث رسول الله ﷺ[1].

وعن عدى بن حاتم قال بينا أنا عند النبى ﷺ وأتاه رجل فشكا إليه الفاقة وأتاه آخر فشكاه قطع السبيل قال: «**يا عدى بن حاتم هل رأيت الحيرة؟**» قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال: «**فإن طالت بك حياة لتمرن الظعينة**» قال أبو بكر: الصحيح لترين الظعينة «**ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحد إلا الله**» قلت فيما بينى وبين نفسى فأين زعار طيء الذين سعروا البلاد «**ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى**» قلت كسرى بن هرمز قال: «**كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفيه من ذهب أو فضة يطلب من يقلبه منه فلا يجد أحدًا يقبله وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى**

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» (٤/ ٣٧٩)، والطبرانى فى «الأوسط» (٦/ ٣٥٩)، (٦٦١٤) وفى «الكبرى» (١٧/ ٢٣٧) وابن حبان (٧٢٠٦)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (٧/ ٣٤٢) (٣٦٦٠٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٥٨ - ٢٥٩)، وقوله: «المرباع»: ما كانت تأخذه ملوك الجاهلية من الغنيمة وهو ربعها، يقال: ربعتهم، أي: أخذت ربع أموالهم. اهـ. «شرح مسلم للنووى».

إلا جهنم» قال عدى: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجد تمرة فبكلمة طيبة»**.

قال عدى: قد رأيت الظعينة ترتحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله وكنت فيمن فتح كنوز ابن هرمز ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

عن عدى بن حاتم قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كيف بكم إذا خرجت الظعينة من قصور اليمن حتى تأتى الحيرة لا تخاف إلا الله»** قال: قلت يا رسول الله فأين طيء وخيلها ورجالها ومقانبها؟ قال: **«إذًا يكفيك الله طيئًا ومن سواها»**(٢).

قدوم جرير بن عبد الله البجلى على النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإخباره أصحابه فيما بين خطبته بدخول جرير البجلى على صفته:

عن جرير بن عبد الله قال: لما دنوت من مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنخت راحلتى وحللت عيبتى فلبست حلتى فدخلت ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب فسلم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرمانى الناس بالحدق فقلت لجليسى يا عبد الله هل ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمرى شيئًا قال: نعم ذكرك بأحسن الذكر بينما هو يخطب إذ عرض له فى خطبته فقال: **«إِنَّهُ سيدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذى يمن وأن على وجهه لمسحة ملك»** فحمدت الله على ما أبلانى(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٥٩٥)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٦٠).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٧/ ٧٧) (١٦٩) و (١٧٠)، والحميدى فى «مسنده» (٩١٥)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٦١).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (١/ ٤٢٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وابن خزيمة فى «صحيح (١٧٩٨)، والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٢٢٢٥)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٦٢).

إرسال النبى ﷺ جرير بن عبد الله إلى ذى الخلصة

عن جرير قال: قال لى رسول الله ﷺ: «**ألا تريحنى من ذى الخلصة**» فقلت: يا رسول الله إنى كفل لا أثبت على الخيل قال: فضرب النبى ﷺ فى صدرى ثم قال: «**اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا**».

قال: فسرت إليها فى مائة وخمسين فارسًا من أحمس فأتيناها فحرقناها نارًا قال: وكان يقال لها كعبة اليمانية قد سيرت فيها نصب لهم قال قيس فأتى رجل من أحمس النبى ﷺ فقال يا رسول الله: والذى بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب قال: فبارك النبى ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات قال قيس فبعث جرير بشيرًا أبا أرطاة[1].

وفد معاوية بن حيدة القشيرى ودخوله على النبى ﷺ:

عن سعد بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية بن حيدة القشيرى قال: أتيت رسول الله ﷺ فلما دفعتُ إليه قال: «**أما إنى سألت الله عَزَّوَجَلَّ أن يعيننى عليكم بالسَّنة تحفيكم وبالرعب أن يجعله فى قلوبكم**» قال: فقال بيديه جميعًا أما إنى قد خلقت هذا وهكذا ألا أومن بك ولا أتبعك فمازالت السنة تحفينى وما زال الرعب يجعل فى قلبى حتى قمت بين يديك أفبالله الذى أرسلك أهو أرسلك بما تقول؟ قال: «**نعم**» قال: وهو أمرك بما تأمر قال: «**نعم**»، قال: فما تقول فى نسائنا قال: «**هن حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وأطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تلبسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن**» قال: أفينظر أحدنا إلى عورة أخيه إذا اجتمعا؟ قال: «**لا**» قال: فإذا تفرقا؟ قال: فضم رسول الله ﷺ إحدى فخذيه على الأخرى ثم قال: «**الله أحق أن تستحيوا**» قال وسمعه يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة عليهم الفِدام**

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٠٢٠)، وانظر أطرافه ثَمَّ، ومسلم (١٣٧/ ٢٤٧٦).

فأول ما ينطق من الإنسان كفه وفخذه»[١].

قدوم الطفيل بن عمرو الدوسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسى على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله إن دوسًا قد عصت وأبت فادع الله عليها فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: «**الله اهد دوسًا وائت بهم ثلاثًا**»[٢].

وعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما قدمت على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلت فى الطريق: ياليه من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجت قال: وأبق منى غلام فى الطريق فلما قدمت على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبايعته فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا أبا هريرة هذا غلامك**» قلت: هو لوجه الله فأعتقته[٣].

وعن حجاج بن الصواف عن أبى الزبير عن جابر:

أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله هل لك فى حصن حصين ومنعة قال: حصن كان لدوس فى الجاهلية فأبى ذاك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذى ذخر الله للأنصار فلما هاجر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة هاجر معه الطفيل وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجذع فأخذ مشاقص فقطع بها براجمه فشخبت يداه فمات فرآه الطفيل فى منامه فرآه فى هيئة حسنة ورآه مغطيا يده فقال له ما لى آراك مغطيا يدك، قال: قيل لى لن نصلح منك ما أفسدت

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (١٦٥٨) وقال الهيثمى فى «المجمع» (٦/ ٦٦): «رواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده حسن وأخرجه أبو داود فى «السنن» (٢١٤٤) مختصرًا. ومعاوية ابن حيدة قُشَيْرِى من بنى عامر بن صعصعة، جدُّ بَهْز بن حكيم، له وفادة على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبة، نزل البصرة، ومات بخراسان «الإصابة» (٦/ ١٤٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٢٩٣٧) و(٤٣٩٢ و ٦٣٩٧)، ومسلم (٢٥٢٤) وأحمد (٢/ ٢٤٣و٤٤٨) والحميدى فى «المسند» (١٠٥٠) والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٧٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٢٥٣٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٧٤).

فقص الطفيل رؤياه على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم وليديه فاغفر»**[(١)].

قدوم الحكم بن حزن وحكاية صفة خطبته ﷺ يوم الجمعة:

عن شعيب بن زريق الطائفى قال: كنت جالسًا إلى رجل يقال له: الحكم بن حزن الكلفى وله صحبة من رسول الله ﷺ فأنشأ يحدثنا قال:

قدمت إلى رسول الله ﷺ سابع سبعة أو تاسع تسعة قال: فأذن لنا فدخلنا فقلت: يا رسول الله أتيناك لتدعو لنا بخير قال: فدعا لنا بخير وأمر بنا فأنزلنا وأمر لنا بشىء من تمر والشأن يومئذ إذ ذاك دون فلبثنا عند رسول الله ﷺ أيامًا شهدنا فيها الجمعة قال: فقام رسول الله ﷺ متوكئًا على قوس أو قال: عصًا فحمد الله وأثنى عليه كلمات طيبات خفيفات مباركات ثم قال: **«يا أيها الناس إنكم إن تفعلوا ولن تطيقوا كل ما أمرتم به ولكن سددوا وأبشروا»**[(٢)].

ما جاء فى قدوم عبد الرحمن بن عقيل على النبى ﷺ:

عن عبد الرحمن بن أبى عقيل قال: انطلقت فى وفد إلى رسول الله ﷺ فأتيناه فأنخنا بالباب وما فى الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه، فلما خرجنا ما فى

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١١٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٢٧٧)، وقوله: «اجتووا»: قال الخطابى أصله من الجوى وهو داء يصيب الجوف، وقوله: مشاقص جمع مشقص، وهو سهم فيه نصل عريض، وقوله: براجمه واحدتها برجمة وهى مفاصل الأصابع، وقوله: فشجبت: أى سال دمعها بقوة . اهـ. بتصرف من النووى: «شرح صحيح مسلم».

(٢) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (١٠٩٦)، وابن سعد فى «الطبقات» (٥/ ٥١٦)، وأحمد فى «المسند (٤/ ٢١٢) برقم (١٧٨٥٦ و ١٧٨٥٧) وأبو يعلى فى «مسنده» (٦٨٢٦)، وابن خزيمة (١٤٥٢) والطبرانى فى «الكبير» (٣١٦٥)، والبيهقى فى «السنن الكبرى» (٣/ ٢٠٦) وفى «الصغرى» (٦٢٤) وفى «الدلائل» (٥/ ٢٦٩)، والحافظ المزى فى «تهذيب الكمال» فى ترجمة الحكم بن حزن (٧/ ٩٢ - ٩٣)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر فى «التلخيص» (٢/ ٦٥)، والشيخ الألبانى فى «صحيح أبى داود» (٤/ ٢٦١) (١٠٠٦).

الناس أحب إلينا من رجل دخلنا عليه قال: فقال قائل منا: يا رسول الله ألا سألت ربك ملكًا كملك سليمان قال فضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: «**فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان لأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يبعث نبيًّا إلا أعطاه دعوة فمنهم من اتخذ بها دُنيا فأعطيها ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها وإن الله أعطانى دعوة فاختبأتها عند ربى شفاعة لأمتى يوم القيامة**»[1].



(١) صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (١/ ١٣٨)، وابن أبى شيبة فى «المصنف» (٦/ ٣١٨) (٣١٧٤) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٢/ ٢٩٣) (٨٢٤)، والبخارى فى «التاريخ الكبير» (٥/ ٢٤٩)، (٨١١) وقال الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ٢٧١)، «رواه البزار وأبو يعلى وأحمد وإسناده حسن».
وصحح إسناده الشيخ الألبانى فى «السنة» لابن أبى عاصم.

فَصْلٌ

فى حجة الوداع(١) فى ذى القعدة من سنة عشر من الهجرة

نقتصر فى هذا الفصل على مجرد سرد قصة حجة الوداع لأن ذكرها بالتفصيل والبسط يطول جدًّا وموضعه مفصلًا كتب الفقه ، والكتب المفردة للمناسك فيسهل الرجوع إليها والاستفادة منها، وإنما نذكر القصة لأنها من السيرة التى نجمع أطرافها وأحداثها العظام، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

أجمع الأحاديث الصحيحة فى بيان حجة النبى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن محمد بن على بن الحسين قال: «دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم(٢) حتى انتهى إلىَّ فقلت: أنا محمد بن على بن الحسين، فأهوى بيده إلى رأسى فنزع زرى الأعلى(٣). ثم نزع زرى الأسفل. ثم وضع كفه بين ثديى وأنا يومئذ غلام شاب فقال: مرحبا بك. يا ابن أخى ! سل عما شئت. فسألته. وهو أعمى. وحضر وقت الصلاة، فقام فى نساجة ملتحفا بها. كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها. ورداؤه، إلى جنبه على المشجب. فصلى

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى «البداية والنهاية»: «ويقال لها: حجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام -، ودع الناس فيها، ولم يحج بعدها، وسميت: حجة الإسلام، لأنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يحج من المدينة غيرها، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها، وقد قيل: إن فريضة الحج نزلت - عامئذ - وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة ست، وقيل قبل الهجرة، وهو غريب جدًّا، وسميت حجة البلاغ، لأنه - عليه الصلاة والسلام - بلغ الناس شرع الله فى الحج قولًا وفعلًا، ولم يكن بقى دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلما بين لهم شريعة الحج، ووضحه وشرحه، أنزل الله ﷻ عليه وهو واقف بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(٢) فسأل عن القوم: أى: عن جماعة الرجال الذين دخلوا عليه، فإنه إذا ذاك ذهب بصره وكان فى آخره.

(٣) فنزع زرى الأعلى: أى أخرجه من عروته فيكشف صدرى عن القميص.

بنا. فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال بيده. فعقد تسعا فقال: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث تسع سنين لم يحج. ثم أذن فى الناس فى العاشرة، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاج. فقدم المدينة بشر كثير. كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويعمل مثل عمله. فخرجنا معه. حتى إذا أتينا ذا الحليفة. فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبى بكر. فأرسلت إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف أصنع ؟ قال: «**اغتسلي. واستثفرى بثوب وأحرمى**» فصلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى المسجد. ثم ركب القصواء. حتى إذا استوت به ناقته على البيداء. نظرت إلى مد بصرى بين يديه. من راكب وماش. وعن يمينه مثل ذلك. وعن يساره مثل ذلك. ومن خلفه مثل ذلك. ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرنا. وعليه ينزل القرآن. وهو يعرف تأويله. وما عمل به من شئ عملنا به. فأهل بالتوحيد «**لبيك اللهم ! لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك. والملك لا شريك لك**». وأهل الناس بهذا الذى يهلون به. فلم يرد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا منه. ولزم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلبيته. قال جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لسنا ننوى إلا الحج. لسنا نعرف العمرة. حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا. ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. فقرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] فجعل المقام بينه وبين البيت. وكان يقرأ فى الركعتين ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به.

فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى إذا رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير.**

لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده».

ثم دعا بين ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى.

حتى إذا صعدتا مشى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: «**لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل، وليجعلها عمرة**».

فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله! ألعامنا هذا أم للأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة فى الأخرى، وقال: «**دخلت العمرة فى الحج**» مرتين «**لا بل لأبد أبد**».

وقدم عليٌّ من اليمن ببدن النبى ﷺ فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل، ولبست ثيابًا صبيغًا، واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبى أمرنى بهذا، فقال: فكان على يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشًا على فاطمة. للذى صنعت، مستفتيا لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها فقال: «**صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج**» قال: قلت: اللهم إنى أهل بما أهل به رسولك. قال: «**فإن معى الهدى فلا تحل**» قال: فكان جماعة الهدى الذى قدم به علىّ من اليمن والذى أتى به النبى ﷺ مائة، قال: فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبى ﷺ ومن كان معه هدى.

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأحلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، مكث قليلًا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها.

حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فرحلت له، فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال: «**إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع، ودماء الجاهلية**

موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعًا فى بنى سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله. فاتقوا الله فى النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكن عليهن أن لا يوطئن فى فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله. وأنتم تسألون عنى. فما أنتم قائلون؟» قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة. يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد. اللهم اشهد**» ، ثلاث مرات.

ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئًا ، ثم ركب رسول الله ﷺ ، حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة. فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص ، وأردف أسامة خلفه ، ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام. حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ، ويقول بيده اليمنى «**يا أيها الناس ، السكينة السكينة**» كلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً ، حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحدة وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئًا ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر ، حين تبين له الصبح. بأذان وإقامة.

ثم ركب القصواء ، حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعاه وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ، وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيمًا ، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن يجرين ، فطفق الفضل ينظر إليهن ، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر ، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل ، يصرف

وجهه؟!! ، حتى أتى بطن محسر فحرك قليلاً. ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها حصى الخذف رمى من بطن الوادى.

ثم انصرف إلى المنحر. فنحر ثلاثـًا وستين بيده. ثم أعطى عليًّا ، فنحر ما غبر ، وأشركه فى هديه ، ثم أمر من كل بدنة ببضعة ، فجعلت فى قدر. فطبخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها. ثم ركب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر ، فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال : «**انزعوا بنى عبد المطلب : فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم**»، فناولوه دلواً فشرب منه»[(١)].



(١) أخرجه مسلم (١٤٧/ ١٢١٨) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٠٧٤) ، وعبد بن حميد (١١٣٥)، وأحمد (٣/ ٣٢٠-٣٢١)، والدارمى (١٨٥٠ و١٨٥١) ، وابن الجارود (٤٦٩) ، وابن حبان (٣٩٤٤ - إحسان) ، والطحاوى فى «المشكل» (٢٤٣٤ و٤٣٠٠) ، وفى «المعانى» (٢/ ١٩٠)، والبيهقى فى «السنن» ٥/ ٦-٩ ، وابن خزيمة (٢٦٠٣ و٢٦٢٠) - واللفظ لمسلم.
وأخرج الحديث بروايات كثيرة وطرق أخرى منه : ما أخرجه أحمد (٣/ ٣١٧ و٣٢٠ و٣٦٦)، والبخارى فى مواطن منها : (١٥٥٧ و١٦٥١ و١٧٨٥ و٢٥٠٦ و٤٣٥٠ و٧٢٣٠ و٧٣٦٧) ومسلم (١٢١٣ و١٢١٤ و١٢١٥ و١٢١٦ و١٢١٨) وابن حزم فى «المحلى» (٧/ ١٠٠)، والطيالسى (٩٩١) والحميدى (١٢٩٣) وغيرهم..
وهذا الحديث قال عنه الأمير الصنعانى : -رحمه الله- فى «السبل» (٤/ ٧٤)، ط دار ابن الجوزى : «واعلم أن هذا حديث عظيم مشتمل على جمل من الفوائد ونفائس من مهمات القواعد. قال القاضى عياض : قد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا وصنف فيه بن المنذر جزءً كبيراً أخرج فيه من الفقه مائة ونيفًا وخمسين نوعًا ، قال : ولو تقصى زيد على هذا العدد أو قريب منه» .اهـ.
قلت : وللشيخ الإمام الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤلفًا بعنوان : «حجة النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما رواها جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ» جمع فيه الشيخ حديث جابر من بطون المؤلفات المطبوعة والمخطوطة ، وساقه مساقًا بديعًا فجمع شتاته ، وركّب ألفاظه ، وألحقه بفصول علمية مفيدة ، فجزاه الله خيراً. والكتاب مطبوع عدة طبعات.

فَصْلٌ

فى زوجاته رضى الله عنهن

زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أول من تزوج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فكانت وزير صدق له لما بعث، وهى أول من آمن به على الصحيح. وقيل: أبو بكر. وهو شاذ[١]. ولم يتزوج فى حياتها بسواها لجلالها وعظم محلها عنده[٢]. واختلف أيها أفضل هى أو عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ فرجح فضل خديجة جماعة من العلماء[٣]. وقد ماتت قبل الهجرة[٤].

زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

ثم تزوج سودة بنت زمعة القرشية العامرية، بعد موت خديجة بمكة، ودخل بها هناك، ثم لما كبرت أراد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلاقها، فصالحته على أن وهبت يومها

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فى مجموع الفتاوى (٤/ ٤٦٢): «وأول من أسلم من الرجال الأحرار البالغين أبو بكر، ومن الأحرار الصبيان: على ومن الموالي: زيد بن الحارث، ومن النساء: خديجة أم المؤمنين وهذا باتفاق أهل العلم.

(٢) فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: لم يتزوج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على خديجة حتى ماتت أخرجه مسلم (٢٤٣٦) وغيره.

(٣) قلت: سبق فى فضل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حديث على ابن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد...**» قال أبو بكر: وأشار إلى السماء والأرض. [أخرجه البخارى (٣٨١٥) ومسلم (٢٤٣٠)].

(٤) اختلف فى تاريخ وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقيل ماتت قبل الهجرة بسنة ونصف، والصواب أنها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين للحديث الذى أخرجه البخارى (٣٨٩٦) واللفظ له، ومسلم (١٤٢٢)، من حديث عروة بن الزبير، قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاث سنين، وهو الذى جزم به ابن كثير فى البداية (٥/ ٣٠٠)، وابن القيم فى الزاد (١/ ١٥٠).

لعائشة وقيل: له، فجعله لعائشة. وفيها نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨] الآية[١]. وتوفيت فى آخر أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وقيل: تزوج عائشة قبل سودة، ولكنه لم يبن بها إلا فى شوال من السنة الثانية من الهجرة[٢]، ولم يتزوج بكراً سواها[٣]، [ولم يأته الوحى فى لحاف امرأة من نسائه سواها[٤]. ولم يحب أحد من النساء مثلها[٥]، وقد كانت لها مآثر وخصائص ذكرت فى القرآن والسنة، ولا يعلم فى هذه الأمة امرأة بلغت من العلم مبلغها، وتوفيت سنة [سبع وقيل] ثمان وخمسين[٦].

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٨/ ٥٣، ١٦٩)، وأبو داود فى السنن (٢١٣٥) ومن طريق البيهقى فى السنن الكبرى (٧/ ٧٤)، والطبرى فى التفسير (٥/ ١٩٧-١٩٨)، والحاكم فى المستدرك (٢/ ١٨٦) من طريق أحمد بن يونس وأبى بلال الأشعرى وعبد الله بن وهب، والواقدى أربعتهم: عن ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة به ضن قصة. وهذا إسناد حسن، لأن ابن أبى الزناد صدوق؛ كما فى التقريب وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى وحسنه الشيخ الألبانى -رحمه الله- فى الإرواء (٧/ ٨٥)، وأصل الحديث فى صحيح البخارى (٥٢١٢)، ومسلم (١٤٦٣)، لكن ليس فيها التصريح بسبب النزول. وله شاهد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه: أخرجه الترمذى (٣٠٤٠)، والطبرى فى التفسير (٥/ ٣١٠) والطبرانى فى الكبير (١١/ ٢٢٦/ ١١٧٤٦)، والبيهقى (٧/ ٢٩٧) بسند حسن فى الشواهد، قال الترمذي: حديث حسن غريب». وبالجملة فالحديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٤٢٣) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخارى (٤٧٥٣)، من حديث ابن أبى مليكة، وفيه: قال ابن عباس: «...ولم ينكح بكرًا غيرك...»

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه (٣٧٧٥)، ومسلم فى صحيحه (٢٤٤٢).

(٥) كما سبق من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذى أخرجه البخارى (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤) وفيه: فقلت: أى النساء أحب إليك؟ قال: «عائشة».

(٦) انظر فى ذلك: «السيرة» للإمام الذهبى فى ترجمتها، وغيره من كتب التراجم.

زواجه ﷺ حفصة رضي الله عنها:

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فى السنة الثالثة من الهجرة، وقد طلقها ﷺ، ثم راجعها[١]، وتوفيت سنة إحدى وأربعين. وقيل: وخمسين. وقيل: سنة خمس وأربعين.

زواجه ﷺ - أم سلمة رضي الله عنها:

تزوج أم سلمة، واسمها هند بنت أبى أمية ـ واسمه حذيفة ـ ويقال: سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القرشية، بعد وفاة زوجها أبى سلمة عبد الله ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن مخزوم، مرجعه من بدر، فلما انقضت عدتها خطبها ﷺ، وهذا يقتضى أن ذلك أول السنة الثالثة، وقد كان ولى عقدها ابنها عمر، كما رواه النسائى من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن ابن عمر ابن أبى سلمة عن أبيه عن أم سلمة[٢]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقد جمعت جزءاً

---

(١) كما فى الحديث الذى أخرجه الأئمة: أبو داود (٢٢٨٣)، والنساء فى الكبرى (٥٧٢٣)، وفى «المجتبى» (٦/ ٢١٣)، وابن ماجه (٢٠١٦)، والطبرانى فى الكبير (٢٣/ ١٠٨/ ١٥٨)، وابن حبان (٤٢٧٥- إحسان)، والحاكم (٢/ ١٩٧) والبيهقى فى السنن الكبرى (٧/ ٣٢١-٣٢٢)، من طريق يحيى بن زكريا بن زائدة، عن صالح بن صالح، عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن عمر به. وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألبانى فى الإرواء (٧/ ١٥٧). وهو كما قالا.

وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه وصححه الشيخ الألبانى فى الإرواء (٧/ ١٥٧) وشاهدًا آخر من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وإسناده حسن.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٦/ ٣١٧-٣١٨)، والنسائى فى المجتبى (٦/ ٨١-٨٢) وابن حبان (٢٩٤٩ - إحسان)، وفيه ابن عمر بن سلمة. وهو مقبول؛ كما فى التقريب والحديث حسن بشواهده.

رواه النسائى فى كتاب النكاح (باب إنكاح الابن أمَّه) عن أمِّ سلمة ولفظه: لم انقضت عدتها بعث إليها أبو بكر يخطبها عليه فلم تزوّجه، فبعث إليها رسول الله عمر بن الخطاب يخطبها عليه، فقالت: أخبر رسول الله ﷺ أنى امرأة غيري. وأنى امرأة مُصْبية، وليس أحد من أوليائى شاهد، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك. فقال: «**ارجع إليها فقل لها: أما قولك إنى امرأة غيْري، فسأدعو الله فيذهب غيرتك، وأما قولك: إنى امرأة مصْبية، فستكفين صبياك، وأما قولك: أن ليس أحد من أوليائي**

فى ذلك، وبينت أن عمر المقول له فى هذا الحديث إنما هو عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لأنه كان الخاطب لها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، و قد ذكر الوقدى وغيره أن وليها كان ابنها سلمة، وهو الصحيح إن شاء الله. و قد ذكر أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوجها بغير ولى ، والله تعالى أعلم. قال الواقدى : توفيت سنة تسع وخمسين[(١)] . و قال غيره فى خلافة يزيد بن معاوية سنة اثنتين وستين.

زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

ثم تزوج زينب بنت جحش فى سنة خمس من ذى القعدة،. وفى صبيحة عرسها نزل الحجاب، كما أخرجاه فى الصحيحين[(٢)] عن أنس، وأنه حجبه حينئذ وقد كان عمر أنس لما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة عشراً ، فدل على أنه كان قد استكمل خمس عشرة سنة، والله أعلم. وقد كان وليها الله سبحانه و تعالى دون الناس، قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وروى البخارى فى صحيحه بسند ثلاثى أنها كانت تفخر على نساء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجنى الله فى السماء[(٣)]، وكانت أول أزواج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفاة[(٤)]، قال الواقدي: توفيت سنة عشرين[(٥)]، و صلى عليها عمر بن

= **شاهد، فليس أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك»**. فقالت لابنها: يا عمر قم فزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فزوّجه. قال الزرقاني: رواه النسائى بسند صحيح، ومعناه فى صحيح مسلم. وفيه دلالة على أن الابن يلي العقد على أمه كما ذهب أبو حنيفة ومالك وجماعة. انظر شرح الزرقانى على المواهب ٣: ٢٤٠.

(١) وانظر: الطبقات لابن سعد (٨/ ٩٦) وهو الصواب.

(٢) البخارى (٤٧٩١)، ومسلم (١٤٢٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) كما فى حديث أنس عند البخارى (٧٤٢٠، ٧٤٢١).

(٤) ففى صحيح مسلم (٢٤٥٢) من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أسرعكن لحاقًا بي؛ أطولكن يدًا»** قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا قالت: فكانت أطولنا يدًا زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدّق.

(٥) كما فى الطبقات (٨/ ١١٥).

الخطاب رضي الله عنهما.

زواجه صلى الله عليه وسلم - جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

ثم تزوج جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية ، وذلك أنه لما غزا قومها فى سنة ست ، بالماء الذى يقال له: المريسيع ، وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس، وكاتبها ، فجاءت رسول الله صلى صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها فاشتراها وأعتقها وتزوجها[1]. فقيل: إنها توفيت سنة خمسين. وقال الواقدي[2]: سنة ست وخمسين.

زواجه صلى الله عليه وسلم - صفية بنت حيي - رضي الله عنها:

ثم تزوج صفية بنت حيى بن أخطب الإسرائيلية الهارونية النضرية ثم الخيبرية رضى الله تعالى عنها، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم اصطفاها من مغانم خيبر ، وقد كانت فى أوائل سنة سبع، فأعتقها وجعل ذلك صداقها ، فلما حلت فى أثناء الطريق بنى بها ، وحجبها، فعلموا أنها من أمهات المؤمنين[3]. قال الواقدي[4]: توفيت سنة خمسين، وقال غيره: سنة ست وثلاثين، و الله أعلم.

زواجه - صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان - رضي الله عنها:

وفى هذه السنة، وقيل: فى التى قبلها ـ سنة ست ـ تزوج أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية. خطبها عليه عمرو بن أمية الضمري، وكانت بالحبشة، وذلك حين توفى عنها زوجها عبيد الله بن جحش[5] ،

---

(١) تقدم فى غزوة بنى المصطلق.

(٢) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٢٠).

(٣) كما فى صحيح البخارى (٥١٦٩)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) الطبقات (٨/ ١٢٨).

(٥) وهذا هو الصحيح، على خلاف المشهور من أن عبد الله بن جحش قد ارتد وقصة ردته لم تُرو بسند صحيح متصل، فالموصول من طريق الواقدي، والواقدي- كما مرَّ معنا غير مرة- متروك- والمرسل جاء عن عروة بن الزبير، ولا يحتج بالمرسل فى مسألة كهذه فيها الحكم على أحد السابقين الأولين

فولى عقدها منه خالد بن سعيد بن العاص، وقيل: النجاشي، والصحيح الأول. ولكن أمهرها النجاشى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعمائة دينار، وجهزها، وأرسل بها إليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)].

فأما ما رواه مسلم[(٢)] فى صحيحه من حديث عكرمة بن عمار اليمانى عن أبى زميل سماك بن الوليد عن ابن عباس أن أبا سفيان لما أسلم قال فى حديث لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عندى أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبى سفيان أزوجكها .. » الحديث. فقد استغرب ذلك من مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ، كيف لم يتنبه لهذا ؟ لأن أبا سفيان، إنما أسلم ليلة الفتح، وقد كانت بعد تزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم حبيبة بسنة وأكثر، وهذا مما لا خلاف فيه. وقد أشكل هذا على كثير من العلماء: فأما ابن حزم فزعم أنه موضوع وضعف عكرمة بن عمار، ولم يقل هذا أحد قبله ولا بعده. وأما محمد بن طاهر المقدسى فقال: أراد أبو سفيان أن يجدد العقد لئلا يكون تزوجها بغير إذنه غضاضة عليه، أو أنه توهم أن بإسلامه ينفسخ نكاح ابنته، وتبعه على هذا أبو عمرو ابن الصلاح وأبو زكريا النووى فى شرح مسلم، وهذا بعيد جدًّا، فإنه لو كان كذلك لم يقل: عندى أحن العرب وأجمله، إذ رآها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ سنة فأكثر، وتوهم فسخ نكاحها بإسلامه بعيد جدًّا، والصحيح فى هذا أن أبا سفيان لما رأى صهر

= رضى الله عنهم- بالردة ثم إن الروايات الصحيحة فى زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأم حبيبة لم تذكر ردة زوجها السابق وانظر: ما شاع ولم يثبت، للأستاذ/ محمد العوشن، ومجلة البيان عدد (١٨٢).
وكتابنا الآخر: «ضعيف السيرة النبوية» أعاننا الله على إتمامه ففيه بسط وتفصيل.

(١) أخرجه أبو داود (٢١٠٧)، والنسائي فى المجتبى (٦/ ١١٩)، والكبرى (٥٤٨٦)، وأحمد (٦/ ٤٢٧)، والطبرانى فى الكبير (٢٣/ ١٨١/ ٤٠٢)، والدارقطنى فى السنن (٣/ ٢٤٦)، والحاكم (٢/ ١٨١)، والبيهقى فى السنن (٧/ ١٣٩، ٢٣٢)، والدلائل (٣/ ٤٦٠) وغيرهم من طريق عبد الله بن المبارك عن معمر بن راشد، عن ابن شهاب، عن عروة، عن أم المؤمنين به. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٠١)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

رسول الله ﷺ له شرفاً أحب أن يزوجه ابنته الأخرى وهى عزة، واستعان على ذلك بأختها أم حبيبة، كما أخرجا فى الصحيحين[١] عن أم حبيبة أنها قالت: يا رسول الله انكح أختى بنت أبى سفيان، قال: **أَوَ تحبين ذلك؟** قالت: نعم..» الحديث. وفى صحيح مسلم[٢] أنها قالت: يا رسول الله، انكح أختى عزة بنت أبى سفيان .. الحديث. وعلى هذا فيصح الحديث الأول، ويكون قد وقع الوهم من بعض الرواة فى قوله: وعندى أحسن العرب وأجمله: أم حبيبة. وإنما قال: عزة. فاشتبه على الراوي، أو أنه قال الشيخ: يعنى ابنته، فتوهم السامع أنها أم حبيبة، إذ لم يعرف سواها. ولهذا النوع من الغلط شواهد كثيرة قد أفردت سرد ذلك فى جزء مفرد لهذا الحديث ولله الحمد و المنة. وتوفيت أم حبيبة رضي الله عنها سنة أربع وأربعين فيما قاله أبو عبيد، وقال أبو بكر بن أبى خيثمة: سنة تسع وخمسين قبل أخيها معاوية بسنة.

زواجه ﷺ ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها:

ثم تزوج فى ذى القعدة من هذه السنة ميمونة بنت الحارث الهلالية واختلف هل كان محرماً أو لا؟ فأخرج صاحبا الصحيح[٣] عن ابن عباس أنه كان محرماً. فقيل: كان ذلك من خصائصه ﷺ لما رواه مسلم عن عثمان أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينكح المحرم و لا ينكح و لا يخطب**»[٤] واعتمد أبو حنيفة على الأول، وحمل حديث عثمان على الكراهة، وقيل: بل كان حلالاً كما رواه مسلم عن ميمونة أنها قالت: تزوجها رسول الله ﷺ وهو حلال، و بنى بها وهو

---

(١) البخارى (٥١٠١)، ومسلم (١٤٤٩).

(٢) صحيح مسلم (٦/ ١٤٤٩).

(٣) أخرجه البخارى (٥١١٤)، ومسلم (١٤١٠).

(٤) وصحيحه (١٤٠٩)، وأبو داود (١٨٤١)، والترمذى (٨٤٠) والنسائى (٥/ ٢٩٢) وابن ماجه (١٩٦٦)، والبيهقى فى السنن الكبرى (٥/ ١٨١، ٧/ ٣٦٢، ٣٦٣) ط دار الحديث، وعند ابن حبان (١٢٧٤) «ولا يخطب عليه».

حلال[١]. وقد قدم جمهور العلماء هذا الحديث على قول ابن عباس، لأنها صاحبة القصة فهي أعلم. وكذا أبو رافع أخبر بذلك كما رواه الترمذي[٢] عنه، وقد كان هو السفير بينهما. وقد أجيب عن حديث ابن عباس بأجوبة ليس هذا موضعها[٣]. وماتت بسرف حيث بنى بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منصرفه من عمرة القضاء، وكان موتها سنة إحدى و خمسين ، وقيل: سنة ثلاث، وقيل: ست وستين، وصلى عليها ابن أختها عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فهؤلاء التسع بعد خديجة اللواتي جاء في الصحيحين[٤] أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات عنهن وفي رواية[٥] في الصحيح أنه مات عن إحدى عشرة ، والأول أصح .

وقد قال قتادة بن دعامة أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج خمس عشرة امرأة ، فدخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، ومات عن تسع[٦]. وقد روى الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي نحو هذا عن أنس في كتابه (المختارة)[٧] فهذا هو

---

(١) صحيح مسلم (١٤١١)، وأبو داود (١٨٤٣)، والبيهقي في السنن (٧/ ٣٦٤).

(٢) في السنن (٨٤١)، والنسائي في الكبرى (٥٣٨١)، وأحمد (٦/ ٣٩٢-٣٩٣)، وابن حبان (٤١٣٠- إحسان) والبيهقي في السنن (٥/ ٦٦، ٧/ ٢١١)، وإسناده ضعيف لضعف مطر الوراق. وانظر: الإرواء (٦/ ٢٥٢).

(٣) انظر: زاد المعاد (٣/ ٣٧٢-٣٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٤)، ومسلم (١٤٦٢).

(٥) أخرجه البخاري (٢٦٨)، عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٦) أخرج البيهقي في الدلائل (٧/ ٢٢٨) من طريق عبد الوهاب بن عطاء قال: أخبرنا سعيد عن قتادة: أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تزوج خمسة عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة واجتمع عنده إحدى عشرة، وقُبض عن تسع وهذا مرسل صحيح الإسناد، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤) (٦٧١٢)، من طريق زهير بن العلاء، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ... به مختصرًا، والضياء في المختارة (٢٥٢٤) من طريق عمرو بن سهل، حدثنا يحيى بن أبي كثير عن قتادة، عن أنس مرفوعًا مختصرًا جدًّا وإسناده صحيح، قال ابن القيم في الزاد (١/ ١١٤): «ولا خلاف أنه توفي عن تسع....» وذكره مثله الحافظ ابن كثير في البداية ...» (٨/ ٢٠١).

(٧) (برقم ٢٥٢٤)، وهو حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السابق.

المشهور. وقد رأيت لبعض أئمة المتأخرين من المالكية وغيرهم فى كتاب النكاح تعداد زوجات لم يدخل بهن مع اللواتى دخل بهن ما ينيف على العشرين.[١] . اهـ.

وقد كان له من السرارى اثنتان وهما:

مارية بنت شمعون القبطية، أم إبراهيم ولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أهداها له المقوقس صاحب إسكندرية ومصر، ومعها أختها شيرين وخصى يقال له مابور وبغلة يقال لها: الدلدل، فوهب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيرين إلى حسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن. وتوفيت مارية فى محرم سنة ست عشرة، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحشر الناس لجنازتها بنفسه، وصلى عليها ودفنها بالبقيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأما الثانية فريحانة بنت عمرو، وقيل: بنت زيد، اصطفاها من بنى قريظة وتسرى بها، ويقال: إنه تزوجها، وقيل: بل تسرى بها، ثم أعتقها فلحقت بأهلها. وذكر بعض المتأخرين أنه تسرى أمتين أخريين، والله تعالى أعلم.

الحكمة من زواج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأكثر من أربع:

زواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا العدد من النساء، إحدى الشبه العريضة التى يثيرها أعداء الإسلام من المستشرقين وتلاميذهم، وينفثون من خلالها حقدًا صليبيًّا أسودًا أو يقولون: إنما كان تعدد الزوجات فى حياة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إشباعًا لشهواته وملذاته!!..

وهؤلاء معذورون فى قولهم لأنه صادر عن عداوة متأصلة فى نفوسهم، تعميهم عن رؤية الحق وتبعدهم عن كل قول سديد، ولكن الإنسان المتبصر المنصف يمكنه أن يصل إلى الحقيقة العلمية الناصعة من خلال سيرة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وملابسات زواجه من أمهات المؤمنين.

وأول ما ينفى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تهمة الشهوانية المطلقة التى زعموها،

---

(١) الفصول للحافظ ابن كثير رحمه الله (ص ٢٤٣-٢٥٢)، وراجع فى ذلك: «زاد المعاد» للإمام ابن القيم رحمه الله (١/ ١٠٥-١١٤)- وغير ذلك من كتب التراجم.

ما عرفه به قومه من طهر ونقاء أيام الفتوة والقوة والشباب إلى حين زواجه بخديجة فى الخامسة والعشرين من عمره، فلما تزوجها لم يجمع معها امرأة أخرى حتى توفيت وعمره ينوف عن الخمسين، وعمرها يناهز الخامسة والستين، وكانت هذه الفترة من عمر النبى الكريم أولى بالإقبال على الملذات وتحقيق الشهوات لو كان الأمر كما ظنه هؤلاء الحاقدون.

وتعدد زوجاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاة خديجة أمر يفرضه الله عَزَّوَجَلَّ، وتفرضه مقتضيات الحياة الاجتماعية، والظروف الخاصة للرسالة ونشر الدعوة فى أغلب الأحايين، فلم يكن زواجه بزينب -مثلًا- إلا بوحى من ربه، لإبطال عادة جاهلية سائدة تحرم الزواج بزوجة المتبني، وكان لابد لإبطالها من سنة فعلية يقوم بها صاحب الرسالة نفسه.. كما كان زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة وحفصة ارتباطًا وثيقًا برجلين من خاصة أصحابه وحفظة سره وأنصار دعوته، فى الوقت الذى ارتبط فيه بعثمان بن عفان وابن عمه على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالمصاهرة لهما من جهة أخرى.

وكان زواجه من بعض نسائه لمواساتهن بعد أن فقدن أزواجهن لسبب من الأسباب، وهن العزيزات العريقات، فليس أكرم لهن من دخولهن بيت النبى أمهات للمؤمنين، كأم سلمة وأم حبيبة.

وإيجاد علاقات طيبة مع بعض القبائل عن طريق المصاهرة، كان دافعًا قويًّا من دوافع زواج النبى عليه الصلاة والسلام، وذلك كزواجه بجويرية وصفية.

ولم يكن تعدد زوجات النبى فى يوم من الأيام شاغلًا له من متابعة دعوته، والجهاد فى سبيل إعلاء كلمة ربه، والجلوس لأصحابه معلمًا ومربيًا وموجهًا، ولم يُعرف عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه خص نفسه أو زوجاته بشيء، ولم يبن قصرًا أو يحفر نهرًا أو يتخذ رياشًا ونعيمًا مما يتخذه أصحاب الملذات والشهوات، بل كان يعيش مع زوجاته حياة الشظف والكفاف، حتى ضِقْن بذلك، فخيرهن بين مفارقته لهن، أو الرضا والقناعة بما أوتينه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا

وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].

فامتلأت نفوسهن بعد ذلك رضًا، وعلمن أنهن منتدبات لأمر عظيم غير ما انتدب له بقية نساء المؤمنين، فتفانين فى خدمته، وأصبحن شريكات له فى حياة فاضلة فى سلمه وحربه وروحاته وغدواته، وحفظن لنا ثروة تشريعية عظيمة عما كلن يفعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخل بيته مما لا يطلع عليه غيرهن، فاستأهلن بهذا كله أن يكن أمهات للمؤمنين رضى الله عنهن وأرضاهن(١).



(١) انظر فى ذلك كلام المعلق على «الفصول» صـ ٢٥١. ولنا فى ذلك بحث بعنوان: «زواج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأكثر من أربع وحكمة تعددهن» يسر الله نشره.

فَصْلٌ

فى مرضه ووفاته ﷺ

إشارات النبى ﷺ إلى اقتراب أجله :

الأحداث العظيمة يسبقها من الإرهاصات والعلامات التى تشير إلى قرب وقوعها ، وقد تم للمسلمين فتح مكة أم القرى فى السنة الثامنة من الهجرة المباركة ، وفى السنة التاسعة أقبلت الوفود تقر بالإسلام أو تعطى الجزية عن يد وهم صاغرون ، وأرهب جيش العسرة الذى خرج به النبى ﷺ جحافل الروم حتى فروا من مواجهته ، ودانت جزيرة العرب بالإسلام ، وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبى ﷺ المتواصل وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، فكل العلامات تشير إلى انتهاء مهمة رسول الله ﷺ ، فقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وأصبح الناس على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فكان النبى ﷺ يعرض بقرب أجله :

* فمن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال : لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشى تحت راحلته ، فلما فرغ قال : «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا ، أو لعلك أن تمر بمسجدى هذا وقبرى» فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول الله ﷺ ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال : «**إن أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا**»[1] .

---

(١) «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» د/ أحمد فريد -حفظه الله- (ص٤١٩). والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٥) ورجاله ثقات وسنده جيد ، وأخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٢٠/ ١٢٠)، وابن حبان (٦٤٦ -إحسان) ، والبيهقى فى «الدلائل» (٥/ ٤٠٤-٤٠٥).

=

* وخرج ﷺ للحج فى السنة العاشرة وقال : «**خذوا عنى مناسككم لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا**» وطفق ﷺ يودع الناس[١].

* ونزل عليه بعرفة : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

* وفى ثانى أيام التشريق نزل عليه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ [النصر : ١-٣][٢].

*عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال : «كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم. فدعا ذات يوم فأدخله معهم ، قال : فما رؤيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم. قال : ما تقولن فى قول الله تعالى :﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ قال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره ، إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا ، فقال لى : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ قلت : لا ، قال : فما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ وذلك علامة أجلك: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول[٣].

= وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٢٢): «رواه أحمد بإسنادين ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان».

وقال فى (١٠/ ٢٣١-٢٣٢) بعد عزوه للطبرانى : «إسناده جيد».

(١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل وتقدم تخريجه فى «حجة الوداع».

(٢) أخرجه البزار كما فى «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٦٩ – ٢٧١) وقال الهيثمى : قلت فى الصحيح وغيره «طرف منه ، رواه البزار وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف». اهـ.

(٣) أخرجه البخارى (٤٩٧٠). وابن جرير الطبرى فى «التفسير» (٣٠/ ٣٣٤). وأخرجه أحمد (١/ ٣٤٤) (٣٢٠١) من طريق وكيع عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبى رزين ، عن ابن عباس وصحح إسناده الشيخ العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

* عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يموت يكثر أن يقول : «**سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك**» قال : «**إنى أمرت أن أقرأ** : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١﴾»[1].

ومن هذه العلامات تتابع الوحى على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «إن الله تابع الوحى على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل وفاته ، حتى توفاه أكثر ما كان الوحى ثم توفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد»[2].

* ومن هذه الإشارات - أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إلى أحد فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : «إنى فرطكم وإنى شهيد عليكم ، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن ، وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، - أو مفاتيح الأرض - ، وإنى والله ما أخاف أن تشركوا بعدى ، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»[3].

ومن هذه الإشارات القوية : عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «خطب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال : «**إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله**» قال : فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبد خيراً ، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إن أَمَنَّ الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقينَّ فى المسجد باب**

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى فى «التفسير» ٣٠/ ٣٣٥ وإسناده حسن. وأخرجه ابن مردويه كما فى «الدر» ٦/ ٦٩٩. وأورده الهيثمى فى «المجمع» ٩/ ٢٣ وقال : رواه الطبرانى فى «الصغير» ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخارى (٤٩٨٢) ومسلم (٢/ ٣٠١٦) قال الحافظ فى «الفتح» ٨/ ٦٢٣ : «والسر فى ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك». اهـ.

(٣) أخرجه البخارى (١٣٤٤ و٣٥٩٦ و٤٠٨٥ و٦٤٢٦ و٦٥٩٠) ومسلم (٢٢٩٦) وأبو داود (٣٢٠٧ و٣٢٠٨) والنسائى ٤/ ٦١-٦٢ (١٩٥٤) و«صحيح سنن النسائى» (١٨٤٦) -عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إلا سد، إلا باب أبى بكر»[١].

ابتداء شكوى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «رجع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم من جنازة من البقيع فوجدنى، وأنا أجد صداعًا وأنا أقول : وارأساه، قال :«**بل أنا يا عائشة وارأساه**» قال : «**وما ضرك لو مت قبلى فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك**» فقلت : كأنى بك والله لو فعلت ذلك لرجعت إلى بيتى فعرست فيه ببعض نسائك، قالت : فتبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم بدىء فى وجعه الذى مات فيه»[٢].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ أَبِى مُوَيْهِبَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَنْبَهَنِى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: «**يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّى قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ هَذَا الْبَقِيعِ**». فَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى أَتَينَا البَقِيعَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ: «**لِيَهْنْ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا، وَالْآخِرَةُ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى. يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّى قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الجَنَّةَ فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّى وَالْجَنَّةِ**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّي فَخُذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «**وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّى وَالْجَنَّةَ**» ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ابْتُدِئَ بِوَجَعِهِ الَّذِى قَبَضَهُ اللهُ فِيهِ[٣].

---

(١) أخرجه البخارى (٤٦٦) ومسلم (٦٠٥٣)، والترمذى (٣٦٦٠)، والنسائى فى «الكبرى» (٨١٠٣). وأحمد (٣/ ١٨)، وابن أبى شيبة (١٢/ ٦)، وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٢٢٧).

(٢) إسناده حسن، أخرجه أحمد (٦/ ٢٢٨)، والدارمى (١/ ٥١)، (٨٠)، والنسائى فى «كتاب الوفاة» (٣) وابن ماجه (١٤٦٥)، والدارقطنى (٢/ ٧٤)، وابن حبان (٦٥٨٦)، والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٣٩٦)، و«الدلائل» ٧/ ١٦٨ – ١٦٩، وحسنه الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «صحيح ابن ماجه» (١١٩٧).

(٣) حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» (٣/ ٤٨٩)، وابن إسحاق فى «السيرة» (١/ ٤٣٧)، والبخارى فى «التاريخ» (٩/ ٧٣-٧٤)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٨٧١)، والحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٥٥-٥٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ١١٨)، والدارمى فى «السنن» (٧٨)، والشيبانى فى «الآحاد» (٤٦٧)، =

عن أسماء بنت عميس قالت : «أول ما اشتكى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى بيت ميمونة فاشتد مرضه حتى أغمى عليه فتشاور نساؤه ، فى لده فلدوه ، فلما أفاق قال : «ما هذا ؟» فقلنا : هذا فعل نساء جئن من ها هنا وأشار إلى أرض الحبشة وكانت أسماء بنت عميس فيهن. قالوا : كنا نتهم بك ذات الجنب يا رسول الله. قال : «إن ذلك لداء ما كان الله عَزَّ وَجَلَّ ليقذفنى به ، لا يبقين فى البيت أحد إلا يلد إلا عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » يعنى العباس : قالت : لقد التدت ميمونة وإنها لصائمة لعزيمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] .

مدة مرضه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

قال الحافظ ابن رجب الحنبلى رَحِمَهُ اللَّهُ : «كان ابتداء مرضه فى أواخر شهر صفر ، وكانت مدة مرضه ثلاثة عشرة يومًا فى المشهور ، وقيل : أربعة عشر يومًا وقيل اثنا عشر يومًا ، وقيل : عشرة أيام وهو غريب ، وكانت خطبته التى خطب بها فى حديث أبى سعيد فى ابتداء مرضه ففى المسند وصحيح ابن حبان عن أبى سعيد الخدرى قال: خرج إلينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى مرضه الذى مات فيه وهو معصوب الرأس فقام على المنبر فقال : «**إن عبداً** ....» الحديث»[2] .

= والدولابى فى «الكنى» (١/ ٥٧-٥٨)، جميعًا من طريق محمد بن إسحاق، وقد صرَّح فيه بالتحديث.
وأخرجه أحمد فى «مسنده» (٣/ ٤٨٩)، والطبرانى فى «الكبير» (٢٢/ ٨٧٢).
وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٢٤): «رواه أحمد والطبرانى بإسنادين ورجال أحدهما ثقات»، وله شاهد من حديث أبى سعيد الخدرى عند البخارى فى الصحيح (٤٦٦)، وأحمد(١١١٣٥)(١١٨٦٣).

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٤٣٨ ، وقال الهيثمى ٩/ ٣٣ : «ورجاله ثقات». وأخرجه البخارى (٤٤٥٨) ومسلم (٢٢١٣) ، وأحمد ٦/ ٥٣ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال النووى : «اللدود : بفتح اللام هو الدواء الذى يصب فى أحد جانبى فم المريض ويسقاه». وإنما أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلدِّهم عقوبة لهم حين خالفوه فى إشارته إليهم «لا تلدونى» ، ففيه أن الإشارة المفهمة تصريح العبارة فى نحو هذه المسألة ، وفيه تقدير المتعدى بنحو من فعله الذى تعدى به إلا أن يكون فعلاً محرمًا». اهـ. وانظر كلام الحافظ فى «الفتح» ٧/ ٧٥٤.

(٢) «لطائف المعارف» (ص١٤٩ – ١٥٠).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وذكر الخطابى أنه ابتدأ يوم الاثنين ، وقيل يوم السبت ، وقال الحاكم أبو أحمد : يوم الأربعاء واختلف فى مدة مرضه فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً وقيل بزيادة وقيل بنقصه. وقيل : عشرة أيام وبه جزم سليمان التيمى فى مغازيه ، وأخرجه البيهقى بإسناد صحيح ، كانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول وكاد يكون إجماعاً وكان له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة وستون عاماً.

فلما كان الخميس قبل خمسة أيام من الوفاة النبوية اشتد الوجع برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمرهم بأن يحضروا أدوات الكتابة حتى يكتب لهم كتاباً لا يختلفوا بعده ، فأشفقوا على النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال : كتاب الله حسبنا ، فتنازعوا فأمرهم بالخروج عنه»[1]. اهـ.

عن ابن عباس قال : يوم الخميس ! وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى بل دمعه الحصى ، فقلت : يا ابن عباس وما يوم الخميس ؟ قال : اشتد برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعه فقال : «**ائتونى أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعدى**» فتنازعوا ، وما ينبغى عند نبى تنازع ، وقالوا : ما شأنه ؟ أهجر ؟ استفهموه قال : «**دعونى فالذى أنا فيه خير أوصيكم بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**» ، قال : وسكت عن الثالثة : أو قال : فأنسيتها[2].

آخر صلاة صلاها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إمامًا بالصحابة :

عن أم الفضل بنت الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت : «سمعت النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ فى

---

(١) «فتح البارى» ٧/ ٧٣٦.

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٣١) ، ومسلم (٢٠/ ١٦٣٧) وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**» هو أمر منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإجازة الوفود ، وضيافتهم وإكرامهم تطبيباً لنفوسهم وترغيباً لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم وإعانة لهم على سفرهم.

المغرب بالمرسلات عرفًا ، ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله»[١].

استئذانه ﷺ أن يمرض فى بيت عائشة :

وعند العشاء اشتد عليه ﷺ المرض بحيث لم يستطع الخروج ، وكان ﷺ قد استأذن أزواجه فى أن يمرض فى بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأذن له.

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عائشة قالت : لما ثقل النبى ﷺ واشتد به وجعه ، استأذن أزواجه فى أن يمرض فى بيتى فأذن له. فخرج النبى ﷺ بين رجلين تخط رجلاه فى الأرض : بين عباس ورجل آخر – قال عبيد الله فأخبرت عبد الله بن عباس فقال : أتدرى من الرجل الآخر ؟ قلت : لا. قال : هو على – وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحدث أن النبى ﷺ قال بعد ما دخل بيته واشتد وجعه : «**هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس**» وأجلس فى مخضب لحفصة زوج النبى ﷺ ثم طفقنا نصب عليه تلك حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن ثم خرج إلى الناس»[٢].

نعيه نفسه ﷺ إلى ابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دعَى رسولُ الله ﷺ فاطمة فى وجعه الذى قبض فيه فسارَّها بشيءٍ فبكتْ، ثم دعاها فسارها فضحكت، فسألتُها عن ذلك، فقالت: أخبرنى أنه يُقبض فى وجعه فبكيتُ، قالت: ثم أخبرنى أنى أول أهله أتبعه فضحكتُ[٣].

---

(١) أخرجه البخارى (٧٣٦ و٤٤٢٩) ومسلم (٤٦٢) ، وأبو داود (٨١٠) ، والترمذى (٣٠٨) ، والنسائى ٢/ ١٦٨ ، وابن ماجه (٨٣١) وأحمد ٦/ ٣٣٨ ، والبيهقى فى «السنن» ٢/ ٣٩٢.

(٢) أخرجه البخارى عن عائشة – من طرق كثيرة (١٩٨ و٦٦٤ و٦٦٥ و٦٧٩ و٦٨٣ و٦٨٧ و٧١٢ و٧١٣ و٧١٦ و٢٥٨٨ و٣٠٩٩ و٣٣٨٤ و٤٤٤٥ و٥٧١٤ و٧٣٠٣) ومسلم (٦١/ ٤١٨) ، وأخرجه أحمد ٦/ ٢٢٨ عن عبد الرزاق الذى أخرجه فى «المصنف» (٩٧٥٤) وأبو عوانة ٢/ ١١٤-١١٥.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٦٢٥)، ومسلم (٩٧/ ٢٤٥٠)، والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ١٢٠).

وعنها أيضًا قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ عند رسول الله ﷺ لم يُغادر منهم امرأة، فجاءت فاطمة تمشي، ما تخطئ مشيتها مشية أبيها، فقال: «مرحبًا بابنتي» فأقعدها عن يمينه، أو عن شماله فسارَّها بشيءٍ، فبكت، ثم سارها فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ بالسر وتبكين! فلما قام قلت لها: أخبريني بما سارك، قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره.

فلما توفي قلت لها: أسألك بما لي عليك من الحق لما أخبرتيني بما أسرَّك، فقالت: أما الآن، فنعم.

قالت: سارني فقال: «**إن جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أرى ذلك إلا عند اقتراب أجلي، فاتقي الله واصبري، فنعم السلفُ أنا لك**» فبكيت، ثم سارني فقال: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين - أو سيدة نساء هذه الأمة**» فضحكتُ[1].

شدة المرض الذى نزل به ﷺ :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدي. فقلت: يا رسول الله ! إنك لتوعك وعكًا شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل: إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» قال: فقلت: ذلك، أن لك أجرين. فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها**»[2].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٥٨) ومسلم (٢٥٧١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٥٠٣ و٧٥٠٥) وأحمد ١/ ٣٨١ و٤٤١. من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وأخرجه أبو يعلى (١٤٤) وابن ماجه (٤٠٢٤) والحاكم ٤/ ٣٠٧ من حديث أبي سعيد الخدري وإسناده صحيح و(الوعك): الحمى، وقيل: ألمها.

عن عائشة رضي الله عنها كان النبى يقول فى مرضه الذى توفى فيه: «**يا عائشة لم أزل أجد ألم الطعام الذى أكلتُ بخير، فهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم**»[(١)].

أمره صلى الله عليه وسلم **أبا بكر أن يصلى بالناس :**

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «ثقل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : «**أصلى الناس؟**» قلنا لا ، هم ينتظرونك ، قال: «**ضعوا لى ماء فى المخضب**». قالت : ففعلنا. فاغتسل لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال صلى الله عليه وسلم : «**أصلى الناس؟**» قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله.

فقال : «**ضعوا لى ماءً فى المخضب**». فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق فقال : «**أصلى الناس ؟**» فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله – والناس عكوف فى المسجد ينتظرون النبى عليه السلام لصلاة العشاء الآخرة – فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر بأن يصلى بالناس ، فقال أبو بكر – وكان رجلاً رقيقاً – يا عمر صلّ بالناس ، فقال عمر : أنت أحق بذلك. فصلى أبو بكر تلك الأيام.

ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم وجد من نفسه خفة ، فخرج بين رجلين – أحدهما العباس – لصلاة الظهر وأبو بكر يصلى بالناس – فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه النبى صلى الله عليه وسلم بأن لا يتأخر فقال : «**أجلسانى إلى جنبه**» ، فأجلساه إلى جنب أبى بكر ، قال : فجعل أبو بكر يصلى وهو يأتم بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم ، والناس بصلاة أبى بكر ، والنبى صلى الله عليه وسلم قاعد».

قال عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له : «ألا أعرض عليك ما حدثتنى عائشة عن مرض النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هات : فعرضت عليه حديثها ، فما أنكر منه شيئاً ، غير أنه قال : أسمت لك الرجل الذى كان مع العباس ؟ قلت : لا. قال : هو على»[(٢)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٤١٦٥).

(٢) أخرجه البخارى (٦٨٧) ومسلم (٩٠/ ٤١٨) والنسائى فى «المجتبى» (٨٣٤) ، والبيهقى فى «السنن»

مراجعة عائشة للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى إمامة الصديق :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «لما ثقل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقال : «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» قالت : فقلت : يا رسول الله ! إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس. فلو أمرت عمرَ فقال : «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» قالت : فقلت لحفصة : قولى له : إن أبا بكر رجل أسيف. وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس. فلو أمرت عمر ! فقالت له : فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إنكن لأنتن صواحب يوسف. مروا أبا بكر فليصل بالناس**» قالت : فأمروا أبا بكر يصلى بالناس».

قالت: فلما دخل فى الصلاة وجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نفسه خفة فقام يهادى بين رجلين -- ورجلاه تخطان فى الأرض. قالت : فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر. فأومأ إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قم مكانك. فجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى جلس عن يسار أبى بكر. قالت : فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلى بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدى أبو بكر بصلاة النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ويقتدى الناس بصلاة أبى بكر»[(١)] .

من آخر وصاياه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

* إخراج المشركين من جزيرة العرب ، وإجازة الوفد كما كان يجيزهم : تقدم ذلك من حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- .

* أوصى بأن تغلق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا باب أبى بكر الصديق ؛

= ٣/ ٨٠ ، والدارمى ١/ ٢٨٧.

(١) أخرجه البخارى (٦٦٤) ومسلم (٩٥ و٩٦/ ٤١٨) ، والنسائى فى «المجتبى» (٨٣٣) ، وابن ماجه (١٢٣٢) ، وأحمد ٦/ ٢١٠ ، ٢٢٤ ، والبيهقى فى «السنن» ٣/ ٨١ ، والطحاوى فى «شرح المعانى» ١/ ٤٠٦ . وقد راجعته أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خشية أن يجد الناس فى نفوسهم على أبى بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وهذه من الإشارات لاستخلافه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد تقدم ذلك.

* أوصى بأن لا يصلى بالناس إلا أبو بكر : وتقدم ذلك أيضًا.

* أوصى بالأنصار خيراً : عن أنس قال : «مر أبو بكر والعباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون ، فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينا ، فدخل على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره بذلك ، قال : فخرج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد عصب على رأسه حاشية برد ، قال : فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : **«أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى ، وقد قضوا الذى عليهم ، وبقى الذى لهم ، فأقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم»**(١) .

ومن وصاياه فى مرض وفاته كذلك تعظيم الرب فى الركوع ، والدعاء فى السجود ، والنهى عن قراءة القرآن فيهما :

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : «كشف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الستارة ، والناس صفوف خلف أبى بكر. فقال : **«أيها الناس ! إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو تُرى له. ألا وإنى نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجداً ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عَزَّ وَجَلَّ، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء ، فقمنٌ يستجاب لكم»** اللفظ لمسلم. وفى لفظ قال : «كشف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الستر ، ورأسه معصوب فى مرضه الذى مات فيه. فقال : **«اللهم! هل بلَغتُ؟»** ثلاث مرات **«إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو ترى له»** ثم ذكر بقية الحديث(٢) .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٧٩٩ و٣٨٠١) ومسلم (١٧٦/ ٢٥١٠) ، وقوله : (كرشى وعيبتى) : أى موضع سرى وأمانتى ، وقيل : جماعتى وخاصتى الذين أثق بهم وأعتمدهم فى أمورى.

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٩) وأبو داود (٨٧٦) والنسائى ٢/ ١٨٩–١٩٠ ، وابن ماجه (٣٨٩٩) وأحمد ١/ ١٩ ، والبيهقى فى «السنن» ٢/ ٨٧–٨٨. والطحاوى فى «شرح المعانى» ١/ ٢٣٤. ومعنى «فقمن» : أى: حقيق وجدير وفيه الحث على الدعاء فى السجود ، أنظر : «شرح صحيح مسلم للنووى» ٤/ ١٩٧.

ومن آخر وصاياه ﷺ الصلاة :

عن علي رضي الله عنه قال : «كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «**الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»[(١)].

ومن ذلك أيضاً نهيه عن اتخاذ القبور مساجد :

عن عائشة وابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «لما حضرته الوفاة جعل يلقى على وجهه طرف خميصة له ، فإذا اغتم كشفها عن وجهه ، وهو يقول : «**لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» تقول عائشة : يحذر مثل الذى صنعوا»[(٢)].



(١) أخرجه أبو داود (٥١٥٦) ، وابن ماجه (٢٦٩٨) وأحمد ١/ ٧٨ ، والبيهقى فى «السنن» ٨/ ١١ ، من حديث على رضي الله عنه وأخرجه ابن ماجه (٢٦٩٧) وأحمد ٣/ ١١٧ ، وابن حبان (٦٥٧١ - إحسان) والنسائى فى «وفاة النبى ﷺ» (١٨ و١٩) ، من حديث أنس ، وأخرجه ابن ماجه (١٦٢٥) وأحمد ٣/ ١١٧ ، والحاكم ٣/ ٥٧ وقال : قد اتفقا على إخراج هذا الحديث ، وقال الذهبى : فلماذا أوردته ، قال الشيخ الألبانى : وكل ذلك وهم فإنهما لم يخرجاه ، وانظر «الإرواء» (٢١٧٨). وقال البوصيرى : إسناده صحيح على شرط الصحيحين.

(٢) أخرجه البخارى (٤٣٥) وانظر أطرافه ثمت ، ومسلم (٥٣١) والنسائى ٢/ ٤٠ ، وأحمد ١/ ٢١٨ و٦/ ٣٤ ، ٢٢٩ ، ٢٧٥ وغيرهم.

قال الحافظ رحمه الله فى «الفتح» ١/ ٦٣٤ : «وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى ، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم».

الساعات الأخيرة من حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

خرج النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى صبح اليوم الذى لحق فيه بالرفيق الأعلى ينظر إلى ثمرة جهاده وصبره فألقى على أصحابه الذين أحبوه وأحبهم نظرة وداع فكادوا يفتنون من الفرحة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظنًّا منهم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عوفى من مرضه ولم يظنوا أنه ينظر إليهم نظرة الوداع حتى يلتقى بهم على حوضه وفى جنة الله ﷻ ولو علموا ذلك لتفطرت قلوبهم.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أن أبا بكر يصلى لهم فى وجع النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذى توفى فيه ، حتى إذا كان يوم الإثنين – وهم صفوف فى الصلاة – كشف النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستر الحجرة ، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن أن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خارج إلى الصلاة فأشار إلينا النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفى من يومه»(١) ثم لم تأت على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة أخرى.

عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت** : «دخل علىَّ عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك. فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه : «أن نعم» فتناولته فاشتد عليه ، قلت : ألينه لك ؟ فأشار برأسه : «أن نعم» فلينته ، فأمره وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه يقول : «**فى الرفيق الأعلى**» حتى قبض صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومالت يده»(٢).

(١) أخرجه البخارى (٦٨٠ و٧٥٤ و١٢٠٥ و٤٤٤٨) ومسلم (٤١٩) والنسائى ٤/ ٧ ، والترمذى فى «الشمائل» (٣٦٧) ، وابن ماجه (١٦٢٤) وأحمد ٣/ ١١٠ ، ١٦٣ ، ١٩٦ والبيهقى فى «السنن» ٣/ ٧٥.
وقوله : «كأنه ورقة مصحف» عبارة عن الجمال البارع وحسن البشرة ، وصفاء الوجه واستنارته.

(٢) أخرجه البخارى (٨٩٠) ، وانظر أطرافه ثمت ، والنسائى ٤/ ٦-٧ ، وأحمد فى «المسند» ٦/ ٤٨ و١٢١ و٢٠٠ والركوة : وعاء من جلد.

وفى رواية قالت: مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتى وذاقنتى فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبى ﷺ[١].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبى ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير**» قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ، ورأسه على فخذى، غشى عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «**اللهم! الرفيق الأعلى**».

قالت عائشة: قلت: إذاً لا يختارنا. قالت عائشة: وعرفت الحديث الذى يحدثنا به وهو صحيح فى قوله: «**إنه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير**».

قالت عائشة: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: «**اللهم الرفيق الأعلى**»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة -عليها السلام-: واكرب أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»[٣].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قبض رسول الله ﷺ بين سحرى ونحري،

---

(١) أخرجه البخارى (٤٤٤٦). والحاقنة: ما سفل من الذقن، والذاقنة: ما علا منه أو الحاقنة: نقرة الترقوة. ، وقال ثابت: الذاقنة: طرف الحلقوم.

(٢) أخرجه البخارى (٤٤٣٥) وانظر أطرافه ثمت، ومسلم (٢٤٤٤)، وابن ماجه (١٦٢٠)، وأحمد ٦/ ٤٨ و١٧٦ و٢٠٠ و٢٠٥ و٢٧٤ والطيالسى (٢٣٩٠).

(٣) أخرجه البخارى (٤٤٦٢) والترمذى فى «الشمائل» (٣٧٩) والنسائى ٤/ ١٢-١٣، وابن ماجه (١٦٢٩ و١٦٣٠)، وأحمد ٣/ ١٤١ و١٩٧، والبيهقى فى «السنن» ٤/ ٧١ وفى «الدلائل» (٧/ ١٥٩)، وابن حبان (٦٥٧٩ - إحسان).

فلما خرجت نفسه لم أجد ريحًا قط أطيب منها[1].

آثار وفاة النبى ﷺ على الصحابة :

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «لما كان اليوم الذى دخل فيه النبى ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه النبى ﷺ أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا عن النبى ﷺ الأيدى – إنا لفى دفنه – حتى أنكرنا قلوبنا»[2].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما توفى النبى ﷺ اضطرب المسلمون ؛ فمنهم من دهش فخولط ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من اعتقل لسانه ، فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال إنما بعث إليه كما بعث إلى موسى»[3].

مواقف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ واختيار الخليفة قبل دفن الجسد الشريف :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «إن رسول الله ﷺ مات ، وأبو بكر بالسنح – قال إسماعيل : تعنى بالعالية – فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله ﷺ ، قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك ، وليبعثنه الله فيقطعن أيدى رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد فى «المسند» (٦/ ١٢١)(٢٤٩٤٩)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٣٧): «رواه البزار ورجاله ثقات».

(٢) أخرجه الترمذى (٣٦٢٢) وفى «الشمائل» (٣٧٤) وابن ماجه (١٦٣١) ، وأحمد ٣/ ١٢٢ و٢٢١ و٢٤٠ و٢٦٨ و٢٨٧ ، وابن سعد ٢/ ٢٧٤ ، والحاكم ٣/ ٥٧ مختصراً ، وقال : «صحيح على شرط ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى ، وصححه الألبانى فى «مختصر الشمائل» و«صحيح ابن ماجه».
وقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أنكرنا قلوبنا» : هذا تعبير عن اللوعة بفقد أكرم الرسل ﷺ وأنها ساعة شديدة حتى أنكروا أنفسهم من شدة الحزن وانقطاع الوحى وفقد الصحبة.

(٣) «لطائف المعارف» (ص١٥٩).

فقبله فقال : بأبى أنت وأمى طبت حياً وميتاً والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً ، ثم خرج ، فقال : أيها الحالف على رسلك ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت. وقال: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال : فنشج الناس يبكون. قال : واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، فقالوا : منا أمير ومنكم أمير فذهب أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر. وكان عمر يقول : ما أردت بذلك إلا أنى قد هيأت كلاماً قد أعجبنى خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فكان أبلغ الناس ، فقال فى كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب ابن المنذر : لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب داراً وأعزهم أحساباً – فبايعوا عمر أو أبا عبيدة ، فقال عمر : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ عمر بيده وبايعه الناس ، فقال قائل : قتلتم سعد بن عبادة ، فقال عمر : قتله الله»[1].

---

(١) أخرجه البخارى (٣٦٦٧ و٣٦٦٨) ، عن عائشة رضي الله عنها وجاء من حديث ابن عباس –أيضاً– مطولاً ؛ أخرجه ابن أبى شيبة ١٤/ ٥٦٣ من طريق ابن إسحاق ، عن عبد الملك بن أبى بكر به ، وأخرجه البخارى (٦٨٣٠) من طريق صالح ، وأحمد ١/ ٥٥ ، وابن حبان (٤١٤) وابن عساكر فى «التاريخ» ٣٠/ ٢٨٠-٢٨٢ ، من طريق : مالك بن أنس ، وأخرجه ابن حبان (٤١٣) من طريق : هشيم وابن عساكر ٣٠/ ٢٨٣-٢٨٤ من طريق : سفيان بن عيينة وابن جرير ٣/ ٢٠٣ عن عباد كلهم عن الزهرى من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن بن عباس به.
وجاء مختصراً من طرق ، عن ابن شهاب : فأخرجه مالك عنه ٢/ ٨٢٣ ، ومن طريق مالك أخرجه البخارى (٢٤٦٢ و٤٩٢٨) والنسائى فى «الكبرى» (٧١٥٧ و٧١٥٨) ، والدارمى (٢٣٢٢ و٢٧٨٤) ، وقرن البخارى فى روايته والنسائى مع مالك بن أنس يونس ، وأخرجه مسلم (١٦٩١) ، عن يونس وحده ، ومن طريق سفيان بن عيينة عنه ، وأخرجه البخارى (٣٤٤٥ و٦٨٢٩) ومسلم (١٦٩١) =

تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «لما أرادوا غسل النبى ﷺ قالوا : والله لا ندرى أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله تبارك وتعالى عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه فى صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت – لا يدرى من هو : أن اغسلوا النبى ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكون بالقميص دون أيديهم ، وكانت عائشة تقول : «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه»[(١)].

= والنسائى فى «الكبرى» (٧١٥٥) والحميدى (٢٦) و(٢٧) ، وابن ماجه (٢٥٥٣) ، والبيهقى فى «السنن» ٨/ ٢١١ ، ومن طريق معمر عنه – أخرجه البخارى (٧٣٢٣) ، و(٤٠٢١) ومن طريق عقيل عنه : أخرجه النسائى فى «الكبرى» (٧١٦٠) ، ومن طريق هشيم عنه : أخرجه أبو داود (٤٤١٨).

وقوله : «قتلتم سعد بن عبادة» أى بالازدحام على بيعة أبى بكر وطأتم سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان مريضا. وقول عمر رضي الله عنه : «قتله الله» دعاء عليه لتخلفه عن بيعة أبى بكر ، وكان بطلبه الخلافة يفرق كلمة المسلمين ، وقد فارق سعد بن عبادة المدينة بعد ذلك إلى الشام حتى مات بها رضي الله عنه.

(١) صحيح: أخرجه الطيالسى (١٥٣٠) وأحمد ٦/ ٢٦٧ ، وأبو داود (٣١٤١) وابن ماجه (١٤٦٤) ، وابن الجارود (٥١٧) ، وابن حبان (٦٦٢٧ و٦٦٢٨ – إحسان) ، والحاكم ٣/ ٥٩-٦٠ والبيهقى فى «السنة الكبرى» ٣/ ٣٨٧ و«الصغرى» (١٠٢٥) ، و«الدلائل» ٧/ ٢٤٢ ، من طرق ، عن محمد بن إسحاق. وقال البيهقى فى «الدلائل» : «سنده صحيح» ، وقال الحاكم : «حديث صحيح على شرط مسلم» قلت : ليس على شرطه ، وذكر البيهقى له شاهداً من حديث بريدة وقد أخرجه ابن أبى شيبة ، وعنه ابن ماجه (١٤٦٦) ، والحاكم ١/ ٣٥٤-٣٦٢ ، والبيهقى فى «الدلائل» ٧/ ٢٤٣ ، من طريق أبى معاوية ، قال : حدثنا أبو بردة بُريد بن عبد الله ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ؛ «لما أخذوا فى غُسل رسول الله ﷺ فإذا هم بمنادٍ من الداخل : «لا تخرجوا عن رسول الله ﷺ قميصه» وصححه الحاكم على شرطهما ، ووافقه الذهبى. قلت : هو على شرط مسلم فقط ، فإن سليمان بن بريدة لم يرو له البخارى ، وله شواهد أخرى ، بها يقوى الحديث ويصح ، بل يزداد قوة –إن شاء الله–.

كفن النبى ﷺ :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفِنَّ فى ثلاثة أثوابٍ يمانية بيضٍ سحولية من كُرسف ، ليس فيهم قميص ولا عمامة»(١).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «أدرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حُلَّةٍ يمنية كانت لعبد الله بن أبى بكر ، ثم نُزعتْ عنه ، وكُفِنّ فى ثلاثة أثواب سُحُول يمانية ليس فيها عمامة ولا قميص ، فرفع عبد الله الحلة ، فقال : أُكفَّنُ فيها ، ثم قال : لم يكفن فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكفن فيها. فتصدَّق بها»(٢).

كيفية الصلاة عليه ﷺ :

من حديث سالم بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل : «قالوا : يا صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيصلى على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال : نعم ، قالوا : وكيف ؟ قال : يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ، ثم يخرجون ، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ، ثم يخرجون ، حتى يدخل الناس ، قالوا : يا صاحب رسول الله ! يدفن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قال : نعم ، قالوا : أين ؟ قال : فى المكان الذى قبض

---

(١) أخرجه البخارى (١٢٦٤) وأطرافه (١٢٧١ و١٢٧٢ و١٢٧٣ و١٣٨٧) وأخرجه مسلم (٤٥/ ٩٤١) ، وأبو داود (٣١٥١) ، والترمذى (٩٩٦) ، والنسائى (١٨٩٩) ، وابن ماجه (١٤٦٩) وأحمد ٦/ ٤٠ و١٣٢ ومالك فى «الموطأ» ١/ ٢٢٣. من طرق عنها. و(السحول) : نسبة إلى قرية باليمن ، و(الكرسف) : القطن.

(٢) أخرجه مسلم (٤٦/ ٩٤١) وابن حبان (٦٦٢٩ – إحسان) ، قال النووى : «فيه أن السنة فى الكفن ثلاثة أثواب للرجل ، وهو مذهبنا ومذهب الجماهير ، والواجب ثواب واحد كما سبق ، والمستحب فى المرأة خمسة أثواب. [راجع أحكام الجنائز للألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ] – وهذا الحديث يتضمن : أن القميص الذى غسل فيه النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزع عنه عند تكفينه. وهذا هو الصواب الذى لا يتجه غيره ؛ لأنه لو بقى منه رطوبته لأفسد الأكفان». اهـ. ويؤيده ما رواه أبو بردة بن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أخرجت لنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كساءً ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت : «قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى هذين» أخرجه مسلم فى (اللباس).

فيه روحه ، فإن الله لم يقبض روحه إلا فى مكان طيب، فعلموا أن قد صدق. ثم أمرهم أن يغسله بنو أبيه ....»[١] .

دفن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واختيارهم اللحد :

عن سعد بن أبى وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال فى مرضه الذى مات فيه: «الحدوا لى لحداً، وانصبوا على اللبن نصباً ، كما صنع برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢] .

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «لما مات النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلفوا فى اللحد والشق ، حتى تكلموا فى ذلك وارتفعت أصواتهم.

فقال عمر : لا تصخبوا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيا ولا ميتاً ، أو كلمة نحوها.

فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد ؛ فجاء اللاحد ، فلحد لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم دفن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٣] .

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «دخل قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العباس وعلى والفضل وسوَّى لحده رجل من الأنصار، وهو الذى سوَّى لحود قبور الشهداء يوم بدر»[٤] .

أين دفن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «لما قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختلفوا فى دفنه ،

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه الترمذى فى «الشمائل» (٣٧٨) ، وابن ماجه (١٢٣٤) بعضاً منه ، والنسائى فى «وفاة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٤٢) ، والطبرانى فى «الكبير» (٦٣٦٧) ، وابن سعد (٢/ ٢٧٥)، والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٢٥٩ ، وقال الهيثمى فى «المجمع»(٥/ ١٨٣): «روى ابن ماجه بعضه ، ورواه الطبرانى ورجاله ثقات» وقال البوصيرى فى «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٠٦): «هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات».

(٢) أخرجه مسلم (٩٠/ ٩٦٦) ، والنسائى (٤/ ٨٠)، وابن ماجه (١٥٥٦) والطحاوى فى «المشكل» (٤/ ٤٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٥٨) ، وقال البوصيرى فى «المصباح» (١/ ٥٠٧): «إسناده صحيح ورجاله ثقات». وصححه الشيخ الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى «صحيح ابن ماجه» (١٥٥٧ و١٥٥٨).

(٤) إسناده حسن: أخرجه ابن الجارود فى «المنتقى» (٥٤٧).

فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا ما نسيته. قال : «**ما قبض الله نبيًا إلا فى الموضع الذى يجب أن يدفن فيه**» ادفنوه فى موضع فراشه»[1] .

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أيضًا: أنها عرضت على أبيها رؤيا وكان أعبر الناس. قالت: رأيت ثلاثة أقمار وقعت فى حجري، فقال: إن صدقت رؤياك دُفن فى بيتك خير أهل الأرض ثلاثة، فلما قبض النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يا عائشة هذا خير أقمارك[2] .

متى دفن النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «توفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين ، ودفن ليلة الأربعاء»[3] .

ذكر عمر النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند وفاته :

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبض وهو ابن ثلاث وستين»[4] .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : «بُعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأربعين سنة ، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنةً يوحى إليه ، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ، ومات

---

(١) أخرجه الترمذى (١٠١٨) ، وفى «الشمائل» (٣٧١) ، من حديث عائشة. وأخرجه ابن ماجه (١٦٢٨) والبيهقى فى «السنن» ٣/ ٤٠٧ ، وأحمد ١/ ٢٦٠ ، وأبو يعلى (٢٢ ، ٢٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجاء من حديث سالم بن عبيد وقد سبق تخريجه ، فالحديث حسن لشواهده.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٦٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبرانى فى «الكبير» (٢٣/ ٤٧) (١٢٦)، وقال الهيثمى فى «المجمع» (٩/ ٣٨): «رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٦٢ و٢٤٢ و٢٧٤ ، وابن جرير فى «التاريخ» ٣/ ٢١٣ ، وابن أبى شيبة ٣/ ٣٤٧ ، والبيهقى فى «الدلائل» ٧/ ٢٥٦ ، وابن عبد البر فى «التمهيد» ٢٤/ ٣٩٧ من طريق ابن إسحاق ، وأخرجه أحمد ٦/ ١١٠ ، والطبرانى فى «الأوسط» (٤٣٠٠) من طريق ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن ابن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة فذكره ، وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه البخارى (٣٥٣٦) ومسلم (٢٣٤٩).

وهو ابن ثلاثٍ وستين»[١].

عظم المصيبة التى نزلت بالمسلمين بوفاة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** لما قبض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض، وكان أحدنا يبسط يده فلا يبصرها، فما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا[٢].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** شهدت اليوم الذى توفى فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أر يومًا كان أقبح منه[٣].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** ذهب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أم أيمن زائرًا وذهبت معه، فقربت إليه شرابًا،فإما كان صائمًا، وإما كان لا يريده فردَّهُ، فأقبلت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصاحبه فقال أبو بكر بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، فلما انتهينا إليها بكتْ، فقال لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله، قالت: والله ما أبكى أن لا أكون أعلم ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكى أن الوحى انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان[٤].

حال العرب بعد وفاة النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبيل خلافة الصديق :

قال ابن إسحاق: ولما تُوفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظمتْ به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة ، فيما بلغنى تقول : «لما توفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتدَّتْ العرب ،

---

(١) أخرجه البخارى (٣٩٠٢) ومسلم (٢٣٥١).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الترمذى (٣٦١٨)، وقال: «حديث غريب صحيح»، وابن ماجه (١٦٣١)، وأحمد ٣/ ٢٦٨ (١٣٨٥٧)، وأبو يعلى فى «مسنده» ٦/ ٥١ (٣٢٩٦)، والبيهقى فى «الدلائل» (٧/ ٢٠٧).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم فى «المستدرك» (٣/ ٥٩)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٥٤) وغيره.

واشرأَبَّتْ اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى جمعهم الله على أبى بكر»[1].

وهذا آخر ما قصدت جمعه فى الباب ، تذكرة لأولى الألباب

اللهم اجعل عملى صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً.

اللهم اجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتمه ، واجعل خير أيامى يوم ألقاك.

اللهم ، ونسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، المنان ، يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام ، يا حى يا قيوم ؛ أن تجنبنا مضلات الفتن ، وتعصمنا من المحن ، وأن تميتنا على السنن ، وتغفر لنا ذنوبنا التى جنيناها فى السر والعلن ، إنك قريب مجيب.

وصلى الله وسلمَّ ، وبارك على نبيه محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



---

(١) أخرجه ابن عساكر فى «التاريخ» ٣٠/ ٣١٥ ، وفيه الزبير بن حبيب لين الحديث ، وأخرجه ٣٠/ ٣١٤ من طريق سيف بن عمر ، وأخرجه ٣٠/ ٣١٣ من طريق عبد العزيز بن أبى سلمة ، عن عبد الواحد بن أبى عون ، عن القاسم بن محمد عن عائشة به. وأخرجه ٣٠/ ٣١١ من طريق : أيوب بن سيار ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة به ، وأخرجه من طريق : هشام بن عروة ، عن عروة ، عنها بنحوه.



المصادر والمراجع

١ - «الآحاد والمثانى» لابن أبى عاصم ، ط دار الراية - السعودية.

٢ - «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» للبوصيرى ، ط دار الوطن - السعودية ، وط مكتبة الرشد - السعودية.

٣ - «إتحاف المهرة بزوائد العشرة» للحافظ ابن حجر ، ط السعودية.

٤ - «الأحاديث المختارة مما ليس فى الصحيحين» للضياء المقدسى ، ط مكتبة النهضة الحديثة - السعودية.

٥ - «الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان» : لابن بلبان الفارسى ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت.

٦ - «أخبار مكة» لأبى الوليد الأزرقى ، ط دار الأندلس - بيروت.

٧ - «أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه» للفاكهى ، ط مكتبة النهضة الحديثة - السعودية.

٨ - «أخلاق النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» لأبى الشيخ الأصبهانى ، ط دار الكتاب العربى - بيروت.

٩ - «الأدب المفرد» للإمام البخارى ، ط مكتبة المعارف - السعودية.

١٠ - «إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل» للإمام الألبانى ، ط المكتب الإسلامى - بيروت.

١١ - «الأربعين» للآجرى ، ط دار المعلا - الكويت.

١٢ - «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» لابن عبد البر ، ط دار إحياء التراث العربى - بيروت.

١٣ - «أسد الغابة فى معرفة الصحابة» لابن الأثير ، ط دار الفكر - بيروت.

١٤ – «الإصابة فى تمييز الصحابة» للحافظ ابن حجر ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت.

١٥ – «الأموال» لأبى عبيد الهروى ، ط دار الفكر – بيروت.

١٦ – «الأوائل» لابن أبى عاصم ، ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامى – الكويت.

١٧ – «البحر الزخار» للبزار – ط مكتبة العلوم والحكم – السعودية.

١٨ – «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» للهيثمى ، ط السعودية.

١٩ – «تاريخ أبى زرعة الدمشقى» ط دمشق.

٢٠ – «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للحافظ الذهبى ، ط دار الكتاب العربى – بيروت.

٢١ – «تاريخ الأمم والملوك» لابن جرير الطبرى ، ط دار القلم – بيروت.

٢٢ – «التاريخ الأوسط» للإمام البخارى ، ط دار الصميعى – السعودية.

٢٣ – «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادى ، ط المكتبة السلفية – السعودية.

٢٤ – «تاريخ خيلفة بن خياط» ، ط بيروت.

٢٥ – «تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت.

٢٦ – «التاريخ الكبير» للإمام البخارى ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية.

٢٧ – «تاريخ المدينة» لابن شبَة ، ط دار العليان – السعودية ، وط دار الكتب العلمية –بيروت.

٢٨ – «تاريخ يحيى بن معين» – رواية الدورى ، ط مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى – السعودية.

٢٩ – «تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى» للمباركفورى ، ط دار الفكر – بيروت.

٣٠ - «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» للحافظ المزى.

٣١ - «تذكرة الحفاظ» للذهبى، ط دار إحياء التراث العربى - بيروت.

٣٢ - «تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر المروزى، ط مكتبة الدار - السعودية.

٣٣ - «تغليق التعليق» للحافظ ابن حجر، ط المكتب الإسلامى - بيروت.

٣٤ - «تفسير ابن أبى حاتم»، ط مكتبة الباز - السعودية.

٣٥ - «تفسير البغوى» المسمى: «معالم التنزيل»، ط دار طيبة - السعودية.

٣٦ - «تفسير سفيان بن عيينة»، ط المكتب الإسلامى - بيروت.

٣٧ - «تفسير عبد الرزاق الصنعانى»، ط مكتبة الرشد، السعودية.

٣٨ - «تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير، ط دار الفتح الشارقة، وط دار ابن الجوزى - السعودية، وط. أولاد الشيخ - مصر.

٣٩ - «تفسير النسائى»، ط مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

٤٠ - «تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر، ط دار المعرفة - بيروت.

٤١ - «التلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير»، ط دار المعرفة - بيروت.

٤٢ - «التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد» لابن عبد البر، ط - المغرب، وط دار الفاروق مصر.

٤٣ - «تهذيب الآثار» لمحمد بن جرير الطبرى، ط مكتبة المدنى - مصر.

٤٤ - «تهذيب التهذيب» للحافظ بن حجر، ط دار الفكر - بيروت، وأخرى. ط. مؤسسة دار المعارف النظامية في الهند الثالثة، ١٤١٧ هـ.

٤٥ - «تهذيب الكمال فى أسماء الرجال» للمزى، ط مؤسسة الرسالة - بيروت، وأخرى ط. مؤسسة دار المعارف النظامية فى الهند الثالثة ١٤١٧.

٤٦ - «الثقات» لابن حبان ، ط دائرة المعارف العثمانية - الهند.

٤٧ - «جامع البيان عن تأويل آى القرآن» لابن جرير الطبرى ، ط دار إحياء التراث العربى - بيروت.

٤٨ - «جامع المسانيد والسنن الهادى لأقوم سنن» للحافظ ابن كثير ، ط دار الفكر - بيروت.

٤٩ - «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبى ، ط دار الحديث العثمانية مصر.

٥٠ - «الجرح والتعديل» لابن أبى حاتم ، ط دائرة المعارف العثمانية - الهند، وط. دار إحياء التراث العربى بيروت.

٥١ - «جوامع السيرة النبوية» لابن حزم الأندلسى ، ط دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٢ - «الجوهر النقى» لابن التركمانى ، ط دار الفكر - بيروت، على هامش السنن الكبرى للبيهقي.

٥٣ - «حلية الأولياء» لأبى نعيم الأصبهانى ، ط دار الفكر - بيروت.

٥٤ - «خلق أفعال العباد» للإمام البخارى ، ط الدار السلفية - الكويت.

٥٥ - «الدر المنثور فى التفسير المأثور» للإمام السيوطي، ط دار الفكر - بيروت.

٥٦ - «الدرر فى اختصار المغازى والسير» لابن عبد البر ، ط دار المعارف - القاهرة، وط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر.

٥٧ - «دفاع عن الحديث النبوى والسيرة فى الرد على جهالات البوطى فى كتابه فقه السيرة» للألباني، مكتبة الخافقين. دمشق.

٥٨ - «دلائل النبوة» لأبى نعيم الأصبهانى ، ط الهندية.

٥٩ - «دلائل النبوة» للبيهقى. ط دار الكتب العلمية. وط دار الحديث - مصر.

٦٠ – «دلائل النبوة» لقوام السنة الأصبهانى ، ط دار العاصمة – السعودية.

٦١ – «الروض الأنف» للسهيلى ، ط دار الكتب الحديثة – مصر.

٦٢ – «الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام» جاسم الدوسرى ، ط دار البشائر الإسلامية – بيروت.

٦٣ – «زاد المعاد فى هدى خير العباد» ابن قيم الجوزية ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت ، وط دار ابن حزم بيروت.

٦٤ – «الزهد الكبير» للبيهقى ، ط مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.

٦٥ – «سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد» للصالحى الشامى ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة. مجموعة من المحققين والمراجعين.

٦٦ – «سلسلة الأحديث الصحيحة وشىء من فقهها» للألبانى ، ط مكتبة المعارف – السعودية.

٦٧ – «سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيىء فى الأمة» للألبانى ، ط مكتبة المعارف – السعودية.

٦٨ – «سنن ابن ماجه» ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٩ – «سنن أبى داود» ، ط دار الفكر – بيروت.

٧٠ – «سنن الترمذى» ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت.

٧١ – «سنن الدارقطنى» ، ط دار المعرفة – بيروت.

٧٢ – «سنن سعيد بن منصور» – تكملة ، ط دار الصميعى – السعودية.

٧٣ – «السنن الصغرى» للنسائى ، ط دار الكتاب العربى – بيروت.

٧٤ – «السنن الكبرى» للبيهقى ، ط دار الفكر – بيروت، وطبعة أخرى ط. دار الحديث القاهرة.

٧٥ – «السنة» لابن أبى عاصم ، ط المكتب الإسلامى – بيروت ، وط دار

الصميعى – السعودية.

٧٦ – «سير أعلام النبلاء» للذهبى ، ط مؤسسة الرسالة، نسخة أخرى. ط. دار الحديث القاهرة.

٧٧ – «السيرة النبوية» لابن هشام ، ط دار الحديث ، ونسخة أخرى ط دار التراث.

٧٨ – «السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين فى فقه روايات السيرة النبوية» د/ أكرم ضياء العمرى ، مكتبة أضواء البيان.

٧٩ – «شحذ الأسنة على منكرى السنة» للمؤلف. ط. الدار العالمية.

٨٠ – «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائى ، ط دار طيبة – السعودية، وأخرى المكتبة الإسلامة. مصر.

٨١ – «شرح السنة» للبغوى ، ط المكتب الإسلامى – بيروت.

٨٢ – «شرح صحيح مسلم» للإمام النووى ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت.

٨٣ – «شرح معانى الآثار» للطحاوى ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٤ – «شعب الإيمان» للبيهقى ، ط الهندية ، وط دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٥ – «الشمائل المحمدية» للترمذى ، ط الكتاب العربى – بيروت، ومختصر الشمائل المحمدية للعلامة الألباني. ط. دار المعارف السعودية.

٨٦ – «صحيح ابن خزيمة» ، ط المكتب الإسلامى – بيروت.

٨٧ – «صحيح السيرة النبوية» للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، مكتبة المعارف – الرياض.

٨٨ – «صحيح السيرة النبوية» إبراهيم العلى ، ط دار النفائس – الأردن.

٨٩ – «صحيح موارد الظمآن» للألبانى ، ط دار الصميعى – السعودية.

٩٠ – «ضعيف موارد الظمآن» للألبانى ، ط دار الصميعى – السعودية.

٩١ – «الطبقات الكبرى» لابن سعد ، ط دار صادر – بيروت.

٩٢ – «علل الحديث» لابن أبى حاتم ، ط دار المعرفة – بيروت.

٩٣ – «عمل اليوم والليلة» لابن السنى ، ط دار ابن حزم – بيروت.

٩٤ – «عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير» لابن سيد الناس ، ط دار المعرفة – بيروت.

٩٥ – «فتح البارى بشرح صحيح البخارى» للحافظ ابن حجر، ط السلفية مصر، وط. دار الرياض بالسعودية.

٩٦ – «فتح المنان بشرح وتحقيق كتاب الدارمى عبد الله بن عبد الرحمن» ، ط دار البشائر الإسلامية – بيروت.

٩٧ – «الفصول فى سيرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ت/ سليم بن عيد الهلالى ، ط غراس – الكويت. وطبعة أخرى ت/ محمد عبد الخطراوي، ومحى الدين مستو ط. مؤسسة علوم القرآن، دمشق.

٩٨ – «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل ، ط مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى – السعودية.

٩٩ – «فضائل القرآن» لأبى عبيد الهروى ، ط المغرب.

١٠٠ – «فقه السيرة» للغزالى ، ط عالم المعرفة – بيروت، وط. دار الريان القاهرة، تخريج الشيخ العلامة المحدث ناصر الدين الألباني.

١٠١ – «الكامل فى التاريخ» لابن الأثير ، ط دار الكتاب العربى – بيروت.

١٠٢ – «كشف الأستار عن زوائد البزار» للهيثمى ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٠٣ – «لسان العرب» لابن منظور ، ط دار المعرفة – بيروت.

١٠٤ - «ما شاع ولم يثبت فى السيرة» محمد العوشن، ط دار طيبة- السعودية.

١٠٥ - «المجروحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين» لابن حبان ، ط دار الصميعى ، وط دار الوعى - حلب.

١٠٦ - «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» للهيثمى ، ط دار الفكر - بيروت.

١٠٧ - «مختصر استدراكات الحافظ الذهبى على الحاكم» لابن الملقن ، ط دار العاصمة - السعودية.

١٠٨ - مختصر الشمائل المحمدية للإمام الألبانى ط مكتبة المعارف السعودية.

١٠٩ - «المدخل إلى الصحيح» للحاكم ، ط مكتبة الفرقان - الإمارات.

١١٠ - «المستدرك على الصحيحين» للحاكم ، ط دائرة المعارف العثمانية - الهند.

١١١ - «مسند أبى بكر بن أبى شيبة» ، ط دار الوطن - السعودية.

١١٢ - «مسند أبى عوانة» ، ط دار المعرفة - بيروت.

١١٣ - «مسند أبى يعلى الموصلى» ، ط دار المأمون - دمشق.

١١٤ - «مسند الإمام أحمد بن حنبل» ط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ونسخة أخرى شرح وتعليق أحمد شاكر ، ط دار المعارف - مصر.

١١٥ - «مسند الشهاب» للقضاعى ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت.

١١٦ - «مسند الطيالسى» ، ط دار هجر - مصر.

١١٧ - «مشكاة المصابيح» للخطيب التبريزي- تخريج العلامة الألبانى ط المكتب الإسلامي.

١١٨ - «مشكل الآثار» للطحاوى ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت.

١١٩ - «مصباح الزجاجة» للبوصيرى ، ط مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

١٢٠ - «مصنف أبى شيبة» ، ط الدار السلفية - الهند.

١٢١ – «مصنف عبد الرزاق» ، ط المكتب الإسلامى – بيروت.

١٢٢ – «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية» ، ط دار الوطن – السعودية، وط. دار العاصمة السعودية.

١٢٣ – «معجم البلدان» لياقوت الحموى ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت.

١٢٤ – «معجم الصحابة» لعبد الباقى بن قانع ، ط مكتبة الغرباء الأثرية – السعودية.

١٢٥ – «المعجم الأوسط» للطبرانى ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢٦ – «المعجم الصغير» للطبرانى ، ط دار الكتب العلمية.

١٢٧ – «المعجم الكبير» للطبرانى ، ط دار الكتب العلمية.

١٢٨ – «معرفة السنن والآثار» للبيهقى ، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢٩ – «معرفة الصحابة» لأبى نعيم الأصبهانى ، ط دار الوطن – السعودية.

١٣٠ – «المعرفة والتاريخ» ليعقوب بن سفيان الفسوى ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٣١ – «المنتخب من مسند عبد بن حميد» ، ط دار الأرقم – الكويت ، وط مكتبة ابن حجر – السعودية.

١٣٢ – «منحة المعبود فى ترتيب مسند الطيالسى أبى داود» أحمد البنا ، ط المكتبة الإسلامية – بيروت.

١٣٣ – «الموطأ» للإمام مالك بن أنس.

* – «رواية أبى مصعب الزهرى» ، ط مؤسسة الرسالة – بيروت.

* – «رواية سويد بن سعيد الحدثانى» ، ط البحرين.

* – «رواية يحيى بن يحيى الليثى» ، ط مكتبة عيسى البابى الحلبى – مصر.

١٣٤ – «موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» للهيثمى ، ط الكتب العلمية – بيروت.

١٣٥ – «موافقة الخبر الخبر فى تخريج أحاديث المختصر» للحافظ ابن حجر ، ط مكتبة الرشد – السعودية.

١٣٦ – «هداية الرواة فى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة» للحافظ ابن حجر، ط دار ابن عفان – مصر.

١٣٧ – «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» أحمد فريد ، المكتبة التوفيقية – القاهرة.





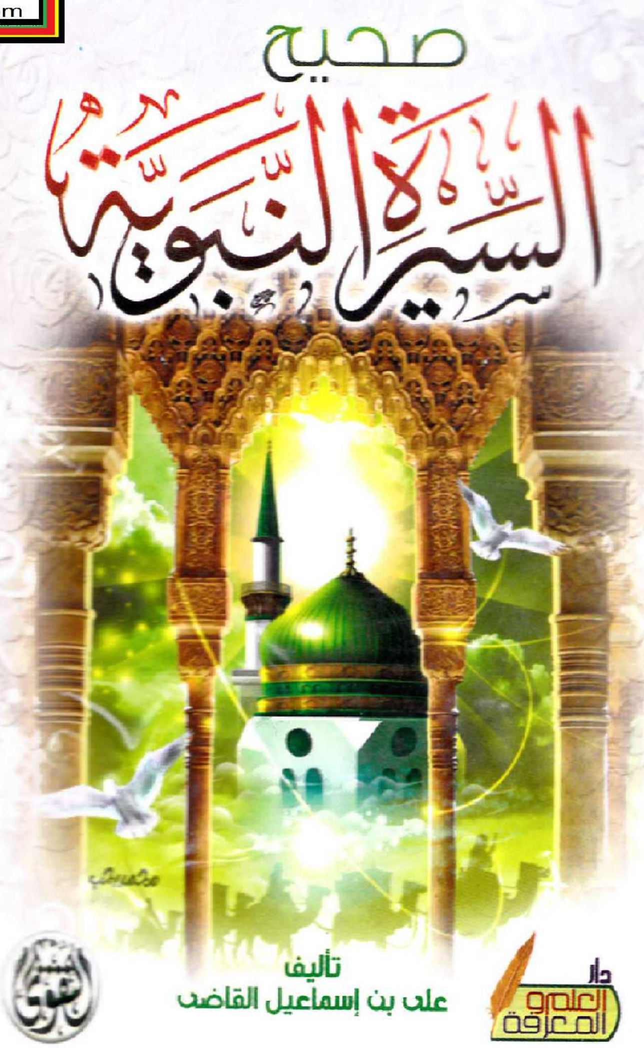
فهرس الموضوعات



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



صحيح
السيرة النبوية
تأليف
على بن إسماعيل القاضى
دار العلم والمعرفة



صحيح السيرة النبوية - القاضي
6 222010 990285